ديوان بدوي الجبل

دار العودة . بيروت

ديوان
بدوي الجبل

فهرست

الى الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود ٥
مقدمة بقلم اكرم زعيتر ٧
الكعبة الزهراء ٦١
ابتهالات ٧٢
اني لا شمت بالجبار ٨٠
دمعة على الشام ٨٧
عيد الجلاء ٩٤
بدعة الذل ١٠٣
جلونا الفاتحين ١١٤
نم بقلبي ١٢٠
يا وحشة الثأر ١٢٨
جمرة النار ١٣٩
تحية فيصل الصغير ١٤٣
كافور ١٤٦
فرعون ١٥١
البلبل الغريب ١٥٨
عاد الغريب ١٧٠
حنين الغريب ١٨٠
من وحي الهزيمة ١٩٢
مصرع الشمس ٢٠٩
آلام ٢١٦
مَنْ كسعدٍ ؟ ٢٢٤
اين أين الرعيل من اهل بدرٍ ؟ ٢٣٥
غربة الروح ٢٤٧
الشهيد ٢٥٩
وفاء القبور ٢٦٩
خلع الحياة على البلى ٢٧٢
دمعة على الشاعر عبد الحميد الرافعي ٢٧٦
الذكرى ٢٨٠
خمرة الاحزان ٢٨٦
ثُكل الامومة ٢٩٧
إيهِ حكيم الدهر ٣٠٨
اطلٌ من حرم الرؤيا فعزاني ٣١٨
ما شأن هذا الاشعث الجواب ٣٢٨
حيرة النفس ٣٣٧
وانجلت نفسي في النور ٣٤٢
الكآبة الخرساء ٣٤٥
فلسفة الحقيقة ٣٤٦
الدمية المُحطّمة ٣٥٩
الكعبة السمراء ٣٦١
العذراء الخائنة ٣٦٦
يا جارتي ٣٦٩
(فطال عليك الليل) ٣٧١
شقراء ٣٧٣
اما الشباب ٣٧٨
انني قدمت روحي في الضحايا ٣٨٠
المعبد المسحور ٣٨١
الكنز المقدس ٣٨٤
الحب والله ٣٨٥
اتسألين عن الخمسين ؟ ٣٨٩
اللهب القدسي ٣٩١
هواجس ٣٩٥
ظمأ الى السراب ٣٩٨
السراب المظلم ٤٠٢
النبع المسحور ٤٠٥
ايها المعرض عني ٤١٢

خالقه ٤١٣
الى استاذي مصطفى الغلاييني ٤١٧
ايكما الربيع ٤٢١
بين الامير والشاعر ٤٢٤
سكب المروءات ٢٤٦
أخا الجُلىَّ ٤٢٧
صهرت من الخطوب ٤٢٨
الى صديقي الدكتور ايمن الكزبري . ٤٢٨
سيذكرني ٤٢٩

البواكير

الاهداء ٤٣٣
مرابع الاحباب ٤٣٤
الى الحبيبة الصغيرة ٤٣٨
الشاعر والبؤس ٤٣٩
حياة اسير القيد لفظ بلا معنى ٤٤٣
ماك سويني ٤٤٩
اي أمر سآءها ٤٥٢
يا قمر ٤٥٥
مي في وطنها ٤٥٧
وذرني حتي احيٍّي الصباحا ٤٦٢
يا شاعر التاج ٤٦٣
نغمات عودي ٤٦٦
لبنان والغوطتان ٤٦٩
نشوة اليأس ٤٧٢
الروح الثائرة ٤٧٣
البلبل الصريع ٤٧٨
تحية الملك ٤٨٥
لا تحبيني ٤٩١
عاطفتي ٤٩٤
لا تذكري الماضي ٥٠٠
اغنية البردوني ٥٠٤
تلك الاقانيم الثلاثة ٥٠٦
على اطلال الجزيرة العربية ٥١٠
طمع الاقوياء ٥١٦
اهوى الشآم ٥٢٠
فترقبوا الغارات من ايتامها ٥٢٦
تحية الشباب ٥٣٠
تعالوا نعد الصٌيد ٥٣٤
شعاع العيون ٥٣٧
دموع ودموع ٥٤٢
انا وهي ٥٤٧
تحية وفاء ٥٥٢

الطبعة الأولى من ديوان الشاعر بدوي الجبل، حملت إهداء الشاعر للملك السعودي الراحل
فيصل بن عبد العزيز آل سعود
بالصيغة التالية

إلى الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود، لقد حرمك إستشهادك أن تصلي في المسجد الأقصى ، ولكن استشهادك سيكتب في لوح القدر أن يصلي المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها في المسجد الأقصى، وستكون ذكراك وأحزانك وإيمانك النغمة السمحة الساجية عندما يؤذن المؤذن فيه: ألله أكبر ألله أكبر. وعندما يتابع المؤذن: وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

بدوي الجبل


الناشيء



مقدمـــة

بقلـم اكـرم زعيتـر

اقدم الى العربية ديوان شاعرها بدوي الجبل

وعلى ان العبقـرية الشاعـرة من صنـع اللـه ، ونفحة العليّ الأعلى ، فان منجمها البيت الـذي فيه نبتَتْ ، وصيقلها البيئة التي فيها ترعرعت ، فالشيخ سليمان الأحمد كان من اعلام الديار الشامية فقهاً ولغة وأدباً ، وهو في الجبل العلوي ، في قرية (ديفة) من محافظة اللاذقية ، مبجّلٌ في قومه ، وبيته مثابة لرواد الفضل ، يُرتَّل فيه القرآن ، ويُجَوّد الشعر ، وينَظم الشيخ المتصوف في الحكمة ، وبعض مرامي الشعر الشريفة ، تساعفه قريحة ثرة والولد (محمـد) ما تتلمذ في حداثته لمدرسة ابتدائية في الجبل وإعدادية في اللاذقية على قدر ما تتلمذ لأبيه في ديوانـه الـذي تعبـق فيه طيوب الشاعـرية ، حتـى ليجـيء اولاده الثلاثة محمد واحمد وفاطمة شعراء

وكان محمد وقدة ذكاء ، يتلقف في الديوان كل

*

سَريّ من نظيم ونثير ، ويختزنه في مستودع اللاوعي ، لترفِد مفرداته بعد ذلك ذهنَه السخي ، وقريحته المخصاب بالبيان الأجمل

ولا يرى الفتى النابغ في وطنه إلا ما ينمُّ على القهر ، وما يشير الى الفقر ، وما يُضرب مثلاً في الاعتساف ، ولا سيما في سني الحرب العجاف ، ولكن نفسه الشاعرة كانت تسمع همسات الأسى ، وهمهمات التذمر ، ودبيب الأماني أماني الخلاص ! ثم تلمح بوارقه في ثورة الشريف الحسين ابن علي امير مكة ، فتموج بالمطامح القومية ثم تتنوّر إشراقة المجد في الموكب الفيصلي ، يطل على دمشق ، والعربية تُبعث من مرقدها ، تتلظّى بالأنفة والحمية فيبادر الى دمشق يُنشِدُ أنديتها بواكير شعره ، وقد احبها ، وثبت على حبها وفضّلها على بلاد العالمين

وكان « متصرف » اللاذقية حين احتلها الفرنسيون ذلك العربي الكبير ، رشيد طليع ، الذي غدا في العهد الفيصلي وزيراً للداخلية ، وقد توثقت بينه وبين الشيخ سليمان آصرة صداقة ، وشام في الفتى « محمد » مخايل النجابة ، فلما ثار الزعيم العلوي الشيخ صالح العلي على الفرنسيين ،

*

واخـذت الحكومـة الفيصـلية تُظاهـر الحـركات التحررية ، واتفق الرأي ابتغاء التـوثيق والتنسيق ، على الاتصال بالشيخ الثائر في مقره الجبلي ، رشـح رشيد طليع لمرافقة الوفد فتانا محمداً لنجابتـه ولمنزلـة ابيه ، وحين عاد الوفد موفقـاً ، قدَّم رئيسـه يوسف العظمة ، وزير الدفاع الفتى محمداً الى الملك فيصل منوِّهـاً به ، فشـكر له الملك جهـده ثم واصـل اتصالاتـه ، مما جعـل الفـرنسيين يحتقـدون عليه ويتربصون به

وكانت الفاجعة ، واقتحم الفـرنسيون دمشـق غزاةً عُتاةً بعد معركة ميسلون واستشهاد وزير الدفاع يوسف العظمـة ، ذاك الـذي مجَّد الشاعرُ الفتـى بطولته ، وشدا شهادتَه ، وأهدى بواكير شعره « الى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبـودية وعلى الحياة » وعلم الشاعر ما تُبيِّته الإحنة الفـرنسية ، فلاذ بحمى البطريرك العربي ، الشامخ الـوطنية ، غريغوريوس حداد واستخفى في بيت صديق ثم يمم حماة ماشياً علَّه يتسلل منهـا الى معتصـم الثـوار في الجبل ولكن الفرنسيين اهتدوا الى مخبئه فاعتقلـوه ، وأدموا قدميه ضرباً ، ومعصـمَيْه تكبيلاً وتشـغيلاً ، وقد رأى في السجـن كيف تستبـاح ارواح ، وكيف

يُصلب مجاهدون ، ثم سيق الى حمص فبيروت حيث مكث في سجنها اشهراً ، فاللاذقية حيث لبث في قلعتها حيناً ، ولما أُطلق كان التنكيل به قد احتفر في خواطره اخاديد من الذكريات الراعبة

ولعل الشاعر ، وقد اوهى الاضطهادُ جَلَده ، وأعيتْهُ مناهضته ، جنح الى مهادنة المحتل حيناً ، ولكن ما اسرع ما استغفر الله وَهْناً المَّ به واستجاب للصارخة القومية ، يوم نُفخ في صور الوحدة السورية ، لم يفزع من ترهيب ولم يخضع لترغيب كلاّ ، بل إنه انتمى الى الكتلة الوطنية منغمراً في حياة تدر بصنوف المصاعب والوان المتاعب هاتفاً

« ويا رب درب في الحياة سلكته
وما حدتُ عنه لو عرفت المغيَّبا »

وعرفته البرلمانات الوطنية نائباً يمثل عروبة جبل العلويين من أنسال غسان وتنوخ وغاظ الفرنسيين والسنتهم هذا فعيَّرته صحيفة في بيروت بموقفه فأجاب إنه بحمد الله قد جهر بالوطنية وهي جذوة تحرق كف لامسيها ، وبكلمة الوطن قويةً ، والهمس بها - خَلِّ الجهر - يكلف السجن والتشريد

*

وراح الشاعر الوطني ينافح عن وحدة الوطن ويقارع دعاة التجزئة في غير هوادة ، ولياً حمياً لهامات الوطنية من زعمائها يجلي في العُسر والمغرَم ، ورُواء الوطنية وحدهُ هو اليسر والمغنم ، وقد سمعه البرلمان ينافح عن وحدة الوطن الشامي وتمتد دعوته الى الوحدة العربية وفي مصرع الملك غازي اذكر انه وقف يقول « إن الشام التي تنوء بالف جرح وجرح من الحراب فلا تئن ولا تشكو بل تزداد عنفاً وكبرياء ، هذه المدينة الأبية على الخطوب ، المتنمرة لعوادي الزمن يخونها الصبر فيك يا ابن فيصل فتجزع وتبكي ، وفي وسع الذين تكسرت دمشق على طغيانهم فما ارتهم دموعها أن يقولوا لقد رأينا دمشق تبكي »

وحين خاس الفرنسيون سنة **١٩٣٩** بالوعد ، ونكثوا العهد وتقوَّض الحكم الوطني ، وراحوا يغرون العلويين والدروز والجزيرة الفُراتية بالانفصال ، ظل البدوي واخوانه يذودون عن الوحدة ثم أسقَطَتْ الحربُ الحَصانةَ عن النواب ، وأيقن الشاعر انه ليس بمنجاة من غدر الفرنسيين ، فقطع البيداء لائذاً بالعراق وأذكر أنني كنت في عملي ، موجهاً قومياً في معارف العراق ، حين

*

باغتني البدوي ، اشعث ، أغبر ، قد أضناه السفر ، ونهكته الوعثاء ولكن ما اسرع ما انبسطت اساريره باللقاء ، واطمأن الى النجاء ، وانشرح صدره بالاحتفاء ، وتباشر الأدباء وحملة الفكرة القومية بقدومه . وفي العراق نظم دموع الشام شعراً ، وهز ساسته ، واستثار حميتهم لنجدة إخوانه الأحرار المصفَّدين في غيابات سورية ولبنان ، وسمعتُه وقد امتلأت نفسه بالحنين الى والده ، يخاطب رسولاً ميمماً ارض الشام

« وانزل على خير الابوة رحمة
تسع الحياة وعفة وصلاحا

وأطِلْ حديثك ، يستعده تعللا
بالذكر لا لتزيده ايضاحا

واذا الحَّ فللحَنان عذوبة
في مقلتيه تُحَببُ الالحاحا

يشكو السقام ، فإن هتفت امامه
باسمي تهلل وجهه وارتاحا »

وحين انتهت ثورة الجيش العراقي على الانكليز ، تلك الموسومة بالكيلانية سنة ١٩٤١

*

وكانت للبدوي مشاركة إعلامية فيها ، عاد الى سورية فاعتقله الفرنسيون ، وزجوه في قلعة « كسَبَ » على الحدود السورية التركية ، ويا لوعة قلبه حين قضى ابوه الجليل وهو في المعتقل ! على ان الشاعر السجين قد ألهم في محبسه من الروائع ما يُزري بكثير من قصائد الحبوس ، فلم يكد يستعيد حريته حتى نودي لرثاء البطل الثائر ابراهيم هنانو في حلب فراح يُفَجِّرُ طاقات شعره التي اختزنها منفياً او سجيناً

وبالتزكية الجماعية غدا الرجل نائباً للاذقية ، وظل نائباً ما بقي الحكم الوطني المدني

وفي هذا الآن استقلت سورية وتحقق الجلاء ، فغنّى الاستقلال وشدا ابطاله ، وندب شهداءه

وفي ذكرى « هنانو » وكنتُ رصيفه ، ارسل قصيدته ، ذات العنفوان ، عنفوان ذوي القدمة في النضال

« كتب المجد ما اشتهت غرر المجد
ونحن الكتاب والعنوان

نحن تاريخ هذه الأمة الفخم
ونحن المكان والسُّكان

*

من غوالي دموعنـا العطــر والخمر
ونعمـى دمــائنـا الارجـوان

قد سقينــا من قلبنــا الموت حتى
نبت الضرب في الربـى والطِّعان »

وفي قصيدة اخرى ، اهداها الى روح هنانو ، هي قصيدة الاباء والكبرياء ، لا يحجبها سجنٌ ولا يُعَفِّيها قبر

« اذا ملـكوا الـدنيا على الحـر عنوة
ففـي نفســه دنيا هي العــز والكبر

وان حجبوا عن عينه الكون ضاحكاً
اضـــاء له كون بعيدٌ هو الفكر

فليلتــه صبــح وعسرتــه غنى
واحزانــه نُعمــى وآهاتــه شعر

أُطِــلُّ على الــدنيا عزيزاً أَضمني
إليه ظلام السجن ام ضمنـى القبر

وما حاجتـي للافـق ضحيان مشرقاً
ونفسي الضحى والافق والشمس والبدر
ومــا حاجتــي للكائنــات بأسرها
وفي نفسـي الـدنيا وفي نفسـي الدهـر

*

ونفسي لو ان الجمـــر مسَّ إباءَها
على بِشرها الريان لاحترْق الجمر »

وقـد تمثـل لي ، وانـا اسمعهـا ، ابـو الـطيب المتنبي فحلب موطن سيف الدولة ، وحلب معقل هنانو ، والبدوي في تمجيد هنانو هو المتنبي في تعظيم سيف الدولة ، شَمَمَ انف وجزالة نظم ، وقوة بيان ورنين قوافٍ واوزان ، وقد خاطب شاعرنا بطلَه

« نماكَ وسيفَ الدولة الدارُ والهوى
وغنَّـــاكما انـــدى ملاحمــه الشعر

وأُقْسِمُ بالبيت المحـــرم ما احتمتْ
بامنـــع من كفَّيكما البيض والسمر

فإن تفخر الشهباء فالـكون منصت
وحق بسيفَـيْ دولتيهـا لهـا الفخر »

وقضت احـداث بتنحيتـه واخوانـه عن النيابـة والحكم فأصابه ما اصابهم من مغرم ، وقد انقذه من الاعتقـال محافـظ الـلاذقية يومئـذ ، سعيد السيد ، وكانت له قدم صدق في الحركة الوطنية ، حين تلقى امـراً بالقبض عليه فهـرَّبـه بسيارتـــه الرســمية الى لبنان

*

على ان الشاعر ما لبث حتى عاد الى دمشـق ، بعد ان تقشَّعت الغيمة ، وغدا وزيراً ممثلاً للحزب الوطني مرات ، ولكن احداثاً طارئة على نظام الحكم سنة ١٩٥٦ شـرَّدته وصفوة من اخوانه ست سنوات بين بيروت والآستانة وروما وفيينا وجنيف

وفي مغتربه في العواصـم الأوروبية الثـلاث ، والبدوي يتنـزَّى المأ ـ والألم اقوى ملهمات الشاعر ـ اثرى ديوانَ الشعـر العربـي بخوالـد من روائعـه ، « فالبلبل الغريب » وقد نظمها في فيينا ، بث فيهـا حنانَه حفيده محمداً ، ومـا احسـب ان شاعـراً قال مثلها في حفيده ، ومطلعها

« تغـرب عن مخضوضـل الـدوح بلبل
فشـرَّق في الـدنيا وحيداً وغرَّبا»

وفيها يهتف

« تـود النجـوم الـزُّهـر لو انهـا دُمى
ليختـار منهـا المترفـات ويلعبا
وعنـدي كنـوز من حنـان ورحمة
نعيمـيَ ان يُغـرى بهـن وينهبا
ويوجـز فيمـا يشتَهـي وكأنـه
بايجـازه دَلاًّ اعـاد واسهبا

*

يزف لنـا الأعياد عيداً إذا خطا
وعيداً اذا ناغـى وعيداً اذا حبا »

وأثـارت القصيدة شاعـر الشـام الكبـير شفيق جبري فأرسل رائعته « بلابل دوح »

« سـل الشـام من غنَّى حماهـا فأطربا
ومـن راح يسقيهـا الشراب المطيبا »

ورد البـدوي ـ وكان في جنيف ـ تحية جبـري بمثلها « حنين الغريب »

« وفـاء كمـزن الغوطتـين كريم
وحـب كنعمـاء الشـآم قديم »

ومن بداعاته فيها

« قـد اختُصرت دنيا بقلبـي وعالَمٌ
كما اختصر العلـمَ الشـتيتَ رقيم
وتوجَـز في قارورة العطـر جنـةٌ
وتوجـز في كأس الـرحيق كروم »

ورنّحتني قصيدتـا البـدوي ومطارحـة جبـري فوصفت مشاعـري في سطـور ، وأرانـي اسـتجيب لداعي الإثرة فاقتطف من جوابـه لي قولـه « وقـد كنتَ رفيقي الدائم ليلاً ونهاراً وأنـا انظـم قصيدتـي

❋

« البلبل الغريب » في فيينا ، وقصيدتي « حنين الغريب » في جنيف ، وكنت استشيرك في كل نغم واساركّ في كل الم ، وانتقي وإياك المفردات ، ونغيِّر هنا كلمة ، ونُبَدِّل هناك كلمة ، كما أنك رفيقي عند كل روضة مطلولة او رفَّة معسولة »

وفي جنيف اضناه الحنين الى الشام ، فجاءت « ابتهالات » اعذب ما هتف به شاعر غريب ، ورقرق عيني قولهُ

« هذا الأديم ابي وامي والبداية والمآب
وامومة وطفولة ورؤى كما عبر الشهاب»

وانهى « ابتهالاته » وقد تجاوزت المئة من الأبيات

« انا والربيع مشردان
وللشذا معنا ذهاب
دنيا بقلبي لا تُحَد ولا
تُراد ولا تجاب
والنور يسأل والخمائل
والجمال متى الاياب ؟ »

فكتبت اليه « حبذا غربة العبقري اذا هو نفح الأدب بمثل « البلبل الغريب » و « حنين الغريب » وكم ترنح بالنشوة اديب او ذوّاقة وهو

يرتّل للعبقريين بنات محنتهم وثمرات شقوتهم ، على ان العبقري يثأر لنفسه حين يجعل الظالم هُزَأةً بين الناس في التاريخ ، وظُلْمَه مَخْزأة لاصقة به ، سبةَ دهر وعار ابد ! ويثأر لنفسه بما يفرضه على الدهر من تخليد بخلود روائعه ومن تمجيد بمجادة بدائعه »

واجابني برسالة نابغة ، ويوم تلقيتها ، جاءتني رائعة للشاعر الكبير شفيق جبري مطبوعة على الآلة الكاتبة ، وقد استحال نشرها لعنف ما فيها ، فبادرت الى ارسالها الى البدوي أجملَ هدية ، واوسم تحية ، وقد هتف به في مطلعها

« يا نائحاً خلف العباب
أدموع عينك ام لُهاب
رفقاً بقلبك ان يذو
ب وقلب ربعك ان يُذاب ! »

وعاد الشاعر الى وطنه واستفزته هزيمة حزيران في فلسطين سنة ١٩٦٧ فأطلق عاصفته « من وحي الهزيمة » في مئة وثلاثة وستين بيتاً ، فيها براكين وصواريخ ، وفيها معارك وغارات ، وفيها دموع وآهات !! وذات صبح كان البدوي يمشي ، على عادته في الرياضة اليومية ، واذا بشرير يهوي على رأس الشاعر بطعنٍ دِراك افقده وعيه ونقل محطماً الى

*

مكان خفي ، وباءت بالاخفاق جهودٌ موصولة للعثور عليه حياً او ميتاً ، ولكن انذاراً صارماً وجهه وزير الدفاع السوري يومئذ اللواء حافظ الأسد للآثمين بإعادته فوراً ادى الى طرحه خفية في احد المستشفيات وهو يحُتضر ، ونمَّت ساعة يده عليه فبذلت جهود لانقاذه واستُنفر لذلك اطباء من سورية ولبنان حتى افاق بعد اربعين يوماً من غيبوبته ، وتماثل وئيداً وئيداً من علته ، فدُفعت عن تاريخ العربية مَعرَّة قتل شاعرها وليتها استطاعت ان تدفع مثل هذه المعرة قبل اجيال في مصرع ابي الطيب المتنبي وقيل إن مدبر اغتيال الشاعر ، قد انتحر بعد حين ، فتذكرتُ ان آخر بيت في « وحي الهزيمة » هو

« لم اهادن ظلماً وتدري الليالي
في غدٍ اينا هو المدحور ! »

* * *

كان الشاعر في صدر يفاعته يرسل شعره الى جريدة « الف باء » الدمشقية ، ولم يكن على قدر من الشهرة تناسب رفعة شعره ، وحدث ان هز العالم نبأ المناضل الايرلاندي ، ماك سويني ، محافظ مدينة كورك الذي جعل احتجاجه على وجودٍ الانكليز في بلاده صياماً حتى الموت ، وسبك صلاةً

*

لبني وطنه يرتلونها في كنائسهم ثم قضى صائماً ، فنظم شاعرنا تلك الصلاة بالعربية ، وبعث بها الى « الف باء » مع تحية شعرية لروح الشهيد ، وفي اليوم التالي ، رأى قصيدته مذيلة بتوقيع « بدوي الجبل » فسعى الى صاحبها الاستاذ يوسف العيسى يسأله عن السبب ، فأجابه « ان الناس يقرأون للشعراء المعروفين ولستَ منهم ، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على ان يقرأوا الشعر للشعر وان يتساءلوا من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وانت في ديباجتك بداوة ، وانت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب وانت ابن الجبل » وتوالت قصائد « البدوي » ونقلتها صحف في بيروت شادية بها ، والناس يتساءلون عمن يكون ؟ اهو خير الدين الزركلي ؟ ام هو خليل مردم بك ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ ، الى ان دعا صاحب الجريدة نخبة من الأدباء واعضاء المجمع العلمي الى احتفال قدم فيه الشاعر « هو ذا بدوي الجبل ، انه محمد سليمان الأحمد ! » وراح البدوي يشدو ، وهم في نشوة مما يسمعون وغلب اللقب على الاسم ، حتى حل محله في البيت وخارجه ، ولا ازال اذكر انه حين يمم القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني العربي سنة ١٩٣٨ لأجل فلسطين ـ وكنتُ فيها ـ كان يتلقى لكل اجتماع

او حفلة بطاقتين احداهما معنونة « سعـادة بدوي بك الجبل » وثانيتهما « سعادة النائب محمد سليمان الأحمد » ومما اذكره توكيداً للقول إن نفاسة الشعر تعلن نفسها،،ان مجلـة « الهـلال » المصرية ، نشرت ابياتاً من الشعر عزتها خطأً الى سيدة ، وقرأ الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح تلك الأبيات المعزوة الى سيدة لم يسمـع بهـا فكتـب اليَّ من باريس « هذه الشاعرة الساحرة تسجد امامها قوافي الشعر ، ويحني هاماتهـم شعـراء العصر ادعـو لهـا بطـول العمر ! » وكنتُ اعلـم ان تلك الأبيات من قصيدة « اللهب القُدسي » لبدوي الجبل وما لبثتْ المجلة حتـى صححـت أغلوطتهـا ، ولـكن عبـارة صيدح جاءت على وجازتها تقويماً عفوياً لشعر من شاعر

* * *

اصبح « بـدوي الجبـل » هو الاسـم ، ولـكن اللقب الذي اشتهر به البدوي هو « شاعر العربية » ولـه حكاية فقـد استشهـدتُ في خطــاب لي في مهرجـان الجـلاء عن لبنــان سنــة ١٩٤٦ ، ببيت « لشاعر العربية » ، من دون ان اسميه

« الزغــاريد فقــد جُنَّ الإباء
مــن صفــات اللــه هذي الكبرياء »

*

ثـم لقيت في القاهـرة استـاذي ، اسعـاف النشاشيبـي ، وكان يلقـب « بـأديب العـربية » فسألنـي « من ذا الـذي اطلقت عليه « شاعـر العـربية » ؟ فأجبـت انـه « بـدوي الجبـل » فتطلّق وجهه وقال « إي والله ، انه اجدر شاعـر بهـذا اللقـب اي واللـه » فقلـت « وهـل « يكرّس » اديب العـربية وإمامهـا هذا اللقـب ؟ » فبادرنـي الى القـول « وانقـل اليه هذا » وفعلت ، فكتب البدوي إلـيّ « اما شهـادة امـام العربية الأكبر ، إمامنا النشاشيبي ، فهي والله تعدل عندي كنوز الـدنيا انـا اعلـم انني لا استحقهـا ولسـت في السـبيل اليهـا ، ولكنـه فضلـه وتفضلـه ورعايته لي وعطفه عليّ » . وفي اجتهـادي ان سراوة البدوي كلّفته هذا التواضع ، فهـو يعـرف قدره ، وكونه شاعـر العـربية ويصـون شعـره عن رخيص المنزلة وهو القائل

« الخالدان ـ ولا اعد الشمسَ ـ شعري والزمان »

والقائل

« كل مجـد يفنـى ويبقـى لشعري
شـرف بـاذخ ومجـد اثيـل »

وأذكر انني صاحبتـه الى بغـداد سنـة ١٩٥٣

*

مُلبيين الدعوة الى الاحتفال بتتويج الملك فيصل الثاني رحمه الله ، وفي قصيدته في الحفل مجّد الشعر

« ايطمع الشعر بالاحسان يغمره
والشعر يغمرِ دنيا الله احسانا
لو شاء عطَّر هذا الليلَ غاليةً
ونضرَّ الرمل صهباءً وريحانا
لو شاء نمنم هذا النجم قافية
ونغَّم الفجر احلاماً وأوزانا
لو شاء انزل بدر التِّم فاحتفلت
به الندامى سراجاً في زوايانا
ولو سقى الشمس من احزانه نديت
على هجير الضحى حباً وتحنانا »

وأنهى قصيده بأبيات غدت نشيد الثار تُطلقها لهوات الأحرار

« ويل الشعوب التي لم تسقِ من دمها
ثاراتها الحمر احقاداً وأضغانا
والحق والسيف من طبع ومن نسب
كلاهما يتلقى الخطب عريانا
ما في العراق وما في الشام موعدنا
على الثَّنيَّةِ من حطين لقيانا !»

*

ولما عدنا من بغداد جاءه من رئيس الـوزارة العراقية ان الحكومة انعمت عليه بوسام من الدرجة الثانية ، فرد الوسام مع رسالة تقريع بُصمي ، ولما حُلتُ دون نشر الرسالة في الصحف مؤثْراً تدارك الأمر بهدوء ابرق الي « ارجو الا يخامرك شك في عزمتي وتصميمي ، فوالله ما تغير إبائي ، ولا حالت كبريائي » ثم اعتذر الرئيس ، بل جاء الوسام الأرفع يعتذر في استحياء ! وما اكثر ما قال البدوي وكتب الي « لا بارك الله في الساعة التي جرًّني فيها الضعف الانساني الى النيابات والوزارات » وردد

« إنـي أُكـرِّم شعـري في متارفه
كما تُكَرَّمُ عنـد المؤمـن السُوَر »

* * *

وقبل ان أتحدث عن اسلوب البدوي في النظم وخصائص شعره وآرائه ، مما يتحتم ان يُدرج في هذه المقدمة أحب ان اشير الى امرين

كانت العرب تقول لمن يهتف او يهذي بالشعر قبل ان يجيده إنه يقرزم ، وأشهد ان البدوي طلع على الدنيا شاعراً مجيداً ، وما عرفه الشعر قرزاما ، وانت اذا قرأت بواكير شعره رأيتها متينة السبك ، رائعة المعاني وأذكر انني استظهرت قصيدته في

مقدم الشريف الحسين بن علي مدينة عمان ، وأنا تلميذ ، وقد نظمها في صدر يفاعته ومطلعها

« الف اهلاً بأمير المؤمنين
سيد البطحاء والبيت الأمين »

وحق للشاعر الكبير بشارة الخوري ان يقول يومئذ « إن شعر البدوي ارجح من عمره » وللعلامة الشيخ عبد القادر المغربي ان يكتب « إنه الشاعر الذي تمرد على ناموس التدرج »

ولو ان الأصمعي القائل في شعر ابي العتاهية « إنه كساحة الملوك يقع فيه الخزف والذهب » استشف ما سيبدعه البدوي لهتف « هذه ساحة لا خزف فيها ، انها سوق الذهب واللؤلؤ والمرجان »

درس شاعرنا في ديوان ابيه وحفظ ووعى شعر قدامى الفحول كالمتنبي ومهيار والرضي والبحتري وابي تمام و « حماسته » ولكنني أقطع بأنه شبيه بذاته ، له كيان شعري مستقل بأدواته ، ديباجةً وخيالاً ، ومعاني ونغماً ، وقد يقال في شعراء مجيدين إنهم متأثرون بالبدوي ولا سيما بعد أن يذهب زبد الشعر الطِلَّسْمي المتفشي جفاء ، ويمسي هباء ! على

أن شاعرنا تأثر في نزعته الصوفية بجده الأكبر ، الشاعر العلوي المتصوف الأمير حسن بن مكزون السنجاري

قلت إن مدرسته ديوانُ ابيه ، وأشرت الى الشعراء الذين قرأ شعرهم ووعاه ، ويهمني - وثقافة الشاعر عنصر في خصوبة ذهنه - أن أقول إنه درس القرآن والحديث والنهج وأوغل في مطالعة كتب الأدب العربي كالأغاني والأمالي وآثار الجاحظ والتوحيدي ، وإذا حرم معرفة لغة اجنبية فقد عبَّ المترجمات العربية من آداب واجتماع وتاريخ ومذكرات وروايات ، وأذكر أنه قرأ مترجمات شقيقي عادل في الفلسفة والتاريخ والاجتماع وأشاد بها أي إشادة

* * *

لي مع الشاعر تجارب أذكر منها إثنتين تدل - وهو المطبوع - على أنه لا يصطنع الشعر اصطناعاً ، ولا يملك أن يقول الشعر ساعة يشاء ، وأن الشعر هو الذي يمتلك الشاعر ، وقد يمضي وقت طويل ، لا ينظم فيه بيتاً ، وقد يُرسل ثلاث قصائد في شهر واحد ! وإذا سألته : لمَ ؟ قال « الإرادة بنت العقل ، والشعر ترجمان القلب إذا لم يجئني

الشعر عفواً ، تعذّر على استحضاره اقتساراً » وقد أدركتُ أن دواعي المنطق لا تجدي إن لم يكن ثَمّ حافز عاطفي مثير وشرارة تستوقد القلب وحين يهتف بالمطلع متأثراً ، قد يسلس الشعر قياده ويغدو الكلام غير ما وصفه « ابو حيان » صلفاً تياها .

في خريف سنة ١٩٤٠ ، وقد احتل الالمان باريس ، قرر نادي « المثنّى » ببغداد ، وكنت من مؤسسيه ، الاحتفال في التاسع من شعبان بذكرى الثورة العربية التي أطلق الحسين بن علي رصاصتها الأولى ، وأردناها تظاهرة عربية وحدوية ومناسبة لتجميع القوى القومية والدعوة الى التخطيط للمستقبل العربي ، ومواجهة الأحداث بخطة محكمة وعزيمة ماضية ، ورجوت البدوي أن يكون شاعر الاحتفال فاعتذر ، فألححت في الرجاء فأصر على الاعتذار ، فهامست نفسي « لا بد من إثارة عاطفية تحُلُّ عقدة من لسان الشاعر ! » وانطلقتُ اتحدث « فرنسا التي نكلت بسورية فرطت في إسكندرونة دمرت دمشق أنت هنا مشرد تترشف رزقك مدرساً ، وأبوك الشيخ الجليل يتحرق لوعة ألا يراك ، اخوانك يوسف العظمة ، رشيد طليع ، احمد مريود ضحاياها

الجزائر ، المغرب ، تونس ما فعلَتْ فيهـا ؟ يا لله هل كنا نحلم أن يمتد بنا العمر فنراها تذوق ما أذاقتنا ؟ وأبو الثورة ، الحسين بن علي انتهى به الغدر البريطانـي الى ما تعلـم مجحـوداً ، وقبـراً في جوار الأقصى ، وفي ذكرى الثورة أنت أنت الذي تنصفه ميتاً كما انصَفته حياً » وعلى هذه الوتـيرة استرسلـت متأثراً ، الى أن برقت عينـاه ، وبـريق عينيه صدى نبضات فؤاده ، ودمعت عينـاه ، ودمـوع البـدوي مطالع القصيدة ، او هي كلماتها النثـيرة ، ورشـح جبينـه بالعـرق ، وانصرف يهمهـم وأرق تلك الليلة وغاب يومين ، وفي اليوم الموعود شخصت أبصـار الحشـد في النـادي الى البـدوي وأرهفـت الآذان فانطلق

« يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا
رقَّ الحـديد ومـا رقـوا لبلوانا

خلِّ العتـاب دموعـاً لا غنـاء بها
وعاتـب القـوم أشـلاءً ونيرانا »

وماج النادي حين جلجل الشاعر

« إنـي لا شمـت بالجبـار يصرعه
طـاغ ويُرهقـه ظُلماً وعدوانا

❋

سمعتُ باريس تشكو زهـو فاتحها
هــلاّ تذكرت يا باريس شكوانا

عشرين عاماً شربنا الـكاس مترعة
مــن الأذى فتملىَّ صرفهــا الآنا »

ووصف الثورة العربية ، وقائدها ، وكتائبها ، وصحراءها

« وللجياد صهيل في شكائمها
تــكاد تشربــه الصحــراء الحانا »

واذكر انني رأيت في اليوم التـالي على لوحـة في احد صفوف دار المعلمين ببغداد هذا البيت

« تغضي على الـذل غفرانـاً لظالمها
تأنّـق الــذل حتــى صار غفرانا »

وقيل لي إن الدكتور عبد الرزاق محي الدين ، استاذ الادب العربــي (رئيس المجمــع العلمــي العراقي اليوم) هو الذي كتب البيت على اللوحة ، منوّهاً بجماله الشعري ، حاثاً الطلاب على استظهار تلك القصيدة

وقد هُرِّبــت القصيدة الى الأقطــار العــربية وتغلغلت في بلاد الشام وغيرهـا ، وقيل إن الـزعيم

*

التونسي ، الحبيب بورقيبة فوجىء بها تتسلل الى زنزانته في جزيرة الشيطان بافريقية

وفي الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد الزعيم العربي اللبناني رياض الصلح قرر اخوانه الاحتفال بتأبينه وقد تفجع عليه عرب المشرق والمغرب ودُعي خطباء وشعراء من المغرب ومصر والعراق ولبنان وسورية الى رثائه ، وإلى كوني المنتدب للقول باسم فلسطين ، فقد رجوت البدوي ان ينظم مشاعر سورية والعرب شعراً ، رصيفاً لشاعره اللبناني الأثير امين نخلة ، فأجابني ، وقد بدت عليه ربكة « آه رياض ، من كرياض ؟ لكنني لا ادري هل يأتيني الشعر بعد ساعة او يوم او اسبوع ويمكن الاّ يأتيني ابداً ، فإذا رضي عليّ اله الشعر او شيطانه ـ لا ادري ـ اديت الواجب نحو عظيمنا الراحل ، وإلا فمعذرتك والاخوان وعفوكم » واقترب الموعد ولمّا يساعفه الالهام ثم حدث ان توفي في بيروت صديق البدوي ، الوطني الكبير عادل العظمة ونقل جثمانه الى دمشق وودّعه على الحدود شقيقه الكبير المجاهد نبيه العظمة ، لأنهما كان محظور عليهما دخول دمشق ! ودخلها عادل جثمانه بعد ما حرمها عياناً وكان موكب التشييع الى المقبرة متواضعا مما

شجا الشاعر وتذكر ـ والشجا يبعث الشجا ـ مصرع رياض في عمان وعودته جثماناً الى بيروت ، وانبجست الذكريات دموعاً وهنا بدأ يهمهم بالشعر ، وواتاه المطلع الأروع

« لا تسلها ، فلن تجيب الطلول
المغاوير مثخن او قتيل

موحشات يطوف في صمتها الدهر
فللدهر وحشة وذهول

غاب عند الثرى احباء قلبي
فالثرى وحده الحبيب الخليل »

وراح يومين في غيبوبة شاعر يختمر فيهما الحزن شعراً ، مجدّ فيه رياضاً وهوى بمقامع من بيانه على الذين اغتالوه واستبكى الأمة والتاريخ ، وتمثل عادل العظمة مكفَّناً

« الذي شرّدته عنْكِ المعالي
آب وهو المكفَّن المحمول

مثخن بالجراح يهفو الى الأمّ
فأين الترحيب والتأهيل

*

ضنّت الشام بالوفاء علينا
طلعة سمحة وود بخيل »
وتذكر مصارع رفاق رياض سعد الله الجابري وعادل العظمة ونجيب الريس وكانت آهة الختام في الملحمة المأتم
« اين اين الرعيل من اهل بدر
طُوِيَ الفتح واستُبيح الرعيل »

* * *

يمتلك البدوي أدوات الشعر العالي الخيال واللفظ والعاطفة واللغة والنغم او الموسيقا والأسلوب هو الذي يوائم بينها خياله يتسم بالجدَة والطرافة والعمق إنه مخترع أخيلة ، والفاظه أنيقة مصطفاة ، فصيحة ، تساير الأخيلة والمعاني شرافةً وجزالةً او رقة ولوناً ، وكأن لها ارواحا ، كما يقول سيد قطب وعاطفته ذات سراوة ولغته متينة وفي بحوره وأوزانه ايقاع موسيقي يناسب الموضوع ، فللعاصفة او البركان بحر يختلف عن السلسبيل الرقراق ثم إن الديباجة الجميلة كديباجة البدوي تجعل من المعنى المتداول شعراً ، وفي شعره حكمة والشعر إذا نبع من القلب لا غنية له عن العقل او الفكر ، وشعرنا العربي لا يستكمل مراميه إذا تجرد عن الحكمة ، وقولك: إن المتنبي حكيم لا

ينفي عنه عظامة شعره وقد طعّم دانتي وغوتيه وشكسبير شعرهم بالحكمة ، وصاحبنا البدوي كثيراً ما سكب الحكمة في قوالب من جمال اللفظ وروعة النغم معتبراً ان الحقائق مظاهر جمال في الكون ، ولكنه على اي حال مع العاطفة قبل المنطق ، ويرى رأي قدامى النقاد أن الحكمة في الشعر لا يجوز ان تكون إلا كالملح في الطعام كما انه جعل من اغراض شعره استثارة الحس الوطني والذياد عن الاهداف القومية العليا ، شأن من يستودع قلبَه ضمير وطنه ، فيجيء شعره صورة فنية لخواطره وهواجسه ونبضات فؤاده ، وهنا قد تُفتقد وحدة قصيدته في الرثاء مثلاً ، ذلك لأنه حين يرثي مجاهداً وطنياً تراه يثب الى الحديث عن وطنه وأمته ، ويقحم آراءه الوطنية في اتساق ويسكب روحه الثائرة في ابيات ثم يعود فيبدع الختام ابداعه المطلع

* * *

ومراثي البدوي ليست مما الفناه نحيباً وتعداد محاسن ، ولكنها تقري الأخيلة بصورة اخاذة لاخوانه الراحلين ، تجمِّل اللوعة ، وتضفي على الحزن وسامة وسحراً فسعد الله الجابري

« طلعة تفرح العيون وتسبيها
وتغزو القلوب كبراً ومجداً

*

بدعـة الظـرف والأنـاقـة يرضيـك
دعـابـاً عفّـاً ويرضيـك جِدا

تنهــل العــين من بشاشـــة سعد
ريهَّـا ، والعيون تـروى وتصـدا

متـرف في رجولـة واعتـداد
راع زياً وراع وجهـاً وقدا »

وابراهيم هنانو

« ضاوٍ من السقم ضجت في شمائله
عـواصف الحـق والأمـواج والزبد

اذا اثيـر نضـا عنـه مواجِعَهُ
كمـا تفلّـت من أشراكـه الأسد

يـروع في مقلتيـه بـارقُ عجـب
وعـالـم عبقـري السـحـر منفـرد

يغالــب البِشرُ ، اسقامـاً نزلن به
ابـى له الكبـر ان يأسى لهـا احد »

وفارس الخوري

« ولــه الطــرفـة المليحـة تغنـي
عـن نقـاش وتُسـكـت المنطيقـا

وبيان تخالــه الــوشي والأطياب
شـتـى ، واللـؤلـؤ المنســوقا

فيه عمــق البحــار تزخــر بالدر
وفيــه متــارف المـوسيقــا

وضمــير نديان يسرف في الحس
فيجــزي حتــى الخفــيَّ الدقيقا »

* * *

قلت إن استثارة الحس الوطنـي والدفـاع عن الأهداف القومية من اغراض شعر البـدوي ، وهـو داعية الحقد الوطني على المحتل الظالم ، فما يُذكي مقاومة الغاصـب مثـلُ هذا الحقـد ، الـذي أدعـوه (الحقـد المقــدس)

« آمنـت بالحقـد يذكي من عزائمنا
وأبعــد اللــه إشفاقــاً وتحنانا

ويل الشعوب التي لم تسق من دمها
ثاراتها الحمر احقاداً وأضغانا »

والفواجع والهموم والأحـزان القـومية مذكيات للعزائم ، حافزات للثار ، واذا كان للمؤ رخ تويني نظرية التحـديات في أحـداث التـاريخ ، فالـرزايا الوطنية هي اعنف التحديات في شعر البدوي

*

« وقد عرفتُ الـرزايا وهـي منجبة
فـكيف لم تلـد الجُلىَّ رزايانا

يا وحشـة الثـار لم ينهـد له احد
فاستنجـدِ الثار أجداثـا وأكفانا »

« الطالعـون على الـدنيا بنصرهم
لولا الفواجع هل شدوا وهل نهدوا

اذا ونـوا راح يُذكي من عزائمهم
حـزن هو القـوة الشهبـاء والعدد

اما الشعوب وقد ضجت عواصفها
فصاحب النصر فيها الثاكل الحرد »

واما الحقد الشخصي فما اسرع ما يغسله الأسى ويمحوه الحنان

«غسـل الأسى قلبي وحسبك بالأسى
من غاسل حقد القلوب وماحي

وددت حـين هوى جنـاح حمامة
لو حلَّقت من خافقـي بجنـاح »

واذا استشرى حقده على خصوم عقيدته رشقهم بسهمه

*

« عصابــة شر راح يبــرأ منهم
الى الله ـ ابقاءً على نفســه ـ الشر »

ومـن سمات شعـره القومـي دعـوة ملحــة الى الوحدة العربية ، وأذكر اننا تراصفنا في تأبين غازي وهنانو ورياض وفي ذكرى الثورة العربية في بغداد وبـيروت ، فكان في قصائـده كلهـا داعية الوحـدة العربية

وقد مادت القاعة وهو يقول في رثاء غازي

« وبيمنــاه راية الوحــدة الكبرى
فميدي يا رَاية اللــه ميدي »

وفي تلك الملحمـة الشعـرية دوت الصارخــة القومية

« لا تسلنـي عن الشـآم فقــد حز
بجيد الشــآم عض الحديد
فتنمَّــرْ واغضــب لقومــك وارجُم
بالشــهــاب اللّماح كل مـريــد
واغـزُ بالجيـش قبـة الفلك الدائر
واقحـــم بـه عــرين الاسود »

وانتهى الى ما اتخذناه شعاراً قومياً

« ليس بين العراق والشام حد
هدم الله ما بنوا من حدود »

وله

« يا بُناة الحدود ، لا تعرف الصحـ
ـراء في زحمة الأعاصير حداً »

وفلسطين ، قضية العرب الأولى ، هوذا شاعر العربية يثير النخوات ، ويؤجج الثارات ، يُبكِّتُ ويندِّد ، وينذر ويهدِّد

« قد استرد السبايا كل منهزم
لم تبق في رقِّها الا سبايانا

وما لمحت سياط الظلم دامية
إلا عرفت عليها لحم اسرانا

ولا نموت على حد الظبى انفاً
حتى لقد خجلت منا منايانا »

وفي أغرودة الجلاء عن سورية

« يا فلسطين هوى مستعر
من ربي الشام ونصر وولاء
وتحيات الرضى من دجلة
وسلام الله من غار حراء »

*

« ايـن من ثـأرك والثـأر دم
خـالـد الفتـح وايـن الامـراء »

والايمان

« يصـنـع الـدنيـا ولا تصنعهـا
صـور العقـل والـوان الدهاء »

وفي رثاء سعد الله

« اسـلـم القـدس مـن يحج
الى القدس ويتلـو الانجيلَ وِرداً فوردا
ضج سوقُ الـرقيق في ندوة القوم
ونخاسـهُ طغى واستبـدا

غيرةَ الله ، ايـن قومي وعهديِ
بـهـم ينهـدون للشر نهـدا ! »

ولكنه في صارخته الصادعة « وحي الهزيمة »
وقد نيَّفت على مئة وستين بيتاً جاء بالعجب العاجب
في التنديد بحاملي هزيمة ١٩٦٧ ومحتقبي اوزارها ،
فالمسجد الأقصى

« لـم يرتـل قرآن احمد فيه
ويُـزار المبكى ويُتلى الزبـور

*

طُوي المصحف الكريم وراحت
تتشاكى آياته والسطور
يا لَذل الاسلام لا الجمعة الزهراء
نُعمى ولا الأذان جهير »
وأنين اللاجىء المشرد
« أنا حزن ..شخص يروح ويغدو
ومسائي من الأسى والبكور
حاملاً محنتي أوزِّعها في
كل دنيا وشرها مستطير
الخيام الممزقات وأُمٌّ
في الزوايا وكسرة وحصير
وفتاة اذلها العري والجوع
ويلهو بالرمل طفل صغير
كلما أنَّ في الخيام شريد
خجل القصر والفراش الوثير »

وقد ترجح أن هذه القصيدة هي التي أوشكت أن تودي بالشاعر ، وما أظن أن قصيدة تداولها الناس - إذا استثنينا قصيدة سقوط باريس - او حفظوها او استشهدوا بأبياتها مثل هذه !

* * *

وشعر البدوي ذو نغم رائع هذا النغم هو

الذي يسمو به عن ابدع اللوحات الزيتية لأكابر الرسامين ، ويميزه عنها ، انه يُحفظ ويرتّل ، ويُرنّم ويُنغّم ، ويرتسم في الحافظة فينشد ، وبه يُستشهد

خذ قصيدته في لبنان وقد اهداها الى احمد شوقي اثر رائعته اللبنانية

« الحسن فيك وهذه مرآته
بجمال ربك اشرقت آياته »

الا تحس بالايقاع ؟ الا يهز عطفيك خطابُ البدوي راثيّ الحمراء ، احمد شوقي في سينيته الاندلسية الخالدة

« يا راثي الحمراء جلّ على البلى
صرح بدمعك سُطِّرت مرثاته

لو كان رب القصر يسمع ضيفه
لسعت إليك وفوده وهباته

او كان يدري القصر منْ في بابه
خلع البلا وازَّينت شرفاته

ضحكت اليك جنانه وتخايلت
بالكاعبات البيض مقصوراته

ما عذره ، وهتفتَ في امـواته
ألا تهـب من الثـرى امواته ؟ »

ومن العجب أن يقضي التجـديد لدى البعض بتجاهل النغم ، وان يحتجوا بأن مدرسة شعـرية في الغرب تقول بهذا ، وهم لا يريدون ان يدركوا ان الشعر العربي غير الأعجمي ، وبدوي الجبل الشاعر الضخم لا يكون شاعراً عربياً اذا هو تخلى في شعره عن النغم

والمفردات لدى البدوي غزيرة ولكنك لا تقـع على غير مأنوس فيها ، على طول نفسه الشعـري ، وقد عثرت على مفردة في قصيدته في ذكرى انتخاب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية السورية

« وخف الى ظلالك عبـد شمس
يريح شجونَهُ ظمأى طلاحا »

وقبل أن أتساءل ما الطلاح ؟ رأيتنـي أنتشي وأرتل مع الشاعر

« جـراح في سريرتكَ اطمأنـت
لقـد اكرمـت بالصـبر الجراحا

كأن اهـم ضيفُـك فهـو يلقـىَ
على القسـمات بِشـر وارتيـاحا

*

وقبلك ما رأت عيني هموماً
مدللة واحزانا ملاحا
وقد تَرِدُ الخطوب على كريم
فترجع من صباحته ، صِباحا »

وما أحسب أن اتساق اللفظ والمعنى ، ومواءمة جزالة المبنى لجلالة المعنى ، وفخامة الكلام لجسامة الحادث ، وقدرة الفن الشعري التصويري للبدوي يتجلى بأروع من قوله في تأبين هنانو

« زحف البحر بالجبال من الموج
دراكاً وجرجر الطوفان
لطفَ الله بالسفينة لم يسلم
شراع ولا نجا سكان
تخبط الليل ، والعواصف والركب
حيارى ، دليلهم حيران
حولها اليمّ كالجبال واطياف
الردى والبروق واللمعان
وظلامٌ غمْرٌ رهيب فما
تبصر إلا الظنون والآذان
وعزيف للجن تنقله الريح
واديً الأمانةَ الترجمان

*

وانطـوى تحتهـا الجحيم ،
فللأمــواج من حر ناره فوران

سخـرت بالسفينــة اللـجّـة الخـ
ـضراء واختــار قبـره الربان
واطمـأنـت الى القنـوط فمـا
تلمـح حتـى بالخـاطـر الشطآن »

أما الرقة التي تناسب المعنى ، أما اللفظ الحاني الحنـون ، العطـوف ، فدونـك رثـاء سعــد اللــه ومطلعه

« سـأل الصـبـحُ عن اخيه المفـدّى
ايهـا الصبـح لن تشاهـد سعدا ! »

وناهيك بوصفه مرض سعد الله رقةً

« ما رأى السقـمُ قبـل سعـد حنانا
وحيـاءً من الســقـام ورفـدا
كبقـايا السيف اطمأنت الى الجفـ
ــن وراحت تبلى الهوينـا وتصـدا
روعـة الشــمس في الغــروب ولا
أعشــق للشــمس عنفوانــاً ورأدا
يمـلأ المغــرب العيون من الشمس
اذا ردَّهــا الضحــى عنــه رمدا »

*

نعم ان شاعرنا لا يفصل بين المعنى والديباجة ، وأذكر أنه سمعني يوماً اردد لنابغة الشعر العربي الكبير خليل مطران قوله معجباً به

« كسالك وعرٍ راقه حسنُ كوكب
فأرجله تدمى وعيناه في السما »

فبادهني الصورة رائعة ولكن هلاَّ قال

« ومُنْفَرِدٍ في البيد أغرته نجمة
فأرجله تدمى وعيناه في السما »

واسلوب البدوي خال من التعقيدات اللفظية ، والمجازات المصطنعة ، وجماع القول فيه جودة سبك ، إشراقة لفظ ، بداعة خيال ، متانة لغة ، سراوة عاطفة ، وعطور وطيوب وذكريات ، واغاريد وزغاريد ونعميات ، وجوامح وثارات ، ونجاوى وهمسات ، وهموم واطياف احبة ودموع وآهات ، وعمق في تصوف وابتهالات

والى هذا فإن شعره يتنزّه عن التعمية والإلغاز ، وكما ان فيه السلسبيل الهنيء السائغ فإن فيه العميق ـ ولا اقول الغامض ـ الذي يحملك على التفكير والاندماج في القصيدة حتى لتتقمص روح الشاعر ، ومن عبقرياته في هذا الباب قصيدته

*

« بكيت على السراب » ولو ترجمت الى اللغات الأجنبية ، ـ والديباجة لا تُترجم ـ لاختالت على اترابها لدى الأعاجم ، فالسراب ، سرابها ، اريحيٌّ اشقر القسمات ، نديّ اللمح ورديّ الحباب

« يزوّقُ لي الرمال جنى وظلا
ويغمز بالكؤوس وبالشراب

محا حقد الهجير على الصحارى
ووحدتي المريرة واغترابي »

ويخاطب نعمى القلوب ونعمى العيون

« سرابكِ رحمة ومنى حسان
سكبن طيوبهن على عذابي

احث خطاي في اللهب المدمّى
الى افيائه الخضر الرطاب »

ثم يهتف

« بكيت من السراب ، فحين ولّى
وأوحدني ، بكيت على السراب

واشقاني اليقين فيا حنيني
الى الخدع المنضرّة السوابي »

* * *

ولعل آراء الشاعر في الشعر تفصح عن اسلوبه ، وصداقتنا الحميمة مكنتني من استبار مذهبه في قديم الشعر وحديثه انه لا يؤمن بوجود مدارس شعرية فالشعر إما ان يكون رفيعاً او لا يكون ، ولا وسط ، وهناك شعراء لا مدارس ،

والشعر المسمى بالحديث لا هوية له ولايثبت على الزمان ما تخلى عن الاوزان وتنكر للطابع والروح العربيين ، وقد يكون الكلام فلسفة او حكمة ، وقد يكون رائع الخيال وقد يكون كل شيء الا ان يكون شعراً عربياً فيه وسامة الشعر العربي ونشوته نعم إنه يفتقد الجمال الشعري لأن الأوزان عذوبة ونغم وجمال وعطر ، وهي هدية الله الى الروح

والكلام الذي لا يلتزم قواعد العروض ليس شعراً والأوزان قد اتسعت وتتسع لنزعات النفس ، والخليل بن احمد لم يبتدعها ولكنه ضبطها ، وهي ليست صناعة ، وإنما تنسكب من السريرة انسكاباً ،

ولا يكون التجدد في نسفها ، وإنما هو في ابتداع المعاني والأخيلة والصور مع المام باللغة والأدب ، اجل « إن الأوزان اساور وعقود ، لا سلاسل وقيود ! » والشعر في أوزانه أقرب الى العفوية من هذا الذي يسمونه جديداً ويقول البدوي إنه لم

يدرس العروض ولكنه جعل شعره بحسه المرهف منسجماً مع الأوزان

وأذكر انه لما قال في رثاء هنانو

« أنا ابكي لكل قيد فأبكي
لقريضي تَغُلُّه الأوزان ! »

سئل « ألا يدل هذا على أن الأوزان اغلال ؟ » فأجاب « قد تمر بالشاعر خاطرة عابرة يمليها جو القصيدة حين تكلمت عن القيود في قصيدتي مر هذا المعنى مروراً . والواقع أنني لا اؤمن بأن الأوزان قيود ولكنها نغم وعطر وجمال »

***

وما رأيت شاعراً عبقر الألم وجمَّل الهم ونضر الحزن كالبدوي ، وقد جعل من قبور أحبائه ورفاق دربه رياض إخاء، وبساتين وفاء، ومجمع ذكريات وأحرام مقدسات ، إنها تفجر بيانه وتطلق بالحنان لسانه

« إن قلبي خميلة تنبت الأحزان
ورداً ونرجساً وشقيقا
لو على الصخر نهلة من جراحي
راح مخضوضل الظلال وريقا »

❋

« لا أوحش الله قلبي من مواجعه
ولا تحوّل عن نعمائها الحسد

ولا شفى الله جرحاً في سريرته
ندیان ينطف منه الخمر والشهد

اني ادلّل آلامي وامسحها
مسح الشفيق وأجلوها وأنتقد »

***

« من همومي ما ينعم العقل
في دنيا اسباه ويهنأ الوجدان

من همومي ما يغمر الكون بالعـ
ـطر ومنها مزاهر وقيان »

« وأنا الوالد الرحيم وابنائي
هموم الحياة والأشجان »

***

« بورك الهم عبقرياً جواداً
لا كهمٍّ اعطى قليلاً وأكدى »

اما قبور احبائه ولداته

« يا قبور اللِّدات ، كل شقيق
حاضن في الثرى اخاه الشقيقا

وسعت هذه القبور همومي
كيف تشكو ، وهي السماوات ، ضيقا ؟

*

مقلتـي يستحـم في دمعهـا الطيف

وتحنـو فلا يمـوت غريقـا »

***

« سقـى تلك القبـور دمـي ودمعي

وجـلّ القبـر عن سقيا السحاب »

***

« أفدي القبور التي طاف الرجاء بهـا

ياللقبـور غدت ترجـى وتفتقد

مصـارع بعطـور الحـق زاكية

كأنمـا سكبـوا فيهـا الـذي اعتقدوا

مسحـت دمعـي من ذكراهـم بيد

وأمسـكتُ كبـدي، ألا تذوب يد »

* * *

وللبـدوي شعـر غزِل يُزري بدواوين في النسيب ، وشاعـر قدير مبـدع مركَّب من عواطف وخيال مخصـاب ، يجـيء بالعجـب العجـاب وقصائده « خالقة » و « شقراء » و « سمـراء » في الديوان أشير إليها وأنوه بها ، وما أصعب المفاضلة بينهـا واجتـزاء بعضهـا عن كلهـا وإذا اختص « السمراء » بروائع من النفحات الغزلية فإنـه قوَّل « الشقراء » ما أستغفر الله له

« تـأنـق اللـه دهـراً

يُعيـد فـيَّ ويبـدي

حتـــى جـلانِـيَّ شعـــراً
يـا حســرة الشـعـر بعـدي !
يهيـم حســنـي بحسنـي
ويجتلـــي ويُفـــدي
وجُــنَّ ثغـري بريقــي
وجــن جيــدي بزنـــدي »

وهو ظنان ، شكاك اذا آنس من دميته خداعاً حطمها واذا استراب بعذرائه التي « يخشى على حسنها من خطرة الفكر ونجوى العيون » عيرَّها بقبل العاشقيـن ، فصـنف القبـل ، مبتدعـاً ، مبتكراً ، منفرداً

من قبلــة خائنــة مرة
وقبلــة قـد تمتمـت لا اخون
وقبلــة مجنونــة في اللمى
وقبلــة وادعــة في الجبين
وقبلــة حمــراء مثــل اللظى
وقبلــة بيضــاء مثــل اليقين »

وفي « خالقة »

« أخـادع النـوم إشفـاقـاً على حُلُـم
حــان على الشفــة اللمياء مخمور

*

رشفت صوتـك في قلبـي معتقة
لـم تعتصر وضياء غـير منظور »

وأعجب ما في شعره الغزِل أن يكون ملوناً بألوان مترفة وبأصباغ حضارية محدثة، ولكنها العبقرية أطلقته من بيئته

على أنك اذا حدثته في الحب ، انتهى بك الى أن اسماه هو الذي يبلغ مرتبة التصوف « وحُبُّك لله عبادة » وأعلى مراتب العبادة لدى الصوفيين ينتهي بالحب

* * *

وفي شعر البدوي « شطحات» يُظَنُّ معها جنوحٌ الى إلحاد او شكوك في العقيدة وقد اقتحم شيطان شعره قدس الأقداس ـ ولعله كان مطمئناً إلى الغفران الالهي ـ حين قال

« حضارة الدهر طيب من خلاعتنا
وجنـة اللـه عطـر من خطايانا

من الغـواية سلسلنـا هدايتنا
فـكان أرشدنـا للنـور أغوانا

نشـارك اللـه ـ جل اللـه ـ قدرته
ولا نضيق بهـا خلقـاً وإتقانا »

❋

و « الخالقة » يقول

« آثامك الخفرات البيض لو جليت
لطـور موسى لنـَّدت ذروة الطور »

وبينا أكون مشدوهاً مبهوتاً ، أراني أنتقـل الى شعر يتلألأ إيماناً ، وإلى تسابيح وصـوفيات ، وأراه يصلي خاشعاً ، ويرسل ابتهالاتـه مدلهّـةً بالحـب الالهـي، ويقينه « عندما يهتـدي الشاعـر الى دنيا قلبه ، اهتدى الى جمال ربه ، واشتف خمرة معرفتـه وحبه » ، ففي « الكعبة الزهراء » ومطلعها

« بنـــور على أُم القـــرى وبطيب
غسلـت فؤ ادي من أسى وهيب»

وصفُ أروع للحـج ، وللصحـــراء المقدســة وصلوات واستغفارات

« وأهـــرب كبـــراً ، او حياء لزلَّتي
ومنـكَ ـ نعـم ـ لكن إليكَ هروبي

وأجلـو عيوبـــي نادمـــات حواسراً
وأستــر إلاَّ في حمـــاك عيوبي

وأي ذنـــوب ليس تُمحـــى لشاعر
معنـــىًّ بألـــوان الجمال طروب

وأنزلـت أحزانـي على قبـر أحمد
ضيوف كريم النبعتيـن وهوب »
وفي « ابتهالات » جنيف
« بينـي وبـين اللـه من ثقتي
بلـطـف اللـه بـابُ
لي عنـده من أدمعـي
كنـز تضيق به العيـابُ
يـا رب بـابك لا يـرد
الـلائـذيـن بـه حجـاب
واذا سألـت عن الذنـوب
فـإن ادمعـي الجـواب »
وفي رثاء رياض
« رب ، روحي طليقة في سماواتك
والجسـم موثـق مغلـول
عبـراتـي عبادة وابتهـال
وشـهيقـي التـكبيـر والتهليـل
وصـلاتـي تأمـل ومناجاتـي
خشـوع وزفـرتـي ترتيـل
لم يضـع في الظـلام نورك
عن قلبي فقلبي الى سناك الدليل »

* * *

❋

والشاعر المفرد ، قد يباغتك في الأسواق الشعرية ـ اذا صح التعبير ـ او حفلات الذكريات او التمجيد او التأبين ،وفي زحمة اللُّسُن الفِصاح ، بالقصيد المدهش ، تعب منه ما اتضح ورق ، وتترشف منه ما عمق ودق ، ففي المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري كان متوقعاً ان تكون كفافة بصر المعري ونفاذ بصيرته وترجمة حياته وابعاد فلسفته ينابيع القول ، ولكن شاعرنا بعد ان قال عن المعري

« نفذت بصيرته لاسرار الدجى
فتبرجت منه بالف صباح
من راح يحمل في جَوانِحِهِ الضحى
هانت عليه اشعة المصباح »

وثب خياله الشعري الى قصة المرأة والمعري فهتف

« أتضيق بالأنثى وحبك لم يضق
بالوحش بين سباسب وبطاح
يا ظالم التفاح في وجناتها
لو ذقت بعض شمائل التفاح

ما أحوج العقل الحكيم ـ وهمه
وسع الحياة ـ لصبوة ومراح

*

إيهِ حكيم الدهــر أي مليحة

ضنــت عليك بعطرهــا الفواح

أسكنتهــا القلــب الــرحيم فرابها

مــا فيه من شكوى ورجــع نواح

جرحـــت إبــاءك والحياء فأَقفــلا

بــاب المنــى ورميــت بالمفتــاح

إن التــي حرمتــك نعمــة حبها

وأبيك عار كواعب وملاح »

والقصيدة في ابياتها الستة والتسعين تجري على هذا المنوال ، تنقلك من الطريفة الماتعة الى الفكرة الرائعة ، وتنتهي الى الاعتذار

« فاعـذر اذا لم أوف مجــدك حقه

لجج الخصم طغت على السَّباح »

***

ولا أظن أن قصيدة للبدوي تخلو من بيت سائر يُستشهد به ، تُلخص فيه حكمـة وتختصر تجربـة ، ويكون مسنَد حديث او فصل خطاب وهـات في الأمثال المضروبة ما يُغني عن هذه السائرات

« قـد تطـول الأعمار لا مجـد فيها

ويضــم الأمجــاد يوم قصير

أنـا البـريء ولـكن حرمـةً وهوى

أُقــر بالذنــب كي ترضى وأعترف

إنَّ دَيْن العـظيم في كلِ شعب

لا يُوفىً وحقـه لا يؤدَّى

ولا وفـاء لقلـب حـين نؤثره

حتـى تكون رزايانـا رزاياه

لا تحاسـب اخـا هوى في هواه

كل ثغـر على الهـوى معسول

يفتـك الظلـم بالضـعيف ويُردي

بعـد حـين بشؤمـه الظُّلاما

سُبَّـة الدهـر ان يحُاسـب فكر

في هواه وان يُغـل لسان »

* * *

وللبدوي نثر رفيع انيق ، إنه شعر منثور ، واذا كان لا يرضيه ان يطلق عليه لفظ شعر ، قلنا انه اشبه بقصائد منثورة ، وكونه في اكثره مسجوعاً بلا تكلف ، وفَّر له عذوبة الوقع على الآذان واذا كان الشعر ، كما اسلفت ، هو الذي يمتلك الشاعر فلا يواتيه ساعة يريد ، فإن النثر يأتيه طائعاً ، سهلاً ، مسلساً قياده ، لا يتأبّى عليه حين يشاء ، ومما يسترعي النظر ان نثره ـ خلا رسائله الاخوانية ـ يكاد يكون قاصراً على المراثي ، وممن أبنهم نثراً من اخوانه أذكر

الملك فيصل آل سعود وهاشم الأتـاسي وجميل مردم بك والحاج امين الحسيني وعادل زعيتر ومظهر رسلان والشاعر محمد اقبال والأمـير عادل ارسـلان وصالـح جبـر وصبـري العسلي وسمـــير الرفاعـــي والشاعـر بدر الـدين الحامـد وعلي رضـا النحـــوي وحبيب كحالة

ولم يكن البدوي خطيباً مثله شاعراً ، وما اظن انه حاضر إلا مرة واحدة وكانت في الجامعة الأميركية ببيروت وعنوانها « القومية العربية » ، وأذكر انـه أنهاها صادحاً « لقد آمنتُ بالعروبة لأننـي آمنـت بالحق والخير والجمال ومن اراد العروبـة ايمانـاً في قلبه ، وفناءً في حبه ، وأنساً في وحشته ، وهناءة في سريرته ، وعالَماً في وحدتـه ، فليتقـرب الى نعمتهـا بالحق والخير والجمال »

* * *

وقبل ان أطرح القلم ، لا يفوتني القول إنه اذا طغت المادة في هذا العالم طغيانها ، وتضخمت في الحياة أعباؤها ، وتعاظمت همومها وأرزاؤها ، واستـشرت في النفـوس القحولـة ، وفي الأرواح الجدوبة ، فإنه لا بد للانسانية من اللياذ بالفن الرفيع - والشعر اسمى بدائعهِ - ،به تجمِّل وجودهـا، وتبـدِّد

كآبتها ، وتخصب بالبشر وجوهها   إنه لن يفقد سلطانه على الدهر ، ولن ينضب معينه من السحر !

وبعد فلا يُقدِّمُ الشاعر مثلُ شعره ، وهذا ديوانه فحيَّ على الشعر ، حيَّ على الشعر   شعر بدوي الجبل

✱

الكعبة الزهراء

مهداة الى أعتاب أبي الزهراء صلوات الله عليه

بِنُورٍ عَلَى أُمِّ القُرَى وبِطِيبِ
غَسلْتُ فُؤَادِي مِنْ أسى وَلَهِيبِ
لَثَمْتُ الثَّرَى سَبْعاً وَكحَّلْتُ مُقْلَتي
بِحُسْنٍ كأَسْرَارِ السماءِ مَهِيبِ
وَأَمْسكْتُ قَلْبي لا يَطِيرُ إلى (مِنى)
بِأَعْبَائِهِ مِنْ لَهْفَةٍ وَوَجِيبِ
فَيَا مُهْجَتي وادي الأمين مُحَمَّدٍ
خَصِيبُ الهُدَى وَالزرعُ غَيْرُ خَصِيبِ
هُنَا الكَعْبَةُ الزَهْرَاءُ وَالوحْيُ والشَذَا
هُنَا النُورُ. فَافْنَي في هَواهُ وَذُوبي
وَيَا مُهْجَتي بَيْنَ الحَطِيمِ وَزَمْزَمٍ
تَرَكْتُ دُموعي شافِعاً لِذُنُوبي
وَفي الكَعْبَةِ الزَهْرَاءِ زَيَّنْتُ لَوْعَتِي
وَعَطَّر أَبوابَ السماءِ نحيبي

* * *

مَواكِبُ كالأمواجِ عَجَّ دُعَاؤُهَا
وَنَارُ الضُحَى حَمْرَاءُ ذَاتُ شبوب

وَرَدَّدَتِ الصَحْرَاءُ شَرْقاً وَمَغْرِباً
صَدَى نَغَمٍ مِنْ لَوْعَةٍ وَرُتُوبِ
تَلاَقَوا عَلِيهَا مِنْ غَنِيٍ وَمُعْدِمٍ
وَمِنْ صِبْيَةٍ زُغْبِ الجَنَاحِ وشِيْبِ
نَظَائِرُ فِيْهَا بُرْدُهُمْ بُرْدُ مُحْرِمٍ
يَضُوعُ شَذاً والقَلْبُ قَلْبُ مُنِيبِ
أَنَاخُوا الذُنُوبَ المُثْقَلاتِ لَوَاغِبَاً
بِأَفْيَحَ - مِنْ عَفْوِ الإلَهِ - رَحِيبِ
وَذَلَّ لِعِزِّ اللهِ كُلُّ مُسَوَّدٍ
وَرَقَّ لِخَوْفِ اللهِ كُلُّ صَلِيبِ

وَلَوْ أَنَّ عِنْدي لِلْشَبَابِ بَقِيَّةً
خَفَفْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ ظَهْرِ نَجِيبِ
أَنَامُ عَلَى الكُثْبَانِ يُؤْنِسُ وَحْدَتي
بُغَامُ مَهَاةٍ أَوْ هَمَاهِمُ ذِيبِ
وَلي غَفْوَةٌ في كُلِ ظِلٍّ لَقِيتُهُ
وَوَقْفَةُ سُقْيَا عِنْدَ كُلِ قَلِيبِ
هَتَكْتُ حِجَابَ الصَمْتِ بَيْني وَبَيْنَهَا
(بِشَبَّابَةٍ) سَكْرى الحَنِينِ خَلُوبِ

حَبَسْــتُ بِهـا جِنِّيَّـةً (معبـدية)(١)
وَفَــرجْـتُ عَــنْ غَمَائِهــا بِثُقُــوبِ

* * *

وَرَكْــبٍ عَلَيْهَــا وَسْــمُ أَخْفَــافِ عِيْسِـهِـمْ
وَهَــامٍ تَهَــاوَتْ لِلْــكَــرى وَجُنُــوبِ
وأَلْــفُ ســرَابٍ ما كَفَــرْتُ بِحُسْنِهَــا
وَإِنْ فَــاجَـأَتْ غُدْرَانُهَــا بِنُضُــوبِ
وَضَــجَّــةُ صَمْــتٍ جَلْجَلَــتْ ثُــم وَادَعَتْ
وَرَقَّــتْ كَأَخْفَــى هَمْسَــةٍ وَدَبِيْــبِ
وَأَطْيَــافُ جِــن في بِحَــار رِمَالِهــا
تُصارِعُ [illegible] طَفْوَةً وَرُسُــوبِ
وَتَعْــطِفُنــي الآرامُ فيهــا نَوَافِــراً
إلــى رَشَــأٍ في الغُــوطَتَيْــنِ رِبِيْــبِ
يُعَلِّلُنــي - وَالصِــدْقُ فيــهِ سجِيـ
بِــوعْــدٍ مطُــولٍ باللقــاءِ كَــذُوبِ
وبُــدِّلْــتُ حُسْــنــاً ضاحِــكَ الــدَلِّ ناعِمــاً
بِحُسْــنٍ عَنِيــفٍ في الــرِمَّــالِ كَئِيــبِ
وَمَــنْ صحِــب الصــحْــرَاءَ هَــامَ بِعَالَمٍ
مِــن السِــحْــرِ جِنِّــيِ الــطُيــوفِ رَهِيبِ

---

١) سبه الى شيخ المغنين معبد قال الشاعر القديم وما قصبات السبق الا لمعبد

وَلِلْفَلَكِ الأَسْمى فُضُولُ لِسِرِّها
ففي كُلِّ نَجْمٍ مِنْهُ عَيْنُ رَقِيبِ

* * *

أَرى بخَيَالِ السُحْبِ ـ خَطْو مُحَمَّدٍ
عَلَى مُخْصِبٍ مِنْ بِيدِها وَجَدِيبِ
وَسُمْرِ خِيَامٍ مَزَّقَ الصَمْتُ عِنْدَها
حَمَاحِم خَيْلٍ بُشِّرَتْ بِرُكُوبِ
ونَاراً على نَجْدٍ مِنْ الرَمْلِ أُوْقِدَتْ
لِنَجْدَةِ مَحْرُومٍ وَغَوْثِ حَرِيبِ
وَتَكْبِيرَةً فِي الفَجْرِ سالَتْ مَعَ الصَّبا
نَعِيـ[illegible] فَيافٍ واخضِلالَ سُهُوبِ
أَشُمُّ الرِمَالَ السُمْرَ: فِي كُلِّ حَفْنَةٍ
مِنَ الرَّمْلِ دُنْيا مِنْ هَوَىً وَطُيُوبِ
عَلَى كُلِ نَجْدٍ مِنْهُ نَفْحُ مَلائِكٍ
وفي كُلِ وادٍ مِنْهُ سِرُّ غُيوبِ
تَوَحَّدْتُ بالصحراءِ حَتَّى مَغِيبُها
وَمَشْهَدُها مِنْ مَشْهَدِي وَمَغِيبِي
ومن هذِهِ الصحْرَاءِ أنوارُ مُرْسَلٍ
وراياتُ منصُورٍ. وبِدْعُ خطيبِ
وَمِنْ هَذِهِ الصحْرَاءِ شِعْرٌ تَبَرَّجَتْ
بِهِ كُلُ سكْرَى بالدَلالِ عَرُوبِ

تُعَطِّرُ فـي أَنْغَامِهِ وَرَحِيقِهِ
وَرَيَّاهُ عِطْرِيٌ مَبْسِمٍ وَسبِيبِ[1]
تَرُشُّ النُجُومُ النُور فيها مُمَسَّكاً
فَأُتْرِعُ أَحْلامِي وَأُهْرِقُ كُوبِي
وَمَا أَكْرَمَ الصحْرَاءَ تَصْدَى وَتَمْنَحُ
لنا بُرْدَ ظِلٍ كالنَعِيمِ رَطِيبِ
وَيغْفُو بِها التارِيخُ حَتَّى تَرُجَّهُ
بِداهِيَةٍ صُلْبِ القَنَاةِ أَرِيبِ
شَكَا الدَهْرُ مِمَّا أَتْعَبَتْهُ رِمَاهُا
وَلَمْ تَشْكُ فِيْهِ مِنْ وَنَى وَلُغُوب
وَصبْرٍ مِنْ الصحْرَاءِ أَحْكَمْتُ نَسْجَهُ
سَمَوتُ بِنَفْسِي عَنْ مُحِبِّي وَكُرُوبِي
وَمِنْ هَذِهِ الصحْرَاءِ صِيغَتْ سَجِيَّتِي
فَكُلُ عَجِيبِ الدَهْرِ غَيْرُ عَجِيبِ
يُرَنِّحُ شِعْرِي باللِوَى كُلَّ بانَةٍ
وَيَنْدَى بِشِعْرِي فِيْهِ كُلُ كَثِيبِ
وَلَوْلا الجِرَاحُ الدامِيَاتُ بِمُهْجَتِي
لأَسْكَرَ نَجْداً والحِجَازَ نَسِيبِي
وَهَيْهَاتِ مَا لَوْمُ الكَرِيمِ سجِيَّتِي
وَلاَ بُغْضُهُ عِنْدَ الجَفَاءِ نَصيبِي

---

(١) السبيب ـ خصلة الشعر.

نَقَلْتُ إلى قَلبي حَيَاءً وعِفَّةً
أسارِير وَجْهي مِنْ أسى وقُطُوبِ

وَعَرَّتْنِيَ الأيامُ مِمَّنْ أُحِبُّهُمْ
كَأيْكٍ - تَحَامَاهُ الربيعُ - سَلِيبِ
وَرُبَّ بَعيدٍ عَنْكَ أَحْلى مِنْ المُنى
وَرُبَ قَرِيبِ الدارِ غَيْرُ قَرِيبِ

وَوَيْح الغَواني ما أَمِنْتُ خُطُوبها
وقد أمِنَتْ بَعْدَ المشيب خُطُوبي

وكيف وثوبي لِلْزَّمانِ وأَهْلِهِ
وَللشيب أصْفادٌ يَعُقْن وُثُوبي

أفي كُلِ يَوْمٍ لَوْعَةٌ بَعْدَ لَوْعَةٍ
لِغُرْبَةِ أهْلٍ أوْ لِفَقْدِ حبيبِ

ويارَبِ في قَلْبي نُدُوبٌ جَدِيدَةٌ
تُرِيدُ القِرى مِنْ سَالِفاتِ نُدُوبِ
يُرِيدُ حِسابي ظَالِمٌ بَعْدَ ظَالِمٍ
وَما غَيْرُ جَبَّارِ السماءِ حَسِيبي

وَيَارَبِ صُنْ بِالْحُبِ قَومي مُؤَلَّفاً
شَتَاتَ قُلُوبٍ لا شَتَاتَ دُروبِ
ويارَبِ لاَ تَقْبَلْ صَفَاءَ بَشَاشَةٍ
إذا لَمْ يُصاحِبْهُ صَفَاءُ قُلُوبِ

تَـدَاوَوْا مِـن الجُلىَّ بِجُـلىً وَخَلَّفُوا
وَرَاءَهُـمُ الإِسـلامَ خَيْـر طَبِيـبِ

* * *

وَيَارَبِ فـي الإِسـلامِ نُـورٌ وَرَحْمَـةٌ
وَشَـوْقُ نَسِـيْـبٍ نَازِحٍ لِنَسِيبِ
فَـأَلِّـفْ عَـلىَ الإِسـلامِ دُنْيا تَمَـزَّقَتْ
إلى أُمَـمٍ مَقْـهُـورَةٍ وَشُـعُـوبِ
وَكُـلٌّ بعِيـدٍ حَـجَّ لِلْبَيْـتِ أَوْهَفَـا
إِلَيْـهِ - وَإِنْ شطَّ المَـزَارُ- قَرِيبـي
سجَـايا مِنَ الإِسـلامِ سَمْحٌ حَنَانُهُـا
فَـلاَ شَعْـبَ عَــنْ نَعْمـائِهـا بِغَـرِيبِ

* * *

وَآمَنْـتُ أَنَّ الحُـبَ خَيْـرٌ وَنِعْمَـةٌ
ولا خَيْـر عِنْـدي في وَغَـى وَحُـرُوب
وَكُـلُ خَضِيـبِ الـكَـفِ فَتْحـاً وَصـوْلَـةً
فِــدَاءٌ لِكَـفٍ بالعبيـرِ خَضِيـبِ
وآمَنْـتُ أَنَّ الحُـب والنـور واحِـدٌ
وَيَكْـفُـرُ بالـلألاءِ كُـلُ مُـريـب

ولــو كان في وُسْـعي حَنـانـاً وَرَحْمَـةً
لَجَـنَّبْـتُ أعـدائِـي لِقَـاءَ شَـعُوبِ[1]

* * *

وَيَـارَبِ لَمْ أُشْـرِكْ ولَـمْ أعْـرِفِ الأذَى
وَصُـنْـتُ شَبـابـي عنهمـا ومشيبي
وَإنـي - وَإنْ جَـاوَزْتُ هَـذيـن سَالِمـاً
لأكْبِـرُ لَـوْلا جُـوْدُ عَفْـوِكَ حُـوْبِـي[2]
وَأهْـرُبُ كِـبْـرَاً أوْ حَيَـاءً لِـزَلَّتِـي
وَمِنْـكَ ، نَعَـمْ ، لَكِنْ إليـكَ هُروبـي
وَأجلـو عُيـوبِـي نـادمـاتٍ حواسِـراً
وَأسْـتُـرُ إلاَّ فـي حِمَـاكَ عُيـوبـي
وَأيُ ذُنُـوبٍ ليس تُمْحَـى لِشَـاعِـرٍ
مُعَـنًّـى بـألـوانِ الجَمَـالِ طَـرُوبِ
وَلَـوْ شَهِـدَتْ حُـوْرُ الجِنـانِ مَدَامِعـي
تَرَشَّـفـنَ فـي هَوْلِ الحِسَـابِ غُـروبـي[3]

* * *

وَأنْـزَلْـتُ أحْـزَانِـي عَلَـى قَبْـرِ أحْمَـدٍ
ضُيُـوفَ كَـرِيـمِ النَبْعَتَيـنِ وَهُـوبِ

---

١) شعوب بفتح الشين: الموت
٢) الحوب ـ الذنب
٣) الغروب ـ الدموع

مَـدَحْـتُ رَسُـولَ اللـهِ أَرْجـو ثَـوابَـهُ
وحـاشـا النَـدَى أَنْ لا يَكُـونَ مُثِيبِـي
وَقَفْـتُ بِبـابِ اللـهِ ثُـمَّ بَبَـابِـهِ
وُقُـوفَ مُلِـحٍّ بالسُّـؤَالِ دَؤُوبِ
صَفَـاءُ على اسْـمِ اللـهِ غَيْـرُ مُكَـدَّرٍ
وَحُـبُّ لذاتِ اللـهِ غيـرُ مَشُـوبِ
وأُزهـى بِتَـظْلِيـلِ الغَمَـامِ لأَحْمَـدٍ
وَعَـذْبٍ بَـرُودٍ مِـنْ يَـدَيْـهِ سـرُوبِ
فَـإنْ كَـانَ سِـرُّ اللـهِ فَـوْقَ غَمـامَـةٍ
تُـظِـلُّ ومـاءٍ سائـغٍ لِشُـرُوبِ(١)
فَفِـي مُعْجِـزِ القـرآن والـدولـةِ التي
بنـاهـا عليـه مُقْنِـعٌ لِلَبِيـبِ

* * *

ويـارَبِ عِنْـدَ القَبْـرِ قَبْـرِ مُحَمَّـدٍ
دُعـاءُ قَـرِيـحِ المُقْلَتَيْـنِ سَلِيـبِ
بِجَمْـرِ هَـوَىً عِنْـدَ الحَجِيـجِ لِمَكَّـةٍ
وَدَمْـعٍ عَلَـى طُهْـرِ (المَقَـامِ) سَكُوبِ
بِشَـوْقٍ علـى نُعْمـاهُ ضَـمُّ جَوانِحٍ
وَوَجْـدٍ علـى رَيَّـاهُ زَرُّ جُيـوبِ

---

١) شروب بضم الشين والراء (جمع شارب)

تَـرَفَّـقْ بِقَـوْمِـي واجمِهِـمْ مِنْ مُلمَّـةٍ
لَقَـدَ نَشِـبـتْ أَوْ آذَنَـتْ بِنُشـوُبِ
وَرُدَّ الحُـلـومَ العـازِبـاتِ الى الهُـدى
فَقَـدْ تَـرْجِعُ الأَحـلامُ بَعْـدَ عُـزوب
وَرُدَّ القـلـوبَ الحـاقـداتِ إلى نَدٍ
مِـنْ الحُـب فَـوَّاحِ الـظِـلالِ عَشيـبِ

* * * *

تَدَفقَـتِ الأَمـواجُ والليـلُ كافِـرٌ
وَهَـبَّ جُنُـونُ الـريـحِ كُـلَّ هُبـوبِ
رمـى اليَـمُّ انْضَـاءَ الســفيـنِ بمارِدٍ
مِـن اليَـم تَيَّـاهِ الحُتـوفِ غَضُـوبِ
يُـزَلْزِلُـهَـا يُمْنـى وَيُسْـرَى مُـزَمجِراً
وَيَضْـغَمُها مِنْ هَـوْلِـهِ بِنُيـوب
يُـرَقصُـهـا حِينَـاً وَحِينَـاً يـرُجُّهـا
وَيُـوجِـزُ حَـالَيْ هَـدْأَةٍ وَوُثـوبِ
وَتَـرْفَعُهَـا عَجْلَى وَعَجْلى تَحُطُّهَـا
لَعُـوبٌ مِن الأَمـواجِ جِـدُّ لَعُـوبِ
وَأَيْقَـن أَنْضَـاءُ السـفينـةِ بالردى
يُطَـالِعُهُـمْ فـي جَيْئَـةٍ وَذُهـوبِ
وَلَّمـا اسْتَـطَـالَ اليَـأْسُ يَكْسُـو وُجُوهَهُمْ
بِـأَلْـوَانِـهِ مِـنْ صُفْـرَةٍ وَشُحُـوبِ

دَعَــوْا يا أَبــا الــزَهْـراءِ والحَتْـفُ زَاحِفٌ
عَلَيْهِـمْ لَقَـدْ وُفِّقْتُـــمُ بِمُجِيـبِ
وَأَسْـلَســتِ الــرِيْحُ القِيَـادَ كَـأَنهَـا
نَسِـيمٌ هَفَـا مِـنْ شَمْـأَلٍ وَجَنــوبِ
وَبَـادَهَ لُطْـفُ اللــهِ مِـنْ يُمْـنِ أَحْمَـدٍ
بِبُـرْدٍ على عُـرْيِ الــرجَـاءِ ـ قَشِيـبِ

* * *

وَأَقْعَـدَنِـي عَنْـكَ الضَّـــنـى فَبَعَثْتُهــا
شَــوارِدَ شِعْــرٍ لَـمْ تُـرَعْ بِضَـريـبِ
أَقَمْـتَ وآمـــالـي إِلَيْـكَ مُجِـدَّةٌ
تَلُــفُّ شُــروقــا مُعْتِمــاً بِغُــرُوبِ
وَتُــرْشِــدُهــا أَطْيَـابُ قَبْـرِكَ فـي الدُجَـى
فَتَعْصِــمُهــا مِـنْ حَيْـرَةٍ وَنُكُــوبِ
وَعِنْـدَ أَبـيْ الــزهـراءِ حَطَّـتْ رِحالَهــا
بِســاحِ جَـوَادٍ لِلْثَنَــاءِ كَسُــوبِ

* * *

جَلَـوْتُ علـى وادي العقيـقِ فـريدتـي
فَفَـازَ حَسِيـبُ مِنْهُـمـا بِحَسِيـبِ
تَتِيـهُ حَضَــارَاتُ الشُعــوبِ بشـاعـرٍ
وَتَــكْمُــلُ أَســبــابُ العُـلى بِـأَديـبِ

* * *

ابتهالات

مهداة الى قبور حبيبه في بغداد ودمشق وحلب وحمص واللاذقية

لا الغُوطَتانِ ولا الشَبابُ أدْعُو هَوايَ فَلا أُجابُ
أيْنَ الشَآمُ مِن البُحَيْرَةِ والمَآذِنُ والقِبابُ
وَقُبورُ إخْواني وما أبْقَى مِن السَيْفِ الضِرابُ
الصامِتاتُ ولِلطُيورِ عَلَى مَشارِفِها اصْطِخابُ
الغافِياتُ فَلَمْ تَرُعْ مِنْها الزَماجِرُ والوِثابُ
أشْتاقُ أحْضُنُها وألْثِمُها ولِلدَمْعِ انْسِكابُ
تَحْنو الدموعُ على القُبُورِ فَتُورِقُ الصُمُّ الصِلابُ
وَلَها إلَيْنا لَهْفَةٌ وَلِطُولِ غُرْبَتِنا انْتِحابُ
يا شَامُ يا لِدَةَ الخُلودِ وَضَمَّ مَجْدَكُما انْتِسابُ
مَنْ لِي بِنَزْرٍ مِنْ ثراكِ وَقَدْ ألَحَّ بِي اغْتِرابُ
فَأشُمُّهُ وكَأنَّهُ لَعَسُ النَواهِدِ والمَلابُ
وَأضُمُّهُ فَتَرى الجَواهِرُ كَيْفَ يُكْتَنَزُ التُرابُ
هَذا الأديمُ شَمائِلُ غُرٌّ وأحْلامٌ عِذابُ
وَأُمُومةٌ وطُفولَةٌ وَرُؤى كَما عَبَرَ الشِهابُ
وَتَحِيَّةٌ مِسْكِيَّةٌ مِنْ سَالِفِينَ هَوَوْا وغابُوا
ومِنَ الأبُوَّةِ والجُدودِ لأهْلِ وُدِّهِمُ خِطابُ
هَذا الأدِيمُ أبِي وأُمِّي والبِدايَةُ والمَآبُ

وَوَسائِدي وَقَلائِدي وَدُمَى الطُفولَةِ والسِخابُ[1]
وَدَدٌ يُبَاعُ لَهُ الوَقارُ وَلا نَدامَةَ والصوابُ
أَغْلى عَلَيَّ مِن النُجومِ ولا أُلامُ ولا أُعابُ
الرُوحُ مِنْ غَيْبِ السَمَاءِ وَمِنْكِ قَدْ نُسِجَ الإِهَابُ
أَشْتَاقُ شَمْسَكِ والضُحَى أَنَا والبُحَيْرَةُ والضَبَابُ
وَمُضَفَّراتٌ بالثُلوجِ كأنَّما نَصلَ الخِضَابُ
تَعْوِي الرِياحُ فَما القَساوِرُ في الفَلاةِ وما الذِئَابُ
والثَلْجُ جُنَّ فَلَمْ تَبِنْ سُبُلُ وَلَمْ تُعْرَفْ شِعَابُ
أَخْفَى المَعا لِم لا السُفوحُ هِي السُفوحُ ولا الهِضَابُ
يا شَمْسُ غِبْتِ فَكَيْفَ تَمَّ - ولا طُلُوعَ لَكِ - الغِيَابُ
إنْ كُنْتِ مُسْلِمَةَ الهَوى فَتَأَلَّقِي رُفِعَ الحِجَابُ
مَلَّ السحابُ مِنَ السماءِ وَقَر في الأَرْضِ السحابُ
وكأَنَّ مِلْءَ الأَرْضِ مِلْءَ الأُفْقِ آلِهَةٌ غِضَابُ
حُسْنٌ يُهابُ وما سما حُسْنٌ يُحَبُّ ولا يُهابُ

* * *

دَوْح البُحَيْرَةِ أَيْن سامِرُكَ المُعَطَّرُ والشَرَابُ
والرَاقِصُونَ وَنوْا فَحِينَ دَعاهُمُ النَغَمُ اسْتَجَابُوا
والقَاطِفُونَ شِفَاهُهُمْ كَوُرودِهِمْ حُمْر رِطَابُ
ثَغْر على ثَغْرٍ سرَّب فِيه فاخْتَلَطَ الرُضابُ
قُبَلٌ أَغارِيدُ السِفاهِ فَتُسْتَعادُ تُطابُ

---

١) قلادة ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر

وَتَــكـادُ تُقْـطَـفُ كـالـريَاحيــن المَجـانَــة والدُعَــابُ
أهِـي العُقُـودُ عَلى الـرقـابِ بـل المَعـاصِـمُ والرِقَـابُ
بَيْنِـي وبَيْـن الـدَوْحِ فـي أحْـزَانِـهِ النَسـبُ القُـرابُ
مِنْ كُـلِّ مُوحِشَـةٍ فَـأيْـن الـطِـيْبُ والـوَهَـجُ الـمُذَابُ
وَغَـداً يَعُـودُ لَكَ الشَـبــابُ وَلَـنْ يَعُـودَ لـي الشَبابُ
ألــدَّهْـرُ مِلْـكُ يَمِينِـهِ والشَمْـسُ مِـنْ يُسْـراهُ قَابُ
طَابَـتْ سُـلافَتُـهُ تُـدارُ على سُكَـارَاهـا وطَابُـوا
لَهْفِـي عَلَيْـهِ فَطَـالَمَا أشْــقَــاهُ لَـوْمُ واغْتِيـابُ
نَعِــم المَلائِـكُ بالشَـبــابِ فَمـا لِنِعْمَتِـهِ اسْتِـلابُ
وَيـزُورُنـا لَمـعُ البُــروقِ فما لِـلامِعِــهِ اصْطِـحـابُ
والعُمْــر أيَّــامُ قَـدِ اخْتُصِـرتْ وآمَــالٌ رِحـابُ
لَيْـتَ المَـلائِـك يُشْـفِـقُـونَ علـى الأُلـى عَبَثُـوا وخَابُـوا
قَـدَرٌ تَعجَّـلَ أن نُعَــاقَــب مُـؤْمِنيــن وأنْ يُثَــابُـوا
عُـدْ يـا شَبــابُ ولـن أُطـامِـن مِنْ جِمـاحِــكَ يـا شَبـابُ

* * *

فِـي غُـرْبَـةٍ أنَـا والإبَــاءُ المُــرُّ والأَدَبُ اللُبَــابُ
كالسـيْـفِ حَلَّـتْـهُ الفُتُـوحُ وَرُبَّمـا بَلِــي القِرَابُ
طَـوْدٌ أشَـمُّ فَكَيْـفَ تَرْشُــقُني السِـهــامُ ولا أُصـابُ
يَخْـفَـى البُغَــاثُ فَـلا تُلِـمُّ بِهِ ولا يَخْفَــى العُقَـابُ
الــكِبْـرُ عِنْـدي للعَــظيـمِ اذا تَكَـبــر لا العِتَـاب
عِنْـدي لَهُ زُهْـدُ يُــدِلُّ علـى الــكَـواكِـبِ واجْتِنــابُ

يـزْهُـو الـكَـرِيم وَقَلْبُهُ قِطَـع
أَغْلَى المُـروَءَةِ شِيمـة طُبِعـتْ وأرْخَصـهـا اكتِسـاب

* * *

أَنَـا مـا عَتَبْـتُ على الصِحـابِ فليس في الـدُنيـا صِحَابُ
خُـرس ولـكِـنْ قـدْ تَفَاصـحـتِ الخَـواتِـمُ والثِيـاب
عَقِمـتْ مُرووَتُهُـم وطْمِـع أنْ يُدغْـدِغَهـا احْتِلابُ
وَأعِـفُّ عَـنْ سب اللئيـم وربَّمَا نَبُـلَ السِبَابُ
حَيَّـا فَبِشْـر سَلامِـهِ نَزْرٌ وبسـمَتُـهُ اغْتِصابُ
يـا منْ يـمُـنُّ بِوُدِّهِ والشـهْـدُ. حِـينَ يُمَنُّ ـ صـابُ
أَنَـا كالمُسـافِـرِ لاح لـي أَيْـكٌ وأَغْـرَتْنِـي قِبَـابُ
وَتفَتَّحـتْ حَوْلـي الـرِيـاضُ الخُضْـرُ واصْطَـفَـقَ العُبَـابُ
وَوَثقـتُ أَنَّ النَهْـر مِلْـكُ يَدِي فَفَـاجـأنِـي السرَابُ

* * *

أَنَـا لا أُرَجـي غَيْـر جبـارِ السـمـاءِ وَلا أَهَـابُ
بَيْنِـي وَبَيْـنَ اللـهِ مِنْ ثِقَتِـي بِلُـطْـفِ اللـهِ بَابُ
أَبَـداً أَلـوذُ بِهِ وَتَعْـرِفُنِـي الأَرائِـكُ والـرِحـابُ
لِـي عِنْـدَهُ مِنْ أَدْمُعِـي كَنْـزٌ تَضِيـقُ بِـهِ العِيـابُ

* * *

يا رب بـابُـكَ لا يـرُدُّ الـلائِـذيـن بِـهِ حِجَـابُ

مِفْتَاحُهُ بِيَدِي يَقِينٌ لا يُلِمُّ بِهِ ارْتِيَابُ
وَمَحَبَّةٌ لَكَ لا تُكَدَّرُ بالرِيَاءِ ولا تُشَابُ
وَعِبَادَةٌ لا الحَشْرُ أَمْلاَهَا عَلَيَّ ولا الحِسَابُ
واذا سَأَلْتَ عنِ الذُنُوبِ فَإِنَّ أَدْمُعِي الجَوَابُ
هِي فِي يَمِينِي حِينَ أَبْسُطُهَا لِرَحْمَتِكَ الكِتَابُ
إِنّي لأَغْبِطُ عاكِفِينَ على الذُنوبِ وما أَنَابُوا
لَوْ لَمْ يَكُونوا واثِقِينَ بِعَفْوِكَ الهَانِي لَتَابُوا
مِنْهُمْ غَداً لِكُنوزِ رَحْمَتِكَ اخْتِطَافٌ وانْتِهَابُ
وَلَهُمْ غَداً بِيَقِينِهِمْ مِنْ فَيْءِ سِدْرَتِكَ اقْتِرابُ
وَسَقَيْتُ جَنَّتَكَ الدموعَ فَروَّتِ النُطَفُ العِذَابُ
وسَكَبْتُ في نِيرانِكَ العَبَراتِ فابْتَرَدَ العَذَابُ
تَنْهَلُّ في عَدْنٍ فَنَوَّرَ كَوْكَبٌ وَنَمَتْ كَعَابُ
قَرَّبْتُها زُلْفَى هَواكَ فلا الثَوابُ ولا العِقَابُ
أَنْتَ المُرَجَّى لا تُنَاخُ بِغَيْرِ سَاحَتِكَ الرِكَابُ
الأُفْقُ كَأْسُكَ والنُجومُ الطافِيَاتُ بِهِ حَبَابُ
أنا مِنْ بِحارِكَ قَطْرَةٌ مِمَّا تَحَمَّلَهُ الرَبَابُ
أَلْقَى بِها بُعْدَ السِفَارِ فَضَمَّها قَفْرٌ يَبَابُ
أَلْبَحْرُ غَايَتُها فَلا وادٍ يَصُدُّ ولا عُقَابُ
يا دَمْعَةَ المُزْنِ اغتَرَبْتِ وَشَطَّ أَهْلُكِ والجَنَابُ
حُثِّي خُطاكِ فلِلْفُروعِ إلى أَرُومَتِها انْجِذَابُ
حُثِّي خُطاكِ فَشاهِقٌ يُرْقَى وَمُوحِشَةٌ تُجَابُ

أَلْبَحْرُ مَعْدِنُكِ الأَصِيلُ وَشَوْق رَوْحِكِ والحُبَابُ
وَغداً لِلُجَّتِهِ وإنْ بَعُدَتْ يَتِمٌّ لَكِ انْسِيابُ

* * *

أَنَا لا أُطِيلُ إذَا ابْتَهَلْتُ وقد تَحَدَّتْنِي الصِعَابُ
لا أَشْتَكِي وَبِمُهْجَتِي ظُفُرٌ يُمَزِّقُها وَنَابُ
مَسحَ الحَيَاءُ على الدُموعِ وأَكْرَمَ الشَكْوى اقْتِضَابُ
تَكْفِي بِبابِكَ وَقْفَةٌ وأَسىً تَجَمَّلَ واكْتِئابُ

* * *

يا شَامُ عِطْرُ سرِيرتِي حُبٌّ لِجَمْرَتِهِ التِهَابُ
أَنْتِ اللُبَانَةُ في الجَوانِحِ لا النَوارُ ولا الرَبابُ
لَكِ مُهْجَتِي وَقَبُولُها مِنْكِ الهَدِيَّةُ والثَوَابُ
والنُورُ في عَيْنِي وَلا مَنٌّ عَلَيْكِ وَلا كِذَابُ
أَنَا مَنْ عَرَفْتِ تَجَلُّدٌ زَحَمَ النَوائِبَ واحْتِسابُ
وَلَئِنْ عَثَرْتُ فَرُبَّمَا عَثَرَتْ مُجَلِّيةٌ عِرَابُ
يَعْيَا بِحَقِّك مَنْ يُسوِّفُهُ ولا يَعْيَا الطِلاَبُ
غَالَبْتُ أَشْواقِي إلَيْكِ وَيُضْرِمُ الشَوْقَ الغِلاَبُ
وَوَدِدْتُ لَوْ عَمَرتْ رُباكِ وأَلْفُ عامِرَةٍ خَرَابُ
أَنا طَيْرُكِ الشادِي ولِلأَنْغَامِ مِنْ كَبِدِي انْسِرابُ
سُكِبَتْ أَغارِيدي ولِلأَمْواجِ زَأْرٌ واحترابُ
فَصغَتْ لِتَسْمَعَها الرِياحُ وَقَر في المَوْجِ اضْطِرابُ

أنَـا والـربيـعُ مُشَـرَّدَانِ وللشَـــذَا مَعَنَـا ذَهَـــابُ
لا الأَيْـــكُ بَعْـدَ غِيابِنَـا غَرِدُ الــطُيـوبِ ولا الرَبَابُ
والنُـورُ يسْــأَلُ والخَمـائِـلُ والجَمَـالُ مَتَـى الإِيَابُ ؟

* * *

جنيف ٢٢/شباط ١٩٦٤

أني لاشمت بالجبار

يـا سـامِـر الحَـي هَـلْ تَعْنِيـكَ شَكْـوَانَـا
رَقَّ الحَـدِيـدُ وَمـا رَقُّـوا لِبَـلْوانـا
خَـلِّ العِتَـابَ دُمـوعَـاً لاَ غَنَـاءَ بِهـا
وعَـاتِـبِ القَـوْمَ أَشْـلاَءً ونيـرانَـا
آمَنْـتُ بالحِقْـدِ يُذْكِـي مِـنْ عَـزَائِمِنَـا
وأَبْعَـدَ اللَّـهُ إِشْفَـاقَـاً وَتَحْنـانَـا
وَيْـلَ الشُـعـوبِ التـي لَـمْ تَسْـقِ مِـنْ دَمِهَـا
ثـاراتِهـا الحُمْـر أَحْقَـاداً وأَضْغَـانَـا
تَرَنَّـحَ السـوْطُ فِـي يُمْنَـى مُعَـذِّبِهـا
رَيَّـانَ مِـنْ دَمِهَـا المَسْـفُـوحِ سَكْـرَانَـا
تُغْضِـي عَلـى الـذُلِّ غُفْـرانَـاً لِظَـالِمِهَـا
تَـأَنَّـقَ الـذُلُّ حَـتَّـى صـارَ غُفْـرانَـا
ثَـاراتُ يَعْـرُبَ ظَمْـأى فِـي مَـراقِـدِهَـا
تَجَـاوَزَتْهَـا سُقَـاةُ الحَـي نِسْيَـانَـا
ألاَ دَمٌ يَتَنَـزَّى فِـي سُـلاَفَتِهَـا
أَسـتَغْفِـرُ الثَـأرَ بَـلْ جَـفَّـتْ حُمَـيَّانَـا
لاَ خَـالِـدُ الفَتْـحِ يَغْـزُو الـرُومَ مُنْتَصِـراً
وَلاَ المُثَنَّـى عَلـى رَايَـاتِ شَيْبـانَـا

* * *

أَمَّــا الشَــآمُ فَلَـمْ تُبْــقِ الخُـطُــوبُ بِهــا
رَوْحَــاً أَحَـبَّ مِـنَ النُعْمَـى وَرَيحَْـانَـا
أَلَـم واللَّيْـلُ قَدْ أَرْخَـى ذَوائِبَـهُ
طَيْــفُ مِـنَ الشَـامِ حَيَّـانَـا فَأَحْيَــانَـا

حَنَــا عَلَيْنَــا ظِمَـاءً فِــي مَنَــاهِلِنَــا
فَــأَتْـرَعَ الــكَأْس بالـذِكْـرَى وعَــاطَـانَــا
تُنَضِّـرُ الـوَرْدَ والـرَيحَْــانَ أَدْمُعُنَــا
وَتَسْــكُـبُ العِــطْـر والصــهْبـاءَ نَجْــوانَــا

الســامِـرُ الحُـلْــوُ قَـدْ مَـرَّ الــزَمَـانُ بِـهِ
فَمَـزَّقَ الشَــمْـلَ سُـمَّـاراً وَنُـدْمَـانَا
قَـدْ هَـانَ مِـنْ عَهْــدِهَـا مَـا كُنْـتُ أَحْسَــبُهُ
هَـوى الأَحِبَّــةِ فِي بَغْـدادَ لا هَانَــا

فَمَــنْ رَأَى بِنْـتَ مَــرْوانَ انْحَنَـتْ تَعَبَــاً
مِــنَ السـلاسِــلِ يَرْحَــمْ بِنْـــتَ مَــرْوَانَــا
أَحنُــو عَلى جُـرْحِهَـا الــدَامِـي وأَمْسحُــهُ
عِــطْـراً تَطِيــبُ بِهِ الــدُنْيـا وإِيمَـانَــا

أَزْكَـى مِـنَ الــطِيـبِ رَيحَْــانـا وغَـالِيَــةً
مــا ســالَ مِـنْ دَمٍ قَتْــلانَــا وَجَــرْحَانَــا
هَــلْ فِـي الشَــآمِ وَهَـلْ فِـي القُــدْسِ وَالِــدَةٌ
لا تَشْتَــكِـي الثُكْــل إِعْــوَالاً وإِرنــانــا

تِلْكَ القُبورُ فَلَوْ أَنّي أُلِمُّ بِهَا
لَمْ تَعْدُ عَيْنَايَ أَحْبَاباً وَإِخْوانَا
يُعْطِي الشَّهِيدُ فَلاَ واللَّهِ ما شَهِدَتْ
عَيْنِي كإِحْسَانِهِ فِي القَوْمِ إحْسانَا
وَغَايَةُ الجُودِ أَنْ يَسْقِي الثَرى دَمَهُ
عِنْدَ الكِفَاحِ وَيَلْقَى اللّهَ ظَمْآنَا
والحَقُّ والسَيْفُ مِنْ طَبْعٍ وَمِنْ نَسَبٍ
كِلاَهُمَا يَتَلَقَّى الخَطْبَ عُرْيَانَا

***

قُلْ للأُلى استَعْبَدُوا الدُنْيَا لِسَيْفِهِمُ
مَنْ قَسَّم النَاس أَحْرارا وَعُبْدانَا
إنّي لأَشْمَتُ بالجَبَّارِ يَصْرَعُهُ
طَاغٍ وَيُرْهِقُهُ ظُلْمَا وَطُغْيانَا
لَعَلَّهُ تَبْعَثُ الأَحْزانُ رَحْمَتَهُ
فَيُصْبِحُ الوحْشُ فِي بُرْدَيْهِ إنْسانَا
والحُزْنُ فِي النَفْسِ نَبعٌ لاَ يُمُرُّ بِهِ
صَادٍ مِنَ النَفْسِ إلاَّ عَادَ رَيَّانَا
والخَيْرُ فِي الكَوْنِ لَوْ عَرَّيْتَ جَوْهَرَهُ
رَأَيْتَهُ أَدْمُعَاً حَرَّى وأَحْزَانَا

---

١) سقوط باريس في يد الالمان في الحرب الاخيرة

سَمِعْتُ بَارِيس تَشْكُو زَهْو فَاتِحِهَا
هَلاَّ تَذَكَّرْتِ يا بارِيسُ شَكْوانَا[1]

والخَيْلُ فِي المَسْجِدِ المَحْزُونِ جائِلَةً
عَلى المُصلِّينَ أَشْيَاخاً وفِتْيَانَا

والآمِنِينَ أَفَاقُوا والقُصُورُ لَظَىً
تَهْوِي بِها النَارُ بُنْيَاناً فَبُنْيَانَا

رَمَى بِها الظَالِمُ الطَاغِي[1] مُجَلْجِلَةً
كالعارِضِ الجَوْنِ تَهْداراً وَتَهْتَانَا

أَفْدِي المُخَدَّرَةَ الحَسْنَاءَ رَوَّعَها
مِنَ الكَرى قَدَرٌ يَشْتَدُّ عَجْلانَا

تَدورُ في القَصرِ عَجْلى وهْيَ باكِيَةٌ
وتَسْحَبُ الطِيبَ اذيالاً وأَرْدَانا

تُجِيلُ والنَوْمُ ظِلٌّ في مَحَاجِرِها
طَرْفاً تُهَدْهِدُهُ الاحلامُ وسْنَانَا

فَلا تَرى غَيْر أَنْقاضٍ مُبَعْثَرَةٍ
هَوَيْن فَناً وتاريخاً وأَزْمانَا

تِلْكَ الفَضائِحُ قد سَمَّيْتِها ظَفَراً
هَلاَّ تكَافأَ يَوْمَ الرَوْعِ سَيْفانَا

نُجابِهُ الظُلْمَ سَكْرانَ الظُبَى أَشِراً
ولا سِلاح لنا الا سجايانَا

١) الجنرال ساراي يوم ضرب دمشق بالمدافع

إذا انْفَجَرْتِ مِنَ العُدْوانِ بَاكِيةً
لطالما سُمْتِنا بَغْياً وعُدْوانا
عِشرينَ عاماً شَرِبْنا الكَأْس مُتْرَعَةً
مِنَ الاذَى فَتَمَلَّي صِرْفَها الآنا
ما للطواغِيت في باريس قَدْ مُسِخُوا
على الأرائِكِ خُدَّاماً وأَعْوانَا
اللهُ اكبرُ هذا الكونُ أَجْمَعُهُ
لِلَّهِ لا لَكِ تَدْبيراً وسُلْطانا
ضَغِينةٌ تَتَنزَّى في جَوانِحِنا
ما كان أَغناكُمُ عنها وأَغْنانا

* * *

تَفْدِى الشُموسُ بِضَاحٍ من مَشارِقِها
هِلالَ شعبانَ إِذْ حيَّا بِشَعْبانا[1]
دَوَّتْ بِهِ الصرْخَةُ الزهراءُ فانتفضتْ
رِمالُ مكةَ أَنْجاداً وكُثْبانَا
وسالَ أَبْطَحُها بالخَيْلِ آبِيةً
على الشَكيمِ تُريدُ الأُفْقَ مَيْدانَا
وبالكتائِبِ من فِهْرٍ مُقَنَّعَةً
تُضاحِكُ الشَمْسَ هِنْدِيًا ومُرَّانَا

١) ـ شعبان عيد الثورة العربية التي اضرمها الشريف الحسين بن علي

تَمْلْمَلَ الفاتِحونَ الصيدُ وازْدَلَفُوا
إلى السيوفِ زُرافاتٍ وَوُحْدانَا
ولِلْجِيادِ صَهيلٌ في شَكائِمِها
تكادُ تَشْرَبُهُ الصحراءُ أَلحانَا
ألسابِقاتُ وما أَرْخَوا أَعِنَّتَها
والحامِلاتُ المَنايا الحُمْرَ فُرْسانا
سِفْرٌ مِن المَجْدِ راحَ الدهْرُ يَكْتُبُهُ
ولا يَضيقُ بِهِ جَهْراً وإمْعانَا
قَرأْتُ فيه الملوكَ الصِيدَ حاشيةً
والهاشِميّينَ طُغْراءً وعُنْوانَا
شَدَّ الحُسَيْنُ على الطُغْيانِ مُقْتَحِماً
فَزَلْزَلَ اللهُ للطُغْيانِ بُنْيانَا
نُورُ النُبوَّةِ في مَيْمُونِ غُرَّتِهِ
تكادُ تَرْشُفُهُ الاجفانُ فُرْقانا
لاث العِمامَةَ للجُلَّى ولَسْتُ أرى
الا العَمائِم في الإِسْلامِ تِيجانَا
يا صاحِب النَصرِ في الهَيْجاءِ كيف غدا
نَصْرُ المعارِكِ عند السِلْمِ خِذْلانا[1]
تَرى السياسةَ لوناً واحِداً ويرى
لها حليفُكَ ـكالاً وأَلْوانَا

١) ـ يشير الشاعر بهذه الابيات الثلاثة لنكث الانكليز عهودهم للملك الهاشمي بالحريه والوحده بعد نهايه الحرب

لا تَسْأَلِ القَوْمَ أَيْماناً مُزَوَّقةً
فَقَدْ عَيِينَا بِهِمْ عَهْداً وأيمانا
أكْرَمْتُ مَجْدَكَ عن عَتْبٍ هَمَمْتُ بِهِ
لو شِئْتُ أَوْسعْتُهُ جَهْراً وتبيانَا[١]

***

ما للسَفينَةِ لم تَرْفَعْ مَراسِيَها
إلّا تُهَيىءْ لها الاقدارُ رُبَّانَا
شُقِّي العَواصِفَ والظَلْماءَ جاريةً
باسْمِ الجَزيرةِ مَجْرانا ومُرْسانَا
ضُمِّي الاعاريب مِنْ بَدْوٍ ومِنْ حَضَرٍ
إنّي لأَلْمَحُ خَلْفَ الغَيْمِ طُوفانَا
يا مَنْ يُدِلُّ علينا في كَتائِبِهِ
نَظارِ تَطْلَعْ على الدنيا سرَايانا[٢]

* * *

(١٩٤١)

---

١)يقول الشاعر:إنني اكرم مجدك فلا اعتب عليك لانك خدعت بوعودهم ولولا اكرامي لمجدك لاستطعت ان اوسع هذا العتب جهرا وتبيانا

٢) يتنبأ الشاعر هنا بالوحدة وبقيام جيش عربي ولقد قامت هذه الجيوش ولكنها لم تستطع ان تحرر فلسطين

دمعة على الشام

نظم الشاعر هذه القصيدة وهو لاجيء في بغداد

حَـي الـرئيـسَ[1] إذَا نَـزَلْـتَ بِساحـهِ
رُحَبـاً تَهَـلَّلُ للـوُفـودِ فِساحـا
واقْـرَأْ لَـهُ شِعْـري تُـرَنِّـحْ عِطْفَـهُ
غُـرَرُ البيـانِ وَجَـودِ الأَمْداحَـا
واهْتِـفْ إذا هَـدأَ النـدِيُّ ولـم تَجِـدْ
إلاَّ الأَحِبَّـةَ فيـه والنُصَّاحَـا
يا شـارِبَ المـاءِ القَـراحِ بِجِلِّـقٍ
لـم يشـربـوا الا الـدمـوعَ قَـراحَا
عُرْسُ الشـآمِ طَغـى عَلَيْـهِ ظالِـمٌ
فَـطـوى البِسـاطَ وحـطَّـم الأَقْداحَـا
نَكَـث العُهُـودَ وراح يَحْمِـلُ غَـدْرَةً
بَلْقَـاءَ فاجِـرَةَ اليميـن وَقَاحـا

* * *

قُـلْ للـرئيـسِ تَحِيَّـةً مِنْ شاعـرٍ
لـم يَقْـو بالبَلْـوى فَضَـجَّ وباحَـا

1) المرحوم رشيد عالي الكيلاني وكان رئيسا لوزراء العراق يومئذ .

جُلِيَتْ[1] لَهُ الدُنْيا وزُوِّقَ حُسْنُها
فَزَوى بِحُر جَبِينِه وأشَاحَا
كَتَم الأُباةُ دُموعَهُمْ وأذَعْتُها
حُرَقاً مُجَلْجِلَةَ البَيانِ فِصاحَا
ولأَهْتِفَنَّ بِها فَأُسْمِعَ فَيْصلاً
وأُحَرِّكَ المَنْصور والسَفَّاحا
وَأَعِزُّ مِنْ عَبْدِ الإِلَهِ بِغَضْبَةٍ
لِحِمى أُميَّةَ بالشَآمِ مُباحا

* * *

أمَّا لِداتُكَ بالشَآمِ فإنَّهُمْ
حَمَلوا الإِبَاءَ سَلاسِلاً وجِراحا
نَزَلُوا السُجُونَ فَعَطَّرُوا ظُلُمَاتِها
أنَفاً وعِزّاً كالضُحَى وَجِمَاحا
يا نازِلينَ على السُجُونِ فأَصْبَحَتْ
بِهِمُ أعَزُّ حِمى وأَكْرَمَ سَاحَا
اللّهُ يَعْلَمُ ما ذَكَرْتُ عُهودَكُمْ
الا انْفَجَرْتُ تَفَجُّعاً ونُواحَا
وإذَا ذَكَرْتُكُمُ شَرِبْتُ مَدامِعِي
فَكأَنَّني ثَمِلٌ أَعُبُّ الرَاحا

١) يشير الشاعر بهذا البيت الى ما تعرض له من اغراء فاق كل الحدود ليوافق على قرار فصل محافظة اللاذقية عن سورية فرفض ولجأ الى العراق سنة ١٩٣٩

إنّي لَيَحْمِلُني الخَيالُ إلَيْكُمُ
فَأجُوبُ فيهِ سباسِباً وبِطَاحَا
وإِخَالُ أنَّ البَدْرَ يَحْمِلُ مِنْكُمُ
نَبأً إلَيَّ اذا أطَلَّ ولاَحَا
وَأرَاكُمُ وأكادُ أسْمعُ ضَجَّةً
لِلدَنْدَبانِ وغُدْوَةً وَرَواحَا
حِسٌّ أُشارِكُكُمْ بِهِ آلامَكُمْ
وأكادُ أحْمِلُ عَنْكُمُ الأتْراحَا
(١) شَيْخُ العُروبةِ في القُيودِ إباؤُهُ
يُخْفِي السِنينَ وعِبْئَها الفَضَّاحَا
عَنِفَ الطغاةُ به ويسخرُ كِبْرُه
بالشامتين طلاقةً ومِراحا
حَمَلَ القَضِيَّةَ والسِنينَ فَيالَهُ
مِنْ مَنْكِبٍ زَحَمَ الرَدى وأزاحَا
وإذا ذَكَرْتُ ابا رياضٍ (٢) عادَني
شَجَنُ الغَريبِ طَغى هَواهُ فَناحا
الذائدُ الحَامي كأنَّ بَيانَه
آيُ السماءِ تَنَزَّلَتْ ألْواحَا

* * *

---

١) المرحوم نبيه العظمه وقد كان معتقلا
٢ لمرحوم نجيب الريس وقد كان معتقلا

(١)
يا راكِبَ الوجْناءِ أخْمَلَ عَهْدُها
إبِلاً ظِماءً في الفلاةِ طِلاحَا
مَرَّت كَلامِعَةِ البُروقِ فَهَجَّنَتْ
غُرَرَ العِرابِ الشُقْرِ والأوْضاحَا
لا تَعْدُ عِنْدَ اللاّذِقِيَّةِ شاطِئاً
غَزِلاً كضاحِكَةِ الصِبا مِمْرَاحا
نَدْيَانَ مِنْ أشَرِ الصِبا وجُنُونِهِ
طَلْقَ الفُتونِ مجانَةً ومِزاحَا
باللهِ إنْ كَحَلَتْ جُفونَكَ موْجَهُ
ضُمَّ الشِراعَ وقَبِّلِ المَلاَّحا
واسْرِقْ مِنَ الكَنْزِ المُقَدَّسِ مَغْرِباً
حُلْوَ الاصيلِ ومَشْرِقاً لَمّاحَا
(٢) وانزِلْ على خَيْرِ الأُبُوَّةِ رَحْمَةً
تَسَعُ الحياةَ وعِفَّةً وصَلاَحَا
يَشْكو السقامَ فإنْ هَتَفْتَ أمَامَهُ
باسْمي تَهَلَّلَ وَجهُهُ وارتَاحَا
وأطِلْ حديثَكَ يَسْتَعِدْهُ تَعَلُّلاً
بالذِكْرِ لا لِتَزيدَهُ إيضَاحا

---

١) يراد بها هنا السياره

٢) يشير الشاعر بهذا البيت الى المغفور له والده وقد فارقه وهو على فراش المرض الذي لم يشف منه حتى استأثر به رضوان الله

وإذا الحَّ فللحنانِ عُذوبةٌ
في مقلتيهِ تحَبُّبُ الإلحاحا

(١) والثِمْ أحِبَّتيَ الصِغارَ ورُفَّها (٢)
غُرراً نَواعِمَ كالوُرودِ صِباحَا

واحمِلْ لإخْوانِ الجِهادِ تحَيَّةً
كالروض رفَّ عَباهِراً وأقاحا

وإذَا نَزَلْتَ بِبانِياس فَحَيِّها
عَنِّي وضُمَّ عَبيرَها الفوَّاحا

(٣) واسْكُبْ عَلى قَبْرٍ هُناكَ مُعَطَّرٍ
بالذِكْرَياتِ فُؤادَكَ المُلْتاحا

وأَنا الوفِيُّ وإن نَزَحْتُ ورُبَّما
لَجَّ الحَنينُ فَأَتْلَفَ النُزَّاحَا

إنَّ الفِراخَ على نُعومَةِ ريشِها
رِيعَتْ فَفَارَقَ سِرْبُها الأَدْواحا

* * *

(٤) فُتُّ العَدُوَّ بِمُهْجَتي وَتَرَكْتُهُمْ
حَنَقاً عليَّ يُقلِّبُونَ الراحا

---

١) ترك الشاعر يومئذ اطفاله وهم كزغب القطا

٢) رفَّها ضَمَّها وعطف عليها

٣) قبر المرحوم فائز الياس وقد كان زميل الشاعر في النيابة وفي الكتلة الوطنية

٤) هرب الشاعر قبل ساعات من مُداهمة بيته لاعتقاله

عَـــزْمٌ فَجَـــأْتُ بـهِ العِـدى لَمْ أَسْتَشِرِ
نَجْمـاً عليـه ولا أَجَلْـتُ قِدَاحـا

مالِـي أُكافِـحُ بالبَيـانِ وإنَّـهُ
جُهْـدُ المُقِـلِّ عَزِيمَـةً وكِفاحَـا

وَمِـنَ الغَضَاضَـةِ أَنَّنـي أَرْضـى بِـهِ
بَعْـدَ الظِمـاءِ المُرْهَفَـاتِ سِلاحـا

فَلَئِـنْ سَلِمْـتُ لأَهْتِفَـنَّ بِغَـارَةٍ
شَـعْـواءَ أُحْكِمُهـا ظُبـىً ورِماحَـا

ولأَشْهَـدَنَّ بكـل فَجٍّ مَعْقِـلاً
للظُّلْـمِ زَعْزَعَـهُ القَضـاءُ فَطاحَـا

* * *

(١) خَلّوا جَنـاحاً فـي العِـراق لِنَسْـرِهِ
وتخَوَّفُـوه فـي الشـآم جَنـاحَـا

وَلَـو انَّهُـمْ خَلَّـوا عِنـانَ جَناحِـهِ
لَغَـدا بـه بَيْـنَ النُجـومِ ورَاحَـا

* * *

أَمَّـا اللِـواءُ فلِلْعِـراقِ ورُبَّمـا
زَحَـم الـكواكِبَ نجـدةً وطِمـاحَـا

---

١) وقد صدقت نبوءة الشاعر فرأى بعد سنوات قليلة معاقل الظلم الفرنسي تندك واحدا بعد آخر وثكناتهم ينزل عنها لواء فرنسا ليرتفع العلم السوري وقد كانت فرحة لا يستطيع ان يتصورها الا من عاشها

آســى الجِــراحَ الــداميــاتِ حَنانُـــــهُ
وَهَفــا وَرَقَّ طَلاقـــةً وسَماحَـــا
النــازِلُــون[1] علــى العِــراقِ تفــيَّــأُوا
ظِـــلَّ العِــراقِ مُعَــطَّـــراً نَفَّــاحَا
اللــه أَطْلَــعَ في مَخَــائِـل فَيْصــلٍ
عنــد الخُــطــوبِ الــزَاحِفــاتِ صباحـــــا

(بغداد ١٩٤١)

١) لجأ الزعماء السوريون أو اكثرهم يومئذ الى العراق بعد ان تمكنوا من الهرب اليه عبر الصحراء وفي طليعتهم المغفور له سعد الله الجابري وجميل مردم بك ولطفي الحفار وعادل العظمه

عيد الجلاء

ألزغاريدَ فقَدْ جُنَّ الإباءْ
مَنْ صِفاتِ اللهِ هَذِي الكِبْرِيَاءْ
بأبي العَزْلاءُ في غَمْرتها
آلةُ الحَرْبِ جِراحٌ ودِمَاءْ
بنتُ مَرْوانَ اصطفاها ربهُا
لا يشاءُ اللهُ إلاَّ ما تَشَاءْ
هي في غسانَ بأْسٌ وَندىً
وَهْي في الإسلامِ فَتْحٌ وَبَلاءْ
جَمْرَةُ الحق فَسُبْحانَ الذي
صاغَ هذَا الجَمْرَ من ظِلٍ وماءْ
الأَديمُ السَّمْحُ عِطْرٌ ورؤى
رُبَمَا أغْفَى عَلَيْهِ الأَنْبِيَاءْ
وعلى كلِ مكانٍ جِدَّةٌ
تأسِرُ العَيْنَ ونُعْمَى وَرُواءْ
خَالَفَ المَشْهدُ فيها جارَه
فِلداتُ الحُسْنِ شَتَّى غُرباءْ
كُلُّ حُسْنٍ بِدْعَةٌ مُفْرَدَةٌ
لَيْسَ بَيْنَ الحُسْنِ والحُسْنِ إخَاءْ

تَنْـدُرُ الأَشْبـاهُ مِـا اخْتَلَفَـتْ
صُـوَرُ الحُسْنِ وتَخْفـى النُظَـراءْ
ألْـوُرودُ الحُمْـرُ ذِكْـرىَ وَهَـوىً
وَطُيـوفٌ مِـنْ جِـراحِ الشُهَـداءْ
نَفْحَـةُ الصُبْـحِ على غُـوطَتِنـا
خَبَـرٌ عَنْهُـمْ وأَطْيـابُ المَسـاءْ
حَمَلَـتْ زَغْـرَدَةَ العُـرْسِ لَكُـمْ
فـانْتَشَـى الأُفْـقُ ولَـم يَصْحُ الهَـواءْ
أيهُـا الـدُنيا أرشُـفـي مـن كـأسِنَـا
إنَّ عِطْـرَ الشـامِ مِـنْ عِطْـرِ السمـاءْ
شُـهَـدَاءُ الـحَـقِّ فـي جَنَّتِـهِـمْ
هَـزَّهُـمْ لِلْشَـامِ وَجْـدٌ ووَفَـاءْ
تَضْـحَـكُ (الْـرَّبْـوَةُ) فـي أحـلامِهِـمْ
هَـلْ عَـنِ الْرَّبْـوَةِ في عَدْنٍ غَنَاءْ
كُلَّمـا هَبَّتْ صَبـاً مِـنْ (دُمَّـرٍ)
رَنَّـحَ الجَنَّـةَ طِيـبٌ وَغِنَـاءْ
خُيَـلاءُ الحَـقِّ فـي عَـدْنٍ لَكُـمْ
يَغْـفِـرُ اللـهُ لِقَـومـي الخُيَـلاءْ
واعْـذِروا عَـدْنـاً علَـى غَيْـرَتِهـا
إنَّهـا والشَـامَ فـي الحُسْـنِ سـواءْ

***

شُهَداءَ الحَقِّ هَلْ يُسْكِرُكُمْ
في نَعِيمِ اللهِ شِعْرٌ وغِناءْ

فَسَلُوا اللهَ بِما قَدَّمْتُمُ
يَكْشِفِ اللهُ عَنِ السِرِ الغِطَاءْ

وإذا الفِردوسُ مَجْلُوٌّ عَلَى
مَفْرِقِ الشَمْسِ فَما فِيه خَفَاءْ

عَربِيٌّ(١) الدَارِ والاهلِ مَعاً
والرَحيقِ المُشْتَهى والنُدَمَاءْ

حَمْحَماتُ الخَيْلِ في أفيائِهِ
وَقِرَى الضَيْفِ وتَرْجِيعُ الحُداءْ

عَمِر الفِرْدوس ظِلاًّ وقِرَىً
وَتَجَلِّي للوفود الخُلَفَاءْ

آلُ مروانَ جَلالٌ وَنَدىً
وبنو العباسِ هَدْيٌ وَضِياءْ

مُتَصافِينَ على نعمائِهِ
لَيْس في الجَنَةِ إلاَّ الأَصْفياءْ

سَكَبَ اللهُ على أحْقادِهِمْ
من نَدِي الحُبِ ما شَاؤُوا وَشَاءْ

وَعَلى السُدَّة قَحْطَانِيَةٌ
جُلِي المُلْكُ وقيل الشُعَراء

١) يقول الشاعر:إن الجنة عربية الدار والسكان والشمائل والعادات

وَتغَنّيتُ فَمَرَّتْ صُوَرُ
لَذَّةُ الأَحْلامِ مِنْ دُنيا الفَنَاءْ
كُلّمَا سَلْسَلْتُ من أَلْحَانِها
مَسَحُوا الدَمْعَ على فَضْلِ الرِدَاءْ

أنْتِ مِيراثُ لنا مِنْ عُمَرٍ
يَسْأَلُ الدَيَّانُ عَنْهُ الوُرَثَاءْ

* * *

يا فَلَسْطِينُ هَوىً مُسْتَعِرُ
مِنْ رُبَى الشَامِ وَنصْرُ وَوَلاَءْ
وَتحِيَّاتُ الرضَى مِنْ دِجْلَةٍ
وَسَلاَمُ اللَّهِ مِنْ غَارِ حِرَاءْ
أَيْنَ مِنْ ثَأرِكِ والثَأْرُ دَمُ
خَالِدُ الفَتْحِ وَأَيْنَ الأُمَرَاءْ
(١) اليَهُودُ استَأْسَدُوا فِيكِ فَمَنْ
جَرَّأَ الضَعْفَ وأَشْلَى الضُعَفَاءْ
(٢) هَانَ عَنْ شَكْوايَ عُبْدَانُ العَصَا
أَنَا أَشْكُو مِنْ عُهودِ الحُلَفَاءْ

---

١) هذه الابيات قبل قيام دولة اسرائيل فماذا نقول الآن ؟

٢) يريد بعبدان العصا اليهود وهو تعبير عربي عن الذل

وَتَغَنَّيْتُ فَجُنَّتْ طَرَبَاً
أَرْيَحِيَّاتٌ وَنُعْمَى وَحَيَاءْ
جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ أَنْتُمْ أَهْلُهَا
وَسِوَاكُمْ فِي حِمَاهَا غُرَبَاءْ

أَنَا أَشْعَارِيَ مِنْ أَحْسَابِكُمْ
غُرَرُ الأَحْسَابِ والشِعْرِ وِضَاءْ
هَفَتِ الحُوْرُ وأَلْقَتْ خُمْرَهَا
أَيْنَ رِضْوانُ وَأَيْنَ الرُقَبَاءْ

كُلُّ حَوْرَاءَ عَلَى أَجْفَانِهَا
يَحْلُمُ السِحْرُ وَيَغْفُو الإِشْتِهَاءْ
تَمَّ صَفْوُ الدَّهْرِ لَوْلاَ مِحْنَةٌ
فِي فَلَسْطِينَ وَبَلْوَى وَشَقَاءْ
يَا رُبَى القُدْسِ وَمَا أَنْدَى الرُبَى
دَمُنَا فِيهَا رَبِيعٌ وَنَمَاءْ
هَذِهِ الأَطْيَافُ فِي جَنَّاتِهَا
أَرْيَحِيَّاتُ الجُدُودِ القُدَمَاءْ

هَمَس الفِرْدَوْسُ هَلْ مِنْ نَبَأٍ
عَنْ رُبَى الغُوطَةِ مَغْسُولِ الرجَاءْ
وَنَعَمْ عِنْدِي بُشْرَى عَطِّرَتْ
بالزَغَارِيدِ وُجوهَ البُشَرَاءْ

إنْتَـزَعْنَـا المُلْـكَ مِـنْ غَـاصِبِـهِ
وَكَتَبْنَـا بالـدَمِ الغَمْـرِ الجَـلاَءْ
وَسَـقَـانَـا كَأْسَـهُ مُـتْـرَعَـةً
وَسَـقَيْنَـاهُ وَفِـي الـكَأسِ امْتِـلاَءْ
واقْتَحَمْنَـاهُ حَـدِيـداً وَلَظَـىً
وَجَـزَيْنَـاهُ اعْتِـدَاءً باعْتِـدَاءْ
سَكِـرَتْ مِمَّـا ارْتَـوَتْ مِـنْ دَمِـهِ
غُصَـصٌ حَـرَّى وثَـارَاتٌ ظِمَـاءْ

كُلَّمَـا جُـدِّلَ مِنَّـا بَطَـلٌ
زَغْـرَدَتْ فِـي زَحْمَـةِ الهَـوْلِ النِسَـاءْ
الـظِبَـاءُ الأُمَـوِيَّـاتُ وَفِـي
خِـدْرِهَـا الـدُنْيَـا حَمَـى اللَّـهُ الظِبَـاءْ

كَلَّمَـا نَادَيْـنَ فِتْيَـانَ الحِـمَـى
كَـبَّـرَ الفِتْيَـانُ وارْتَـدَّ النِـدَاءْ
نَـحْـنُ لِلْغُـوطَـةِ فِـي الجُـلَّـى فِـدَىً
وَلِهَـذَا الـكُحْـلِ فـي العَيْـنِ فِـدَاءْ

سَقَـتِ الجَـرْحَـى فَلَـمْ يَظْمَـأْ فَتَـىً
رَشَـفَ الـكَـوْثَـرَ مِـنْ هَـذا السِقَـاءْ
شُهَـدَاءَ الحَـقِّ لا أَبْكِيـكُـمُ
جَـلَّـتِ الغُـوطَـةُ عَـنْ ضَعْـفِ البُكَـاءْ

جَــلَّ هَــذا الــدَمُ انْ يُــرْثَــى لَــــهُ
عَــــارُ سَفَّــاكِيــهِ أَوْلَــى بالرِّثَــــاءْ
الــرُبَــى فِــي مَيْســلَــوْنَ اسْتَعْبَـــــرَتْ
أَيْــن دَمْعُ الحُــزْنِ مِــنْ دَمْعِ الهَنَــــاءْ
أَقْبَــلَ الــدَّهْــرُ عَلَيْهَــا تَائِبــاً
وَعَفَــا يُـــوسُفُ[1] عَــنْ جَــوْرِ القَضَــاءْ
يــا ظِبَــاءَ الأُمَــوِيِيــن اضْحَكِــــي
تَضْــحَــكِ الــدُنْيَــا وَيَغْمُــرْهَــا الصَفَــاءْ
واغْمِـــزِي الأَنْجُــم هَــذِي أَعْيُـــنٌ
شَــأْنُهــا فِــي الــدَّهْــرِ لَمْــحٌ واجْتِـــلاَءْ
أَعْيُـــنُ حُبُّــكِ قَـــدْ ســهَّــدَهَـــا
فــاغْمُـــرِيهـــا بالمُنَــى تَغْــفُ السَمَــاءْ
وَعَلــى السُــدَّةِ والنَقْــعُ دُجَـــى
أُمَــوِيُ الفَتْــحِ مَــرْمُــوقُ البَهَـــاءْ
مِــنْ عَلــي فِيــهِ طُهْــرٌ وَهُـــدَىً
وَمِــنَ الفَــارُوقِ بَـأْسٌ وَمَضَـــاءْ
كَيْــفَ أنســى يـا زَعِيمِــي[2] لَيْلَــةً
عَصــفَــتْ نيْــرانُــهــا بالأَبْــرِيَـــاءْ
غُــوْطَــةُ الشَــامِ جَحِيــمٌ فَـــائِــرٌ
والمَيَــادِيــنُ طِعَـــانٌ وَرِمَـــاءْ

١) الشهيد يوسف العظمة
٢) الزعيم شكري القوتلي

مَا شَكَى الشَاكُونَ فِيهَا ظَمَأً
أكؤُسُ الحِقْدِ رَوِيَّاتٌ مِلاَءْ
مَلَكَ الطَاغِي الثَنَايَا عُنْوَةً
واسْتَحَرَّ القَتْلُ واشْتَدَّ الْبَلاَءْ
وَتَجَارى الأُمَوِيُّونَ إلَى
غَمْرَةِ الَمْوتِ وَفَازَ السُعَدَاءْ

***

جُنَّتِ النَخْوَةُ قَحْطَانِيَّةً
وَهْيَ عَزْلاءُ وَجُنَّ الأَقْوِيَاءْ

* * *

تَخْرَسُ الانبَاءُ مِمَّا حَمَلَتْ
فَهْيَ هَمْسٌ فِي شِفَاهِ السُفَرَاءْ[١]

* * *

عُنْفُ بَارِيس شَجَانِي أَمْرُهُ
بِدْعَةُ الأَقْدارِ عُنْفُ الجُبَنَاءْ
قَدْ عَذَرْنَاهُمْ على غَدْرِهِمُ
واسْتَرحْنَا واسْتَراحَ الطُلَقَاءْ
سَهَّلَ الغَدْرَ على صاحِبِهِ
أنَّهُ مِنْ كُلَفِ المَجْدِ بَراءْ

لَمْ يَنَلْ مِنْ عَزْمِكَ اليَأْسُ وَلا
عَنَتُ الدَهْرِ ولا الداءُ العَيَاءْ
بُورِكَ الإيمانُ نُوراً وهُدىً
نِعْمَةُ اللهِ وسِرُّ العُظَمَاءْ
يَصْنَعُ الدُنْيَا ولا تَصْنَعُهَا
صُوَرُ العَقْلِ وأَلْوانُ الدَهَاءْ
كَتَبَ اللهُ لَكَ النَصْرَ بِهِ
فَعَلى الظُلاَّمِ والظُلْمِ العَفَاءْ
حَقُّ يَوْمِ الشامِ أَنْ تَكْتُبَهُ
قُدْرَةُ اللهِ على وَجْهِ ذُكَاءْ
هَذِهِ الارضُ لِفُرْسانِكُمُ
ولِعِقْبانِكُمُ هَذا الفَضَاءْ
مُلْكُ مَرْوانَ لَكُمْ وَحْدَكُمُ
قَدْ جلا الإيمانُ كُلَّ الشُرَكاءْ
ألغد الميمون في الدنيا لكم
فاقتحم يا جيشُ واخفق يا لواء

* * *

١٩٤٦

(١) هذه الابيات تصف المعركة الاخيرة التي انتهت بالاستقلال التام وقد جن جنون الفرنسيين فصبوا مدافعهم على البرلمان وعلى المدينة وجاء سفراء الدول الاجنبية الى قصر الرئيس القوتلي وهو مريض بقرحة المعدة والنزيف لا ينقطع عنه فعرضوا عليه ان يقبل بمعاهدة مع الفرنسيين تضمن لهم بعض الحقوق وتجنب البلاد كارثة لا تُعرف حدودها ولكن الرئيس رغم مرضه، واخوانه حوله أبى ذلك كل الاباء وقال للسفراء: اذا لم تتدخل دولكم لاعادة الحق الى نصابه فسأنقل سريري الى ساحة المرجة لأستشهد مع افراد الشعب.

بدعة الذل

إلى روح ابراهيم هنانو

عاصِفٌ بادَه الرُبَى ودُخانُ
أيْنَ مِنْكَ الشَقِيقُ والأُقْحُوانُ
أيْنَ مِنْكَ الربِيعُ يَنْفَحُ بالعِطْرِ
وأيْنَ السُلافُ والنُدْمانُ
بُورِكَ الفَرْدُ حِينَ يَدْمَى فُؤادٌ
عَبْقَرِيٌّ أوْ حِينَ تَدْمَى بَنانُ
مُحِيَتْ أشْهُرُ الربيعِ فَلا أيَّارُ
مِنْ دَهْرِنا ولا نَيْسانُ
لا شَقِيقُ النُعْمانِ في غُوطَةِ الشامِ
ولا عطره ولا النُعْمانُ
يَعْرِفُ الفَجْرُ أنَّ دَمْعِي أصْفَى
مِنْ نَداهُ ويَعْرِفُ الرَيْحانُ
هَبْ نَدَى الفَجْرِ كالدُموعِ صَفاءً
أيْنَ مِنْهُ البَلْوى وأيْنَ الحَنانُ
يَعْرِفُ الطِيبُ أنَّ دَمْعِي أذْكَى
مِنْهُ عِطْراً وتَعْرِفُ الأرْدانُ
تَعْرِفُ الراحُ أنَّ دَمْعِي سُلافٌ
وَجُفُوني كُؤوسُها والدِنانُ

أنـا أبْـكِـي لِلَّيْـلِ أوْحَشَـهُ البَـدْرُ
ولِلْقَلْـبِ هَـدَّهُ الحِرْمَـانُ

أنـا أبْـكِـي لِلْهَـم يَأْوِي إلـى القَلْـبِ
فَيَقْسـو عَلى الغَـريـبِ المَكَـانُ
أنـا أبْـكِـي لِكُـلٍّ طَـاغٍ فمـا يَسْتُـرُ
إلاَّ الضَـراعَـةَ الطُّغْيَـانُ

أنـا أبْـكِـي لِلْعَيْـنِ لا تُدْرِكُ الحُسْـنَ
ولِلْحُسْـنِ فاتَـهُ الإحْسَـانُ
أنـا أرْثـي لِلْمُتْـرَفِيـنَ فَمـا يُبْـدِعُ
الا الشَـقَـاءُ والاحـزانُ

وأنَـا المُتْـرَفُ الأنِيـقُ ولَكِـنْ
تَـرفـي صـاغَ فَنَّـهُ الرَحْمَـنُ
أنـا أبْـكِـي لِكُـلِّ قَيْـدٍ فَأَبْكِـي
لِقَـريضـي تَغُلُّـهُ الأوْزانُ

أدْمُعِـي فـي السَمـاءِ أنْجُمُهـا
الـزُهْـرُ وفـي البَحْـرِ دُرُّهُ والجُمـانُ
أيهـا الـكَافِـرُونَ هَـذي دُموعِـي
مِـنْ رِسـالاتِ وَحْيِهـا الإيمـانُ
أيهـا المُذْنِبُـونَ هَـذا فُـؤادي
مِـنْ مَعَـانـي جِراحِـهِ الغُفْـرانُ

مِنْ هُمومِي ما يَنْعُمُ العَقْلُ في
دُنْيا أساهُ وَيَهْنَأُ الوِجْدانُ

مِنْ هُمومِي مالا يُفِيقُ عَلَى
البَعْثِ ومِنْها المُدَلَّهُ السَهْرَانُ

مِنْ هُمومِي ما يَغْمُرُ الكَوْنَ بالعِطْرِ
وَمِنْها مَزاهِرٌ وَقِيانُ

وَهُمومي مُعَطَّرَاتٌ عَلَيْها
مِنْ شَبابِي الطُموحُ والرَيْعانُ

كالغَوانِي ، لِكُلِّ عَذْراءَ لَوْنٌ
مِنْ جَمالٍ وَنَفْحَةٌ وافْتِتانُ

لَمْ أضِقْ بالهُمومِ قَلْباً وَهَلْ
ضَاقَ بِشَتَّى عُطورِهِ البُسْتانُ

والهُمومُ الحِسانُ تَفْعَلُ في الأنْفُس
ما تَفْعَلُ الغَوانِي الحِسانُ

وأنَا الوَالِدُ الرَحِيمُ وأبْنائِي
هُمومُ الحَياةِ والأشْجَانُ

إنَّ حُلْمِي حُلْمُ النُجومِ وَمَا
زَوَّقَ في الحُلْمِ نُورُها الوَسْنانُ

وأُعِيرُ الحَزِينَ سِحْرَ بَيانِي
فَيُعَزِّيهِ لَوْ يُعارُ البَيانُ

عقَّنِي الأقْرَبونَ في غَمْرَةِ الخَطْبِ
وَعَقَّ اللِّداتُ والإخْوانُ

سَوْفَ يُملِي التَاريخُ عَنِّي ما يُملِي
فَتَخْزَى بِظُلْمِي الأوْطانُ

يُنْصِفُ العَبْقَرِيَّ دَهْرٌ فَسِيَّانِ
وَفَى أصْفِياؤُهُ أمْ خانُوا

نِعْمَةُ الشِعْرِ نِعْمَةُ الشَمْسِ لا يُعْذَرُ
فِيها الجُحُودُ والنُكْرَانُ

وَأُسِرُّ الشَكْوى حَياءً وَكِبْراً
رُبَّ شَكْوى إسْرارُها إعْلانُ

* * *

كَيْفَ أُغْضِي عَلى الهَوانِ لِجَبَّارٍ
وعندي الشَبابُ والعُنْفُوانُ

ما لِسُلْطانِهِمْ على الحُرِّ حُكْمٌ
كُلُّ نَفْسٍ إباؤُها سُلْطانُ

فَلَكِي ثابِتٌ ولا خَيْرَ في الأفْلاكِ
يُمْلِي نِظَامَها الدَوَرانُ

لامَنِي اللائِمُونَ في الصَمْتِ
والصَمْتُ على القَبْرِ لَوْعَةٌ لا هَوانُ

كَيْفَ تَشْدو بَلابِلُ الدَوْحِ
لِلْفَجْرِ وفي الدَوْحِ عاصِفٌ مِرْنَانُ

أخرَســتْنِــي الشَــآمُ تُحْفَــرُ للقَبْــرِ عَلَيْها
الــطيـــــوبُ والأكفـــــانُ
يا لَهَــا مِيْتــةٌ وَمِــنْ صُــوَرِ المَــوْتِ
هُمـــودُ الإبــاءِ والإذْعَـــانُ
إنّــهُ المَــوْتُ لا اختِــلافَ عَلَيْهِ
فَعَــزاءً بالشـــامِ يا مَــرْوانُ
لَــمْ نُمَــيِّزْ مُحَبَّبــاً مِــنْ بَغِيــضٍ
فــي الــدُجَــى لا تُمَيَّزُ الأَلْــوانُ

* * *

بِــدْعَــةُ الــذُلِّ حِيــنَ لا يَــذْكُــرُ الانـ
ســانُ في الشَــامِ أنّــهُ إنْســانُ
بِدْعَــةُ الــذُلِ أنْ يُصاغَ مِــنَ الــ
فَــرْدِ إلَــهُ مُهَيْــمِنٌ دَيَّـانُ
أيُّهَــا الحَــاكِمُــونَ ما ضاعَتِ الحُجَّــةُ
مِنْــكُــمْ ولا انْــطَــوى البُرْهَــانُ
حَقٌّ هَــذِي النُفــوسِ أن تُرْفَــعَ
الاصْـــنــامُ فيهــا وتُعْبَــدَ الأوْثــانُ

* * *

يــا لَهَــا دَوْلَــةٌ تُعَــاقَــبُ فِيهَــا
كالجُنَـــاةِ العُقُـــولُ والأذْهـــانُ

أيْـنَ حُـرِّيَّتـي فَلَـمْ يَبْـقَ حُـرّاً
مِـنْ جَهيـرِ النِـداءِ إلاَّ الأذَانُ
سُبَّـةُ الـدَهْـرِ أنْ يحُـاسَـبَ فِكْـرُ
في هَـوَاهُ وَأَنْ يُغَـلَّ لِسَـانُ
ألضُـحـى والشُـجـاعُ حِلْفَـا كِفَـاحٍ
مـا احْتَمـى بالـظَـلامِ إلاَّ جَبانُ
حَـرَنُـوا والشُـعُـوبُ في مَوْكِـبِ السَّبْقِ
وَمِـنْ شِيَمَـةِ الهَجِيـنُ الحِـرانُ
يَعْثُـرُ الـدَهْـرُ والشُـعـوبُ وتَشْقَـى
بالمَنـاكِيـرِ أمَّـةٌ وَزَمَـانُ
قُبِـرُوا فـي المُهـودِ ما سُلَّ سَيْـفٌ
في رِداهُـمْ ولا تَعَـرَّى سِنـانُ
لَـمْ تَنَلْهُـمْ يَـدُ المَنِيَّةِ ظُلْمـاً
وُلِـدُوا قَبْـلَ أنْ يحِيـنَ الأوَانُ
سائِلُـوا زَحْمَـةَ العَـواصِـفِ لَمـا
رُجَّـتِ الأرْضُ أيْـنَ كُنَّـا وكانُـوا
وَسَـلُـوا ظُلْمَـةَ السُـجـونِ فَلَـنْ
يُنْبِـىءَ عَنهُـمْ سِجْـنٌ ولا سَجَّـانُ
كَتَـبَ المَجْـدُ ما اشْـتَهَـتْ غُرَرُ المَجْـدِ
وَنَحْـنُ الـكِتَـابُ والعُنْـوانُ

نَحْنُ تارِيخُ هَذِهِ الأُمَّةِ الفَخْمُ
وَنَحْنُ المَكانُ والسُكَّانُ
شَرَفُ الشَوْطِ بالمُجَلِّي مِنَ الخَيْلِ
وَيَخْزَى بِغَيْرِهِ المَيْدانُ

مِنْ غَوالِي دُموعِنا الخَمْرُ والعِطْرُ
وَنُعْمى دِمائِنا الأُرْجُوانُ
قَدْ سَقَيْنا مِنْ قَلْبِنا المَوْتَ حَتَّى
نَبَتَ الضَرْبُ في الرُبى والطِعانُ

تَخْجَلُ الخَيْلُ بالذَلِيلِ اذا صَالَتْ
وَيَشْقى سَرْجٌ وَيَشْكُو عِنانُ
يَتَلَوَّى على الحِبالِ فُنوناً
أَوَزِيرٌ في الدَسْتِ أَمْ بَهْلَوانُ ؟

أَنِسُوا مِنْهُ بالنُعومَةِ واللِّينِ
ولا بِدْعَ إِنَّهُ أُفْعُوانُ
لَيْس خَلْفَ البُرودِ إِلاَّ هَباءٌ
فاحْكُمِ النَاس أَيُّها الطَيْلَسانُ

ما عَلى الحُكْمِ وَهْو مَرْعىً وَمَاءٌ
أَنْ تَعُودَ الخِماصُ وَهْي بِطانُ
يُظْلِمُ القَلْبُ لا مُروءةَ فِيهِ
فَهْو كالقَبْرِ مُوحِشٌ حَرَّانُ

كَيْفَ تَسْمو القُلوبُ لَولا المُروءاتُ
وَتَغْفُو على المُنى الأجْفانُ
حَسِبُوا ضِحْكَةَ الشُعوبِ ارْتِياحاً
واللظى حينَ يَضْحَكُ البُرْكانُ
لا يَهُونُ الشُعوبَ إلاّ رِضاهَا
رَضِي النَاسُ بالهَوانِ فَهانُوا
ما لِشُمِّ الذُرى تَغُضُّ مِنَ الذُلِّ
فَأَيْنَ النُسورُ والعِقْبانُ

* * *

يا وَزِيراً يُطِلُّ بَعْدَ وَزيرٍ
والعُلى في رِكابِهِ والزَمانُ
رُبَّ نُعْمى تَضيعُ مِنَّا إذَا
زُرْتَ ولا ضَجَّةٌ ولا دَنْدَبانُ
وإذَا فُتَّ أعْيُنَ النَاسِ دَلاًّ
فَلِمَنْ صاغَ حُسْنَكَ الرَحْمَنُ
أيُّ بِدْعٍ في المِهْرَجاناتِ يُصْنَعْنَ
فَحَقٌّ المُتَوَّجِ المِهْرَجانُ
وَلِمَنْ تُحْشَدُ الجُموعُ فَهَلْ زارَ
ولاياتِ مُلْكِهِ الخَاقانُ
لَكُمُ لا لِقَيْصَرٍ أوْ لِكِسْرى
رُصِعَ التَاجُ وازْدَهى الإيوانُ

وَكَفَـــى هَـذِهِ الـرَعِيَّـةَ عِـــزّاً
أنهَّــا فـــي رِحـابِــكُـمْ ضِيفـــانُ

* * *

قَلْبِـــي الـــواحَــةُ الـطَـــرُوب بِصَحْـــراءَ
جَفَتْهَـــا الـــظِّـــلالُ والغُـــدْرانُ
تَتـــراءَى الأفيـــاءُ يُـــومِئْـــنَ للـــ
ـركْـــبِ وتَـحْنُـو على الـــوَنَـــى الأَفْنـــانُ
وَيَعُـلُّ الهَجِـــيرُ ما شَاءَ مِنْ قَلْبِـي
فَقَلْبِـي المُعَـــطَّــرُ الرَيَّـــانُ
جَنَّتِـــي نِعْمَـةُ السـكِينَـةِ والدُنْيـا
جَحيـــمٌ والحَـرْبُ حَـرْبٌ عَــوانُ
جَنَّتِـــي الـــزَهْـــوُ والنَعِيـمُ فَفِـي النَـ
ـفْـــس وُثـوقٌ باللـهِ واطْمِئْنـــانُ
الغَـوالِي أَدِيمُهـا والـــلآلِـــي
وَحَصـــاهـا اليـــاقُـوتُ والمَـرْجَانُ
وَرَحِيـــقٌ تكـــادُ تَشْتَـــفُّـــهُ العَيْـــنُ
وَيَـــرْوَى بِلَمْحِـــهِ الظَمْـــآنُ
وَتَمَـــنٍّ كَمـــا تَشـــاءُ الخَيـــالاتُ
وَطَـــوْعُ الأُمنيَّـــةِ الإمْكَـــانُ
هَـــذِهِ جَنَّتِـي فَـلاَ تَخْـدَعِ الـرَكْـبَ
فَـــرادِيـــسُ زُوِّرَتْ وَجِنـــانُ

إنَّ للشَـــرِّ جَـنَّـةً يَغْمِـزُ الإِغْـراءُ
فِيهـــا وَيَضْـحَــكُ الشَيْطـــانُ
جَنَّـةُ الشَرِّ لا تخَادِعْـكَ رَيَّـاهَـا
فَفِـي كُـلِّ أَيْكَـــةٍ ثُعْبـــانُ
لا يَغُـــرَّنْـكَ سِحْـرُهـا وَرُؤَاهَـــا
جَنَّتِــي وَحْـدَهَـا الـرِضَــى والأَمَــانُ

***

يـا أبـا طَـارِقٍ تحِيَّـــةَ شَعْــبٍ
زَلْـزَلَتْــهُ الخُــطــوبُ والحَـــدَثـــانُ
زَحَــفَ البَحْـرُ بالجِبـالِ مِـنَ المَـوْجِ
دِراكـا وَجَــرْجَـــر الطُــوفـــانُ
لَطَــفَ اللَّـهُ بالسَـفِينَـةِ لَـمْ يَسْلَـمْ
شِـــراعٌ ولا نَجَــا سُكَّــانُ
تخَبِــطُ اللَّيْـلَ والعَـــواصِــفَ والـرَكْــبُ
حَيَــارَى دَلِيـلُهُــمْ حَيْـــرَانُ
حَوْلَهَـا اليَـمُّ كالجِبـالِ وأَطْيـا
فُ الـرَدَى والبُـروقُ واللَّمعـانُ
وَظَـــلامٌ غَمْــرٌ رَهِيــبٌ فَمَـــا
تَبْـصِــرُ الا الــظنــونُ والآذانُ
وَعَـــزِيـفٌ للجِــن تَنْقُلُـهُ الـرِيــحُ
وَأَدَّى الأَمَــانَـةَ التَـرْجُمـــانُ

وانْطَوى تَحْتَها الجَحِيمُ فَلِلأمْواجِ
مِنْ حَرٍّ نارِهِ فَوَرانُ
سَخِرَتْ بالسفِينَةِ اللُّجَّةُ
الخَضْراءُ واخْتارَ قَبْرَهُ الرُبَّانُ
واطْمَأَنَّتْ الى القُنُوطِ فَما تُلْمَحُ
حَتَّى بالخاطِرِ الشُطْآنُ
أنْتَ أقْوى مِنَ المَنايا وأَقْوى
مِنْ أَذَى الدَهْرِ فاسْتَفِقْ يا هَنانُو

* * *

١٩٥٠/١١/٢٤

جَلَوْنا الفاتحين

تَمَنَّى الرَّكْبُ وجْهَكَ والصباحا
فَجُنَّ الليلُ مِنْ فَجْرينِ لاحا
وحَنَّ إلى ظِلالِكَ عَبْدُ شَمْسٍ
يريحُ شجونَهُ ظمأى طِلاحَا
حمى اللهُ الكواكِبَ مِنْ مَعَدٍّ
وصانَكَ بَيْنَهَا قَمراً لَياحا
وطمأَنَ للجواري كُلَّ بحْرٍ
وبَلَّغَها السعادةَ والنجاحا
بطاحُ القُدْسِ دنَّسها مُغِيرٌ
فهل صانت كتائِبُنا البِطاحا
وهل جَبَهتْ بِحَدِّ السَّيْفِ دعوى
كَعِرْضِ القومِ فاجِرَةً وَقَاحا
ولَم نغضبْ لها أيام كانتْ
حمىً نهباً وشعباً مُستباحا
ولا صدَّتْ سرايانا عدواً
ولا هاجتْ حَمِّيَتُنا كِفاحا
ولا اهتزَّت صوارمُنا انتخاءً
ولا صَهَلتْ صوافِنُنَا مِراحا

نُجـابَـهُ باليَهُـودِ دمـاً ونـاراً
فنُغضـي لا إبـاءَ ولا طِمـاحـا

***

جَلَـوْنـا الفـاتحيـنَ فـلا غُـدُواً
نَـرى للفـاتحيـنَ ولا رَواحَـا
إذا انقصـفَـتْ أسِـنَّتُنـا وَصَلْنـا
بـأيـدينـا الأسِـنَّـةَ والصِفـاحَـا
إذا خـرِس الفصيـحُ فقـد لقينـا
مـن النيـرانِ ألسـنـةً فِصـاحَـا
زمـاجِـرُ دكَّـتِ الـطغيـانَ دَكـاً
وأَخْـرستِ الـزلازلَ والـريـاحـا
وتعـرفُ هـذه الحصـبـاءُ مِنَّـا
دَمـاً سَكْبـاً وهـامـاتٍ وَراحـا
وأشـلاءً مبعـثـرةً تَمَنَّـتْ
علـى البِيـدِ الشـقـائِـقَ والأقـاحـا
تتيـه بهـا الـرمـالُ وتصطفيهـا
مـن الفِـرْدَوْسِ ريحـانـاً وَراحـا
يـرفُّ علـى خمـائِـلِ غـوطَتَيْهـا
هـوى بطـلٍ على الغَمـراتِ طـاحـا
فـألمـحُ فـي السـراب مُنـى شهيـدٍ
تخَيَّـلَ فـي الـوغـى المَـاءَ القَـراحـا

فــلا حُـــرِمَ الشــهيــدُ بِـرَوْضِ عَـدْنٍ
علـــى بَــردَى غُبــوقــاً واصْطِبــاحــا

***

حِمَـــى دُنْيــا أُمَيَّـــةَ أَرْيحـــيٌّ
مَتيـــنُ الأَسْـــرِ قــد فَرع الرِماحــا

أبــو حسَّـــان[1] إن طَغَـتِ الرزايـــا
تحــدَّى الــدهْــر والقَــدَرَ المُتـــاحــا

أشَـــمٌّ الأنْـــفِ أَبْـلَـجُ سَمْهـــرِيٌّ
كــأنَّ علـــى مُحَـيَّاهُ صبـــاحــا

تمــرَّس بالخــطـــوبِ فمــا شكـــاهـــا
ولــولا كِبْـــرُهُ لشــكــا وبــاحــا

تَــذكَــرتِ الشــآمُ أخــاكَ سَعْــداً[2]
ومـــن ذَكَــر الحبيــبَ فــلا جُنــاحَــا

أرقَّ النـــاس عاطِفَـــةً وطبْعـــاً
وأَعْنفَهُـــمْ علـــى الــطـــاغي جمِــاحــا

يُنــافِحُ ، لا تُــروِّعُـــهُ المَنــايــا
فــإن شَتَــم اللئِـــيمُ فــلا نِفــاحــا

إذا بكَـــتِ الشـــآمُ أَخــاكَ سعداً
فقــد بكتِ المـــروءَةَ والسمـــاحــا

١) أبو حسان الرئيس الزعيم شكري القوتلي
٢) المغفور له الزعيم سعد الله الجابري .

زَحَمْنا النّجْم منه على جَناح
وفَيَّأنا مروءتَهُ جَناحا
ولو نَعَتِ النُعاةُ أَخاك سعداً
إلى قمر السماءِ بكى وناحا
ولو فَدَّيْتَهُ بضياءِ عيني
لَقَلَّ مروءةً وهوىً صُراحا
***
جِراحٌ في سريرتكَ اطمأنَّتْ
لقد أكرمْتَ بالصبْرِ الجِراحا
كأنَّ الهم ضَيْفُكَ فَهْو يَلْقى
على القَسَمات بِشْراً وارتياحا
وقَبْلَكَ ما رأتْ عيني هُموماً
مُدَلَّلَةً وأَحْزاناً مِلاحا
وقد تَرِدُ الهمومُ على كريمٍ
فترجِعُ مِنْ صباحَتِهِ صِباحا
ويا دنيا أميَّةَ لا تُراعي
شبابُكِ يغْمُرُ الرُحْبَ الفِساحا
طلعْتِ على العصور هُدَى وخيراً
غداةَ طلعتِ غَزْواً وافتتاحا
وما نُبْلَ الصلاحُ على ضعيفٍ
فبعْضُ الذُلِّ تَحْسَبُهُ صلاحا

وعلَّمْـــتِ الحَضــارَةَ فَهْـي فَجْـرٌ
على الأكـوانِ ينســاح انسيــاحــا
ورُبَّ حضـــارةٍ طَــهُــرَتْ وطابتْ
ورُبَّ حضــارةٍ وُلــدت سِفــاحــا
وعلَّمْــــتِ المــروءَةَ فهــي عِطْـرٌ
مــن الفــردوس يُسْـكِـرُنـا نِفَــاحــا
وعلّمـتِ العــروبــةَ فهــي عِرْضٌ
لربِــكِ لن يهـــان ولن يُبــاحـــا
أســـاحَ المجـدِ حســبُـكِ لـــن تكـــونـي
لغيـر شبـابِـكِ المـــأمــولِ ســـاحـــا
خــذي ما شئــتِ واقتــرحـــي علينــا
كــرائــم هــذه الــدنيــا اقتــراحــا
***
أبـــا حسَّـــانَ رفَّ كــريـمُ وُدِّي
علــى نُعمــاكَ فخــراً وامتــداحــا
بـــلائـي مـــا شَهِــدْتَ وليـــس مَنّــاً
إذا عـــدَّدْتُهـــا غُـــرراً وِضـــاحـــا
إذا زحَمَتْنِــــي الجُـلَّــى بِــرَوْعٍ
جمعْــتُ لهــا الإبــاءَ فــلاَ بَــراحــا
ولـو زحمــتْ ثبــيراً حيـن شَـدَّتْ
علــي لَضَــجَّ غــارِبُهُ وزاحــا

وأوْجَعُ مِنْ مصائِبِها خليلٌ
أغارَ على المروءةِ واسْتَباحا
يُكَتِّمُ بُغْضَهُ حِقْداً وجَمْراً
ويُسْمِعُني حنيناً والتياحا
ويزعُمُ كَيْدَهُ سِرّاً خَفِيّاً
لقد جَهَرَ الزَمانُ بِهِ افْتضاحا
تنكَّرَ وهو لو كَشَّفْتَ عنه
أسفٌ مجانةً وهَوى مُزاحا
وذَلَّ فلا نسميه عِداءً
وهانَ فلا نُسميهِ نِطاحا
ولو شِئنا جزيناهُ ونُرضي
شمائِلَنا فنوسِعُهُ سماحا

***

أتُنْكِرُني الشآمُ وفي فؤادي
تلقَّيْتُ الصوارِمَ والرِماحا
إذا نَسِيتْ على الجُلّى وفائي
فقد عذروا على الغَدْرِ المِلاحا
وغَنَّيْتُ الشآمَ دَماً وثأراً
فلا شكوى عَرَفْتُ ولا نُواحا
وأكْرَمَ عَهْدَكَ الميمونَ شعري
فقلّدَه جواهِري الصِحاحا

***

نم بقلبي

في ذكرى المغفور له الزعيم سعد الله الجابري

أَدُمُوعاً تُرِيدُهَا أَمْ رَحِيقَا
لاَ وَنُعْمَاكَ مَا عَرَفْتُ العُقُوقَا
تَتَجَلَّى عِنْدَ المَغِيبِ لِعَيْنَي
ضِيَاءً عَذْبَ الحَنَانِ رَفِيقَا
وَجَلاَكَ الشُرُوقُ حتَّى تَبَيَّنْتُ
مُحَيَّاكَ فَاحْتَضَنْتُ الشُروقَا
وَتَزُورُ البُروقُ تُخْبِرُني عَنْكَ
وَلَوْلاَكَ ما اسْتَزَرْتُ البُروقَا
كُلُّ حُسْنٍ أَرَى مُحَيَّاكَ فِيهِ
فَأُطِيلُ الإِمْعَانَ والتَحْدِيقَا
طَرَقَ الطَيْفُ بَعْدَ أَنْ غَابَ وَهْناً
أَنْتَ أَحْلَى مِنَ النَعِيمِ طُروقَا
مَرَّ فِي وَحْشَتِي نَعِيمَاً وَأُنْسَاً
وَمَحَا أَدْمُعِي رَحِيمَاً شَفِيقَا
كُلَّمَا غِبْتُ عَنْهُ أَوْ غَابَ عَنِّي
لاَحَ فِي خَاطِرِي وَسِيمَاً أَنِيقَا
إنْ رَعَى صُحْبَتِي وأَوْرَدَهَا الصَفْوَ
فَقَدْ كَانَ بالمَعَالِي خَلِيقَا

نَـمْ بِقَلْبِـي وَلَـوْ قَـدَرْتُ مَنَعْـتُ الـ
ـقَـلْـبَ حَـتَّـى تَقَـرَّ فِيـهِ الخُفُـوقَـا
نَمْ بِقَلْبِـي وَحُـرْمَـةٌ لَـكَ لَـنْ
تَسْـمَـعَ مِـنِّـي تَأَوُّهَـاً وَشَهِيقَـا
نَـمْ بِعَيْنِـي فَقَـدْ فَـرَشْـتُ لَـك الأَحْـلامَ
مُخْضَـلَّـةَ الـوُرودِ طَرِيقَـا
نَـمْ بِعَيْنِـي إِذَا اصْـطَفَيْـتَ رُؤَاهَـا
هَـمُّ عَيْنِـي أَنْ تُصْطَفَـى وَتَـرُوقَـا
زَيَّـن الجَفْـنُ دَمْعَـهُ لَـكَ فَانْهَـلَّ
سُـلافَـاً عَذْبَـاً وَمِسْكَـاً فَتِيقَـا

* * *

إِنَّ قَلْبِـي خَمِيلَـةٌ تُنْبِـتُ الأَحْـزانَ
وَرْدَاً وَنَـرْجِسَـاً وَشَقِيقَـا
لَـوْ عَلَـى الصَـخْـرِ نَهْلَـةٌ مِـنْ جِرَاحِـي
رَاحَ مُخْضَوْضِـلَ الظِـلالِ وَرِيقَـا
هَـمي الهَـمُّ لَـوْ تَكَـشَّـفَ لِلنَّـاسِ
لأَغْـرَى حُسْـنَـاً وَرَاعَ بَرِيقَـا
أَتْـرَعَ الـكَأْس لِلـربيـعِ فَغَنَّـى
وانْتَشَـى بانُـهُ فَمَـاس رَشِيقَـا
نَجْمَتِـي والطَّـرِيـقُ تِيـهٌ وَلَيْـلٌ
وَرَفِيقـي إِذَا فَقَـدْتُ الرَفِيقَـا

إنَّ بَعْـض الأَحْـزَانِ يُخْـطَـبُ بالمَجْـــدِ
وَبَعْـض الأَحْـزانِ يُشْـرَى رَقِيقَـــا
مِــنْ جِـراحِ الضُـحَـى سَنَـى أَريجِــيٌّ
نَضَّـر الـكَـائِنَـاتِ حِيـنَ هُرِيقَـــا
أنــا والهَـمُّ كُلَّمَـا أَقْبَـلَ الهَـــمُّ
مَشُـوقٌ يَلْقَـى أَخَـاهُ المَشُـوقَـا
أيُّهَـا النَـاعِمَـانِ فِـي الغَفْـوَةِ النَشْـــوى
أَفِيقَـا عَلَـى الصبــاحِ أَفِيقَـا
سَكِـر الشِـعْـرُ مِنْ سُـلافِـي وَعَبَّـتْ
مِـن دِنَـانِـي فَجُـنَّـتِ المُـوسِيقَـا

* * *

وَحْـدَتِـي عَـالَمٌ مِـنَ السِـحْـرِ والفِتْنَـةِ
حُـلْـوُ القِـطَـافِ خَمْـراً وَرِيقَـا
وَأَدِيـمٌ يَغْفُـو ثَـراهُ عَلَـى العِطْـرِ
وَيُغْـرِيـهِ عَنْبَـراً مَسْحُـوقَـا
طُـفْ بِقَلْبِـي تَجِـدْ بِـهِ أَلْـفَ دُنْيَـا
لاَ يُـلاقِـي الشَقِيـقُ فِيـها الشَقِيقَـا
سَكَنَتْـهُ الشُـمُـوسُ مِـنْ كُـلِّ أُفْـقٍ
وَتَحَـدَّى أَشْتَـاتَهـا أَنْ يَضِيقَـا
حَفِـي الفِـكْـرُ فِـي عَوالِمِهَـا الفِيـحِ
وَلَـمْ يَبْلُـغِ المَكَـانَ السحِيقَـا

كُــلُّ أُفْــقٍ تَضِيــقُ فِيهِ أسِيــراً
سَـعَـةُ الأُفــقِ أَنْ تَكُــونَ طَلِيقَــا

* * *

لاَ تَلُمْنَــا إِذَا تَرَكْنَــا المَـيادِيــنَ
سُــمُّــوا بِحَقِّنَــا وَوُثُــوقَــا
فالأَصِيــلُ العَتِيــقُ يَأْنَــفُ شَــوْطَــاً
لَــمْ يُشَـاهِدْ فِيــهِ أَصِيــلاً عَتِيقَــا
ذَلَّ شَــوْطٌ يَكــونُ بَيْــنَ البَــراذيــنِ
فَــلا سَــابِقــاً وَلا مَسْبُــوقَــا
لَــمْ تُحَمْحِــمْ تَخْتَــالُ بالحُسْــنِ والقُــوَّةِ
بَــلْ حَمْحَمَــتْ تُــرِيــدُ العَلِيقَــا
مَا نَزلْنَــا عَــنِ السُــروجِ عَيَــاءً
لَــوْ رَكِبْنَــا لَمَــا أَطَــاقُــوا اللُحُوقَــا
وَلَنــا السـبْــقُ فامْسَــحُــوا غُــــرَرَ
الخَيْــلِ بِأَيْمَانِــكُــمْ تَشُــمُّــوا الخَلُــوقَا
أَيهُّــا الــزاعِمُــونَ انَّــا فَرِقْنَــا
صَــائِــدُ الليْــثِ لا يَكــونُ فَرُوقَــا
كَيْــفَ يُرْمَــى بالخَــوْفِ مَــنْ زَحَــم
الأُسْــدَ وأعْيَــا أَنْيابَهَــا والحُلوقَــا
أَنْكِــرُونــا يَشْــهَــدْ حَطِيــمُ قُيــودٍ
وَسَــمَــتْ مِنْــكُــمُ رِقَــابــاً وَسُــوقَــا

سُـــدَّةُ الحُـــكْـــمِ بَعْـــدَ آمـــادِ خَفَّانَ
تَضُـــمُّ الأَخْـــلافَ شـــاءً ونُوقَـــا
أَبْـــطَـــرَ الحَـــاقِـــدِينَ حِلْـــمُ أَبِـــي حَسَّـــانَ[1]
والحِلْـــمُ أَنْ تُقِيـــلَ الصَدِيقَـــا
جَحَـــدُوا فَضْـــلَـــهُ ولا لَـــوْمَ عِنْـــدِي
إِنَّ فَضْـــلَ الـــرَئِيـــسِ ضَـــلَّ الطَرِيقَـــا
إِنَّ نُعْمَـــى الـــكَرِيـــمِ دَيْـــنٌ علـــى
الحُـــرِ وَتُجْـــزَى مِـــن اللئِيـــمِ عُقوقَا
نامَـــتِ الشـــامُ فاســـتغِـــلُّـــوا كَراهَـــا
مَـــوْعِـــدُ الهَـــوْلِ بَيْنَـــنَـــا أَنْ تُفِيقَـــا
لاَ أُغـــالِـــي بِلَـــوْمِهَـــا فَهْـــي حَسْنَـــاءُ
تُحِـــبُّ الـــدَلالَ والتَمْلِيقَـــا
إِنَّ عُنْـــفَ العِتَـــابِ يُـــؤْذِي أَحِبَّـــا
ي وأَحْـــلاهُ ما يَكُـــونُ رَقِيقَـــا

* * *

جَمْـــرَةُ الحِقْـــدِ فـــي السرَائِـــرِ لَـــوْلاَ
ذُلُّ أَصْحـــابِهَـــا لَشَـــبَّـــتْ حَرِيقَـــا
قَـــدْ أَرَقْنـــا دِمـــاءَنـــا فَسَلُـــوهُ
أَيُّ دَمْـــعٍ مِنْ مُقْلَتَيْـــهِ أُرِيقَـــا

---

١) ابو حسان: الرئيس شكري القوتلي

حَمَّلُوهُ ما لا يُطِيقُ وكانَتْ
بِدْعَةً تُخْجِلُ العُلَى أَنْ يُطِيقَا
دَعْكَ مِنْ زَحْمَةِ العَواصِفِ واتْرُكْ
للعُقابِ السماءَ والتَحْلِيقَا
خَلَقَ اللهُ لِلْعَظائِمِ والمَجْدِ
فَرِيقاً وللصِّغارِ فَرِيقَا
يا زَعِيمي عِنْدَ الدُعاءِ وَلَوْ شِئْتُ
لَنادَيْتُ في الزَعِيمِ الصدِيقَا
كَيْفَ تَغْفُو أَلَمْ تَرَ الشَامَ في
النَزْعِ وَتَشْهَدْ لِواءَها المَخْنُوقَا
مزِّقِ القَبْرَ فالشآمُ تُنادِيكَ
وَتَبْكِي مَكانَكَ المَرْمُوقَا
مزِّقِ القَبْرَ فالجَلاءُ يتِيمُ
بدَّدُوا إرْثَهُ وَغالُوا الحُقُوقَا
ألسرِيُّ العَرِيقُ هَانَ عَلَى
الدَهْرِ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ سرِيّاً عَرِيقَا

* * *

منْ رأى في السقامِ سَعْداً رَأى
الفَجْرِ ودِيعِ السنا وَسِيماً طَلِيقَا
يَتَنَزَّى ولا يُطِيقُ وثُوباً
حسْرَةَ الشَمْسِ لا تُطِيقُ الشُروقَا

سَألوا يَومَ سَبْقِهِ كَيفَ جلّى
مِنْ سَجاياهُ أنْ يَكُونَ سَبُوقا
رَاوَدَتْكَ الدُنْيا على الحُسْنِ
والجَاهِ فَكُنْتَ المُبَرَّأَ الصِدِّيقا
سَألَتْنِي عَنْكَ الخَمائِلُ في الغُوطَةِ
تَشْتاقُ عِطْرَكَ المَرمُوقَا
وَدُروبٌ خُضْرٌ عَلَيْها خُطَى
الشَاءِ تُعِيدُ التَغْرِيبَ والتَشْرِيقَا
وَظِلالٌ سَكْرَى وَفَوْضَى مِنَ الزَهْرِ
تَحَدَّى جَمَالُهَا التَنْسِيقَا
ما تَبرَّجْنَ للعُيونِ فَغَالِي
الحُسْنِ يَأبَى الإغْراءَ والتَشْوِيقَا
وَدَّتِ الوُرْقُ(١) لَوْ خَلَعْنَ مِنَ الحُزْنِ
عَلَيْكَ البَياض والتَطْوِيقَا

* * *

تَيَّمَتْ قَلْبَكَ الطَبِيعَةُ
بالحُسْنِ بَرِيئاً مُعَطَّراً مَوْثُوقَا
كَرَّمَ اللهُ دَنَّهَا والنَدامَى
وَصَبُوحاً على الهَوى وَغَبُوقَا

---

١) الحمائم

لِلنَّبِــــي الإِشْــراقُ مِـنْ حُسْنِهـا

السـمْـحِ وأَرْضَـى مِنْـهُ الخَفِـي الـدَقِيقَــا

حَمَلَــتْ قَــوْسَــهـا فَهَيَّــأْتُ قَلْبِـي

وَتَــرقَّبْـتُ سَهْمَهَــا الَمــرْشُــوقَــا

* * *

مُــرْ أُرنِّــحْ عِطْفَيْــكَ بالشِـعْرِ

مِـنْ عَيْنِـي وَقَلْبِــي مُنَمْنَمَــاً مَنْسُوقَـا

حَضَـرِيٌّ الخَيَــالِ إنْ ذُكِـر المَنْبِـتُ

سـمَّــى نَجْـداً وَسـمَّـى العَقِيقَــا

عِنْــدِي الــكَنْــزُ لا يَضِيــرُ غِنَــاهُ

أَنْ يَكُــونَ المَنْهُــوبَ والَمسْــرُوقَــا

وَكُـؤُوسٌ مِــنَ الســمَــاءِ تَشَهَّـــتْ

حُــورُ رِضْــوانَ عِطْــرَهَــا والـرحِيقَــا

عَـابَ كَأْسِي وَلَـمْ يَذُقْ عِطْـر كَأْسِي

لاَ تَعِبْهـا باللـهِ حَـتَّـى تَـذُوقَــا

يَـا صحِيحَ الإِخَـاءِ قَـدْ كُشِفَ النَاسُ

إِخَــــاءً مُـــمَـوَّهَــاً مَمْـذُوقَــا

أَتَمَـــنَّـى اللَّحــاقَ فِيــكَ وأَشْكُــو

لِلقَضَـــاءِ التَــأْخِيــر والتَعْــويــقَــا

* * *

يا وحشة الثـــأر !

قيلت في تتويج الملك فيصل الثاني

شَــادٍ علــى الأَيْـكِ غَــنَّـانَــا فَأَشْجَـانَـا
تبــارَكَ الشِـعْــرُ أَطْيــابــاً وَأَلْحَــانَــا
تَـرَنَّـحَ البَـانُ واخْضَــلَّــتْ شَمـائِلُـهُ
فَهَـلْ سَقَـى الشِعْـرُ مِنْ صَهْبَائِـهِ البَانَا
هَـلْ كُنْــتُ أَمْلِكُ لَـوْلاَ عِطْـرُ نِعْمَتِـهِ
قَلْبــاً علـى الـوَهَـجِ القُــدْسِي نَـدْيَـانَـا
أَيَطْمَــعُ الشِـعْــرُ بالإِحْســانِ يَغْمُــرُهُ
والشِـعْـرُ يَغْمُــرُ دُنْيـا اللــهِ إِحْسَــانَـا
لَـوْشَـاءَ عَــطَّـر هذا اللَّيْــلَ غَالِيـةً
وَنَضَّــر الـرَمْـلَ أَشْـواقَــاً وريحـانَــا
لَـوْ شَاءَ نَمْنَم هَذا النَجْم قَافِيةً
وَنَغَّــم الفَجْــر أَحْـلامـاً وَأَوْزَانَــا
لَـوْ شَــاءَ أَنْـزَلَ بَـدْرَ التِـمَّ فاحْتَفَلَــتْ
بِـهِ النَدامَــى سِــراجـاًفــي زَوايانَــا
وَلَـوْ سَقَــى الشَـمْـس مِنْ أَحْـزانِـهِ نَدِيَـتْ
عَـلى هَجيرِ الضُــحَــى حُبّـاً وَتَحْنَـانَا

* * *

تَضِيعُ في نَفْسِي الجُلىَّ وَقَدْ نَزلَتْ
مِنْ كِبْرِيائِي آفاقاً وأكْوانَا
وَمَا رَضِيتُ بِغيرِ اللهِ مُعْتَصَماً
وَلا رَأَيْتُ لغيرِ اللهِ سُلْطانَا
وَلا عَكَفْتُ بِقُرْبانِي عَلى صَنَمٍ
أَكرَمْتُ شِعْرِي لِنُورِ اللهِ قُرْبانَا
تَبَرَّجَتْ للشَذَى الأَعْلى مجامِرُنَا
وَزُيِّنَتْ لِلْهَوى الأَغْلَى خَفايَانَا
نَبْعٌ مِنَ النُورِ عَرَّانَا لِمَوْجَتِهِ
فَكَحَّلَ النُورُ أجْفاناً وَوِجْدَانَا
تَفَجَّر الحُسْنُ في دُنْيَا سرائِرِنَا
هَلْ عِنْدَ رَبِّكَ مِنْ دُنْيَا كَدُنيانَا
حَضَارَةُ الدَهْرِ طِيبٌ مِنْ خَلاعَتِنَا
وَجَنَّةُ اللهِ عِطْرٌ مِنْ خَطايَانَا
مِنَ الغِوايَةِ سَلْسَلْنَا هِدَايَتَنَا
فَكانَ أَرْشَدَنا للنور أَغْوانَا

* * *

يا وَحْشَةَ الكَوْنِ لَوْلا لَحْنُ سامِرِنَا
على النَدِي المُصفَّى مِنْ حُمَيَّانا
نُشارِكُ اللهَ - جَلَّ اللهُ - قُدْرَتَهُ
وَلا نَضِيقُ بها خَلْقاً وإتْقانَا

وَأَيـنَ إنسـانُهُ المَصْنُوعُ مِنْ حَمَـأ
مِمَّنْ خَلَقْناهُ أطْيابـاً وألْحانـا

وَلَوْ جلاَ حُسْنَهُ إنسانُ قُدْرَتِنَا
لَوَدَّ جِبْرِيلُ لَوْ صُغْنَاهُ إنْسانَا

وَلَوْ غَمَزْنَا نُجومَ اللَّيْلِ مُغْفِيَةً
أفاقَ أتْرَفُها حُسْناً وَغَنَّانَا

نَاجَى عَلى الطُورِ مُوسى والنِدامُ لنا
فَكَيْفَ أغْفَلَ مُوسى حِينَ نَاجَانا

إنْ آنَس النَارَ بالوادِي فَقَدْ شَهِدَتْ
عَيْنِي مِن اللَهَبِ القُدْسِيِّ نِيرانَا

نُطِلُّ مِنْ أُفُقِ الدُنْيا على غدِها
فَتَنْجَلِي الراسياتُ الشُمُّ كُثْبانَا

وَما دَهَتْنَا مِنَ الجَبَّارِ عَادِيَةٌ
إلاّ جَزَيْنا عَلَى الطُغْيانِ طُغْيَانا

أدِيمُ حَصْبائِنا دُرٌّ وَغَالِيَةٌ
ما أفْقَر النَاس للنُعْمَى وأغْنانَا

وَأيُّ نُعْمَى نُرَجِّيها لَدَى بَشَرٍ
واللهُ قَرَّبَنا مِنْهُ وأدْنَانَا

تَبْكِي السَمَاءُ وتَبْكِي حُورُها جَزَعاً
للحُسْنِ والشِعْرِ في الدُنْيا إذا هَانا

* * *

يـا خَالِـقَ القَلْـبِ : أَبْـدَعْنَـا صبـابَتَـهُ
يـا خَالِـقَ الحُسْـنِ أَبْـدَعْنـاهُ أَلْوانَـا
أَلْقَلْـبُ قَصْرُكَ زَيَّنَّـا عَـوارِيَـهُ
بـالحُسْـنِ حِينـاً وبـالإِحْسـانِ أَحْيـانَـا
أَلْعـاطِـلاتُ مِـنِ الأَبْهَـاءِ قَـدْ كُسِـيَتْ
شَـتَّـى اللُّبـانَـاتِ أَصْـنـامـاً وأَوْثـانَـا

قَلْـبٌ شَكَـا لِلْخَيـالِ السَمْـحِ وَحْشَتَـهُ
فَـراحَ يَغْمُـرُهُ نُعْمَـى وأَشْجَانَـا
يَا سَيِّـدَ القَصْـرِ لَوْلانـا لَمَـا عَرَفَـتْ
أَفْيـاؤُهُ الخُضْـرُ سُمَّـاراً وَنُدْمَانَـا
يُمَنِّـى السَـرابِ على الصـحْـراءِ حَانِيَـةٌ
تُضَـاحِـكُ الـرَكْـبَ واحـاتٍ وَغُدْرانَـا

قَـاعُ البِحـارِ أَضـاءَتْـهُ عرائِسُنَـا
وَنَـدَّتِ العَـدَمَ القَـاسِـي عَذَارانَـا
نُنَضِّـرُ البُـؤْس عِـنْـدَ البـائِسِيـنَ مُنَـىً
والعَـقْـلَ عاطِفَـةً والشَّـكْـلَ إِيمـانَا
وَكُلُّ ذَنْـبٍ سِـوَى الـطُغْيـانِ نُنْزِلُـهُ
علـى جَوانِحِنـا حُبّـاً وغُفْرَانَـا

وَهَـمٌّ كُـلٍّ عُفـاةِ الأَرْضِ نَحْمِلُـهُ
كأنَّنـا أَهْلُـهُ هَمّـاً وَجِرْمانَـا
نُشـارِكُ النـاس بلواهُـمْ وإنْ بعُـدوا
ولا نُشـارك أدنـاهُـم ببـلوانـا
ضَمَّـتْ مَحَبَّتُنـا الأَشْـتَـاتَ واتَّسَعَـتْ
تَحْنُـو على الـكَـوْنِ أَجْنـاسـاً وأَدْيانَـا
سُبْحَـانَ مَنْ أَبْـدَعَ الـدُنْيـا فَكَـانَ لَنَا
أَشْـهـى القَـوارِيـرِ مِنْ أَطْيـابِ سُبْحانَـا
سَتَنْـطـوِي الجَنَّـةُ النَشْـوى فَلا مَلَكـاً
وَلا نَعِيمـاً ولا حُـوراً وَوِلْدانَـا
يَفْنَـى الجَمِيـعُ وَيبْقَـى اللـهُ مُنْفَرِداً
فَـلا أَنِيـس لِنُـورِ اللـهِ لَوْلاَنـا
لَنـا كِلَيْنـا بَقـاءٌ لا انْتِهـاءَ لَـهُ
وَسـوْفَ يَشْـكُـو الخُلُـودَ المُرَّ أَبْقانَـا

* * *

تَأَنَّـقَ الشِـعْـرُ للأَعْيـادِ حَـالِيَـةً
وَقـطَّـفَ الـوَرْدَ مِـنْ عَـدْنٍ وَحَيَّانَـا
سَمْـحٌ فبالـريقَـةِ العَـذْراءِ نَادَمَنـا
نَهْـلاً وبالشَـفَـةِ اللَمْيـاءِ عَاطَانَـا
صـاغَ الهِـلاَلَ لِتـاجِ المُلْكِ لُؤْلُـؤَةً
وأَنْجُـم اللَيْـلِ يَاقُـوتـاً وَمَرْجانَـا

يا صَاحِبَ التَاجِ لا تاجِ العِراقِ عَلى
كَريمِ أَمجْادِهِ بَلْ تَاجِ عَدْنَانَا

جِبْريلُ حَوَّطَهُ باللهِ فانْسَكَبَتْ
عُطورُ جِبْريلَ أَوْراداً وَقُرْآنَا

لَكَ الكُنوزُ فُتوحاتٍ مُنَضَّرَةً
فاغْمُرْ مِنَ الفَتْحِ يُمْنانَا وَيُسْرَانَا

سُدْتَ الغَطارِيفَ فِتْياناً وَسادَهُمُ
أَبُوكَ في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فِتْيانَا

تَبارَكَ اللهُ ما أَسْمى شَمائِلَكُمْ
لَكُمْ زَعامَةُ دُنْيانَا وأُخْرانَا

فَتَحْتُ عَيْنِي عَلى حُبٍّ صَفَا وَزَكَا
فَصُنْتُهُ لِضِياءِ العَيْنِ إِنْسانَا

وَفي ظِلالِ أَبِي غَازِي مُنَضَّرَةً
مَر الشَبابُ مُرورَ الطَيْفِ عَجْلانَا

نُعْمَى لِصَقْرِ قُرَيْشٍ طَوَّقَتْ عُنُقِي
فَكَيْفَ أُوسِعُ نُعْمَى اللهِ نُكْرانَا

وَحِينَ شَرَّدَنَا الطاغِي وأَرْخَصَنا
حَنَا العِراقُ فَآوَانا وأَغْلانَا

وَمَنْ تَفَيَّأَ نَعْماءَ العِراقِ رَأى
بِالأَهْلِ أَهْلاً وَبالجِيْرانِ جِيرانَا

إذَا العَـواصِفُ جُنَّـتْ فيـهِ هَدْهَدَهَـا
عَبْـدُ الإلـهِ وأرْسـى المُلْكَ أرْكَانَـا
نُعْمَـى الوَصِـي كَنُعْمَـى جَدِّهِ حَلِيَـتْ
عَلـى ضُحَـى النُـورِ أفْيـاءً وَأفْنانَـا
* * *
يا صاحِـبَ التـاجِ دُنْيَـا اللـهِ ما عَرَفَـتْ
إلاّ عَمائِمَـكُـمْ في الشَـرْقِ تِيجانَـا
لَمْ يَقْبَـلِ اللـهُ إلاّ فـي مَحَبَّتِكُـمْ
يا آلَ فاطِـم إسْـلامـاً وإيمانَـا
غَنَّيْـتُ جَـدَّكَ أشْـعـارِي وَنُحْـتُ بِهَا
في مَصْـرعِ الشَـمْـسِ إعْـوالاً وَإرْنانَا[1]
أصْـفَيْـتُ آلَ رَسُـولِ اللـهِ عاطِفَتـي
وَكُنْـتُ شـاعِـرَكُمْ نُعْمَـى وَأحْزَانَـا
وَمـا رَضِيـتُ جَـزاءً فـي مَوَدَّتِكُـمْ
لا يَعْـدَمُ الحُـرُّ أقْـواتـاً وأكفانَـا
* * *
أيُكْـرِمُ العِيـدُ شَكْوانـا فَقَـدْ نَزَلَـتْ
عَلَيْـكَ يا ابْـنَ رَسُـولِ اللـهِ شَكْـوانَـا
نَدَّى شَمائِلَنـا بالـذِكْرَيـاتِ كَمَـا
نَـدَّى الخَيـالُ بِنُعْمَـى المَـاءِ ظَمـآنَـا

١) في تأبين الملك غازي

يَرُوعُنِي العِيدُ دَيَّاناً لأُمَّتِهِ
مَنْ أغْضَبَ العِيدَ حَتَّى صارَ دَيَّانَا
تَغَرَّبَ العِيدُ في قَوْمِي وأنْكَرَهُمْ
عَلَى المَيَادِينِ أحْراراً وَعُبْدَانا

مالِي أرى الشُمَّ في لُبْنانَ مُغْضِيةً
تَطامَنَتْ للرَزَايا شُمُّ لُبْنانَا
لا صِيدُ غَسَّانَ والهَيْجَاءُ ضارِيَةٌ
على السُروجِ ولا أقْيالُ مَرْوانَا

وَأُكرِمُ العِيدَ عنْ عَتْبٍ هَمَمْتُ بِهِ
لو شِئْتُ أوْسَعْتُهُ جهراً وَتبْيانَا
قَدِ اسْتَرَدَّ السَبايا كُلُّ مُنْهَزِمٍ
لَمْ تَبْقَ في رِقِّها إلاَّ سَبايَانَا

دَمٌ بِتُونس لَمْ يُثْأرْ لَهُ وَدَمٌ
بالقُدْسِ - هانَ على الأيَّامِ - لا هَانَا
وما لَمَحْتُ سِياطَ الظُلْمِ دامِيَةً
الا عَرَفْتُ عليها لحم أسرانا

ولا نموتُ على حدِّ الظُبَى أنَفاً
حَتَّى لَقَدْ خَجِلَتْ مِنَّا مَنايَانَا
لَوْ يَعْلَمُ البَدْرُ في شَعْبانَ مِحْنَتَنا
لَمَا أطَلَّ حَياءً بَدْرُ شَعْبَانَا

لَـوْ كَـانَ يَعْلَـمُ قَتْـلانَـا بَكَـتْ مِـزَقٌ
عَلَـى الصَـحَـاصِـحِ مِـنْ أَشْـلاءِ قَتْلانَـا

تَهَلْهَلَـتْ أُمَّتِـي حَتَّـى غَدَتْ أُمَمَـاً
وَزُوِّرَ الـوَطَـنُ المَسْـلـوبُ أَوْطَانَـا

وَقَـدْ عَرَفْـتُ الـرَزايـا وَهْـي مُنْجبَـةٌ
فَـكَيْـفَ لَـمْ تَلِـدِ الجُلَّـى رَزايَانَـا

كَفَـرْتُ بالحَسَـبِ السَـامِي إِلَـى مُضَـرٍ
اَسْـتَغْفِـرُ المجْـدَ إِنْـكـاراً وَكُفرانَـا

تُطْـوَى القُبـورُ على المَوْتـى فَتَسْتُرُهُـمْ
وَفـي القُصـورِ وفـي السُلْـطـانِ مَوْتَانَـا

دَعُـوا الجِـراحَ لِوَهْـجِ النَـار سَافِـرَةً
فالجُـرْحُ يَقْتُـلُ إِنْـكـاراً وَكتمـانَـا

ذَلَّ الـدَهَـاءُ أَكـاذِيبـاً مُزَوَّقَـةً
فَـكانَ أَكْذَبَنـا بالقَـوْلِ أَدْهَانَـا

ثَاراتُ يَعْـرُبَ ظَمْـأَى فـي مَصارِعِهَـا
تَجَـاوَزَتْهَـا سُقَـاةُ الحَـي نِسْيانَـا

يا وَحْشَـةَ الثَـأْرِ لَمْ يَنْهَـدْ لَـهُ أَحَدٌ
فاسْـتَنْجَـدَ الثَـأْرُ أَجْداثـاً وأَكْفَانَـا

أَفْـدِي شَمائِـلَ قَوْمِـي ثَوْرَةً ولَظًـى
وعاصِـفـاً زَحَـم الـدُنْيَـا وَبُرْكانَـا

مَـنْ أطفَــأ الجُــذْوَةَ الكُبْــرى بأنْفُسِنَـا
أدَهْــرُنَــا حَــالَ أمْ حَالَـتْ سَجايَانَــا
هِـــي الــكُؤوسُ ولَــكِــنْ أيْــنَ نَشْوَتُنَــا
وَهْـــي الحُــروفُ وَلَــكِــنْ أيْــنَ مَعْنَانَــا

* * *

ما للــرِمــالِ الصَــوادِي لا نَبــاتَ بِهَــا
وَتُنْبِــتُ المَجْـدَ هِنْـدِيّــاً ومُرَّانَــا
عَبَــدْتُ فِيهــا إلَــهَ الشَــمْــسِ مُنْتَقِمــاً
مُعَــذِّبــاً وإلَــهَ اللَّيْــلِ رَحْمَانَــا
ألليْــلُ يَخْلُــقُ فِيهــا الحُــورَ مُتْرَفَــةً
وَتَخْلُــقُ الشَــمْــسُ جِنَّــانــاً وغِيلانَــا
عَلَــى الــرِمــالِ طُيــوفٌ مِــنْ كَتائِبِنــا
نَشْــوى الفُتــوحِ ونَفْــحٌ مِــنْ سرَايانَــا
لابْــنِ الــوَلِيــدِ على كُثْبــانِهــا عَبَــقٌ
سَــقَــى الهَجِيــرِ مِنَ الــذِكْــرى فَنَدَّانَــا
وَفِــي النَسيمِ عَلَــى الصَــحْــراءِ نَرْشُفُــهُ
طِيــبُ المُثَــنَّــى علــى رايَاتِ شَيْبانَا

* * *

يا فَيْصــلاً فــي يَمــينِ اللــه تَحْسُــدُهُ
بِيــضُ الــظُبَــى هاشِــمــي الفَتْــحِ رَيَّانَــا

يا فَيْصَلاً في يَمينِ اللهِ مُنْسَكِباً
كَجَدِّهِ المُرْتَضى يُمْناً وإيمانَا
يا فَيْصلاً وَحَنَتْ في الخُلْدِ فاطِمَةٌ
تَوَدُّ لَوْ قَبَّلَتْ خَدّاً وأجْفانَا
يَا فَيْصَلاً وانْتَخَتْ كِبْراً صَوارِمُنَا
وَزَغْرَدَتْ باسْمِكَ الحَالِي صَبايَانَا
يا فَيْصَلاً وَرَنا نَجْمٌ لِصاحِبِهِ
يَقُولُ فَيْصَلُ أحْلانا وأسْمانَا
كَتائِبُ اللهِ مِنْ فِهْرٍ وإخْوَتِهِ
فَعَطِّرِ المَجْدَ مَيْدَاناً فَمَيْدانَا
لِواءُ عَدْنانَ أنْتَ اليَوْمَ صاحِبُهُ
فاقْحَمْ بِهِ الشَرْقَ هَذا الشَرْقُ دُنْيانَا
ما فِي العِراقِ ولا في الشَامِ مَوْعِدُنَا
عَلى الثَنِيَّةِ مِنْ حِطِّينَ لُقْيانَا

* * *

١٩٥٣

جمرة الدنيا

مهداة الى الرئيس شكري القوتلي

عَهْـدٌ عَلَيْـهِ مـن الضَـحـايا رَوْنَقُ
أَلْحَـقُّ مِـنْ لَبِنَـاتِـهِ والمَنْطِـقُ
بَنَـتِ الـدُمـوعُ بِـهِ فَمَـكَّـنَ صـرْحَـهُ
جُـرْحٌ يَنِـزُّ وَعَبْـرَةٌ تَتَـرقْـرَقُ
وَدَمٌ سَقَـى ظَمَـأَ الصَـبـاحِ فَفَجْرُهُ
ثَمِـلٌ وَمَشْـرِقُـهُ نَـدِيٌّ مُشْـرِقُ
وَزَكـا فَعِنْـدَ الغُـوطَتَيْـنِ تَحِيَّـةٌ
مِنْـهُ تَـمُـرُّ على الصُـخُـورِ فَتُـورِقُ
مِـنْ خَالِـدٍ أَوْ مِنْ عُهـودِ أُمَيَّـةٍ
مـا انْفَـكَّ يَزْكـو بـالشَـآمِ وَيَعْبَـقُ
وَحَلَـفْـتُ قَـدْ كَتَـبَ البَقـاءَ لَهَـا دَمٌ
قَـانٍ وَعَهْـدٌ للحَلِيـفِ وَمَوْثِـقُ

* * *

رَافَقْتَهـا مِـنْ أَرْبَعِـينَ تَصُـونُـها
وَتَـرُدُّ عَنْهـا النـازِلاتِ وَتُشْفِـقُ
تُفْنِـي شَبـابَـكَ فـي الشَـآمِ وَحُبِّهَـا
وشَـبـابُهـا فِـي جِـدَّةٍ لا تَخْلُـقُ

غَسَّانُ جُنَّ بِها وَهَامَ أُمَيَّةٌ
وَهَفا إِلَيْها الهاشِمِيُّ المُعْرِقُ
لَمْ يُنْصِفُوا لَمَّا شَكَوْا نَزَواتِها
هِيَ جَمْرَةُ الدُنْيا تُضِيءُ وَتُحْرِقُ
تَبْغِي المَزِيدَ مِن الصبابَةِ والهَوى
وَتُلِحُّ لا تَحْنُو ولا تَتَرَفَّقُ
فَاعْذُرْ إذا مَلَكَتْ هَوَاكَ فإِنَّها
وَأَبِيكَ أَمْلَحُ مَنْ يُحَبُّ وَيُعْشَقُ

* * *

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الرَئِيس قَصِيدة
تَحْمِي الثُغورَ فَكُلُّ بَيْتٍ فَيْلَقُ
وأَنَا الذي غَنَّى الشَآمَ فَهَزَّهَا
مِنْهُ البَيانُ العَبْقَرِيُّ المُونِقُ
دَلَّلْتُ مِحْنَتَها بِسِحْرِ قَصائِدِي
أَيَّامَ يسْتَخْذِي الكَمِيُّ فَيُطْرِقُ
وَجَبَهْتُ بالحَقِّ العَنِيفِ عَدُوَّهَا
وَعَدُوُّهَا ثَمِلُ الضَغائِنِ أَخْرَقُ
أَلْقَى الأَذَى فِيها وأَطْرَبُ للأَذَى
فَمُشَرَّدٌ حِيناً وحِيناً مُوثَقُ

* * *

رَنَتِ العُيونُ الى جَلالِكَ خُشَّعاً
والبَدْرُ يُلْثَمُ في العُيونِ ويُرْمَقُ
حَوَّطْتَهُ باسْمِ النَبِيِّ وآلِهِ
مِمَّنْ يَفِيءُ الى الظَلامِ وَيَرْشُقُ
في مَوْكِبٍ تَتَدَفَّقُ الذِكْرى بِهِ
والخَيْلُ في جَنَباتِهِ تَتَدَفَّقُ
مَرْوانُ آبَ الى الحِمى فَتَزَيَّنَتْ
لِلِقائِهِ بَعْدَ القَطيعَةِ جِلَّقُ
وَكَأَنَّ فَتْحاً مِنْ فُتوحِ أُمَيَّةٍ
حَمَلَتْ بشائِرَهُ الجِيادُ السُبَّقُ

* * *

ذاكَ البِناءُ تَكامَلَتْ أَجْزاؤُهُ
إلاَّ طَرائِفَ في يدَيْكَ تُنَسَّقُ
وَيَزِيدُ في حُسْنِ القُصورِ وسِحْرِهَا
فَنٌّ يَرِفُّ إِطَارَهَا وَيُزَوِّقُ
إِنْ تَعْيَ بالزَمَنِ الطَويلِ فَرُبَّما
صحِبَ الأَنَاةَ الصانِعُ المُتَأَنِّقُ
وأُعِيذُ عَهْدَكَ أَنْ يُقَرِّبَ خائِنٌ
فِيهِ وَيَظْفَرَ بالرِضى مُتَمَلِّقُ
إِنَّ الأُلَى مَحَضُوكَ صَفْوَ ولائِهِمْ
غَيْرُ الأُلَى مَحَضُوهُ وَهْوَ مُرَنَّقُ

مَـنْ عَرَفْـتَ بـــلاءَهُ وَوفَــاءَهُ
أهْـوىَ فَــأُسْــرِفُ فــي هَواي وَأصْـدُقُ

* * *

تحية فيصل الصغير[1]

رَمَقَتْــكَ العُيــونُ حُبّــاً وَوَجْــدَا
وَفَتَحْنَــا قُلــوبَنَــا لَــكَ مَهْــدَا
رَنَــواتٌ مِــنْ مُقْلَتَيْــكَ الــى الصَحْــراءِ
رَفَّــتْ بِهــا عُطــوراً وَوَرْدَا
نَــوَّرتْ ضِحْــكــةُ الــطُفــولَــةِ والمُلْــكِ
بــأحْلَــى مِــنَ النَعيــمِ وأنْــدَى

* * *

ضَجَّــتِ البِيــدُ بالسُــؤَالِ فَنَجْــدُ
مِــنْ ذُراهــا العَــذْراءِ يَسْــأَلُ نَجْــدَا
لِمَــنِ الــرَكْــبُ كالنُبُــوَّةِ عِطْــراً
وَكَنُعمــائِهــا فُتــوحــاً ورُشْــدَا
بُورِكَ الــطِفْــلُ يُعْشِــبُ الــرَمْــلُ يُمْنــاً
وَيَضــوعُ الهَجِيــرُ ظِــلاًّ وبَــرْدَا
نَفْحَــةُ المُلْــكِ والنُبُــوَّةِ والفَتْــحِ
فَمَــنْ ساقَهــا إلَيْنــا وأهْــدَى

* * *

١) لمناسبة زيارته دمشق سنة ١٩٣٩

مَوكِبٌ مَر فالرمالُ عُيُون
تَنْسُبُ القادِمينَ خالاً وجَدًّا
واذا مُشْرِفٌ مِنَ الرمْلِ عالٍ
شَهِدَ الفاتحِين جُنْداً فَجُنْدا
مَرَّ في جَفْنِهِ سَنا المَلِكِ الطِفْلِ
فَثَنَّى بِلَمْحَةٍ واسْتَرَدَّا
عَرَفَ الأصَيْدَ المُتَوَّجَ نُوراً
مِنْ أَبِيهِ الهَادي وَفَرْقاً وخَدًّا
فَدَوَتْ في الظَلامِ زَغْرَدَةُ البُشْرَى
تَجُوبُ الصحْراءَ قُرْباً وبُعْدَا
وأفاقَ الغُزَاةُ فالفارِسُ المُعْلَمُ
يَبْلُو سَيْفاً ويَمْسحُ غِمْدا
وَحَنا عالَمٌ مِنَ الفَتْحِ والذِكْرى
عَلى فَيْصَلٍ وَحَيَّا وحَدَّى

* * *

يا بُناةَ الحُدودِ لا تَعْرِفُ الصَحْراءُ
في زَحْمَةِ الأعاصِيرِ حَدًّا
لا تُغَرُّوا فإنَّ في النَفْسِ كِبْراً
يَتَنَزَّى وإنَّ في الصدْرِ حِقْدَا
وسجَايا الرِمالِ فينا فَما
يُرْقَبُ إلاَّ طُغْيانُها حين تَهْدا

الـرِمـالُ السمـراءُ ظَمْأى الـى
المـاء وتَسْـقِي الـدُنْيـا إبـاءً ومَجْـدَا

* * *

مَلِـكَ الشـامِ لاَ أُداري عَـدُوّاً
جَمَعَـتْ كَفُّـهُ الحُتـوفَ فَشَـدَّا
زَيِّـنِ القَصْـرِ قَصْـر جَدِّكَ واطْلَـعْ
فـي الـرِحـابِ الـزَهْـراءِ يُمْنـاً وسَعْـدَا
وَأْذَنِ الشِـعْـر يَسْكُـبِ العِـطْـر فـي
القَصْـرِ وَفـاءً وكبـريـاءً وحَمْـدَا
زَغْـرَدَتْ باسْـمِـكَ النـدِي العَـذارى
فَجَـرى فـي الشِـفـاهِ خَمْـراً وشَهْـدَا
هاشِـمٌ والعَـزيزُ مِـنْ عَبْـدِ شَمْـسٍ
هَيَّـآ حُلْـم فَيْصـلٍ وأَعَـدَّا

* * *

كافور

كَافُورُ قَدْ جُنَّ الزَمَانُ وإِلَيْكَ آلَ الصَوْلَجَانُ
خَجِلَ السرِيرُ مِنَ الدَّعِي وَكَادَ يَبْكِي الأُرْجُوانُ
أَيْنَ الأَهِلَّةُ والكَواكِبُ والشَوامِخُ والرِعَانُ ؟
الهَاشِمِيونَ انْطَوَوْا وأُمَيَّةُ كَانُوا فَبَانُوا
كَافُورُ جَمِّعْ حَوْلَ عَرْ شِكَ كُلَّ مَنْ حَقَدُوْا وهَانُوا
مَجْدُ البَغِيِّ تَعَافُ بَهْرَجَهُ المُخَدَّرَةُ الْرَزَانْ
حَرِّكْ دُمَاكَ فَإِنْ أردتَ قَسَوْا وإِنْ آثَرْتَ لاَنُوا
الخَاضِعُونَ لِماَ تَشَاءُ وَمَا دَرَوْهُ وَمَا اسْتَبَانُوا
النَاعمونَ عَلى اليَهُودِ عَلى رَعِيَّتِكَ الخِشَانُ
لِلْعَفِّ تَخْوِينٌ بِدَوْلَتِهِمْ وَلِلِصِ ائْتِمَانُ

* * *

أَشْبَعْتَ بِالخُطَبِ الجِيَاعَ فَكُلُّ هَادِرَةٍ خِوَانُ
حَفَلَ السِمَاطُ وَمِنْ فَرَائِدِكَ المَوائِدُ والجِفَانُ
خُطَبُ الرئيسِ هِيَ الكَرَامَةُ والعُلَى وَهْيَ الضَمَانُ
هِي لِلْجِياعِ الطَيِبَاتُ وَلِلْعُراةِ الطَيْلَسَانُ
هِي لِلْعُفَاةِ النَازِحِينَ لُبَانَةٌ وَهَوىً وَحَانُ
خُطَبٌ مُصَبَّغَةٌ وَتُعْرَفُ مِنْ مَبَاذِلِهَا القِيَانُ
مِنْ كُلِّ عَاهِرَةٍ وَتَحْلِفُ أَنَّهَا الخَوْدُ الحَصَانُ
إِلْحَنْ وَكَرِّرْ مَا تَشَاءُ فَإِنَّهَا الخُطَبُ الحِسَانُ

وَإذا رَطَنْــتَ فَـإنَّهـا عَـرْبَــاءُ خَالِصَــةٌ هِجَــانُ[1]
كَـافُــورُ قَـدْ عَنَـتِ الــوُجُـوهُ فَكَيْـفَ لا يَعْنُـو البَيَانُ ؟

* * *

الفِــكْــرُ مِـنْ صرْعَــى هَـواكَ ومِــنْ ضَحَــايَاكَ الحَنَـانُ
يُغْنِـي الشَـآمَ عَـنِ الكَرَامَــةِ والنعِيــمِ المِهْـرجَانُ
حُشِـدَتْ لِطَلْعَتِـكَ الجُمُـوعُ فَهَـوَّنَ الخَبَـرَ العِيَانُ
هَتَـفُــوا فَبَيْــنَ شِفَـاهِهِــمْ وَقُلُــوبِهِـمْ حَــرْبٌ عَــوَانُ
غَــرْثَـى وَيَتْخَـمُ مِـنْ لُحُـومِ الأَبْـرِيَاءِ الخَيْـزُرَانُ
عَضَّـتْ ظُهُــورَهُـمُ السِيـاطُ فَكُــلُّ سَـوْطٍ أُفْعُـوَانُ
الـراكِعُــونَ السَــاجِـدُونَ عَنَــوْا لِـوجْهِــكَ واسْتَكَـانُـوا
الجَــائِعُـونَ وَزَرْعُهُــمْ لَــكَ والمنَـاهِــلُ والجِنَـانُ
القَـاطِفُـونَ كُـرومَهُــمْ وَلَـكَ السُـلافَـةُ والدِنَـانُ
الحَــاضِــنُــونَ شَقَــاءَهُـمْ وَلَـكَ المَتَـارِفُ واللَّيَــانُ
الــظَــامئــونَ ويـومُهُـمْ شَـرِسُ الهَـوَاجِــرِ إضْحِيَــانُ
المَـالِـكـُــونَ قُبُـورَهُـمْ لَـمَّـا عَصَــفْـتَ بِهِم فَحَـانُـوا
لَكَ عُذْرَةُ العُــرْسِ الحـزيـنِ فَمَـا تُعَـزُ ولا تُصَــانُ
وَلَـكَ الــظِـلالُ فَبَعْـضُ جُـودِكَ أَنْ يُفَيِّئَهُــمْ مكَــانُ
وَدِمَــاؤهــم لَـكَ والبَنُـونَ فمـا الأبَـاطِــحُ والرِعَــانُ
ولَـكَ العِبَــادَةُ لا لِغَيْـرِكَ والتشَــهُّــدُ والأذان
كَـافُـورُ أَنْــتَ خَلَقْتَهُــمْ كُـونـوا ـ هَتَفْــتَ بِهِـمْ ـ فكَـانـوا

(١) الهجان الكريمة الخالصة

كافــورُ مِــنْ بَعْضِ الإمــاءِ زُبَيْــدَةٌ والخَيْـــزُرانُ
مَـــرْوَانُ عَبْدٌ مِـنْ عَبيــدِكَ لاَ يُـزَانُ وَلاَ يُشَــانُ
لِلسَّـــوْطِ جَبْهَتُــهُ إذا اسْــتَعْلَــى وَلِلْقَيْــدِ البَنَــانُ
يـا مُكْـرِمِ الغُــرباءِ والعَــربـيُ مُـحْتَقَــرٌ مُهَــانُ
تـاريـخُ قَــوْمِـي فـي يَدَيْـكَ يُــدَانُ حَسْـبُـكَ مـا يُـدَانُ
زَوَّرْتَــهُ وسـطــا على الأَقْــدَاسِ أَرْعَــنُ أُلْعُبَـانُ
مـا عَـفَّ فـي الموتـى هَـوَاهُ ولا الضَـميـرُ ولا اللِّســـانُ
يَــا عَبْقَــرِي الــظُّلْــمِ فيــهِ لــكَ ابْتِـدَاعٌ وافْتِنَــانُ

* * *

نَحْــنُ العَبِيْــدُ فَــلاَ تُحَــرِّكَنَــا الضَــغِينَــةُ واللِعَـــانُ
لاَ الْفَقْــرُ يُلْهِـبُ فــي جَـوَانِحِنــا الإبــاءَ ولا الهَــوانُ
فـاسْــجُــنْ وَعَــذِّبْ واســتَبِــحْ حُرُمـاتِنـا وَلَكَ الأَمـــانُ
هَمَـــدَتْ حَمِيَّتُنَـــا عـلى الجُـلىَّ ومــــاتَ العُنْفُـــوانُ
مِــنْ رِق فَتْحِــكَ حــازَنَـا سَيْـفٌ وأَخْــرزَنا سِنَــانُ
والـذُلُّ أطْيــابُ العبيــدِ فمــا البَخُــورُ ومـا اللُّبَــانُ
والــظُــلْـمُ مِـنْ طَبْـعِ الجَبَــانِ وكـلُ طاغيـةٍ جَبـانُ

* * *

يـا أيهـا الصــنَـمُ المُدِلُّ فَمـا مَنـاةُ ومـا المَدَانُ
إنْ الَّـهُــوكَ فَــرُبَّمـا فَضَــح الأُلــوهَـةَ ثَعْلَبَــانُ

* * *

بأبــي السُــهــولُ جَمَــالُهـا كَــرَمٌ وَنِعْمَتُهـا اخْتِــزَانُ

المُـذْهَبَـاتُ كَمَـا تَمُـوج فـي الضِّيَـاءِ الزَّعْفَـرَانُ
عَهْـدِي بِهـا أُخْـتَ الـربيـعِ وللمُهُـورِ بِهَـا إرَانُ
تِلْـكَ المُـروجُ شَـذاً وافيَـاءٌ وسـاجِعَـةٌ وَبَـانُ
وَسـنَـابِـلٌ لِلْـطَيْـرِ يَنْقُـدُهَـا فَيَنْفَـرِطُ الجُمَـانُ
وَثُغَـاءُ ماشِيةٍ وَيَصْهِـلُ فِـي مراعِيـهَا حِصَانُ
لاَ خِصْـبُهَـا غِـبٌّ وَلاَ سُقْيَـا غَمـامَتِها دِهَـانُ
زَهْـراءُ تُجْـدِبُ كُـلُ أَرْضٍ وَهْـي مُخْصِـبَةٌ عَـوَانُ
وَشْـيُ الغَمَـامِ فَمَاَ الطَنَـافِسُ والحَـرِيـرُ وأَصْفَهَـانُ
سَلِمَـتْ جُبَـاتُـكَ قُطْنُـنـا عَـافٍ وَحِنْـطَتُنَـا زُوَانُ
جُعْنَـا وَيَسْـلَـمُ لـلإذَاعَـةِ هَيْلُـهَـا وَالهَيْلَمَـانُ
سَلِمَـتْ جُبَـاتُـكَ لاَ الخِمـاصُ مِـنَ الشِيـاهِ ولاَ السِمـانُ
أَغْـلى من الفَـرسِ الجَـوادِ - وَلاَ شَمَـاتَ بِـهِ - العِنَانُ
لاَ الـزَرْعُ يَضْـحَـكُ فِي المُروجِ وَلاَ يَضُـوعُ الأُقْحُـوَانُ
خُـرْسُ البَـلابِـلِ والجَـدَاوِلِ دُلَّـهُ الشَـكْوَى حِـزَانُ

* * *

الضـارِعَـاتُ إلـى السـمـاءِ وَلاَ تُجَـابُ وَلاَ تُعَـانُ
كالأُمَهَـاتِ الثَـاكِـلاَتِ فَعَـزَّ شَـمٌ واحْتِضَـانُ
وَأَدَ الهَجيـرُ بَنَـاتِهِـنَّ فَكُـلُ رَوْضٍ صحْصَحَـانُ
بَيْـن السَـمـاءِ وَبَيْنَهَـا ثَـدْيُ الأُمُـومـةِ واللِبَـانُ
نَسِيـتْ أُمـومَتَـهـا السـمَـاءُ فَمَـا يُلِـمُّ بِهـا حَنَانُ

* * *

أَمُمَــزِّقٌ الأَرْحَـامِ لاَ يُبْنَـى عَلَـى الحِقْـدِ الكِيَــانُ
غَــرِّبْ وَشَــرِّقْ فِـي هَـواكَ وَخُـنْ فَمِثْلُهُـم يُخَـانُ
واغْـزُ الـكَواكِـبَ بالغُـرورِ فَـأَنْـتَ مَنْصُــورٌ مُعَــانُ
بالخُــطْبَـةِ العَصْـمَـاءِ تُقْتَحَـمُ المَعَــاقِـلُ والقِنَــانُ
والشَتْـمُ مِـنْ آلاتِ نَصْـرِكَ لاَ الضِـرَابُ وَلاَ الطِعَــانُ
وَلَـكَ الفُتُــوحُ المُعْلَمَــاتُ وَمِـنْ بَشَـائِـرِهَـا عُمَــانُ
كَـافُـورُ طَاغِيـةٌ وَفِـي بَعْضِ المَشَـاهِـدِ بَهْلَـوَانُ
مَــنْ أَنْـتَ فِـي الحَلَبَــاتِ تَقْحَمُهَــا إِذَا احْتَـدَمَ الـرِهَـانُ
فَضَــحَ الهَجِيــنَ بِشَـوْطِـهِ لُـؤْمُ المنـابِـتِ والجِـرَانُ
مَــنْ أَنْــتَ ؟ عَــاصِـفَــةٌ وَتَذْهَــبُ مِثْلَمَـا انْقَشَـعَ الـدُخَـانُ
مَـنْ أَنْــتَ ؟ لاَ المَجْـدُ الأَصِيـلُ وَلاَ شَمَائِلُـهُ اللِّـدانُ
لاَ العَبْـقَـرِيَـةُ فِيكَ مُشْرِقَـةٌ وَلاَ الـخُـلُـقُ الحُسَــانُ
لاَ الفِــكْــرُ مُــؤْتَنِـفٌ العُــطُـورِ وَلا البَيَـانُ وَلاَ الجَنَــانُ
لاَ الســرُّ عَنْــدكَ أَرْيَحِــيٌّ المَـكْرُمَــاتِ وَلاَ العِــلاَنُ
مَــنْ أَنْــتَ ؟ إِنْ ذُكِـر العِظَــامُ وَرَنَّــحَ الـدُنْيَـا افْتِنـانُ
مــنْ أَنْــتَ ؟.. لَـوْلاَ صَـوْلَـةُ الـطُغْيَـانِ أَنْـتَ إِذَنْ فُــلاَنُ

* * *

كَافُـورُ عَـرْشُـكَ لِلْفَنَـاءِ وَرُبَّمَـا آنَ الأَوانُ
الخَــالِـدَانِ ـ وَلاَ أُعُــدُ الشَــمْس ـ شِعْــرِي والـزَمَــانُ

* * *

فرعون

يـا نَجْـدُ جَنَّـاتٌ وبيـدٌ بِكلَيْهمـا سَكِـر النشيـدُ
ألـرملةُ الـظمـأى حنيـنُ الشـوقِ والـرَوْضُ المجُـودُ
أرجَـتْ صبـاكِ يجُيدُ ـ حين يَشـمُّها ـ منْ لا يجُيـدُ
وعـرائـسُ الأحـلامِ نُعْمـانُ الجزيـرةِ والنُفُـودُ
وقـوافِـلٌ بمتَـاهَـةٍ ، ألنَجْـمُ قـائـدُهـا الـوحيدُ
وهـوادِجٌ لحِمـى السيـوف وحَـوْلهَـا العَـددُ العـديدُ
رنَّ الحلِـيُّ بهـا وجَـرْجَـر فـي مبـاركـهِ قَعُـودُ
ألجُهْـدُ هَـدَّ قَلُوصـهـا بـالـرَمْـلِ والمرْعَـى الجَهيـدُ
والشيـحُ قـاطَعَـهُ النسيـمُ فَـلاَ يميـلُ ولا يميـدُ
وأشِـعَّـةٌ كالنـارِ. تِبْـرٌ، مـا لِسـائِلِـهِ جمُـودُ
ثَـم الضُـحـى فـاذا عَيَـوْا فَبِـظِـلٍ عيسـهِـمُ الرُقـودُ
حتَّـى إذا أخْـفـى الضيـاءَ غـدائِـرُ لِلَيْـل سُـودُ
فالبَـدْرُ والحـادي وخَـطْـوٌ بَيْـنَ سِحْـرِهمـا وَئِيـدُ
وعلـى الـربـي النيـرانُ عَطِّـر وَهْجَهـا غـارٌ وعُـودُ
هِـي والصـبـاحُ لـه عمـودٌ ضـاحِـكٌ ولهـا عَمُودُ
وصـهيـلُ أفـراسٍ وراغِيـةٌ واضْيـافٌ وَجـودُ
ونُسَيْمَـةٌ هَفَهـافَـةٌ ثم المنـاهِـلُ والـورُودُ
ومُـدَلهَّـانِ نَـأَتْ ديـارُهُمـا ومـا نأتِ الكبُـودُ
حَـمَلَـتْ حنينَهُـما الصبـا بِـأَبـي الـرِسـالـةُ والبَـريـدُ

رَضْوى خَيالُ قصائدي وطيوفُ أجْفاني زَرُودُ
أنا مِلْكُ إلهامي فلا أُبدي هُناكَ ولا أُعيدُ
ما رُحْتُ أَحْكُمُ بالقصيدِ وراح يحكمني القَصِيدُ
إنْ شاءَ تَم لنا اللقاءُ وإنْ يشَأْ كُتِب الصُدودُ
والأمْرُ ما يختارُهُ هُو سَيِّدٌ وأنا المَسُودُ
وأريدُهُ فيفوتُني ويزورُ ساعَةَ لا أُريدُ
سِري واجْهَلُ كُنْهَهُ فقديمُ صُحْبَتِنا جديدُ
والروحُ أقْربُ ما إليْكَ وغَيْبُها الداني البَعيدُ

* * *

ألشِعْرُ أنْغامٌ مُعْطَرَةٌ ولُؤْلؤةٌ وجيدُ
فِيهِ الهوى والأريحيةُ والسُلافَةُ والمَزيدُ
فَرحٌ مُقيمٌ في سرَائِرِنا وقافِيةٌ شَرودُ
أوزانُهُ عقد الحرير على العرائس لا القُيودُ
الصائناتُ لـه كما صينَتْ بِعِفَّتِها النُهودُ
نورٌ تحُدِّدُهُ الحروف وتُخْطيءُ النُور الحُدودُ
أحْلى الصِعابِ قصائِدٌ ونواعِمٌ كالوَرْدِ خُودُ
ومِن التَمنُّع ما يُدَلِّلُهُ بالجَمالِ وما يزيدُ
الشِعْرُ والحُسْنُ المُدلُّ كِلاهُما طاغٍ عَنيدُ

* * *

أنــا مــنْ تُغَنِّيــهِ النُجــومُ علــى السُــلافِ فيستعيــدُ
وعلــى المَشيــبِ وعَبْئــهِ مِمَّــا يــؤودُ ولا يَــؤُودُ
لَتصيــدُنــي نُجْــلُ العُيــونِ وقــد أُغيــرُ وقــد أصيــدُ
مــا كــان يُقْنِعُنــي اللقــاءُ فَصِــرْتُ تُقْنِعُنــي الــوُعُــودُ
عــاد الــربيــعُ فيــا شَبــابُ ألا تحِــنُّ ؟ أَلا تَعُــودُ ؟
لــي فــي ظِــلالِ الأرْزِ تَقْتَــطِــفُ الــوُرودَ بِــهِ الــوُرودُ
سَمْــراءُ كــالأحــلامِ جَفْنــاهــا وجَفْــنُ الليــل سُــودُ
أَلحُسْــنُ يَحْــسُــدُ نَفْســهُ فيــهــا لقــد كَــرُمَ الحَسُــودُ
ويَغــارُ مــن شُهْــدِيهِّــا جــاراهُ ســالِفَــةٌ وجِيــدُ

* * *

سمــراءُ حُبُّــكِ صحْــوِي الســكْــرانُ والغَــيُّ الــرشيــدُ
لُفِّــي علــى الجَســدِ البُــرودَ تُــؤَرِجِ الــدُنْيــا البُرودُ
أَلــروحُ فيــكِ فــريــدةٌ يــزْهــو بهــا جَــســدٌ فــريــدُ
ذكــراكِ إنْ عــزَّ اللِقــاءُ لِلَــوْعتــي كــأسٌ وعُــودُ

* * *

أنــا ســاحِــرٌ لَمْــس الغُصــونَ وضَــمَّهــا فَهِــي القُــدودُ
ومِــنَ الشــقــائِــقِ حيــن أقــطِفُهــا المَــراشِــفُ والخُــدودُ
ومن الــدمــوعِ وقــد ضَنَنــتُ بهــا الــلآلــيءُ والعُقــودُ
وغَمَــزْتُ عِطْــرَ الأُقحُــوانِ فَنَــوَّرَتْ شَــفَــةٌ بَــرودُ

عندي الـكنـوزُ فكيـف تسألُني النُجـومُ ولا أَجـودُ
أُعْـطـي وتَـسأَلُ ـ لا نَـمـلُّ ـ فتسـتـزيـدُ وأَسـتـزيـدُ
شُهْـبُ السمـاءِ تفـرَّقـتْ فـي الأفـق تَنْقُـصُ أو تَـزيـدُ
كُتِـب الضيـاءُ لِبَعْضِـهـا ولِبَعْضِـهـا كُتِـبَ الهُمودُ
والعبـقـريـةُ كالضُـحـى من بعـض نِعْمَتـهِ الوجُـودُ
وأَنـا الغـريـب بِمـوطنـي وأَنـا المُشـرَّدُ والطـريـدُ

* * *

قُـلْ لِلَّـداتِ بتـدْمُـرٍ(١) عَـزَّ المُفـاخِـرُ والنَـديـدُ
سِجْـنٌ تَضِيـقُ كُهـوفُهُ والسـهْـلُ مُنْبَسِـطٌ مـديـدُ
أَلـدَهْـرُ أَقْعَـدني ولـم يـكُ من شمائِلـي القُعـودُ
والسُـقـمُ فَـوَّتَ أن أُشـارِكَـكُمْ وذُرْوَتُـهُ كَـؤُودُ
شَـرَفـاً علـى عَـض القُيـودِ فَشـارةُ الشَـرَفِ القُيـودُ
أَسْـمـى القُلـوبِ هُـو الـرحيبُ على النَـوازِلِ والجَليـدُ
نحـنُ الحُمـاةُ الأَوَّلـونَ قُبـورُ صـرْعـانـا الشـهودُ
نحـنُ العقيـدةُ والـرسالـةُ والمعـاركُ والحُشـودُ
إنْ يُصْـرعِ البَـطَـلُ النجيـدُ تَقـدَّمَ البَـطَـلُ النَجيـدُ
وتقـاسم الـكـوخُ الـوديـعُ النَصْـر والقصْـرُ المشيدُ
أَيّـام لا الـطَبَقَـاتُ مـزَّقَـتِ الصُـفـوفَ ولا الحُقـودُ
كُفِـرتْ جُهـودٌ كالضـحـى لِـلّـهِ والـوَطَـنِ الجُهـودُ

---

(١) سجن تدمر معتقل الاحرار

أنا والعهود فلم يَضِعْ حُبٌّ ولم تُنكث عهودُ
عيني الضنينةُ بالدموعِ وقلبي المُضْنَى العميدُ
ماد الطغاةُ بكم فيا فَلَكَ السماءِ ألا تميدُ ؟
فلكٌ يدورُ ولم اجدْ فَلَكاً أُتيحَ له الركودُ
بيني وبيْن الظلم نار وغى يُشَبُّ لها وَقُودُ
ألحبُّ عُدَّتي الوحيدةُ لا السلاحُ ولا الجنودُ
وتَهونُ عندي النائباتُ فلا ألينُ ولا أحِيدُ
يا رب عَفوَكَ إنْ سألْتُ وأنْتَ تعلَمُ مَنْ أُريدُ
مِنْ أي طينٍ أُنْشِىء الظمآنُ للدمِ والحَقُودُ
أللَّينونَ على العَدُوِّ وبَأْسُهُمْ فينا شديدُ
جَلَّ الوِدادُ فكان من أسماءِ عِزَّتِكَ الوَدُودُ
ألغَيرِْ وجْهِك في كنانَتِكَ العِبادَةُ والسجودُ
فِرْعَوْنُ عاد فكيف كيف وقد عَصفْتَ به يَعودُ ؟
ما للطغاةِ سيادةٌ يُخْشَى الظَلامُ ولا يَسُودُ
دنيا العروبةِ رَجَّها بالهَوْلِ شيطانٌ مريدُ
صُبِغَتْ بألوانِ الأذى فَخُطوبُها حُمْرٌ وسُودُ
أرْضُ الكِنَانةِ ما بها إلاَّ المُتَوَّجُ والعبيدُ

* * *

فِرْعَوْنَ مِصْرَ وأنْتَ من رشقَ المصاحِفَ لا الوليدُ
فرعونَ مِصْر وأنْتَ منْ قَتَلَ الهواشِم لا يزيدُ
سُمِّيتَ فِرْعَوْنَ الكِنانَةِ وهي تسميه كَنُودُ

فِرْعَوْنُ ذَلَّ به اليهودُ وأنْتَ عَزَّ بِكَ اليهودُ
طامِنْ غُرورَكَ لم تَدُمْ عادٌ ولا بَقِيتْ ثَمُودُ
ولَئِنْ ذُكِرْتَ فإنَّ ذِكْرَكَ لا الزَكيُّ ولا الحميدُ
ولَئِن حَكَمْتَ فإنَّ عَيْشَكَ لا الهنيُّ ولا الرغيدُ
تَتناهَبُ الأشلاءُ نَوْمَكَ والعواصِفُ والرُعودُ
وهواجِسُ اليمنِ السعيد ورجَّكَ اليَمَنُ السعيدُ

* * *

مُغْرَى بِحُب الإمَّعَاتِ طريفُ حُكْمِكَ والتليدُ
مِنْ كُلِّ أبْلَهَ عاثِرٍ وغْدٍ يضُرُّ ولا يُفيدُ
الغَدْرُ طَبْعُكَ والدسائس والخيانَةُ والجحودُ
يتسلَّلُ النَذْلُ الجبانُ دُجى وتَقْتحِمُ الأسُودُ

* * *

أمُيَتِّم الأطفالِ لا جَدٌّ عَناكَ ولا حَفيدُ
أمٌّ مُمَزَّقَة وفي أحْضانِها هُشِم الوَليدُ
شَكَتِ الأرامِلُ والثكالى والطفولَةُ والمُهودُ
يا قاتلاً بأخٍ أخاهُ كلا قتيلَيْكَ الشهيدُ
أولاَ تخافُ على بَنيكَ وقد تَعَثَّرتِ الجدودُ
أنْ يُسْتَجاب دُعاءُ ثاكِلةٍ وأدْمُعُها تجودُ
فَترى بَنِيكَ مُصرَّعينَ ولا تَضُمُّهُمُ اللحودُ

* * *

كِـبْـدْ للنبـي ودِينـهِ أللـهُ فَـوْقَـكَ إذْ تكِيـدُ
بـادَ الـطُّغـاةُ جميعهُـمْ أَمّـا الشعـوبُ فـلا تَبِيـدُ
خَـلٍّ الـكِـرامَ وشـأنَهُـمْ خُلِـقَ الـكِـرامُ لكـي يسـودوا
١٩٦٦

البلبل الغريب

مهداة الى حفيدي محمد

سَلِي الجَمْر هَلْ غَالَى وَجُنَّ وَعَذَّبَا
كَفَرْتُ بِهِ حَتَّى يَشُوقَ وَيَعْذُبا
ولا تَحْرِمِيني جُذْوَةً بَعْدَ جُذْوةٍ
فما اخْضَلَّ هذا القَلْبُ حَتَّى تَلَهَّبَا
وَما نَالَ مَعْنَى القَلْبِ إلاَّ لأَنَّهُ
تَمرغَ في سَكْبِ اللّظى وَتَقلَّبَا
هَبِيني حُزْناً لَمْ يمُر بمُهْجَةٍ
فَما كُنْتُ أَرْضَى مِنْكِ حُزْناً مُجَرَّبَا
وَصُوغِيه لِي وَحْدِي فَرِيداً وأشْفِقِي
على سِرهِ المَكْنُونِ أَنْ يَتَسرَّبَا
مَصُوناً كأَغْلى الدُرِّ عَزَّ يَتِيمُهُ
فَأُودِعَ في أَخْفَى الكُنوزِ وغُيِّبا
وَصُوغِيهِ مَشْبُوب اللَّظَى وَتَخَيَّري
لآلامِهِ ما كانَ أَقْسى وأَغْرَبَا
وَصُوغِيه كالفَنَّانِ يُبْدِعُ تُحْفَةً
وَيَرْمُقُهَا نَشْوانَ هَيْمانَ مُعْجَبا
فما الحُزْنُ إلاَّ كالجَمالِ أَحَبُّهُ
وأَتْرَفُهُ ما كان أَنْأَى وأصْعَبَا

* * *

خَيالُكِ يا سَمْراءُ مَرَّ بِغُرْبَتي
فَحَيَّا وَرَحَّبْنا طَويلاً وَرَحَّبا
جَلاكِ لِعَيْنِي مُقْلَتَيْنِ وناهِداً
وَثَغْراً كَمَطْلولِ الرياحينِ أَشْنَبا
فَصانَكِ حُبي في الخَيالِ كَرامَةً
وَهَمّ بما يَهْواهُ لَكِنْ تَهَيَّبا
وَبَعْضُ الهَوى كالنُورِ إنْ فاضَ يَأْتَلِقْ
وَبَعضُ الهَوى كالغَيْثِ إنْ فاضَ خَربا

أَرَى طَيْفَكِ المَعْسُولَ في كُلِّ ما أَرى
وَجِدْتُ ولَكِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْه مَهْرَبَا
سَقانِي الهَوى كأسَيْنِ يَأْساً وَنِعْمَةً
فَيالَكَ مِنْ طَيْفٍ أَراحَ وأَتْعَبا

وَخالَطَ أَجْفانِي على السُهْدِ والكَرى
فكانَ إلى عَيْنِي مِنَ الجَفْنِ أَقْربا
شَكَوْنا لَهُ السَمْراءَ حَتَّى رَثَى لَنا
وَجَرَّأَنا حَتَّى عَتَبْنا فَأَعْتَبا

وَناوَلَنِي مِنْ أَرْزِ لُبْنانَ نَفْحَةً
فَعَطَّر أَحْزانِي وَنَدَّى وَخَضَّبا
وَثَنَّى بِرَيَّا الغُوطَتَيْنِ يُذِيعُها
فَهَدْهَدَ أَحْلامِي وأَغْلَى وَطَيَّبا

وَهَلْ دَلَّلَتْ لِي الغُوطَتَانِ لُبَانَةً
أَحَبَّ مِن النُعْمَى وأَحْلَى وأَعْذَبَا
وَسِيماً مِنَ الأَطْفالِ لَوْلاَهُ لَمْ أَخَفْ
- عَلى الشَيْبِ - أَنْ أَنْأَى وأَنْ أَتَغَرَّبَا

تَوَدُّ النُجُومُ الزُهْرُ لَوْ أَنَّهَا دُمَى
لِيَخْتَارَ مِنْها المُتْرَفَاتِ وَيَلْعَبَا
وَعِنْدِي كُنوزٌ مِنْ حَنَانٍ وَرَحْمَةٍ
نَعِيمِي أَنْ يُغْرَى بِهِنَّ وَيَنْهَبَا

يَجُور وَبَعْضُ الجَوْرِ حُلْوٌ مُحَبَّبُ
وَلَمْ أَرَ قَبْلَ الطِفْلِ ظُلْماً مُحَبَّبَا
وَيَغْضَبُ أَحْيَاناً وَيَرْضَى وَحَسْبُنَا
مِنَ الصَفْوِ أَنْ يَرْضَى عَلَيْنَا وَيَغْضَبَا

وَإِنْ نَالَهُ سُقْمٌ تَمَنَّيْتُ أَنَّنِي
فِداءً لَهُ كُنْتُ السَقِيمَ المُعَذَّبَا
وَيُوجِزُ فيما يَشْتَهِي وَكَأَنَّهُ
بِإِيجَازِهِ دَلاًّ أَعَادَ وأَسْهَبَا

يَزُفُّ لَنا الأَعْيادَ عِيداً إذا خَطَا
وعِيداً إذَا نَاغَى وَعِيداً إِذَا حَبَا
كَزُغْبِ القَطَا لَوْ أَنَّهُ راحَ صَادِياً
سَكَبْتُ لَهُ عَيْنِي وَقَلْبِي لِيَشْرَبَا

وَأُوثِـرُ أَنْ يـرْوَى وَيَشْبَـعَ نَـاعِماً
وَأَظْمَـأَ فـي النُعْمَـى عَلَيْهِ وأَسْغَبَا

وَأَلْثِـمُ فـي دَاجٍ مِن الخَطْـبِ ثَغْـرَهُ
فَأَقْــطِــفُ مِنْـهُ كَـوْكَبـاً ثُـم كَوْكَبَـا

يَنـامُ عَلَى أَشْـواقِ قَلْبِـي بِمَهْـدِهِ
حَـرِيـراً مِـنَ الـوَشْـيِ اليَمَـانِـي مُذْهَبَـا

وَأُسْـدِلُ أَجْفَـانِـي غِطَـاءً يُظِلُّـهُ
وَيَالَيْتَهَـا كـانَـتْ أَحَـنَّ وَأَحْـدَبَا

وَحَمَّلَنِــي أَنْ أَقْبَــل الضَيْـم صـابِـراً
وَأَرْغَـبَ تَحْنَـانَـاً عَلَـيْهِ وَأَرْهَبَــا

فَأَعْـطَيْـتُ أَهْـواءَ الخُـطُـوبِ أَعِنَّتِـي
كَمـا اقْتَـدْتَ فَحْـلاً مُعْـرِقَ الـزَهْـوِ مَصْـعَبَـا

تَـأَبَّـى طَـويـلاً أَنْ يُقَـادَ وَرَاضَـهُ
زَمَـانٌ فَـراخَـى مَـنْ جِمَـاحٍ وَأَصْحَبَـا

تَدَهَّــتُ بالإِيثَــارِ كَهْـلاً وَيَـافِعَــاً
فَـدَلَّلْتُــهُ جَـدّاً وَأَرْضَيْتُــهُ أَبَــا

وَتَخْفُـقُ فِـي قَلْبِـي قُلُـوبٌ عَدِيــدَةٌ
لَقَــدْ كـانَ شِعْبَـاً وَاحِــداً فَتَشَعَّبَــا

* * *

و يـا رب مِـنْ أَجْـلِ الطُفُــولَـةِ وَحْدَهَــا
أَفِـض بَرَكَـاتِ السِـلْـمِ شَـرْقَـاً وَمَغْرِبَــا

وردَّ الأذى عَـنْ كُـلِّ شَعْـبٍ وَإنْ يَكُـنْ
كَفُـوراً وَأَحْبِبْـهُ وَإنْ كَـانَ مُذْنِبَـا

وَصُـنْ ضِحْـكَـةَ الأَطْفَـالِ يـا رَب إنَّهَـا
إذَا غَـرَّدَتْ فِـي مُـوحِشِ الـرَمْـلِ أَعْشَبَـا

مَلائِـكُ لاَ الجَنَّـاتُ أنْجَبْـن مِثْلَهُـمْ
وَلاَ خُلْـدُهَـا ـ أَسْـتَغْفِـرُ اللَّـهَ ـ أنْجَبَـا

ويـا رَب حبـبْ كُـلَّ طِفْـلٍ فَـلاَ يَـرى
وإن لَـجَّ في الإعنـاتِ وجهـاً مُقَطِّبَـا

وَهيِّـئْ لـهُ فـي كُـلِّ قلـبٍ صبـابةً
وفِي كُـلِّ لُقْيَـا مَـرْحبـاً ثُـم مَـرْحَبَا

وَيَـا رب إنَّ القَلْـبَ مِلْـكُـكَ إنْ تَشَـأْ
رَدَدْتَ مَحِيـلَ القَلْـبِ رَيَّـانَ مُخْصِبـا

* * *

ويـا رَبِّ فِـي ضِيـقِ الـزَمَـانِ وَعُسْـرِهِ
أَرَى الصَبْـر آفَـاقَـاً أَعَـزَّ وَأَرْحَبَـا

صَلِيـبٌ عَلـى غَمْـزِ الخُـطُـوبَ وَعَسْفِهَـا
وَلَـوْلاَ زَغَـالِيلُ القَـطَـا كُنْـتُ أَصْلَبَـا

وَلِـي صَـاحِـبٌ أَعْفَيْتُـهُ مِـنْ مَوَدَّتِـي
وَمَـا كَـانَ مَجْنُـونُ الغُـرُورِ لِيُصْحَبَـا

غَرِيبـانِ لَكِنِّـي وَفَيْـتُ وَمَـا وَفَـى
وَنَـازَعَ حَبْـلَ الـوُدِّ حَتَّـى تَقَضَّبَـا

وَيَــا رب هَــذِي مُهْجَتــي وَجِــراحُهَــا
سَيَبْقَيْــنَ إِلاًّ عَنْــكَ سِــرّاً مُحَجَّبَــا
ويــارَب إِنْ هَــانَــتْ دُمُــوعُ فَأَدْمُعِــــي
حَــرائِــرُ شَــاءَتْ أَنْ تُصــانَ وَتُحْجَبَـــا

فَمَــا عَــرَفْــتْ إلاَّ قُــبورَ أَحِبَّتِـــــي
وَإِلاًّ لِــداتِــي فِــي دُجَــى المَــوْتِ غُيَّبَـــا
وَمَــا لُــمْــتُ فِــي سَكْــبِ الــدُمُــوعِ فَلَــمْ تَكُــنْ
خَلَقْــتَ دُمُــوعَ العَيْــنِ إلاَّ لَتُسْكَبَـــا
وَلَــكِــنَّ لِــي فِــي صَــوْنِ دَمْعِي مَذْهَبَـــاً
فَمَــنْ شَــاءَ عَــانَــاهُ ومَــنْ شَــاءَ نَكَّبَــا

* * *

وَيَــا رَب أَحْــزَانِــي وِضَــاءٌ كَــأَنَّنِــي
سَكَبْــتُ عَلَيْهِــنَّ الأَصِيــلَ المُذَهَّبَـــا
تَرصَّــدَ نَجْــمُ الصُــبْــحِ مِنْهُــنَّ نَظْــرَةً
وَأَشْــرَفَ مِــنْ عَلْيَــائِــهِ وَتَرَقَّبَـــا

فَأَرْخَيْــتُ آلافَ السُتــورِ كَأَنَّنِــي
أَمُــدُّ عَلَــى حَــالٍ مِــنَ النُــورِ غَيْهَبَـــا
فَغَــوَّرَ نَجْــمُ الصُــبْــحِ يَــأْسَــاً وَمَــا رَأَى
عَلَــى طُهْــرِهِ ـ حَــتَّــى بَنَــانَــاً مُخَضَّبَـــا

وَقَــدْ تَبْــهَــرُ الأَحْـزَانُ وَهْــي سـوافِــرُ
وَلَـكِــنَّ أَحْــلاَهُــنَّ حُــزْنُ تَنَقَّبَــا

* * *

وَيَــا رَب دَرْبٌ فِــي الحَيَــاةِ سَلَكْتُــهُ
وَمَــا حِدْتُ عَنْــهُ لَـو عَرَفْـتُ المُغَيَّبَــا
وَلِــي وَطَــنٌ أُكْبَرْتُــهُ عَــنْ مَــلاَمَــةٍ
وَأُغْلِيــهِ أَنْ يُدْعَــى - عَلَــى الـذَنْـبِ مُذْنِبَــا
وَأُغْلِيــهِ حَــتَّى قَــدْ فَتَحْــتُ جَوانِحِــي
أُدَلِّــلُ فِيهِــنَّ الـرجَــاءَ المُخَيَّبَــا
تَنَـكَّر لِــي عِنْـدَ المَشِيــبِ - ولا قِلَــى -
فمِـنْ بَعْضِ نُعْمَـاهُ الكُهولَــةُ والصِبا
وَمِــنْ حَقِّـهِ أَنْ أَحْمِـلَ الجُـرْح راضِيــاً
وَمِــنْ حَقِّــهِ أَنْ لاَ أَلُــوم وَأَعْتُبَــا

ومــا ضِقْــتُ ذَرْعــاً بالمَشيــبِ فإنَنــي
رأَيــتُ الضُـحــى كالسيفِ عُـرْيانَ أَشْيَبــا
يُمَــزِّقُ قَلبــي البُعْــدُ عَمَّــنْ أُحِبُّهُــمْ
ولــكِــنْ رأَيــتُ الــذُلَّ أَخْشَــنَ مَرْكَبــا
وَأَسْتَعْـطِـفُ التــارِيخَ ضَنّــاً بِأُمَّتِــي
لِيَمْحُــو مــا أُجْـزَى بِهِ لا لِيَكْتُبَــا

* * *

ويـا رب عِـزٌّ مِـنْ أُمَيَّـةَ لا انطَـوى
ويـا رب نُـورُ وَهَّـج الشَـرْقَ لا خَبَـا
وَأَعْشَــقُ بَــرْقَ الشــام إنْ كان مُمْطِـراً
حَنُـونـاً بِسُـقْيـاهُ وإنْ كـان خُلَّبَـا
وَأَهْـوَى الادِيـم السـمْـحَ رَيَّانَ مُخْصِـباً
سَنـابِلُـهُ نَشْـوَى وأَهْـواهُ مُجْدِبَـا
مـآرِبُ لـي في الرَبْـوَتَيْـنِ وَدُمَّـرٍ
فَمَـنْ شَـمَّ عِطْـراً شَـمَّ لِيْ فِيهِ مَأْرَبَـا

* * *

سَقَـى اللـهُ عِنْـدَ الـلاذِقِـيَّةِ شاطِئاً
مُـرَاحـاً لأَحْـلامِـي وَمغْنَـى وَملْعَبَـا
وَأَرْضَـى ذُرَى الـطَّـوْدِ الأَشَـم فَطالَمـا
تَحَـدَّى وسامـى كُلَّ نَجْـمٍ وَأَتْعَبَـا
وَجـادَ ثَـرى الشَـهْبَـاءِ عِطْـراً كأَنَّهُ
عَلـى القَبْـرِ[1] مِنْ قَلْبِـي أُرِيقَ وَذُوِّبَـا
وَحَيَّـا فَلَـمْ يُخْطِـىءْ حَمَـاة غَمـامُـهُ
وَزَفَّ لِحِمْـص العَيْـش رَيَّـانَ طَيِّبَـا
وَنَضَّـر في حَـوْرَانَ سَهْـلاً وشَـاهِقاً
وبـاكَـر بالنُّعمـى غَنِيَّـاً وَمُتْرِبَـا

(١) قبر المرحوم سعد الله الجابري

وجَلْجَـلَ فـي أَرْضِ الجَـزيرَةِ صيـبٌ
يُـزاحِـمُ في السُـقْيَـا وفي الحُسْـنِ صيبـا
سحـائِـبُ مِنْ شَـرْقٍ وَغَـرْبٍ يَلُمُّهـا
مِـنَ الـريـحِ راعٍ أَهْـوَجَ العُنْـفِ مُغْضَبـا
لَـهُ البَـرْقُ سـوْطٌ لا تَنِـدُّ غَمامَةٌ
لِتَشْـرُدَ الا حـزَّ فِيهَـا وَأَلْهَبـا
يُـؤَلِّفُهـا حِينـاً وَتَـطْفِـرُ جُفَّـلاً
وحـاوَلَ لَـمْ يَقْنَـطْ إلىَ أَنْ تَغَلَّبـا

أَنَخْـن علـى طُولِ السـمـاءِ وَعَرْضِهَـا
يُزاحِـمُ مِنْهَـا المَنْـكِـبُ الضَـخْـمُ مَنْكِبَـا
فَلَـمْ أَدْرِ هَـلْ أمَّ السـمـاءَ قَطِيعُهُ
مِـنْ الغَيْـمِ أَوْ أَمَّ الخِبـاءَ المُطَنَّبـا

تَبَـرَّجَ للصـحْـراءِ قَبْـلَ انْسِكابِـهِ
فَلَـوْ كانَ للصـحْـراءِ رِيقٌ تَحَلَّبـا
وَتعْـذِرُ طَـلَّ الفَجْـرِ لَمْ يُرْوِ صَادِيـاً
ولـكِنَّـهُ بَـلَّ الـرِمـالَ وَرَطَّبـا

وَيُسْكِـرُهَـا أَنْ تَشْـهَـدَ الغَيْـمِ مُقبِـلاً
وأَنْ تَتَمَـلاَّهُ وَأَنْ تَتَرَقَّبـا
كَـأَنَّ طِبـاعَ الغِيـدِ فِيهِ فَـإِنْ دَنَـا
قَلِيـلاً نَأى حَتَّـى لَقَـدْ عَزَّ مَطْلَبـا

وَيُطْمِعُهَـا حَتَّـى اذا جُنَّ شَـوْقُهَا
إِلَيْـهِ انْثَنَـى عَنْ دَرْبِهَـا وَتَجَنَّبَا

تَعُـدُّ لَيالِـي هَجْـرِهِ وَسَجِيَّـةٌ
بِـكُـلِّ مَشُـوقٍ أَنْ يَعُـدَّ وَيَحْسُبَا

وَيَبْـدَهُ بالسُّـقْيَـا علـى غَـيرِ مَوْعِـدٍ
فَمَـا هِـي الا لَمْحَـةٌ وتَصَبَّبَـا

كَذلِـكَ لُطْـفُ اللـهِ في كُـلِّ مِحْنَةٍ
وَإِنْ حَشَـدَ الدَهْـرُ القَنُـوطَ وأَلَّبَـا

إِلَى أَنْ جَـلاَهـا كالـكَعَـابِ تَزَيَّنَـتْ
لِتُحْسَـدَ مِنْ أَتْـرابِهَـا أَوْ لِتُخْطَبَـا

* * *

وَمَـرَّتْ عَلَى سُمْـرِ الخِيـامِ غَمامَـةٌ
تَجُـرُّ على صـادٍ مِنَ الـرَمْـلِ هَيْـدَبـا[1]

نِطَـافٌ عِـذَابٌ رَشَّـهَـا الغَيْمُ لُؤْلُؤاً
وَتِبْـراً فَما أَغْنَـى وأَزْهَـى وأَعْجَبَـا

حَبَـتْ كُلَّ ذِي رُوحٍ كَـرِيـمٍ عَطائِهَـا
فَلَـمْ تَنْـس آرامـاً وَلَـمْ تَنْس أَذْؤُبَـا

وَجُنَّـتْ مَهـاةُ الـرَمْـلِ حَتَّـى لَغَازَلَـتْ
وَجُـنَّ حَمَـامُ الأَيْـكِ حَتَّـى لَشَبَّبَا

---

١) الهيدب السحاب المتدلي

وطَافَ الغَمامُ السَمْحُ في البيدِ ناسِكاً
إلى اللهِ في سُقْيَا الظِمَاء تَقرَّبا
عواطِلُ مَرَّ المُزْنُ فِيهِنَّ صائِغاً
فَفضَّض في تِلْك السُهولِ وذَهَّبا
وَرَدَّ الرِمالَ السُمْر خُضْراً وَحاكَها
سماءً وأَغْناهَا وَرَش وَكَوْكَبَا
وَرَدَّ ضُروعَ الشَاءِ بالدَّرِّ حُفَّلاً
لِتُرْضِعَ حُمْلاناً جِياعاً وَتُحْلَبَا
وَحَرَّكَ في البِيدِ الحَياةَ وسِرَّهَا
فَما هامِدٌ في البِيدِ إلاَّ تَوَثَّبا
ولاعَبَ فِي حَالٍ من الرَمْلِ رَبْربا
وضاحَكَ في غالٍ مِنَ الوَشْيِ رَبْرَبا(١)
وَجَمَّعَ أَلْوانَ الضِياءِ وَرَشَّهَا
فأَحْمَر وَرْدِيّاً وأَشْقَر أَصْهَبَا
وَأَخْضَر بَيْنَ الأَيْكِ والبَحْر حائِراً
وأَبْيَض بالوَهْجِ السماوِي مُشْرَبَا
وَلَوْناً مِنَ السَمْراءِ صِيغَتْ فُتُونُهُ
بَيَاضاً نَعَمْ لَكِنْ بَيَاضاً تَعَرَّبَا
أَتَدْرِي الرُبَى أَنَّ السمَاواتِ سافَرتْ
لِتَشْهَدَ دُنْيَانا فَأَغْفَتْ عَلى الرُبَى

(١) القطيع من بقر الوحش

أَلُـمُّ بِـكَـفِّــي النُجـومَ وأنْتَقِــي
مُــزَرَّرَهــا فِــي بَـاقَــتِــي والمُعَصَّبَـــا
دِيَــارِي وَأَهْـلِـي بَــارَكَ اللَّـهُ فِيهِمَــا
وَرَدَّ الــرِيَــاحَ الهُـوجَ أَحْنَــى مِــنَ الصَبَـــا
وَأُقْسِــمُ أَنِّــي مَــا سَأَلْــتُ بِحُبِّهَـــــا
جَــزاءً وَلاَ أغْلَيْـتُ جَــاهــاً وَمَنْصِبــا
وَلاَ كَــانَ قَلْبِــي مَنْـزِلَ الحِقْــدِ والأَذَى
فَــإِنِّــي رَأَيْــتُ الحِقْـدَ خَـزْيَـانَ مُتْعَبَــا

* * *

تَغَــرَّبَ عَــنْ مُخْضَــلَّـةِ الـدَوْحِ بُلْبُـــلٌ
فَشَــرَّقَ فِــي الــدُنْيَـا وَجِيـداً وَغَـــرَّبَـــا
وَغَمَّـــس فِــي العِـــطْــرِ الإِلَهِــي جَـانِحَــــاً
وَزَفَّ مِــنَ النُــورِ الإِلَهِـي مَـوْكِبَــــا
تَحَمَّــلَ جُــرْحَــاً دَامِيـــاً فِــي فُؤَادِهِ
وَغَــنَّــى عَلَــى نَــأْيٍ فَأَشْجَــى وَأَطْرَبَـــــا

فيينا في ٣١ آب ١٩٦٣

عاد الغريب

نظمت على اثر العودة من الغربة القسرية التي فرضها الطغاة

حَلَفْتُ بالشَامِ هَذا القَلْبُ ما هَمَدَا
عِنْدِي بَقَايا مِنَ الجَمْرِ الذِي اتَّقَدَا
لَثَمْتُ فِيهَا الأَدِيم السمْحَ فالْتَهَبَتْ
مَراشِفُ الحُورِ مِنْ حَصْبَائِهَا حَسَدَا
قَدْ ضَمَّ هَذا الثَرَى مِنْ صِيدهَا مِزَقاً
إرْث الفُتوحِ وَمِنْ مُرَّانِهَا قِصدَا[1]
أُلَمْلِمُ الجَمَراتِ الخُضْر مِنْ كَبِدِي
وَأَسْتَرِدُّ الصِبا والحُبَّ والكَبِدَا
وَأَرْشِفُ الكَأْس مِنْ عِطْرٍ وَمِنْ غَيَدٍ
فَأُسْكِرُ المُتْرَفِينِ العِطْر والغَيَدَا
فَدَيْتُ سَمْراءَ مِنْ لُبْنَانَ سَاقِيَةً
حَنَانهَا مَا اخْتَفَى مِنْ غُرْبَتِي وَبَدا
تَحْنُو عَلى اليَأْسِ فِي قَلْبِي فَتَغْمُرُهُ
نُورَا وَتُبْدِعُ فِيهِ الصَبْر والجَلَدَا
حُورِيَّةٌ طَافَ جِبْرِيلُ بِجَنَّتِهِ
يُرِيدُ نِدّاً لِرَيَّاهَا فَمَا وَجَدَا

---

١) جمع قصدة وهي القطعة من كل ما يُكْسر

فَـدَيْــتُ جَفْنَيْـنِ مِـنْ سَكْبِ الدُجَــى اكْتَحَــلاَ
إذَا سَهِــدْتُ عَلى جَمْـرِ الغَضَـا سَهِــدَا

* * *

سَقَيْــتُ خَمْـرَةَ أَشْـعَـارِي لَمَــى شَفَــةٍ
بَخِيلَــةٍ فَسَــقَتْنِــي الشَـهْـدَ والبَــرَدَا
وَإنْ كَبِـرْتُ فَلِـي كَنْــزا هَـوىً وصِبــاً
نَهْـدَانِ مِـنْ نُعْمَيَـاتِ اللَّـهِ قَــدْ نَهَــدَا
أَوْدَعْــتُ عِنْــدَهُمَــا بَعْـض الشَـبَـاب فَمَــا
خَـانَـا وَدِيعَــةَ أَيَّــامِــي وَلاَ جَحَــدَا
قَــدِ ادَّخَــرْتُ لِقَلْبِـي عِنْــدَ كِبْرَتِــهِ
مـا صَـانَـهُ كَـادِحٌ للشَيْــبِ واجْتَهَــدَا
كَنْــزاً يَضُــمُّ لُبَـانَـاتِـي مُنَــوَّرَةً
ومـا اطْمَــأَنَّ مِــنَ النُعْمَــى ومـا شَـرَدَا
أَمُـدُّ كَــفِّــي إلـى كَنْـزِي فَيَغْمُــــرُهَــا
بِمَــا أُحِــبُّ شَبَـابَــاً جَــامِحـاً وَدَدَا
عَـادَ الغَــرِيـبُ وَلَـمْ تَظْمَــأْ سرِيرَتُـهُ
فَقَـدْ حَمَــلْــتُ بِهـا في غُرْبَتِــي بَــرَدَى
مَـنْ رَوَّعَ البُلْبُــلَ الهَـانِـي وأَجْفَلَــهُ
عَـنْ أَيْكِــهِ وَســقَــاهُ الحَتْــفَ لَـوْ وَرَدَا
جَــلانِـي الـظُّلْـمُ أَشْــلاءً مُمَـزَّقَــةً
واحْتَــزَّ أَكْــرَمَهُــنَّ القَلْـبَ والـوَلَــدَا

تُصْغِي النُجومُ إلى نَوْحِي فَيُسْكِرُهَا
يَبْكِي الهَزارُ وَيَبْقَى مُسْكِراً غَرِدَا

أَلْحَانِيَيْنِ عَلى قَلْبِي وَلَوْعَتِهِ
يُبَدِّدَانِ مِنَ الأَحْزَانِ ما احْتَشَدَا

قَلْبِي الذِي نَضَّر الدُنْيَا بِنِعْمَتِهِ
رَأى مِنَ الحِقْدِ أَقْسَاهُ وما حَقَدَا

فَيا لَقَلْبٍ غَنِي النُورِ مَزَّقَهُ
عَلى النَوى حِقدُ أَحْبَابٍ وَحِقْدُ عِدَى

إنِّي لأَرْحَمُ خَصْمِي حِينَ يَشْتُمُنِي
وَكُنْتُ أُكْبِرُهُ لَوْ عَفَّ مُنْتَقِدَا

عَانَيْتُ جَهْدَ مُحِبٍّ فِي الوَفَاءِ لَهُ
والغَدْرُ بِي كُلُّ ما عانَى وَمَا جَهَدَا

قَرَّتْ عُيُونُ العِدَى والأَصْفِيَاءِ مَعَاً
فَلَسْتُ أَمْلِكُ إلاَّ العِطْرَ والشَّهَدا

* * *

دَعُوا كَرَامَتِي العَصْمَاءَ نازِلَةً
عَلى الشُمُوسِ تُذِيعُ الحُسْنَ والرَأَدَا

كَرَامَتِي الحَجَرُ الصوَّانُ ما ازْدُرِدَتْ
إلاَّ لِتَهْشِمَ أَنْيَابَ الذِي ازْدَرَدَا

كَغَابَةِ اللَيْثِ إنْ مَرّ العَدُوُّ بِها
رَأى الزَماجِرَ والأَظْفَارَ واللِّبَدَا

وَكَيْفَ أعنُو لجَبَّارٍ وقَدْ مَلَكَتْ
يمِيني القَمَرَيْنِ الشِعْر والصَيَدَا
إذَا دَجَا النُورُ فِي غَمْرِ الضُحَى ائْتَلَقَا
وَإنْ سَطَا الظُلْمُ مَخْمُور الظُبَى صَمَدَا
عُروبَتِي فَوْقَ فَرْقِ الشَمْسِ ساخِرَةٌ
مِنْ لُؤْمِ ما زَوَّرَ الوَاشِي وَمَا سَرَدَا
تَفَرَّدَ اللهُ بالأرواحِ يُبْدِعُها
مِنْ سِرِهِ لَمْ يُشارِكْ غَيْبَهُ أحَدَا
تَفَرَّدَ اللهُ بالأَرْواحِ لا مَلأً
جلا لَهُ سِرَّها الأَعْلى ولا بَلَدا
وَمَيَّزَ الشامَ بالنُعْمَى ودَلَّلَها
فَمِنْ ثَرى الشَامِ صاغَ الرُوحَ والجَسدا
أُولى المَدائِنِ أُخْتُ الشَمْسِ قَدْ شَهِدَتْ
رُوما وغارَ الضُحَى مِنْها فَما شَهِدا
ثَراكِ والدُرُّ ما هَانا وإنْ ظُلِمَا
وأَنْتِ والنورُ ما ضاعا وان جُحِدَا

* * *

يَسُومُنا الصنَمُ الطَاغِي عِبادَتَهُ
لَنْ تَعْبُدَ الشامُ الا الواحِدَ الأَحَدا
وجْهُ الشآمِ الذي رَفَّتْ بَشاشَتُهُ
مِنَ النَعيمِ لِغْيرِ اللهِ ما سجَدَا

تَفَنَّنَ الصنَمُ الطاغِي فَأَلْفُ أذىً
وَأَلْفُ لَوْنٍ مِنَ البَلْوَى وأَلْفُ رَدَى
أنْحَى عَلى الشَامِ أَرْيَافاً وحاضرةً
فَلَمْ يَدَعْ سَبَداً فيها ولا لَبَدا
جُهْدُ العُفاةِ مِنَ العُمَّالِ جِزْيَتُهُ
وكلُّ ما قَطَفَ الفَلاَّحُ أَوْ حَصَدا
هَذا المُدِلُّ على الدُنْيَا بِصَوْلَتِهِ
ما صَالَ إلاَّ عَلى قَوْمِي ولا حَشَدا
وَمُرْعِدٍ مُبْرِقٍ ضَجَّتْ صَواعِقُهُ
حَتَّى إذَا قامَتِ الجُلَّى لَهُ قَعَدا
الظامِىءُ القَلْبِ مِنْ خَيرٍ وَمَرْحَمَةٍ
فإِنْ أَلَحَّ سَقاهُ الحِقْدَ والحَسدا
لَوِ اسْتطاعَ محا أَمجَادَنا بَطَراً
لَمْ يُبْقِ منهُنَّ لا بدْراً ولا أُحُدَا

***

دَعِ الشآمَ فَجيْشُ اللهِ حارِسُهَا
مَنْ يَقْحَمِ الغَابَ يَلْقَ الضَيْغَمَ الحَرِدَا
عَزَّتْ على كُلِّ فِرْعَوْنٍ عَرِينَتُها
ما رُوِّضَتْ ويروضُ القانِصُ الأَسدا
إذَا العَدُوُّ تَحَدَّاها بِصَوْلَتِهِ
نَهَدْتُ أُرْخِصُ رُوحِي كُلَّما نَهَدا

تَقَحَّمَتْ كِبْرِيائِي يَوْمَ مِحْنَتِهَا
مَا سَامِعُ المِحْنَةِ الكُبْرى كَمَنْ شَهِدا

أَهْوالَ ما أَوْعَدَ الطاغِي لِيَصْرِفَنِي
عَنِ الشَآمِ وَنُعْمَى كُلَّ ما وَعَدا

* * *

مَاذا يُرِيدُ الأُلَى أَصْفَوْهُ وُدَّهُمُ
وَسَخَّرُوا لِهَواهُ المَالَ والعُدَدَا

يَكادُ تِمْثالُهُمْ يَحْمَرُّ مِنْ خَجَلٍ
وَقَدْ غَدا للطُغَاةِ العَوْنَ والمَدَدَا

يا مِشْعَلَ النُورِ كَمْ حُرِّيَّةٍ ذُبِحَتْ
عَلَى يَدَيْكَ وَنُورٍ مَاتَ بَلْ وُئِدَا

قَدْ أَنْكَرَ المِشْعَلُ الهادِي رِسالَتَهُ
فَإِنْ يُمَاجِدْ خَصِيماً بَعْدَهَا مُجِدَا

يَبْكِي لِحُرِّيَّةِ الدُنْيَا وَيَذْبَحُهَا
عَلَى هَواهُ ولا ثَأْراً ولا قَوَدا

وَمَنْ حَمَى ظُلْمَ فِرْعَونٍ لأُمَّتِهِ
فَقَدْ تَفَرْعَنَ طُغْياناً وَمُعْتَقَدَا

تَحَمَّلُوا وِزْرَ هذا الشَرْقِ مَزَّقَهُ
جُنُونُ طاغٍ فَأَضْحَى شَمْلُهُ بَدَدا

لاَ أَكْذِبُ اللهَ قَدْ أَضْحَتْ كُنوزُكُمُ
لِصَرْحِ طُغْيانِهِ الأَرْكانَ والعُمُدَا

لا أَكْـذِبُ اللهَ مِنْ أَمْوالِـكُـمْ صُقِلَـتْ
خَنـاجِـرُ طَعَنَـتْ حُرِيَّتـي وَمُـدَى

* * *

يا رَاقِـدَ الثَـأرِ لَـمْ يَأرَقْ لِجَمْـرَتِهِ
جَيْـشُ الشـآمِ عَنِ الثَـاراتِ ما رَقَـدَا
جَيْشـي وَفَـوْقَ ذُرى حِطِّيـنَ رَايَتُـهُ
غَـداً وَيُمْلِـي عَلى الـدُنْيـا الفُتـوحَ غَـدا
أَلْمُطْمَئِـنٌ وَجَمْـرُ الثَـأرِ في دَمِـهِ
خـابَـتْ رِياحُـكَ هذا الجَمْـرُ ما هَمَـدا
أَلْحـامِـلُ الغَـارَ أَمجْـاداً مُنَضَّـرَةً
والمُـدْرِكُ الثَـأْرَ لا زُوراً ولا فَنَـدَا
تَبَـرَّجَـتْ في السـمـاءِ الشَـمْـسُ حالِيَـةً
لِتَشْـهَـدَ العُـدَّةَ الشَـهْبـاءَ والعَـدَدا
جَيْشِـي وإِيمـانُـهُ بالحُـكْـمِ مُجْتَمِعـاً
شُـورى وَقَـدْ داس حُكْـم الفَـرْدِ مُنْفَـرِدَا
لَبَّـى الشَـآمَ وقـد رِيعَـتْ كَرامَتُهـا
وَثـارَ للشَـعْـبِ مَنْهُـوبـاً وَمُضْطَهَـدا
إنَّ الـكَرامَـةَ والحُـرِّيَـةَ اخْتَلَفـا
وَلَـنْ يُفـارِقَ حِلْـفٌ حِلْفَـهُ أَبَـدا
مِنْ هَـدْيِهِ صاغَـهـا الإِسْـلامُ فانْسَكَبَـتْ
تُـوَزِّعُ النُـورَ والنَعْـمـاءَ والرَشَـدا

هَــذِي الحَنِيفِيَّــةُ السـمْحــاءُ قاهِــرَةٌ
لا الــلاتُ عَــزَّتْ ولا فِرْعَــوْنُهــا عُبِــدَا
تَألَّــهَ الفَــرْدُ حِينــاً ثُــم عاصِفَــةٌ
هَــدَّارَةٌ فكــأَنَّ الفَــرْدَ ما وُجِــدَا
كَنْــزُ الحَنِيفَــةِ مِنْ حُــبٍّ وَمرْحَمَــةٍ
كالنُــورِ قد غَمَــرَ الــدُنْيــا ومــا نَفَــدَا
نَبْــعٌ مِنَ الحُــب لَوْ مــر الجحيــمُ بِهِ
لقــطَّــفَ الــظِــلَّ مِنْ رَيَّــاهُ وابْتَــرَدا
لا الفَقْــرُ حِقْــدٌ ولا النَعْمَــاءُ غاشِمَــةٌ
كِلاهُمــا انْســجَمــا بالحُــب واتَّحَــدا
كِلاهُــما أمْلَــتِ السـمْحــاءُ حُرْمَتَــهُ
عَلى أخِيــه فَمــا ابْتَــزَّا ولا حَقَــدَا
تُبْنَــى الشُــعُــوبُ عَلى قُرْبَــى وَمَرْحَمَــةٍ
ومــا بَنَــى الحِقْــدُ لا شَعْبــاً ولا رَغَــدَا
آمَنْــتُ بالفَــرْدِ حُــرّاً في عَقِيدَتِــهِ
وَكــلُّ فَرْدٍ ومــا وَالى ومــا اعْتَقَــدا
أفْــدِي الشَــآمَ لِنُعْمــاهَــا وَعِزَّتِهَــا
مِــنْ أرْبَعِيــن أُقَــاسِــي الهَــوْلَ والنَكَــدا

* * *

ضَــم الثَــرى مِنْ أحِبَّائــي لُيــوث شرى
وَغــابَ تَحْــتَ الثَــرى مِنْهُم شُــمــوسُ هُــدَى

لِداتِــي الصيــدُ شَــلَّ المَوْتُ ســرْحَهُمُ
لَيْــتَ النُجــومَ وَرُوحِــي لِلِّــداتِ فِــدَى

الـراقِــدُونَ وَجَفْنِـــي مِــنْ طُيوفِهِـــمُ
في ســامِــرٍ ضَــجَّ في جَفْنِــي فَما رَقَــدا

قُبــورُ أَهْلِــي وإخْــوانــي وَغافِيَــةٌ
مِــنَ الــطُّيـوفِ وأَسْــرارٌ ورجْــعُ صــدَى

واللَيْــلُ والصــمْــتُ والــذِكْرى وَكَنْــزُ رُؤىً
لَمَحْــتُ مَارِدَ جِــنٍّ حَــوْلَــهُ رُصِــدَا

وَوَحْشَــةٌ لَفَّــتِ الــدُنْيــا بِرَهْبَتِهــا
وَلَفَّــتِ الغَيْــبَ والأَحْــلامَ والأَبَــدَا

أَلحــانِيــاتُ علــى تِلْــكَ القُبــورِ معــي
وَنَبَّــهَ الفَجْــرُ طَيْــراً غافِياً فَشَــدا

حَتَّــى بَكَيْــتُ فَذابَــتْ كُلٌّ واحِــدَةٍ
مِنْهُــنَّ في أَدْمُــعِ النَــائــي الــذِي وَفَــدا

هَشَّــتْ إلــي قُبــورٌ، أَدْمُعِــي عَبَقٌ
عَلَــى الــرياحِيــنِ في أَفْيائِهــا وَنَــدَى

ضَمَّتْنِـــي الشــامُ بَعْــدَ النَــأْيِ حَانِيَــةً
كالأُمِّ تَحْضُــنُ بَعْــدَ الفُــرْقَــةِ الوَلَــدا

رَدَّتْ إِلَــي شَبَــابِــي فــي مَتارِفِــهِ
وَهَيَّــأَتْ للصِيــالِ الفَــارِس النَجِــدَا

أَنَـــا الـــوَفِيُّ وَتـــأْبَـــى الغُـــرُّ مِنْ شِيمـــي
كُفْـــرانَ نِعْمَـــةِ مَنْ أسْـــدَى إلَيَّ يَـــدا

* * *

حنين الغريب

وَفَاءٌ كَمُزْنِ الغُوطَتَيْنِ كَرِيمُ
وحُبٌّ كَنَعْمَاءِ الشَآمِ قَدِيمُ
وَشِعْرٌ كَآفَاقِ السماءِ تَبَرَّجَتْ
شُمُوسٌ عَلَى أَنْغَامِهِ وَنُجُومُ
يلُمُّ (شفِيقٌ)[1] كَوْكَباً بَعْدَ كَوْكَبٍ
وَنَسقَ مِنْهَا العِقدَ فَهْو نَظِيمُ
مَعَانٍ بِأَلْوَانِ الجَمَالِ غَنِيَّةٌ
كَمَا زَفَّ أَلْوانَ الطيوبِ نَسِيمُ
وَوَشْيٌ كَأَحْلامِ الشَبَابِ يَصُوغُهُ
أَنِيقٌ بِأَسْرَارِ البَيَانِ عَلِيمُ
سَقَانِي سُلاَفَ الشِعْرِ حَتَّى تَرَنَّحَتْ
دُمُوعٌ وَغَنَّتْ لَوْعَةٌ وَكُلُومُ
فَفِي كُلِّ بَيْتٍ رِيقَةٌ أَوْ سُلاَفَةٌ
وَرَيْحَانَةٌ شَامِيَّةٌ ونَدِيمُ

***

تُطَوِحُنِي الأَسْفَارُ شَرْقَاً وَمَغْرِبَاً
وَلَكِنَّ قَلْبِي بالشَآمِ مُقِيمُ

---

(١) شفيق جبري الشاعر الكبير وقد اطلع على قصيدة (البلبل الغريب) فنظم قصيدة رائعة بعث بها الى الشاعر في جنيف

وَأَسْمَعُ نَجْواهَا عَلَى غَيْرِ رُؤْيَةٍ
كَأَنِّي عَلَى طُورِ الجَلالِ (كَلِيمُ)

وما نَالَ مِنْ إِيمَانِي السمْحِ أَنَّنِي
أُصلِّي لَهَا فِي غُرْبَتِي وَأَصُومُ

وَلاَ نَالَ مِنْ قَدْرِي اغْتِرابٌ وَعُسْرَةٌ
يُصانُ وَيُغْلَى الدُرُّ وَهْو يَتِيمُ

ولِلْمَجْدِ أعْبَاءٌ وَلَكِنَّهَا مُنَى
وَلِلْمَكْرُمَاتِ الغَالِيَاتِ هُمُومُ

وخَاصمنِي مَنْ كُنْتُ أرْجُو وَفَاءَهُ
وللشَمْسِ بَيْنَ النَيِّراتِ خُصُومُ

يُلاقِي العَظِيمُ الحِقْدَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ
فَلَمْ يَنْجُ مِنْ حِقْدِ الطَغَامِ عظيمُ

ويَقَذى بِنُورِ العَبْقَرِيَّةِ حَاسِدٌ
وَيَخْزَى بِمَجْدِ العَبْقَرِي لَئِيمُ

وَتَشْقَى عَلَى الحِقْدِ النُفُوسُ كَمَا انْطَوتْ
قُلوبٌ عَلَى جَمْرِ الغَضَا وَحُلُومُ

وَلَمْ يدْرِ نَعْمَاءَ الكَرى جَفْنُ حَاقِدٍ
وَهَلْ قَرَّ عَيْناً بالرُقَادِ سليمُ[1]

وَيَزْعَمُ أَنَّ الحقدَ يُبدِعُ نِعْمَةً
وَهَيْهَاتَ مِنْ نُعْمَى البَنِينَ عَقِيمُ

---

(١) اللديغ

وَمَا بُنِيَتْ إلاَّ عَلَى الحُبِّ أُمَّةٌ
وَلاَ عَزَّ إلاَّ بالحَنَانِ زَعِيم
وَلاَ فَوْقَ نعماءِ المَحَبَّةِ جَنَّةٌ
وَلاَ فَوْقَ أحْقَادِ النُفُوسِ جَحِيمُ
هُو الحُبُّ حَتَّى يُكْرِمَ العُدْمَ مُوسِرُ
وَيَأْسَى لأَحْزَانِ الغَنِي عديمُ
وَحَتَّى يُرِيحَ الذنب مِنْ حَمْلِ وِزْرِهِ
حَنَانٌ بِغُفْرانِ الذنوبِ زَعِيمُ
وَيَا رَب قَلْبِي مَا عَلِمْتَ مَحَبَّةٌ
وَعِطْرُ وَوَهْجُ مِنْ سَنَاكَ صَمِيمُ
وَآمَنْتُ حَتَّى لا أروم لُبَانَةً
تُخَالِفُ مَا تَخْتَارُهُ وَتَرُومُ

جَلاَ نُورُكَ الدُنْيَا لِعَيْنِي وَسِيمَةً
فَلَمْ يَبْقَ حَتَّى فِي الهُمُومِ دَمِيمُ
وَسَلَّمْتُ أَمْرِي لا مِنَ اليَأْس بَلْ هَوىً
أَصِيلٌ وَإِرْثٌ طَاهِرٌ وأَرُومُ(١)
فَرَرْتُ إِلَى قَلْبِي مِنَ العَقْلِ خَائِفَاً
كَمَا فَرَّ مِنْ عَدْوَى المَرِيضِ سَلِيمُ

---

١) الاحساب واصل الشيء

تَأَلَّهَ عَقْلٌ أَنْتَ يَا رَبِّ صُغْتَهُ
وَكَادَ يَرُدُّ المَيْتَ وَهْوَ رَمِيمُ

وَضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا فَفِي كُلِّ مُهْجَةٍ
هَوَاجِسُ مِنْ كُفْرَانِهِ وَغُمُومُ

وَأَبْدَعْتَ هَذَا العَقْلَ نُعْمَى قِطَافُهَا
فُنُونٌ كَأَطْيَابِ الهَوى وَعُلُومُ

تَرِفُّ حَضَارَاتٌ عَلَيْهِ وَضِيئَةٌ
وَخَيْرٌ كَإِغْدَاقِ السَّمَاءِ عَمِيمُ

وَغَرَّدَ فِي عَدْنٍ لِجُورِكَ شَاعِرٌ
وَغَازَلَ أَسْرَارَ السَّمَاءِ حَكِيمُ

فَمَا بَالُ هَذَا العَقْلِ جُنَّ جُنُونُهُ
فَرَدَّ مَلاكَ الطُّهْرِ وَهْوَ أَثِيمُ

وَزَلْزَلَ مِنْهُ البَرَّ والبَحْرَ كَافِرٌ
بِنُعْمَاكَ مَرْهُوبُ الحُتُوفِ غَشُومُ

وَفِي كَأْسِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ سُلافَةٌ
وَفِي كَأْسِهِ عِنْدَ المساءِ سُمُومُ

وَيُعْطِي المُنَى ما تَشْتَهِي فَهْوَ مُحْسِنٌ
وَيَنْهَبُ ما أَعْطَاهُ فَهْوَ غَرِيمُ

تَحَدَّاكَ حَتَّى كَادَ يَزْعَمُ أَنَّهُ
شَرِيكٌ لِجَبَّارِ السَّمَاءِ قَسِيمُ

وَحـــاوَلَ غَــزْوَ النَــيِّرَيْـــنِ فَــرُدَّهُ
عَــنِ الــذُرْوَةِ العَصْــمَــاءِ وَهْــو رجِيـــمُ
وَكُــفَّ عِنـــانَ العَقْــلِ قَسْــراً فَرُبَّمـــا
أُثِيــر بِإلْحَـــاحِ الســفِيـــهِ حَلِيـــمُ
جَــلَــتْ هَــذِهِ الــدُنْيَـا لِعَيْنِـي كُنُـوزَهَـا
لَــوامِــعَ يُغْــرِي بَــرْقُهَـــا فَأَشِيــــمُ
أَفَــانِيـــنُ مِـــنْ حُســنٍ وَجَــاهٍ وَنِعْمَــةٍ
مَعَــادِنُ نُـــورٍ كُلُّهُـــنَّ كَرِيـــمُ
وَوَشْـــيٌ بِــهِ الأَلْــوانُ حَيْــرَى كَأَنَّهَـــا
سَــمــاءٌ فَتَصْــحُــو لَمْحَــةً وَتَغِيــمُ
وَلَــمْ أَتَــرَدَّدْ وَانْتَقَيْــتُ وَحُــبُّهَـــا
وَأَحْــلامُهَــا مَــا اخْضَــرَّتْ حِيــنَ تَسُــومُ
قَــدِ اخْتُصِــرَتْ دُنْيــا بِقَلْبِــي وَعَــالَــمْ
كَمَــا اخْتَصــرَ العِلْــمَ الشَــتِيــتَ رَقِيـــمُ(١)
وَتُــوجَــزُ فِـــي قَــارُورَةِ العِــطْــرِ روضَــةٌ
وَتُــوجَــزُ فِـــي كَــأْسِ الــرحِيــقِ كُـــرُومُ
وَأُعْـــرِضُ إِعْـــراض الخَــلِـي مِــنَ الهَــوى
وَبِــي مِــنْ هَــوَاهَــا مُقْعِــدٌ وَمُقِيـــمُ
وَمَــا حِيلَتِــي إِنْ نَــم عَــنْ نَفْسِــهِ الهَـــوَى
هُــو العِطْـــرُ والعِطْـــرُ الــزَكِـــيُّ نَمُـــومُ

---

(١) كتاب

تَشابَهَتِ السمْراءُ والدَهْرُ شِيمَةً
كِلاَ القَادِرَيْنِ القَاهِرَيْنِ ظَلُومُ
وَأُكْرِمُهَا عَنْ كُلِّ لَوْمٍ وَأَنْثني
أُعَاتِبُ قَلْبِي وَحْدَهُ وأَلُومُ
وَلَوْ أنَّ شِعْرِي دَلَّلَ الريم نَافِراً
تَلَفَّتَ يَجْزِينِي الصَبَابَةَ رِيمُ

* * *

تُبَادِهُنِي عِنْدَ البُحَيْرَةِ دُمَّرٌ
وَرَوْضٌ عَلى أَفْيَائِهَا وَشَمِيمُ
وَوُرْقٌ عَلى شَطِّ البُحَيْرَةِ حُومٌ
وَوُرْقٌ عَلى قَلْبِ الغَرِيبِ تَحُومُ

خَيَالٌ جَلا لِي الشَامَ حَتَّى إذَا انْطَوَى
تَنَازَعَ قَلْبِي عَبْرَةٌ وَوُجُومُ
وَقَربهَا مَا شِئْتُ حَتَّى احْتَضَنْتُهَا
وغَابَتْ بِحَارُ بَيْنَنَا وَتُخُومُ

وحَيَّتْ مِنَ الرَّوْحِ الشَآمِي نَفْحَةٌ
وَلَوْعٌ بِأَشْتَاتِ الطُيوبِ لَمُومُ
وَلاحَ صِغَارِي كَالفِرَاخِ وَأُمُّهُمْ
حَنُونٌ كَوَرْقَاءِ الغُصُونِ رَؤُومُ

فِـــرَاخُ وَإِنْ طَارُوا ولِلـرِيـحِ ضَجَّـةٌ
وللــرَعْـدِ زَأْرٌ فـي الــدُجَـى وَهَـزِيـمُ
فُطِـرْنَـا علـى حُـب البَنِيــنَ سَجِـيَّـةٌ
تَــلاقَـى عَلَيْهَــا عَاذِرٌ وَمُلِيـمُ
يَشِيــبُ الفَتَـى مِنْهُـمْ وَيَبْقَــى لِـرَحْمَتِـي
كَمـا كَانَ فـي عَيْنَـي وَهْــوَ فَطِيـــمُ
وَهَـــانٍ[1] بِنَعْمــاءِ الطُفُــولَــةِ مــادَرى
أَهــادَنَ دَهْــرٌ أَمْ أَلَــحَّ خَصِيــمُ
غَـــرِيـــرٌ يُبِيـنُ القَــوْلَ بَـلْ لاَيُبِينُهُ
طَفُــورٌ كَـأَطْـلاءِ الــظِبـاءِ بَغُـــومُ
نَــزَعْــتُ سِهـامَ القَلْــبِ لَّمـا خَلَعْتُهُ
عَلَيْـهِ وَنَــزْعُ المُصْـمِيــاتِ أَلِيـمُ
وَجُـرْتُ علـى قَلْبِـي فَأَخْفَيْـتُ أَنَّـهُ
مُـدَمَّـى بِـأَنْـواعِ السِـهـامِ كَلِيـمُ
وَلَـوْلاَهُـــمُ مَارَوَّضَــتْنِـي شَكِيمَـــةٌ
ولا لانَ مِــنِّـــي فـي الصِـعَـــابِ شكِيـمُ

* * *

وَهَيْهَـاتَ مِـنِّــي فـي البُحَيْــرَةِ دُمَّـرٌ
وَسَـجْــعٌ بِــوَادِي الـرَبْــوَتَيْـنِ رَخِيمُ

---
١) حفيده محمد

إذَا لاحَ لِي وَجْـهُ البُحَيْـرَةِ قَاتِماً
أَلَـحَّ عَلَيْـهِ عـاصِفٌ وَغُيُـومُ
فَـوَجْـهُ أَدِيـمِ الشـامِ طَلْـقٌ مُنَـوَّرٌ
وَوَجْـهُ بُحَيْـراتِ السَّـمـاءِ قَسِـيمُ
تَعَـلَّلْتُ لا أَشْكُو سَقامـاً ولا أَذىً
بَلـى كُـلُّ نـاءٍ عَنْ هَوَاهُ سَقِيـمُ
وَيُحْـزِنُنِـي دَوْحُ البُحَيْـرَةِ عـارِيـاً
وَأَوْراقُـهُ الخَضْـراءُ وَهْـي هَشِيـمُ
وَأَبْسُـطُ كَـفِّـي أَقْـطِـفُ المَـاءَ عابِثـاً
كَـأَنَّ المُـوَيْجَـاتِ الصِـغَـارَ جَمِيـمُ[1]
وَتِلْـكَ الـظِـلالُ الحَـالِيـاتُ عَـواطِـلٌ
عَلَى كُـلِّ أَيْـكٍ وَحْشَـةٌ وسُـهُـومُ
تَـعَـرَّتْ مِـنَ الغِيـدِ المِـلاحِ وَطَالَمَا
تَغَـطَّـى بِـأَسْـرَابِ المِـلاحِ أَدِيـمُ
رُسُـومُ هَـوىً ما استَـوْقَفَتْ خَطْـو عَابِـرٍ
كَمَا استَوْقَفَـتْ رَكْـبَ الفَـلاةِ رُسُـومُ
وَلا لَثَـم الحَصْـبـاءَ فِيـهـا مُتَيَّـمٌ
يَشُـمُّ الهَـوى مِـنْ عِطْـرِهَـا فَيَهِيـمُ
يُجَلِّلُهَـا اللَيْـلُ البَهِيـمُ وَمِثْلُـهُ
ضُـحـىً كالـدُجَـى غَمْـرُ السَـوَادِ بَهِيـمُ

١) النَّبْـتُ يغطي الارض

وَشَمْسُ الضُحَى خَوْدٌ كَعابٌ يَضُمُّها
لِغَيْرانَ مِنْ صِيدِ المُلوكِ حَرِيمُ

يُرَدُّ وَيُجْلَى عَنْ كُوى الغَيْمِ وَجْهُهَا
كما رُدَّ عَنْ بَابِ البَخِيلِ يَتِيمُ

وَيَشْكُو الضُحَى مِنْ هَجْرِها مُتَوجعاً
وَيُوحِشُهُ هِجْرَانُها وَيَضِيمُ

تَأَبَّتْ على جُهْدِ الضُحَى فَكَأَنَّهَا
مِنَ الغِيدِ مِكْسالُ الدَلالِ نَؤُومُ

وَضَمَّ الظَلامُ السَكْبُ ظِلاً لِجَارِهِ
كَأَنَ الظِلالَ المُغْفِيَاتِ جُسُومُ

***

يُطارِحُنِي دَوْحُ البُحَيْرَةِ شَجْوهُ
كِلانَا مُعَنًّى بالزَمَانِ هَضِيمُ

وَأَشْكُو لَهُ البلوى وَيَشْكُو كَأَنَّنَا
حَمِيمٌ يُسَاقِيهِ العَزَاءَ حَمِيمُ

أَتَشْكُو وَلَكِنْ عِنْدَكَ الرِيحُ والدُجَى
وللجِن مِنْ شَتَّى الظِلاَلِ نُجُومُ

وَعِنْدَكَ آلافُ الطُيوفِ حَوائِمٌ
رَوانٍ لأَسْرارِ البُحَيْرةِ هِيمُ

تُلَمْلِمُ أَسْرارَ البُحيرة شُرَّداً
وَيَفْتِنُهَا سَكْبُ الشَذا فَتَرِيمُ

هُنَا كُلُّ أَسْرارِ البُحَيْرةِ والرُؤَى
طَوافِرُ في دُنْيا الخَفَاءِ تَهِيمُ
هُنَا عُرسُ الأَطْيافِ يَفْتَرِشُ الدُجَى
ويقعُدُ في أَحْضَانِهِ وَيَقُومُ
خَفَاءٌ يَضِجُّ الصمْتُ فيهِ وَبُلْبُلُ
تَحَدَّى ضَجِيجَ الصَمْتِ فَهْو نَغُومُ
وَلَفَّ الخَفَاءُ الحُسْنَ حَتَّى شَكَى الهَوى
وَغارَ حَرِيرٌ مُتْرَفٌ وَرُقُومُ
فَدَعْ لَومَهُ إنْ لَمْ يَلُحْ لَكَ سِحْرُهُ
خيالُكَ لا سِحْرُ الخَفَاءِ مَلُومُ
هُنَا أَلَّفَ الأَطْيارَ والناس رَحْمَةٌ
فللطيْرِ أُنسٌ فِيهِمُ وَلُزُومُ
إذَا انْبَسَطَتْ رَاحٌ فللطَيْرِ فَوْقَها
حَنِينٌ الى سَمْحِ القِرَى وَجُثُومُ
فَيا خَجْلَةَ الصحْرَاءِ لَمْ يَنْجُ جُوذُرٌ
ولا قَرَّ عَيْناً بالأَمانِ ظَلِيمُ[1]
وَلَمْ تَهْنَ بالعُشِ البَعِيدِ حَمَامَةٌ
فَصَيَّادُهَا صَعْبُ المِرَاسِ عَزُومُ
شَكَا الطَيْرُ مِنْ ظُلْمِ الأَنَاسِي واشْتَكَتْ
ظِباءٌ وَعُشْبٌ في الفَلاةِ نَجِيمُ

١) الظَلِيم ذكر النعام

فَيـا رَبِّ لا أَقْـوَى مِنَ الـطَّيْـرِ عُشُّـهُ
وَلا رَاعَ أَسْـرَابَ الـظِّبَـاءِ غَرِيـمُ
وَلا أَوْحَشَـتْ رَمْـلَ الفَـلاةِ جَآذِرٌ
وَوَرْدٌ يُنَـدِّي حَـرَّهَـا وَفُغُـومُ
وَكُـلُّ غَمـامٍ مرَّ في الـرَمْـلِ دِيمَـةٌ
وكـلُّ كِنَـاسٍ لِلـظِّبَـاءِ مَـدِيـمُ(١)
رِمـالٌ كَبُـرْدٍ عاطِـلِ الـوَشْـيِ حَاكَـهُ
صَـنـاعُ مُعَـنًّـى بالبُـرودِ سَـؤُومُ
فَزَوَّقَـهُ بالـوَشْـيِ غَـادٍ وَرائِـحٌ
وَعَـدْوُ جِيَـادٍ ضُمَّـرٍ وَرَسيـمُ
ويـا رَبِّ في الانْسـانِ والـطَّيْـرِ لا احْتَمَـى
بِغَيْـرِكَ مَقْصُـوصُ الجَنَـاحِ ظَلِيـمُ
وَصُـنْ كُـلَّ زَرْعٍ أَنْ يُنـازِعَ خِصْبَـهُ
هَجِيـرٌ وَرِيـحٌ - لا تَرِقُّ - حَطُـومُ
سَنـابِـلُ وَفَّـتْ لِلـطُّيُـورِ زَكاتَهـا
فَحَنَّـتْ إِلَيْهـا جَنَّـةٌ وَنَعِيـمُ
ويـا رَبِّ تَـدْرِي الشـامُ أَنِّـي أُحِبُّهـا
وأَفْنَـى وَحُبِّـي لِلشَّـآمِ يَـدُومُ
وَلِـي في ثَـراهـا من لِـداتِـي أَعِـزَّةٌ
حُمَـاةٌ اذا اسْـتَخْـذَى الشُـجـاعُ قَـرومُ

١) المديم ما اصابته الديمة وهي المطر الدائم في سكون

تَهـاوَوْا تِبَـاعـاً واحِـداً بَعْـدَ وَاحِـدٍ
عَلَيْـهِ انْفِـراطَ العِقْـدِ وَهْـو نَظِيـمُ
تَسـاقَـوْا مَنايَـاهُـمْ ضُحَـى العُمْـرِ وَانْطَـوى
شَبـابُهُـمُ الـرَيَّـانُ وَهْـو تَمِيمُ
وأُسْـرِفُ في الـذِكْـرَى لأُنْـزِحَ نَبْعَهَـا
وَلـكِـنَّ نَبْـعَ الـذِكْرَيـاتِ جَمُـومُ[1]
إذَا قُلْـتُ غاضَـتْ بَعْـدَ لأْي تَدَفَّقَـتْ
وَلِلْـمَـوْجِ فِيهـا كَـرَّةٌ وَهُجُـومُ
وَتُسْـدِلُ أَحْيـانـاً شَفِيـفَ لِثـامِهَـا
كَمـا لَثَـم الفَجْـرَ الضَـحُـوكَ سَـدِيمُ
وَفي كُـلِّ أَيْـكٍ لي عَلَـى الشَـام مَنْسَـكٌ
وفي كُـلِّ دَوْحٍ زَمْـزَمٌ وَحَطِيـمُ
وَكُـلُّ مَقَـامٍ فيكِ حتى علـى الأَذَى
حَمِيـدٌ وكُـلُّ النَـأْيِ عَنْـكِ ذَمِيـمُ
حَـوَالَـي الصِـبَـا إنْ لَمْ تَـرِدْكِ عواطِلٌ
وريـحُ الصَـبَـا ما لَمْ تَـزُرْك سَمُـومُ
ويـا رب إنْ سَبَّحْـتُ والشَـامُ قِبْلَتِـي
فـأَنْـتَ غَفُـورٌ للـذُنـوبِ رَحِيـمُ
تَهَلَّـلَ عَفْـوُ اللـهِ للـذَنْـبِ عِنْـدَما
أَطَـلَّ عليـهِ الـذَنْـبُ وَهْـوَ وَسِيمُ

جنيف ١٩٦٣/١١/١

١) تجمَّع ماؤها وكثر

من وحي الهزيمة

الى ابطال تشرين التحرير الذين حلمت بهم هذه القصيدة كما حلم بهم الوطن المنكوب فكانوا له ولها فجرين من ثأر وامل

رَمْلُ سيناءَ قَبْرُنا المحفورُ
وعلى القَبْرِ مُنْكَرٌ ونَكيرُ
كِبْرِياءُ الصحراءِ مرَّغها الذُلُّ
فَغَابُ الضُحى وغارُ الزئيرُ
لا شهيدٌ يُرْضي الصحارى وجَلَّى
هاربٌ في رمالِها وأسيرُ
ايُّها المستعيرُ ألْفَ عتادٍ
لأَعاديكَ كلُّ ما تستعيرُ
هدَّكَ الذُعْرُ لا الحديدُ ولا النارُ،
وعِبءٌ على الوغى المذْعورُ
أغُرورٌ على الفِرارِ؟! لقد ذابَ
حياءً من الغُرورِ الغُرورُ!
ألقِلاعُ المُحَصناتُ - إذا الجُبْنُ
حَماها - خَوَرْنَقٌ وسديرُ!
لم يُعانِ الوغى «لِواءٌ» ولا عانى
«فريقٌ» أهوالَها و«مُشِيرُ»
رُتَبٌ صُنْعَةُ الدواوين ماشاركَ
فيها قَرُّ الوغى والهجيرُ

وتـطيرُ النُسـورُ فـي زَحْمَـةِ النَجْمِ
وفـي عُشِّـهِ البُغـاثُ يَطيـرُ
جَبُـن القـادَةُ الـكِبـارُ وفَـرُّوا
وبـكـى للفِـرارِ جَيْـشٌ جَسُـورُ
تـركـوه فَـوْضـى الى الـدُورِ، فيحاءَ
لقـد ضَمَّـتِ النسـاءَ الخُـدورُ!
هُـزِم الحـاكمـون - والشـعبُ فـي
الأصـفـادِ فالحُـكْـمُ وحـده المكسـورُ
هُـزِمَ الحاكمـونَ لم يَحْـزَنِ الشعبُ
عليهـم ولا انتخـى الجمهـورُ
يسـتجيرونَ! والـكريمُ لدى الغَمْرَةِ
يَلْقـى الـردى ولا يستـجيـرُ!

***

لا تَسـلْ عن نَميـرها غُوطَـةَ الشـامِ
أَلَـحَّ الصـدى وغـاض النَميرُ
وانْـس عِـطْـر الشـآمِ حيـث يُقيمُ
الـظُلْـم تَنْـأى ولا تُقيـمُ العُطـورُ
أطْبِقـوا لا ترى الضِيـاءَ جُفوني
فَجفـونـي عـن الضِيـاءِ سُتورُ
بعضُ حريتـي السماواتُ والأنجـمُ
والشـمـسُ والضُحـى والبُـدورُ

بعض حريتي المَلائِكُ والجَنَّةُ
والراحُ والشذا والحُبورُ
بعضُ حريتي الجمالُ الإلهيُّ
ومنه المكشوفُ والمستورُ
بعض حريتي ويكتحِلُ العَقْلُ
بنورِ الإلهام والتفكيرُ
بعضُ حريتي ونحن القرابينُ
لمحرابها ونحن النُذورُ
بعضُ حريتي من الصُبْحِ أطيابٌ
ومن رِقَّةِ النسيم حريرُ
ثَمَّ أمْلى الطُغاةُ أن يُبْغَض النورُ
علينا ويُعْشَقَ الديجورُ

***

نحنُ أسرى ولو شَمَمْنا على القَيْدِ
لَما نالنا العَدُوُّ المُغيرُ
لاقْتَحَمْنا على الغُزاةِ لَهيباً
وعَبَرْنا وما استحال العبورُ
سألوني عن الغُزاةِ فجاوَبْتُ
رياحٌ هَبَّتْ ونحن ثبيرُ
سألوني عن الغزاةِ فجاوبْتُ
رِمالٌ تُسْفَى ونحن الصخورُ

سألوني عن الغزاةِ فجاوبْتُ
ليالٍ تمضي ونحنُ الدهورُ!

***

هلْ دَرَتْ عَدْنُ أن مَسْجِدَها الأقصى
مكانٌ من أهلهِ مهجورُ
أيْنَ مسرى البُراقِ والقُدْسُ والمَهْدُ
وبيْتُ مُقَدَّسٌ معمورُ؟
لم يُرَتَّلْ قُرآنُ أَحْمَدَ فيه
ويُزارُ المَبْكى ويُتْلى الزَبُورُ
طُوي المُصْحَفُ الكريمُ وراحَتْ
تتشاكى آياتُهُ والسطورُ
تُسْتَبى المُدْنُ والقُرى هاتفاتٍ
أين أين الرشيدُ والمنصورُ!
يالَذُلٍّ الإسلامِ إرْثُ أبي
حَفْصٍ بيديْهِ مُضَيَّعٌ مغمورُ
يا لَذُلٍّ الإسْلامِ لا الجُمْعَةُ الزهـ
ـراءُ نُعمى، ولا الأذانُ جَهيرُ
كلُّ دنيا للمسلمين مَنَاحاتٌ
وويْلٌ لأهْلِها وثُبورُ
لَبِستْ مَكَّةُ السوادَ، وابْكَتْ
مَشْهَدَ المُرْتضَى ودُكَّ الطُورُ

هل دَرى جَعْفَر؟ فرفَّ جَناحاهُ
الى المَسْجِدِ الحزينِ يطيرُ!
ناجَتِ المَسْجِدَ الطَّهُور وحنَّتْ
سِدرةُ المُنْتهى وظِلٌ طَهورُ
أيْنَ قَبْرُ الحُسيْنِ؟[1] قَبْرٌ غريبٌ!
من يضُمُّ الغريب او مَنْ يزورُ
أينَ آيُ القُرآنِ تُتْلى على الجَمْعِ
وأَيْن التهليلُ والتكبيرُ؟
أيْن آيُ الإنجيلِ؟ فاح من الإنجيلِ
عطرٌ وضَوّأَ الكَوْنَ نُورُ
أيْنَ روما؟ وجَلَّ حَبْرُ بروما
مَهْدُ عيسى يشكو ويشكو البَخورُ
ألنصارى والمسلمون أَسارَى
وحبيبٌ الى الأسيرِ الأسيرُ
صَلَبَ الرُوح مرَّتينِ الطواغِيتُ!
جِراحٌ كما يضوعُ العبيرُ
يا لَذُلٍّ الإسلامِ والقُدْسُ نَهْبٌ
هُتِكَتْ أرْضُهُ فأيْنَ الغَيورُ
قد تطولُ الأعمارُ لا مَجْدَ فيها
ويَضُمُّ الأمجادَ يومٌ قصيرُ

***

(١) الحسين بن علي زعيم الثورة العربية مدفون في جوار الأقصى

مَنْ عَذُولي على الدُمــوعِ؟ وفي المَرْوَةِ
والـرُكْـنِ والصـفـا لـي عـذيـرُ
وحـرامٌ علــي أن ينــزِلَ البشْـرُ
بقلبـي وأنْ يُلــم الحبُــورُ
كُحِلَـتْ بالثـرى الخضيبِ جُفــونٌ
وهفـتْ للثــرى الحبيـبِ ثُغــورُ
لا تُشَـقُّ الجيـوبُ في مِحْنَــةِ القُــدسِ
ولــكنَّهــا تُشَـــقُّ الصـُـدورُ
حُبِسـت أدْمُـعُ الأُبـاةِ من الخَوْفِ
ويبــكـي الشــذا وتبــكـي الطيـورُ
أنـا حُـزنٌ شخــصٌ يــروحُ ويغــدو
ومســائــي مع الأســى والبُكــورُ
أنــا حـــزنٌ يمــرُّ فــي كــل بــابٍ
ســائـــلٌ مُثقَــلُ الخُــطــى مَنـــهورُ
طَرَدَتْني الأكــواخ والبُــوسُ قُرْبى
وتعــالــتْ علــى شقــائـي القُصــورُ
يحتــوينـي الهجيـرُ حينــاً ولا يَرْحَمُ
أسْــمـــالَ فَقْـــرِي الزَمهَـريـرُ
وعلـى الجُــوعِ والضَــنـى والـرزايــا
فــي دُروبـي أَسيــرُ ثُــم أَسيــرُ

نَقَلَتْني الصحراءُ حيناً وحيناً
نَقَلَتْني الى الشعوبِ البُحورُ
حامِلاً محنتي أُجَرِّرُ اقدامي
ويَومي سمْحُ الغَمامِ مَطيرُ
حاملاً محنتي اوزعها فيَ
كل دنيا وشرُها مُستطِبرُ
مِحْنتي الغَيْثُ إنْ أرادوا وإلاَّ
فهديرُ البُرْكانِ والتدميرُ
حامِلاً مِحْنةَ الخِيامِ فتَزْوَرُّ
وجوهٌ عني وتُغْلَقُ دورُ !
ألخِيامُ المُمزَّقاتُ وأُمٌّ
في الزوايا وكِسْرةٌ وحَصيرُ
وفتاةٌ أذلَّها العُرْيُ والجوعُ
ويلهو بالرَمْلِ طِفْلٌ صغيرُ
كُلما أنَّ في الخِيامِ شريدٌ
خَجِلَ القصرُ والفِراشُ الوثيرُ
خَجِلَ الحاكمونَ شَرْقاً وغَرْباً
ورئيسٌ مُسَيْطِرٌ ووزيرُ
هيئةٌ(١) للشُعوبِ تُمعِنُ في الذنْبِ
ولا تَوْبَةٌ ولا تكفيرُ

(١) هيئة الامم المتحدة المسؤولة عن نكبة فلسطين

شارَكَ القومُ كُلُّهُمْ في أذانا
ومن القَوْمِ غُيَّبٌ وحُضورُ
من قوانينها المُداراةُ للظُّلْمِ
ومنها التغريبُ والتهجيرُ
ويُقامُ الدستورُ، اضحوكَة الساخِرِ
مِنَّا ويُوأدُ الدُسْتُورُ
كلُّ عِلْمٍ يغزو النجومَ ويغزو
بالمَنايا الشعوبَ عِلْمٌ حقيرُ
والحضاراتُ بَعضُهُنَّ بشيرٌ
يتهادى وبَعْضُهُنَّ نذيرُ
نُعْمياتُ الشعوبِ شَتَّى فَنُعْمى
حَمِدَتْ رَبَّها ونُعْمى كَفُورُ

***

لن يعيش الغازي وفي الأَنْفُسِ
الحِقْدُ عليه وفي النفوسِ السعيرُ
يحرقُ المدنَ، والعذارى سبايا
وصغيرٌ لذبحه وكبيرُ
دينُهُ الحَرْقُ والإِبادَةُ والحقدُ
وشَتْمُ الأعراضِ والتشهيرُ
صوَّرته التوراةُ بالفتكِ والتدمير
حتى لَيفزَعَ التصويرُ

مِنْ طِبَاعِ الحُروبِ كَرٌّ وفَرٌّ
والمُجَلِّي هُو الشُجاعُ الصَبُورُ
ليس يُبْنى على الفُجاءَاتِ فَتْحٌ
عَلَمِي في غَدٍ هُوَ المَنْشورُ
تنتخي للوغى سُيوفُ مَعَدٍّ
ويقومُ المَوْتى وتمشي القُبورُ
عربيٌّ فلا حِمايَ مُباحٌ
- عند حِقدي - ولا دمي مهدورُ

***

نحنُ أَسْرى وحين ضِيم حِمانا
كاد يَقْضي من حُزْنِهِ المَأسورُ
كُلُّ فَرْدٍ من الرعيةِ عَبْدٌ
ومِنَ الحُكْمِ كلُّ فَرْدٍ أميرُ
ومَعَ الأَسْرِ نحن نستشرِفُ الأفلاكَ
والدائراتِ كَيْفَ تَدورُ
نحنُ مَوْتى ! وشَرُّ ما ابْتَدَعَ الطغيانُ
مَوْتى على الدروبِ تسيرُ
نحنُ موتى ! وإن غدونا ورُحْنا
والبيوتُ المُزَوَّقاتُ قُبورُ
نحن موتى يُسِرُّ جارٌ لجارٍ
مستريباً متى يكونُ النشورُ

بَقِيتْ سُبَّةُ الزمانِ على الطاغي
ويبقى لنا العُلى والضميرُ

***

سألوا عن ضَنَاي، مَحْض تَشَفٍّ،
هَلْ يَصِحُّ المُعَذَّبُ الموتورُ

أمِنَ العَدْلِ أيُّها الشاتِمُ التاريخَ
أنْ تَلْعَنَ العُصورَ العُصورُ؟

أَمِنَ النُبْلِ أيُّها الشاتِمُ الآباءَ
أنْ يَشْتُمَ الكبيرَ الصغيرُ

وإذا رفَّتِ الغصونُ اخْضِراراً
فالذي أبْدَعَ الغصونَ الجذُورُ

إشْتراكِيَّةٌ؟! وكَنْزٌ من الدُرِّ
وزهْوٌ ومِنْبرٌ وسريرُ

إشتراكيَّةٌ تعالِيمُها الإثراءُ
والظُّلْمُ والخَنا والفجورُ

إشتراكِيَّةٌ! فإن مَرَّ طاغٍ
صُفَّ جُنْدٌ له ودَوَّى نَفِيرُ

كلُّ وغْدٍ مُصعِّرِ الخَدِ لا سابورُ
في زهوِهِ ولا أزدشِيرُ

يغضَبُ القاهِرُ المُسلَّحُ بالنارِ
إذا أنَّ أو شكا المَقْهورُ

يُنْكِرُ الطَّبْعُ فلسفاتِ عقولٍ
شأنُهنَّ التعقيدُ والتعسيرُ
كُلُّ شيءٍ مُتَمِّمٌ لِسواهُ
ليس فينا مستأجِرٌ وأجِيرُ
باركَ اللهُ في الحنيفيةِ السمحاءِ
فيها التسهيلُ والتيسيرُ

***

ورقيبٍ على الخَيالِ فَهَلْ يَسْلَمُ
منه المسموعُ والمنْظورُ ؟
عازِفٍ عن حقائِقِ الأمْرِ لُؤماً
وكفى أن يُلَفَّق التقرير
فَيُجافي أَخٌ أخاهُ ويشقَى
بالجواسيسِ زائِرٌ ومَزُورُ
لصِغارِ النفوس كانت صغيراتُ
الاماني وللخطيرِ الخطيرُ
يَنْدُرُ المَجْدُ والدروبُ الى المجدِ
صِعَابٌ ويكثُرُ التزويرُ
عَلِموا أنَّه عسيرٌ فهابوهُ
ولا بِدْعَ فالنفيسُ عسيرُ
محْنةُ الحاكمينَ جَهْلٌ ودَعْوى
جُبُنٌ فاضِحٌ ومَجْدٌ عَثُورُ

نهبوا الشَـعْـبَ ، واسـتبـاحَ حمِـى المالِ
جنـونُ النعيـمِ والتبـذيـرُ
كيـف يَغْشـى الـوغـى ويظْفَـرُ فيهـا
حـاكِـمٌ مُتْـرَفٌ وشعْـبٌ فقـيرُ
مَـزَّقـوهُ ولن يُمـزَّقَ ، فالشعْبُ
عليـمٌ بمـا أرادوا خبيـرُ
حَكمـوهُ بالنـارِ فالسيفُ مصقولٌ
علـى الشَـعْـبِ حَـدُّهُ مشـهورُ
محْنَـةُ العُـرْبِ أُمَّـةٌ لـم تُهـادِنْ
فاتحيـهـا وحـاكِـمٌ مَأجـورُ

***

هتـكـوا حُرْمـةَ المساجِـدِ لاجِنـكيـزُ
بـاراهُـمْ ولا تَيْمـورُ
قحمـوهـا على المُصـلِّيـنَ بالنـارِ
فشِـلْـوٌ يعلـو وشِـلْـوٌ يغـورُ
أمْعَنـوا في مصـاحِـفِ اللـهِ تمـزيقـاً
ويبـدو علـى الـوجـوهِ السـرورُ
فُقِئَـتْ أعْيُـنُ المُصـلِّيـنَ تعذيباً
وديسـتْ منـاكِـبُ وصُـدورُ
ثـم سيقـوا الى السـجـونِ ولا تسألْ ،
فَسجّـانُها عنيـفٌ مـريـرُ

يُشْبِعُ السوْطَ من لحُوم الضحايا
وتأبّى دُموعُهُمْ والزفيرُ

مُؤمِنٌ بين آلتين من الفولاذِ
دامٍ مُمزّقٌ مَعصورُ

هتفوا باسْمِ أحْمَدٍ فعلى الأصواتِ
عطرٌ وفي الأسارير نُورُ

هتفوا باسْمِ أحْمَدٍ فالسياطُ الحُمْرُ
نُعْمى وجَنَّةٌ وحريرُ

طَرْفُ اتباعِ أحمدٍ في السماواتِ
وطَرْفُ الطاغي كليلٌ حسيرُ

***

عِبْرَةٌ للطُغاةِ مَصْرَعُ طاغٍ
وانتقامٌ من عادلٍ لا يجُورُ

أَلْمُصلُّونَ في حِمى اللهِ يُرْديهِمْ
مُدِلٌّ بجُنْدِهِ مخمورُ

جامِعٌ شاده على النُورِ فَحْلٌ
أَمَوِيٌّ مُعَرِّقٌ منصورُ

لم تُرعْ فيه قبل حُكْمِ الطواغِيتِ
طيورٌ ولا استبيحتْ وكُورُ

مُطْلِقُ النارِ فيه في الجُمَعْةِ الزهراء
شِلْوٌ دامٍ وعَظْمٌ كَسيرُ
والذي عذَّبَ الأُباةَ رأى التعذيبَ
حتى استجارَ منْ لا يُجيرُ(١)
قدماه لم تَحمِلاهُ الى الموتِ
فَزَحْفٌ على الثَرى لا مسيرُ
وخَزَتْهُ الحِرابُ وهْو مسوقٌ
لِرداهُ مُحَطَّمٌ مجرورُ
ويُجيلُ العيْنَيْنِ في إخْوَةِ الحُكْمِ
وأين الحاني وأين النصيرُ ؟
كلُّ فَرْدٍ منهم لِقَتْلِ أخيهِ
يَصْدُرُ الرأيُ منه والتدبيرُ
وغداً يذْبحُ الرفيقَ رفيقٌ
مِنْهُمُ والعشيرُ فيهم عشيرُ
يأكلُ الذِئْبَ، حين يرْدى أخوهُ
ويَعضُّ العقُور كَلْبٌ عقُورُ

***

إرجعوا للشُّعوبِ يا حاكميها
لَنْ يُفيدَ التهويلُ والتغريرُ

(١) الطاغية الذي اقترف الآثام انتهى به الامر الى ان يحاكم ويقتل

صارحُوها فقد تبدَّلَتِ الدنيا
وجدَّتْ بعد الأمورِ أُمورُ
لا يقودُ الشعوبَ ظُلْمٌ وفَقْرُ
وسِبابٌ مُكَرَّرٌ مَسْعورُ
والإذاعاتُ! هل تخَلَّعَتِ العاهِرُ؟
أمْ هل تَقيَّأ السِكِّيرُ؟!
صارِحوها ولا يُغَطِّ على الصِدْقِ
ضجيجٌ مُزَوَّرٌ وهديرُ
واتَّقوا ساعَةَ الحِسابِ إذا دَقَّتْ
فيومُ الحِساب يومٌ عسيرُ
يَقِفُ المُتهمانِ وجهاً لِوجْهِ
حاكمٌ ظالمٌ وشعبٌ صبورُ
كلُّ حُكْمٍ له - وإنْ طالتِ
الايامُ - يومان أوَّلٌ وأخيرُ
كلُّ طاغٍ - مهما استَبدَّ - ضعيفٌ
كلُّ شعْبٍ - مهما استكان - قديرُ
وهَب اللهُ بعْض اسمائِهِ
للشعب، فهو القديرُ وهْو الغَفورُ

***

يُبْغِضُ الظُلْمُ ناصحيهِ وإنّي
لَلومٌ في نُصْحِكُمْ مَعْذورُ!

يشْـــهَــدُ الـــلهُ ما بِقَلْبِـــي حقــدٌ
شـــَـفَّ قلبـــي كما يشــفُّ الغديــرُ
وجِــراحـــي ينـــطِقْــنَ شَــهْداً وعِطْــراً
أدْمُعـــي رَحْمَـــةٌ وشــعــري شعـورُ
يُرْشـــف النــورُ من بياني فـــإنْ
غَنَّيْـــــتُ فهـــو المُـدَلَّـهُ المخمــورُ
وطبـــاعـي ـ علـــى ازدحـــام الرزايـــا ـ
لـــم ينلهـــا التبـــديـــلُ والتغييـــرُ
مُسْـــلِمٌ كُلَّما سَجَــدْتُ لِرَبِّي
فـــاحَ مِنْ سجْدتـــي الهُـــدى والعبيرُ
ومَـــعَ الشَيْبِ والكُهولَـــةِ قلبي
ـ كَعُهـودِ الصِــبا ـ بَرِيءٌ غـــريـــرُ
لِـي حُـــرِّيَتـي وإيمانـــي السَمْـــحُ
فَحُلْمـي هـــانٍ وجَفْنـي قـريــر !
لم أُهـــادِنْ ظُلْماً وتـدري الليالـي
فـي غـدٍ أيُّنــا هُـوَ الـمَدْحــورُ !

مصرع الشمس

تأبين الملك غازي عام ١٩٣٩

زَهْـــوةُ الفَتْـــحِ والشَـــبـــابِ النَجيـــدِ ،
مَـنْ سَقـــى الفَجْـر مِنْ دِمـــاءِ الشَهِيدِ !
خَضَـبَـــتْ غُرَّةَ الصـبـــاح فَقَـــدْ
نَـم عَلَيْهـــا بالعِـــطْـــرِ والتَوْريـــدِ
قَـــدَرٌ أنْـــزلَ الـــكَمِـــي عن الســـرْجِ
وألْـــوَى بالفـــارِسِ المَعْـــدُودِ
مَصْـــرعُ الشَـــمْسِ فـــي الضُحـــى هَلْ يَنالُ
الشـــمس في أُفقْهـــا عِثـــارُ الجُـــدودِ
دَمُ غَازي يا حُمْـــرَةَ الفَجْـرِ فاسْقِـي
وارْشُفِـــي مِنْ ضِيائِـــهِ واستَـــزِيـــدِي
عُرُسٌ في الجِنـانِ فـالحُـــورُ يَطْفُـــرْنَ
على مَيْعَـــةِ الضِيـــاءِ البديـــدِ
سِدْرَةُ المُنْتَـــهـــى نَعِيـــمٌ وأَفْيـــاءٌ
وأغـــرودةٌ علـــى أُمْلـــــودِ
وَحَنَـــتْ فاطِـــمٌ تَضُـــمُّ فَتاهَـــا
لَهْفَـــةَ الأمِّ فُوجِئَـــتْ بالوَحِيـــدِ
مَنْ رأى رَوْعَـــةَ الحَنـــانِ أطَلَّـــتْ
مِـــنْ عُيـونٍ ولألأتْ فـــي خُـــدودِ

وهَفا بالنَعيمِ غازي لِبَغْدادَ
وللجُنْدِ والقَنا والبُنُودِ

* * *

إيه دُنْيا الرشيدِ تَفْنَى الحَضَاراتُ
وتَبْقى كالدهْرِ دُنْيا الرَشيدِ
صُوَرٌ للعُلى القَديم وضَاءٌ
زَوَّقَتْها رُؤى الخَيالِ الشَرُودِ
صُوَرٌ للقَديمِ تَعْرِضُها الدُنْيا
ضِياءً وروْعةً في الجَديدِ
هَذِه دِجْلَةٌ وهذي البساتينُ
وشدْوُ القُمْريَّةِ الغِرِّيدِ
والاماسِيُّ والنخيلُ وملاَّحٌ
طَروبُ الحُداءِ حُلْوُ النَشيدِ
والليالي القَمْراءُ في النَهْرِ
والانغامُ أَصْداءُ زَوْرَةٍ وصُدودِ
والقِيانُ المِلاحُ يَخْطُرْنَ في
الشطِّ سُكارى مُرَنَّحَاتِ القُدودِ
آهَةٌ بَعْدَ آهَةٍ من عَريبٍ(١)
تَخْلقُ الظلَّ للضُحَى المَكْدُودِ

---

١) المغنية العباسية وقد خصص لها ابو الفرج الاصفهاني في كتابه العظيم (الاغاني) صفحات عديدة

كُلَّما هَلْهَلَتْ صباً أوْ حِجَازاً
ضَاعَ حُلْمُ المُتَوَّجِ المَحْسُودِ
وَجَوارٍ يُمَرِّحْنَ في الزورق الساجي
ويضحكْنَ عن نديٍّ بَرودِ
رفَّ مجْدافُهُ على الماءِ وانْسابَ
بأحْلى مَعاصمٍ وزُنُودِ
فانْتَشى من طُيوفِهنَّ وجُنَّتْ
قطراتٌ عَلِقْنَ بين النُهودِ
والقُصورُ البَيضاءُ والحُلُمُ
اللذُّ جلاَهُ دُخانُ نَدٍّ وعُود
حَمَلَتْهُ هفْهافَةُ العِطْر نَشْوانَ
الى جَنَّةِ الخَيالِ البَعيدِ
هَمَدَتْ ثَوْرَةُ الشهيدِ وَقَرَّتْ
يا دَوِيّاً مُجَلْجِلاً في الهُمودِ

* * *

إيهِ دُنْيا الرَشيدِ تَفْنَى الحَضَاراتُ
وَتَبْقَيْنَ من لِداتِ الخُلُودِ
قَصْرُ هارونَ ما عَهِدْتِ من اللألاءِ
والعِزِّ وازْدِحامِ الوُفُودِ

حَمَلَ التاجَ مَفْرِقُ المَلِكِ الطِفْلِ
وما نـاءَ بالجَليلِ الشَديدِ
تاجَ بَغْدادَ والشـآمِ ولُبنانَ
وبَحْرٍ للرومِ طَاغٍ عَنيدِ
أيُّها البَحْرُ! بَعْض تِيهِكَ واذْكُرْ
نَسَباً بيننا قَدِيم العُهودِ
لَسْتَ للرومِ أَنْتَ للمَلِكِ الطِفْلِ
نُضارٌ في تاجِهِ المَعْقُودِ
أَيُّها البَحْرُ! أَنْتَ مَهْما افترقْنا
مِلْكُ آبائِنا ومِلكُ الجُدودِ

* * *

وانْحَنى الكَوْنُ يَلْثِمُ المَلِكَ الطِفْـ
ـلَ وَيفْدِيهِ بالطَريفِ التَليدِ

* * *

صاحِبَ التاجِ! دَمْعَةٌ مِن دُموعِ
الشامِ ذَوَّبْتُ عِطْرَها في قَصيدي
وأَنَا الشاعِرُ المُدِلُّ على الدنيا
بِغَيْبٍ في حُبِّكُم وشُهودِ
هاشِمِيُّ الهَوى أَحَبَّ فما دَارى
وعادَى على هواكُمْ وعُودي

حَلِيتْ في نَعيمِ جَدِّكَ اشعاري
وتمنمْتُ في ذَراهُ عُقودي
حاطَني بالحَنانِ صَقْرُ قُرَيْشٍ
وسَقى دَوْحَتي وَنَضَّرَ عُودي
لَكُمُ نِعْمَةٌ علي وما كُنْتُ
لِنَعْماءِ بَيْتِكم بالجَحُودِ
فَيَّىءُ الشامَ باللِواءِ ونَضِّرْ
شاطِئَيْها بِظِلِّكَ المَمْدُودِ
لَيْس بَيْنَ العِراقِ والشامِ حَدٌّ
هَدَمَ اللهُ ما بَنَوْا مِنْ حُدودِ
بايَعَتْ جَدَّكَ الشَآمُ فَسَلْهَا
تَتَحَدَّثْ عَنْ يَوْمِهِ المَشْهُودِ
بَيْعَةٌ في رِقابِنا لأَبي غازي
ولِلابْنِ بَعْدَهُ والحَفيدِ

* * *

قُلْ كَما قالَ للغَمامَةِ هارونُ
وفي الجَو زَمْزَماتُ الرُعودِ
قُلْ لها أَيُّها الغَمامَةُ جُودي
شاطِىءَ الرافِدَيْنِ أو لا تَجُودي
حَومي ما أَرَدْتِ شَرْقاً وغَرْباً
في تُخُومِ الكَوْنِ الفسيحِ المَدِيدِ

سَتَرِفِّينَ مُخْصِباً مِنْ سُفُوحي
أَوْ تُرَوِّينَ ظَامِئاً من نُجُودي

أَمْطري حَيْثُ شِئْتِ فالكَوْنُ مُلْكي
وَبَنُوهُ قبائِلي وجُنُودي

***

لا تَسَلْنِي عَنِ الشآمِ فَقَدْ حَزَّ
بِجيدِ الشآمِ عَضٌّ الحَديدِ

لَوَّحُوا بالقُيودِ فابْتَدرَ المَوْتَ
أُباةٌ تَنَمَّرُوا لِلْقُيُودِ

رَوَّعُوا الأُمَّهاتِ في حَلَكِ الليْلِ
وراعُوا صِغارَها في المُهودِ

فَتَنَمَّرْ واغْضَبْ لِقَوْمِكَ وارْجُم
بالشِهابِ اللَمَّاحِ كُلَّ مريدِ

واغْزُ بالجَيْشِ قُبَّةَ الفَلَكِ الدائرِ
واقْحَمْ بِهِ عَرينَ الأُسُودِ

جَيْشُكَ الجَيْشُ لَو تَنكَّر للنَوْمِ
لَضاقَتْ بِهِ جُفُونُ الرُقودِ

فإذا هِجْتَهُ تَرَنَّحَتِ الأعْلامُ
وازَّيَنَتْ لِفَتْحٍ جَديدِ

وإذا هِجْتَـهُ تَلَفَّتَـتِ الدُنيـا
وَهَمَّـتْ أفـلاكُهـا بالسُجُـودَ

* * *

شَقِيَـتْ باليَهُـودِ أرْضُ فِلَسْطِيـنَ
وضـاقَـتْ رِحـابُهـا باليهـودِ
بِنَفَـايـا الـدُنْيـا على كـلِّ وَجْـهٍ
مِنْهُـمُ سُبَّـةُ اللَعيـنِ الطَريـدِ
أدِّبِ القَـوْمَ بالسِيـاطِ ونَـزِّهْ
سَيْـفَ هـارونَ عَنْ دِمـاءِ العَبيـدِ

* * *

بِنْـتَ مَـرْوانَ لا تُـراعِـي وخَلِّـي
عَنْـكِ تَهْـويـلَ عُـدَّةٍ وعَدِيـدِ
أنْـتِ في ذِمَّـةِ الـوَصِـيِّ علـى التـاجِ
وفـي ذمـة المليـكِ الوَليـدِ
أنْـتِ في ذِمَّـةِ العِـراقِ وفـي
ذِمَّـةِ أنْجـادِهِ الأُبـاةِ الصيـدِ

* * *

قِيـلَ مَـنْ للشَـآمِ ؟ قالَـتْ أعَـزُّ
العُـرْبِ جـاراً وأوْمَـأتْ « للسَعيـدِ »

ـ هكذا كان اليهود من الذل والهوان يومئذ

آلاَم (١)

في تأبين ابراهيم هنانو

أَلِفْتُ حَرَّكِ لاَ شَكْوى وَلاَ سَهَدُ
يا جَمْرَةً فِي حَنَايَا الصدْرِ تَتَّقِدُ
مُرِي عَلى كَبِدِي حَمْرَاءَ دَامِيَةً
يَبْقَى الحَنِينُ إِذَا لَمْ تَسْلَمِ الكَبِدُ
وَمَا أَضِيقُ بِهَمٍّ حِينَ يَطْرُقُنِي
لَقَدْ تَقَاسم حُبِّي البُؤْسُ والرَغَدُ
إِنِّي أُدَلِّلُ آلاَمِي وأَمْسحُهَا
مَسْحَ الشَفِيقِ وأَجْلُوهَا وأَنْتَقِدُ
حتَّى تُطِلَّ عَلى الدُنْيَا بِزِينَتِهَا
حسْنَاءَ تَبْدُو عَلَيْهَا نِعْمَةٌ وَدَدُ
بَعْضُ الخُطوبِ ظَلامٌ لاَ صباحَ لَهُ
وَبَعْضُهَا الفَجْرُ فِيهِ النُورُ والرَشَدُ
تَفَجَّر الخَيْرُ مِنْهُ رَوْضَةً أُنُفَاً
تَدْعُو إِلى ظِلِّهَا وَانِينَ قَدْ جَهِدُوا
إِذَا هُمُ جَرَعُوا مِنْ مَائِهَا جُرَعَاً
تَوَثَّبَتْ عَزَمَاتٌ فِيهِمُ جُدُدُ

٧

---

١) القيت هذه القصيدة في حفلة اقامتها الكتلة الوطنية في حلب لذكرى المغفور له هنانو سنة ١٩٤٢ وفي البلاد ثلاثة جيوش محتلة الانكليز والاميركان والفرنسيون والحكم العرفي معلن وقد اقيمت هذه الحفلة يومئذ لاستئناف النشاط القومي العربي

وَمُدْلِجِينَ أَضَاءَ الحُزْنُ لَيْلَهُمُ
حَتَّى إِذَا انْطَفَأَتْ أَحْزَانُهُمْ قَعَدُوا

حَادُوا عَنِ المِحْنَةِ الكُبْرَى وَلَوْ صَحِبُوا
نِيرانَهَا الحُمْرَ ما ضَلُّوا وَلاَ انْفَرَدُوا

فِيم التَنَكُّرُ للآلامِ قَاسِيَةً
إِذَا تَبَاعَدَ فِي مَيْدَانِها الأَمَدُ

أَلطَالِعُونَ عَلَى الدُنْيَا بِنَصرِهِمُ
لَوْلاَ الفَواجِعُ هَلْ شَدُّوا وَهَلْ نَهَدُوا

إِذَا وَنَوْا رَاحَ يُذْكِي مِنْ عَزائِمِهِمْ
حِقْدٌ هُوَ العُدَّةُ الشَهْبَاءُ والعَدَدُ

سَقَاهُمُ خَمْرَةَ الآلامِ فاضْطَرَمُوا
يَسْتَلْهِمُونَ مِنَ الآلامِ واحْتَشَدُوا

أَمَّا الشُعوبُ وَقَدْ ضَجَّتْ عَواصِفُهَا
فَصاحِبُ النَصْرِ فِيها الثاكِلُ الحَرِدُ

لَقَدْ تَلاقَى عَلَى الغَايَاتِ مَنْ ظَفِرُوا
بالمُلْكِ فِي زَحْمَةِ الدُنْيَا وَمَنْ حَقَدُوا

إِنَّ الأُلَى أَنْكَرَ الأحزانَ سامِرُهُمْ
لَغْوٌ مِنَ النَاسِ لا ذُمُّوا وَلاَ حُمِدُوا

إِذَا تَبَاكَوْا مِنَ البَلْوَى فَمَا عَرَفُوا
حُزْنَ المُحِبين فِي البَلْوَى وَلاَ وَجَدُوا

الظَامِئُونَ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ ثَمِلُوا
والغَائِبُونَ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ شَهِدُوا

* * *

(١) لا يُبْعِدِ اللَّهُ أَحْبَاباً فُجِعْتُ بِهِمْ
وما عُلاَلَةُ قَلْبِي بَعْدَمَا بَعُدوا
الناشِئُونَ عَلى نَعْمَاءَ مُتْرَفَةٍ
تَقَيَّلُوا الرَمْلَ فِي الصحْراءِ واتَّسَدُوا
تِلْكَ الجُسُومُ التي حَزَّ الحَرِيرُ بها
حَرِيرُهَا فِي العَراءِ المُوحِشِ الزَرَدُ
صادِينَ لِلْمَوْتِ إِيمَاناً وَمَوْجِدَةً
فَكُلَّمَا لاَحَ مِنْهُ مَنْهَلٌ وَرَدُوا
عَلى الصحاصِحِ(٢) هَامَاتٌ مُعَطَّرَةٌ
وفِي الرمالِ بَنَانٌ أُفْرِدَتْ وَيَدُ
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ قَبْرٌ تُلِمُّ بِهِ
هُوجُ الرِيَاحِ وَيَنْأى الأَهْلُ والوَلَدُ
مُشَتَّتِينَ فَمِنْ أَجْسادِهِمْ مِزَقٌ
عَلى الأَدِيمِ وَمِنْ مُرَّانِهِمْ قِصَدُ
مَصارِعُ بِعُطورِ الحَقِّ زَاكِيَةٌ
كَأَنَّمَا سَكَبُوا فِيها الذِي اعْتَقَدُوا

---

١) شهداء الثورات السورية المتوالية
٢)جمع الصَّحصاح وهو : ما استوى من الارض

حَنَا السرابُ عَلَيْهَا وَهْيَ ظَامِئَةٌ
حَرَّى الجَوانِحِ لاَ غَمْرٌ وَلاَ ثَمَدُ

بِمُوحِشٍ مِنْ رِمالِ البِيدِ مُنْبَسِطٍ
يَضِلُّ فِي شَاطِئَيْهِ الصبْرُ والجَلَدُ

مَسَحْتُ دَمْعِي مِنْ ذِكْراهُمُ بِيَدٍ
وأَمْسَكْتُ كَبِدِي أَلاَّ تَذُوبَ يَدُ

***

يا خَمْرَةَ الحُزْنِ هَذِي الكَأْسُ مُتْرَعَةٌ
للشارِبينَ وهَذا الشَاعِرُ الغَرِدُ

إنَّ النَدامَى على عَهْدِ الحَبيبِ بِهِمْ
لا جَانَبُوا النَشْوَةَ الكبرى ولا زَهِدُوا

لاَ أَوْحَش اللهُ قلبي مِنْ مَواجِعِهِ
ولا تَحَوَّلَ عَنْ نَعْمائِها الحَسَدُ

ولا شَفَى اللهُ جُرْحاً في سريرتِهِ
ندْيانَ يَنْطِفُ منه الخَمْرُ والشَهَدُ

فَجَّرْتُ قلبي رِثاءً ما وَفَيْنَ بِهِ
حقَّ الزعيمِ قَوافٍ كالضُحَى شُرُدُ

الناقِلاتُ الى الأَجْيالِ ما ظَلَموا
من الأُباةِ وما راعُوا وما اضْطَهَدُوا

صَلَّى الالهُ على قَبْرٍ يَطُوفُ بِهِ
كَبَيْتِ مكةَ مَنْ حَجُّوا وَمَنَ قَصَدُوا

أغْفى أَبُو طارِقٍ[1] بَعْدَ السُهادِ بِهِ
وَخَلَّفَ الهَم والبَلْوى لِمَنْ سَهِدُوا

ضَاوٍ مِنَ السُقْمِ ضَجَّتْ في شَمائِلِهِ
عواصِفُ الحَقِّ والأَمْواجُ والزَبَدُ[2]

إِذَا أُثِير نَضَا عَنْهُ مَواجِعَهُ
كما تَفَلَّتَ مِنْ أَشْراكِهِ الأَسَدُ

يَروعُ في مُقْلَتَيْهِ بارِقٌ عَجَبٌ
وعالَمٌ عَبْقَرِيُّ السِحْرِ مُنْفَرِدُ

يُغالِبُ البِشْرُ أَسْقاماً نَزَلْنَ بِهِ
يَأْبَى لَهُ الكِبْرُ أَنْ يَأْسَى لَهَا أَحَدُ

دَاءٌ مُلِحٌّ ونَفْسٌ لا تَذِلُّ لَهُ
حَرْبٌ تَكَافَأَ فِيهَا البَأْسُ والعُدَدُ

تِلْكَ البَشَاشَةُ أَبْلَى الدَاءُ نَضْرَتَها
فَراحَ يُلْمَحُ في نَعْمائِها الكَمَدُ

كالغَيْمِ يَحْجُبُ حُسْنَ الشَمْسِ طَالِعَةً
وما تَحَوَّلَ عَنْها الحُسْنُ والرَأَدُ

نَعِمْتُ مِنْكَ بِساعَاتٍ مُعَطَّرَةٍ
كَأَنَّها الحُلْمُ دانٍ وَهْو مُبْتَعِدُ

---

١) المغفور له ابراهيم هنانو

٢) حمل المرحوم اعباء الثورة والزعامة والكفاح ضد المستعمر ٢٠ عاماً وهو يعاني مرضاً عضالاً والشاعر يصف في هذه الابيات جبروت هنانو امام المرض والاستعمار معاً

وَصُحْبَةٍ كَقديمِ الراحِ لَوْ جُلِيَتْ
لِليائِسينَ حُمَيَّا كَأْسِها سَعِدُوا

* * *

يا هُدْنَةً مِنْ قِراعِ الدَهْرِ دامِيَةً
ألا يُهَدْهِدُ مِنْ آلامِكِ الأَبَدُ
خَيْلُ الزَعيمِ تَنَزَّى في شَكائمِها
ما فاتَها قَنَصٌ في الحَي أَوْ طَرَدُ
عَرِينَةُ الحَقِّ في الشَهْباءِ مُنْجِبَةٌ
يَرُوعُ أَنَّى الْتَفَتَّ الظُفْرُ واللُّبَدُ
اذا الزَعِيمُ تَولىَّ عَنْ شُبولَتِها
حَمَى الشُبولَةَ إِخْوانٌ لَهُ نُجُدُ
أَمَّا الشَبابُ فَما خَانُوا رِسالَتَهُ
عِنْدَ الكِفاحِ ولا حَادُوا ولا جَحَدُوا
اذا دَجَتْ ظُلُماتُ اليأْسِ حالِكَةً
شَقَّ الدُجى كَوْكَبٌ مِنْ ذِكْرِهِ يَقِدُ
حَوْلَ الزَعَامَةِ فِتْيانٌ غَطارِفَةٌ
لاَ يَنْقُضُ الدَهْرُ ما شَدُّوا وما عَقَدُوا
الساخِرُونَ مِنَ الأَقْزامِ يُضْحِكُهُمْ
أَنْ رَاحَ يَلْبَسُ جِلْدَ الضَيْغَمِ النَقَدُ(١)

١) النقد:الغنم الهزيل والشاعر يشير بهذا البيت الى الحكومة الهزيلة التي اقامها الفرنسيون يومئذ لضرب القضية الوطنية

المُؤْمِنُونَ إذا ما بَايَعُوا صَدَقُوا
والصابِرون فإنْ جَدَّ الوَغى صَمَدُوا

* * *

سَقَتْهُمُ كَفُّ إبراهيم صَافِيةً
مِنْ خَمْرَةِ الحَقِّ تُرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ
فَفِي الدِماءِ سعِيرٌ مِنْ سُلافتها
عَجْلانُ يَهْدَأُ احْياناً وَيَتَّئِدُ
بَيْنَ الجَوانِحِ إلاَّ أنَّهُ أَنَفٌ
وفي الشَمائِلِ إلاَّ أَنَّهُ صيدُ
أذْكى أبُو طَارِقٍ في الشَرْقِ جَمْرتها
حَمْراءَ تَلْتَهِمُ الجُلَّى وتَزْدَرِدُ
إذا وَنَتْ وَهَتَفْنا باسْمِهِ جَمَحَتْ
تُعِيدُ سِيرتَها الأُولى وتَطَّرِدُ
فَذِكْرُهُ الأمَلُ الهادِي إذَا انْتَبَهُوا
وطَيْفُهُ الحُلُمُ الهَاني إذَا رَقَدُوا
زَعامَةُ الحَقِّ لا شَوْهاءُ يَرْفَعُها
عَلى الرِمالِ الهَوى والزُورُ والفَنَدُ

* * *

مالِي أرى الفَرَس الشَقْراءَ عارِيَةً
على المَرابِطِ لا تَطْغَى فتَنْجَرِدُ

آبَ المُغِيــرِوَنَ جُنَّــتْ خَيْلُهُـمْ مَــرَحاً
وآنَ أنْ يستَــريـــحَ الفـارِسُ النَجِـدُ

مَــنْ كسعــدٍ ؟

كان سعد الله الجابري دنيا من البطولة والوطنية والمروءة والصراحة والعفة والوفاء وكان بينه وبين الشاعر من الصداقة والود ما هو اقرب من كل قربى

سَــأَلَ الصُبْـحُ عَـنْ أَخِيـهِ المُفَـدَّى
أيهُـا الصُبْـحُ لَـنْ تُشـاهِـدَ سَعْـدَا
غَيَّـبَ الـدَهْـرُ مِنْ سُيـوفِ معَـدٍّ
مَشْـرَفِيّـاً حَمَـى وَزانَ معـدًّا
كُلَّمـا عَارَضُـوا الصَـوارِمَ فـيهِ
كـانَ امضـى شبـاً وأَصْـفـى فِرِنْـدَا

* * *

حاسنـوا غُـرَّةَ الصبـاحِ بِسَعْـدٍ
فَعَلِمْنـا أيَّ الصبـاحَيْـنِ أَهْـدَى
طَلْعَـةٌ تُفْـرِحُ العُيـونَ وتَسْبيهـا
وَتغْـزو القُلوبَ كِبْـراً ومَجْـدَا
وَحـديـثٌ كأنَّـهُ قِطَـعُ الرَوْضِ
تَنَـوَّعْـن أُقْحُـوانـاً وَوَرْدَا
بِدْعَـةُ الـظَـرْفِ والأنـاقَـةِ يُرْضِيـكَ
دُعـابـاً عَفّـاً ويُرْضِيـكَ جِـدًّا

تَنْهَــلُ العَيْنُ مِــنْ بِشَــاشَــةِ سَعْــدٍ
رِيهَــا والعُيُــونُ تَرْوَى وتَصْــدَى
الحَضَــاراتُ فــي شَمَــائِـلِ سَعْــدٍ
فــإِذَا سِمْتَــهُ الهَــوانَ تَبَــدَّى

مُتْــرَفٌ فــي رُجــولَــةٍ واعْتِــدادٍ
رَاعَ زِيّــاً وَراعَ وَجْــهــاً وَقَــدًّا
زَعَــم الخَصْــمُ أَنَّــهُ مُسْتَبِــدٌّ
حَبَّــذَا الحُــكْــمُ عَادِلاً مُسْتَبِــدًّا

إنَّ شَــر الأُمورِ ظُلْــمُ الجَاهيــرِ
وَأَهْــوِنْ بالــظُّلْــمِ إنْ كَانَ فَــرْدَا

* * *

مَــنْ كَســعْــدٍ وللشَــبــاب هَــواهُ
قُــدرة تُتْعِــبُ الخَيــالَ وَزُهْــدَا
يا صَفِــي الأَحْــزانِ تَسْــقــي البَــرايــا
كأسَــهــا مُرَّةً وَتَسْــقِيــكَ شَهْــدَا

رَضِيــتْ نَفْسُــكَ الهُمــومَ رَفِيقــاً
ارْيحَيّــاً علَــى الشَــدائِــدِ جَلْــدَا
بُــورِكَ الهَــمُّ عَبْقَــرِيّــاً جَــواداً
لا كَهَــمٍّ أَعْــطــى قَلِيــلاً وَأَكْــدَى

قُــلْ لِمَــنْ يَحْسُــدُ العَــظِيــم تَرَفَّــقْ
إنَّ خَلْــفَ الأَمْجَــادِ هَمّــاً وسُهْــدَا

* * *

مَــنْ كَســعْــدٍ إِذَا المَلاحِــمُ جُنَّــتْ
وَتلَقَّــى حَــدٌّ مِــنَ الهَــوْلِ حَــدَّا
وَعَلَــى رايَــةِ الشــآمِ كَمِــيٌّ
يُقْحِــمُ الــدارِعيــنَ أَشْــقَــرَ نَهْــدَا

هَتَــكُــوا حُرْمَــةَ العَــريــنِ فَهاجُــوا
أَسَــداً دامِــي البَــراثِــنِ وَرْدَا
حَشَــدُوا جُنْــدَهُــمْ وأَقْبَــلَ سَعْــدٌ
يَحْشُــدُ البَــأْس والعَقِيــدَةَ جُنْــدَا

ضَــاحِــكَ الثَغْــرِ والضُــحَــى مُكْفَــهِرٌّ
رَوَّعُــوهُ قَصْــفــاً وبَــرْقــاً وَرَعْــدَا
والْتَقَيْنَــا فَلا وإِيمَــانِ سَعْــدٍ
مــا تَحَــدَّوْا بالمَوْتِ إِلاَّ تَحَــدَّى

ضَــرَبَ الــظُلْــمَ ضَرْبَــةً رَنَّحَتْــهُ
فَتَــدَاعَــى مُزَمْجِــراً فَتَــرَدَّى
زَعَمُــوا أَنَّــهُ جَــلاءٌ ومــا كَــانَ
جَــلاءً بَــلْ كَـانَ خِزْيــاً وَطَــرْدَا

ما عَلى العَبْدِ أنْ يُسَوَّدَ عَارٌ
بِدْعَةُ العَارِ أنْ تَرَى الحُر عَبْدَا

* * *

مَنْ كسعْدٍ ولِلنَدِيِّ[1] احْتِدامٌ
جَمْرَةُ الحَرْبِ عُنْفُواناً وَوَقْدَا
حُمَمٌ كالجَحيمِ مُسْتَعِراتٌ
رَدَّها حِلْمُهُ سَلاماً وَبَرْدَا
ما حَمَلْتَ الجِراحَ دَاءً مُلِحّاً
بَلْ حَمَلْتَ الجِراحَ غَدْراً وَصدًّا
حَزَّ في قَلْبِكَ الوَفِيِّ صَديقٌ
صَارَ في النُدْوَةِ الخَصيمِ الألَدًّا

* * *

مَنْ يَهُزُّ النَدِيَّ بَعْدَكَ بالخُطْبَة
عَصْماءَ تَحْشُدُ البَأس حَشْدَا
مُلْهَمٌ حاضِرُ البَدِيهَةِ تُغْريهِ
بِأَحْلى مِمَّا اصْطَفى وأَعَدًّا
مُتْرَفُ الفِكْرِ والبَيانِ غَنِيٌّ
بِاللآلِي يَصُوغُ عِقْداً فَعِقْدَا

---

1) مجلس النواب

يَجْمَـعُ الحَـقَّ والبَيـانَ علـى الخَصْمِ
فَلَمَّـا تَمَلَّـكَ الأمْـر شَـدَّا
يَطْعَـنُ الـطَّعْنَـةَ العَفِيفَـةَ لا
تُـدمـي ولَـكِـنَّـهُ أَبـادَ وأَرْدَى

* * *

بَـرَّأَ اللـهُ قَلْـبَ سَعْدٍ مِنَ الحِقْدِ
وفـاءً لِلـكِبْـريـاءِ وَحَمْـدَا
خَـدَعَ الحِقْـدُ أَهْلَـهُ فَهْـو ذُلٌّ
نَـكَّـرُوا وَجْهَـهُ وسَـمَّـوْهُ حِقْـدا
وَبَنـاتُ الصُّـدورِ يُتْعِبُهـا الـذُّ
لُّ خَفـاءً عَـنِ العُيـونِ وَوَأْدَا
والقَـوِيُّ النَّبيـلُ يَحْنو على الدُّنْيا
وَيَسْـمـو بِهـا وَفـاءً وَوُدَّا
حَـنَّـتِ الغُـوطَـةُ الـرَّؤُومُ لِسـعْدٍ
وَرَواحٍ لَـهُ عَلَيْهـا وَمَغْـدَى
طَالَمـا بَاكَـرَ الـريـاحِيـن فيهـا
وَسـقـاهـا النَـدى حَنِينـاً وَوَجْـدَا
وَشَـكَـى هَمَّهُ فَيـا لَـكِ شَكْـوَى
نَـوَّرَتْ فـي الـرُبـى أَقـاحـاً وَرَنْـدَا
قَـال لِي والـربيـعُ غافٍ عَلَى الزَهْـرِ
يُـذِيـعُ الأَحْـلامَ عِطْـراً وَنَـدَّا

والغُـروبُ النَدْيانُ فـي الغُـوطَـةِ المِعْطـــارِ
يَحْـنُــو عَـــلى الــظِّــلالِ فَتَنْــدَى
وقَـــطِيـــعٌ مِـــنَ الشِيــاهِ وَرُعْيَـــانٌ
وأُغْنِيَّــةٌ تَـــرِقُّ فَتَـــرْدَى
مـا أحَـبَّ الحَيـــاةَ في غُوطَـةِ الشَامِ
وأَفْجِـع بالمَـــوْتِ هَـــجْراً وَفَقْـدَا

أيُّ وِرْدٍ للحُـسْــنِ تَشْـتَفُّــهُ عَيْنِــي
وَيَبْقَـى بِقُــدْرَةِ اللّـــهِ وِرْدَا
هَـلْ رَأَتْ هَـذِهِ الخَمـائِـلُ قَبْلـي
مَــس رَآهـا عَيْنــاً وَثَغْــراً وَخَـدَّا

هِـي عِنْـدي شَمـائِـلٌ وعُطـورٌ
وَقُلــوبٌ تَهْــوَى وَدَلٌّ يُفَــدَّى
أعْشَــقُ الحُسْــنَ دَوْحَــةً وَغَــدِيـراً
وَبَيــانــاً سَمْحــاً وَفَجْــراً مُنَـدَّى

* * *

مـا رَأَى السُـقْـمُ قَبْـلَ سَعْـدٍ حَنـانـاً
وَحَيَــاءً مِـــنَ الســقــامِ وَرِفْـــدَا
كَبَقــايَــا السَيْــفِ اطْمَـأَنَّــتْ إلى الجَفْـنِ
وَرَاحَـــتْ تَبْلَـــى الهُــوَيْنَــى وَتَصْــدَا

رَوْعَةُ الشَمْسِ في الغُروبِ ولا أَعْشَقُ
للشَمْسِ عُنْفُوانَاً وَرأْدَا

* * *

رَنَّحَ الشِعْرِ والكَرِيمُ طَرُوبٌ
ذِكْرُ سَعْدٍ لا يُبْعِدِ اللهُ سَعْدَا
وَحَدَوْنَا بِهِ المَعانِي فَحَنَّتْ
حَنَّةَ العِيْسِ بالأَغَارِيدِ تُحْدَى
ما لِسعْدٍ في المَوْتِ يَزْدَادُ قُرْباً
مِنْ فُؤَادِي ما ازْدادَ هَجْراً وَبُعْدَا
وَإِذَا رَفَّ طَيْفُهُ في خَيَالِي
رَفَّ رَيْحَانَةً مِنَ اللَّهِ تُهْدَى
أَنْتَ في خاطِري وَعَيْنِي وَقَلْبِي
وَعَلى الهَجْرِ لا أَرى مِنْكَ بُدَّا
صُوَرٌ لَوْ يَنالُ مِنْ حُسْنِها النُورُ
لَكَانَتْ بِنُورِ عَيْنَي تُفْدَى
وَأَصُوْنُ الطُيوفَ بَيْنَ جُفُونِي
لَوْ تُطِيقُ الجُفُونُ لِلطَّيْفِ رَدَّا
وأَنَا الصاحِبُ الوَفِيُّ فَما خُنْتُ
حَبِيباً ولا تَناسَيْتُ عَهْدَا

* * *

لَـم يَـرُعْـكَ الـزمـانُ فـي حالَتَيْـهِ
وَتَحَـدَّيْتَـهُ وَعِيـداً وَوَعْـدَا

مَـا وَفَيْنَـاكَ بَعْـض حَقِّكَ فاعْـذُرْ
إنَّ عُـذْرَ الـكَرِيـمِ أَسْـمَـى وأَجْـدَى

إنَّ دَيْـنَ العَـظِيـمِ فِـي كُـلِّ شَعْـبٍ
لا يُوَفَّـى وَحَقُّـهُ لاَ يُـؤَدَّى

شُغِـلَ النَـاسُ بالعَـظِيـمِ وأَرْضَـوْا
نَـزَواتِ النُفُـوسِ هَدْمَـاً وَنَقْـدا

حَسَـدُوهُ عَلـى المَـزايَـا فَكَـانَ الـ
مَـوْتُ بَيْـنَ الأَهْـواءِ والحَـقِّ حَـدًّا

إنَّ مَـنْ يُنْـكِرُونَـهُ وَهْـو حَـيٌّ
رُبَّـمـا أَلَّـهُـوهُ رَمْـزاً وَلَـحْـدا

* * *

عَيَّـرُوا بالمَشِيـبِ إِخْـوانِـي الصِيـدَ
سَـفَـاهَـاً وَهَـلْ عَـنِ الشَيْـبِ مَعْـدَى

أيُّ لَـوْمٍ عَلـى الـكُهـولِ وَخَـاضُـوا
غَمَـراتِ العُـلى شُبـولاً وَأُسْـدَا

مَـا لأَبْنَـا ئِنَـا تَجَنَّـوا عَلَيْنَـا
وَغَفَـرْنَـا مـا كَـان سَهْـواً وَعَمْـدَا

أَنْـكَـرُونـا عَلـى المَشِيـبِ كَـأَنَّـا
لَـمْ نَكُـنْ قَبْلَهُـمْ غَـرانِيـقَ مُـرْدَا

حَاسبُونا عَلى هَنَاتِ المَعَالي
ثُمَّ غَالَوْا بِهَا حِسَاباً وَعَدًّا
نَحْنُ رُوَّادُكُمْ طَلَعْنَا الثَنَايا
وَزَحَمْنَا الصِعَابَ غَوْراً ونَجْدَا
وَبنينا لَكُم وَنَعْلمُ أَنَّا
لَنْ نُمَلَّى بِهِ بَقَاءً وَخُلْدَا
أَيُّهَا النَازلُ المُقِيمُ تَعَهَّدْ
بالرِضَى والحَنَانِ رَكْبَاً مُجِدًّا

* * *

قُلْ لِشُكْرِي العَظِيم أشْرَقْتَ فِي
السُدَّةِ يُمْنَاً وكبْرِيَاءً وَرُشْدَا
يا أَبَا الدَوْلَةِ الفَتِيَّةِ تَبْنِيهَا
وَيلْقَى البَانِي عَنَاءً وجَهْدَا
إنْ حَضَنْتَ اسْتِقْلالَهَا وَهْو فِي
المَهْدِ فَمَا اخْتَارَ غَيْر نُعْمَاكَ مَهْدَا
لاَ تَخَفْ عَثْرَةً عَلَيْهِ وَوَهْنَاً
بَلَغَ الطِفْلُ فِي حِمَاكَ الأَشُدَّا
يا وَرِيث الشُمُوسِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ
مَلَكُوا العَالَمَيْنِ رُوماً وَهِنْدَا
بِفُتوحٍ هُنَّ المُلُوكُ مِن العِزِّ
وَبَعْضُ الفُتوحِ غَرْثَى عِبِدَّى

أسْلَـم القُـدْسَ مَـنْ يَحُـجُّ الـى القُـدْسِ
وَيَتْـلـو الإنْجيـلَ وِرْداً فَـوِرْدَا

إنْ يَنـامُـوا عَنْهَـا فقـد نبَّـهَ الثَـأْرُ
عَلـى الغُـوطَتَيْـنِ أَرْوَعَ نَجْـدَا

مُـدُنُ القُـدْسِ كالعَـذَارَى سَبَوْهَـا
وأَرادُوا لِكُـلِّ عَـذْراءَ وَغْـدَا

كالسـبـايـا لَطَمْـنَ خـدّاً وَمَـزَّقْـنَ
شُـفـوفَ الحَـريـرِ بُـرْداً فَبُـرْدَا

ضَـجَّ سُـوقُ الـرَقِيـقِ فِـي نُـدْوَةِ القَـوْمِ (١)
وَنَخَّـاسُـهُ طَغَـى واسْتَبَـدَّا

يَعْـرِضُـونَ الشُـعُـوبَ عَـرْضَ الجَـوارِي
عُـرِّيَـتْ للعُيـونِ نَحْـراً وَنَهْـدَا

غَيْـرَةَ اللّـهِ ! أَيْـنَ قَـوْمِـي وَعَهْـدِي
بِهِـمُ يَنْهَـدُونَ للشَـرِّ نَهْـدَا

نَعْشَـقُ القَـدَّ لِلْعَـوالِي وأَحْبَبْنَـا
لِهِنْـدِيَّـةِ الصـوارِمِ هِنْـدَا

وَدَفَنَّـا الـكُنـوزَ يَـوْمَ دَفَنَّـا
فِـي ثَـراهَـا الآبـاءَ جَـدّاً فَجَـدَّا

* * *

١) يشير الى جمعية الامم المتحدة واستبداد الدول القوية فيها بالشعوب الضعيفة

رَضِـي اللَّــهُ عَــنْ أخٍ لَـكَ كالسَّيْــفِ
المُحَــلَّى يَــرُوعُ نَصْــلاً وَغِـمْــدَا
أيْــنَ سَعْــدٌ ؟ وَلاَ أَلُــومُ اللَّيــالِـــي
وَهَـبَ الـدَّهْـرُ غَالِيــاً واسْتَــرَدَّا
أيُّ بِـدْعٍ إذَا بَكَيْـتُ لِسَعْـــدٍ
إنْ بَـكَى السَّيْـفُ حَـدُّهُ مـا تَعَـــدَّى
لَـوْ رَأى هَـذِهِ الـدُّمـوعَ الغَـوالِـــي
لَبَـكَـــى رَحْمَـــةً وَحَيًّــا وَفَـــدَّى
غَــابَ سَعْــدٌ عَــنِ العُيــونِ وَمَـــا
غَــابَ ضِيَــاءٌ يَهْـدِي القُلـوبَ فَتُهْـــدَى
ثَــوْرَةٌ فِـي الحَيَــاةِ والمَــوْتِ جَـلَّـتْ
ثَــوْرَةُ الحَــقِّ أنْ تَقَــرَّ وَتَهْـــدَا

أين أين الرعيل من أهل بدرٍ ؟

في رثاء الزعيم رياض الصلح

لاَ تَسَلْهَا فَلَنْ تجِيبَ الطُّلُولُ
أَلْمَغَاوِيرُ مُثْخَنٌ أَوْ قَتِيلُ
مُوحِشَاتٌ يَطُوفُ فِي صَمْتِهَا
الدَهْرُ فَلِلدَّهْرِ وَحْشَةٌ وَذُهُولُ
غَابَ عِنْدَ الثَرى أَحِبَّاءُ قَلْبِي
فالثَرى وَحْدَهُ الحَبِيبُ الخَلِيلُ

* * *

وَسَقَوْنِي على الفِراقِ دُمُوعِي
كَيْفَ يَرْوَى مِنَ الجَحِيمِ الغَلِيلُ
خَيَّمَتْ وَحْشَةُ الفَراغِ عَلَى
الأَحْيَاءِ فالقَبْرُ وَحْدَهُ المَأْهُولُ
فِي الثَرى مِنْ أَحِبَّتِي ولِداتِي
ظَفَرٌ أَبْلَجٌ وَفَتْحٌ جَلِيلُ
نَزَلَتْ بالقُبورِ أَسْمَى اللُّبَانَاتِ
وَطَافَ الرجَاءُ والتَأْمِيلُ
وَتَهُبُّ القَبُولُ[1] تَحْمِلُ أَشْوَاقِي
فَهَلْ رَشَّتِ الطُيُوبَ القَبُولُ

---

١) ريح الصبا

الـــدِي نَـــالَ جَبْهَـــةَ اللَّيْـــثِ فِي
غَمْـــرِ الضُـــحَـــى نَالَـــهُ جَبـــانٌ ذَلِيـــلُ

يا أخـــا الفَتْـــكَـــةِ الصُـــراحِ كَـــأَنَّ
الشَـــمْـــس مِـــنْ فَوْقِ فَـــرْعِها إِكْلِيـــلُ

لَـــمْ تُفـــاجِـــىءْ بِهـــا عَدُوّاً فَقَـــدْ
أنـــذرَ مِنْهـــا زَمـــاجِـــرٌ وَصَهِيـــلُ

وَزُحـــوفٌ علـــى العَـــدُوِّ كَمـــا تَخْبِـــطُ
بالعـــاصِـــفِ المُـــرِنِّ السُـــيولُ

أَلْـــفُ هَيْجـــاءَ خُضْـــتَهـــا لَمْ تُجَدِّلْـــكَ
أَحَقّـــاً أَنْـــتَ الصرِيـــعُ الجَدِيـــلُ

سَيْفُـــكَ السَيْـــفُ لا يُخـــاتِـــلُ فـــي
الـــرَوْعِ وَزَكّـــاهُ أَنَّـــهُ المَخْتُـــولُ

وإِذَا النَصْـــرُ كـــانَ عـــاراً فَأَرْضَـــى
للمُـــرُوءاتِ أَنَّـــكَ المَخْـــذُولُ

لِقِـــطـــافِ الـــوَغَـــى شَمائِـــلُ كالنَـــاسِ
فَنَصْـــرٌ وَغْـــدٌ وَنَصْـــرٌ نَبِيـــلُ

هَتَـــفَ الهَـــاتِفُـــونَ أَيْـــنَ رِيـــاضٌ
فـــانْتَخَـــى فـــي الثَـــرى حُســـامٌ صَقِيـــلُ

وَبَـــكَـــتْ أُمَّـــةٌ وأَجْهَـــش تَاريـــخٌ
وَنـــاحَ القُـــرآنُ والإِنْجيـــلُ

يَـا لَسِتِّيـن فـي الـكِفـاحِ طِـوالٍ
حـاليــاتٍ وكـلٌّ جُـلىًّ تَطُـولُ
مَـنْ راهُ يَخِـرُّ في فَجْـأةِ الغَـدْرِ
رَأى الـراسِيــاتِ كَيْـفَ تَمِيـلُ
إنَّ مَـوْتَ العَـظيـمِ مِحْنَـةُ تَاريـخٍ
وَدُنْيَـا تَفْنَـى وَكَـوْنٌ يَـزُولُ

* * *

إنَّ سَيْفـاً أردَاكَ غَـدْراً وَحِقْـداً
لَهْـوَ بَيْـنَ الـظُّبَـى دَعِـيٌّ دَخيـلُ
لَـمْ يَـذُدْ في الـوَغـى عَدُوّاً وَلَمْ
يَهْـزُزْهُ في الـرَوْعِ ساعِـدٌ مَفْتُـولُ
مُغْمَـدٌ فـي مَعـارِكِ الحَـقِّ نـابٍ
وعلـى الحَـقِّ مُصْلَـتٌ مَصْقُـولُ
شَـاهَـتِ العُـرْبُ تَحْـتَ كُـلِّ سَمـاءٍ
حِيـنَ أغْضَـتْ وَشِـلْـوُكَ المَـأْكولُ
يا لَـذُلِّ العُلَـى فَهَـلْ هَجَـعَ الثَـأْرُ
وَطـاحَ الـدَمُ الـزَكِـيُّ الطَلِيـلُ
عَقَـرَ اللـهُ بَعْـدَ فارِسِـهَـا الخَيْـلَ
ولا عَطَّـرَ الفُتُـوحَ الصَهِيـلُ
يُنْـكِـرُ الشَـوْطُ نَفْسَـهُ حِـينَ تَجْـرِي
عَـارِيـاتٍ مَـنَ الـكُمـاةِ الخُيُـولُ

ما لأمْجـــادِنــا ومـــا لِعَبيـــدٍ
ألأَســاطِيـــرُ مَجْـــدُهُــــمْ والطُّــــلولُ

بِئْـــــس قَــوْمِيَّـــةٌ يُؤَرِّخُهَــــا
الــظَّــنُّ وَيَبْنِـــي أَحْســابَهَــا التَّأْوِيــلُ

كَيْـفَ تَسْـمُـو بَيْـــنَ الشُّعــوبِ
ثُمـــالاتُ شُعــوبٍ وعَــابِــرونَ فُلــولُ

أَبْغَضُــونــا على العُــروبَــةِ والفَتْـ
ـحِ وَيُقْلَــى عِنْــدَ الهجِيــنِ الأَصِيــلُ

وَسبــايَـــا الفُتــوحِ لا بِـــدْعَ إِنْ
هَـــرَّ على الفَتْـــحِ حِقْـــدُهَـــا والــذُّحُولُ(١)

* * *

نَحْـــنُ كَــوْنٌ لا كـائِنَــانِ ضَعِيفَـــانِ
أَلَـــحَّ الهَـــوى وَتَــم الوصـــول

سالِـفُ الشَــرْقِ مِلْـــكُ قَحْطَـــانَ
واليـــومُ لِقَحْـــطـــانَ والغَـــدُ المأْمُـــولُ

وَلَـــهُ هَـــذِه الجِبـــالُ المُنِيفَـــاتُ
وَتِلْــكَ الــرُبــى وهَـــذِي السُهـــولُ

والســمـــاواتُ والــكَواكِـــبُ فـي الشَـــرْقِ
لِقَحْـــطـــانَ مَوْطِـــنٌ وقَبِيـــلُ

١) الذحول : العداوات والاحقاد

والنُبُوَّاتُ والفُنونُ وَمِلْكُ
فيْ شَبابِ الدُنْيا عَريضٌ طَويلُ
أَرْيحِيٌّ تَكادُ تُورِقُ بالنُعْمَى
لأعدائهِ القَنَا والنُصُولُ
قَدْ وَرِثْنا البِحارَ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ
وَعَلَيْها الغُزاةُ والأُسْطُولُ
أَرْزُ لُبْنانَ أَيْكَةٌ في ذُرانَا
والفُراتانِ مَاؤُنَا والنِيلُ
ورَيَاحِينُنَا على تُونس الخَضْراءِ
خَضْراءُ أَيْنَ مِنْهَا الذُبُولُ
ما شَكَتْ جُرْحَها على البُعْدِ إلاَّ
رَفَّ قَلْبِي عَلى الجِراحِ يَسِيلُ
وَلَثمْتُ الجِراحَ فَهْيَ ثُغُورٌ
يَتَشَهَّى عُطورَها التَقْبِيلُ
هادِراتٌ بِخُطْبَةِ المَجْدِ بَتْراءَ
وَيُؤْذِي البَلاغَةَ التَطْوِيلُ
حَلَفَ القَيْدُ أَنَّهُ مِنْ نُضارٍ
كُلُّ قَيْدٍ على الرِقَابِ ثَقِيلُ
يا صدِيدَ الجِراحِ بُورِكْتَ طِيباً
يَتَمَلَّى رَيَّاهُ جِيلٌ فَجِيلُ

* * *

كُـلُّ رَوْضٍ فـي الشَـرْقِ مِـنْ
دَمِ آبـائـي مُنَـدًّى مُعَـطَّـرٌ مَطْلُـولُ
ولُبانَـاتُهُـمْ علـى كُـلِّ صحْـراءَ
غَـدِيـرٌ صـافٍ وَظِـلٌّ ظَلِيـلُ
حَيْـثُ يَحْنُـو الصـفْصـافُ نُعْمَـى
على الـوَانـي وَيَبْـكِـي على الشَـهِيـدِ النَخِيلُ
كُـلُّ تَكْبِيـرَةٍ علـى الـرمْـلِ نَفْـحُ
وَعَبِيـرٌ سَكْـبٌ وَأَيْـكٌ بَلِيـلُ
ذُكِـر اللـهُ فالهَجِيـرُ شِفـاهٌ
قَـانِيَـاتٌ والليـلُ طَرْفٌ كَحِيـلُ

* * *

لَفَّنِـي والـدُجـى على هَـذِهِ الصـحْـ
ـراءِ سِـحْـرٌ مُنَمْنَـمٌ مَجْهُـولُ
لَفَّنِـي والـدُجَـى فَـأَفْنَـتْ كِلَيْنَـا
سـعَـةٌ مِـنْ جَـلالِـهِ وَشُمُـولُ
أَيّ سِـرٍّ نُرِيـدُ فـي الكَـوْنِ
والـكَـونُ مُعَـنًّـى بِسِـرِّنـا مَشْغُـولُ
تِلْـك وَاحـاتُهـا الظَلِيلَـةُ
والـظِـلُّ غَرِيـبٌ على الـرِمَـالِ نَزِيـلُ
زَهَـراتُ السـمـاءِ حَيًّـا بِهـا
قَـوْمِـي مِـن الحُـورِ فـي السـمـاءِ رسـولُ

فَعَلَى كُلِّ نَهْلَةٍ مِنْ شَذاهَا
شَفَةٌ عَنْدَمٌ وَخَدٌّ أَسِيلُ

وحَنِينٌ إلى السماءِ كَما حَنَّ
إلى نِعْمَةِ الشِفَاءِ العليلُ

رب روحي طَلِيقَةٌ في سَماواتِك
والجِسْمُ مُوَثَقٌ مَغْلُولُ

بَعُدَ الفرْقُ بَيْنَ رُوحِي وجِسْمِي
جَسَدِي آثِمٌ وَرُوحِيْ بَتُولُ

أنْتَ يا رَب غايَةٌ وإلى
الغَايَةِ أَنْتَ الهُدَى وأَنْتَ السبِيلُ

لَكَ حُبِّي وَمِنْكَ حُبِّي فَهَلْ
يُعْطَى مِن السائِلِ الكَرِيمُ المُنِيلُ

لَكَ حُبِّي فَهَلْ لِفَقْرِي إذَا
أَهْدَى إلى كَنْزِكَ الغَنِي قُبولُ

عَبَراتي عِبادَةٌ وابْتِهَالٌ
وَشَهِيقي التَكْبِيرُ والتَهْلِيلُ

وَصلاتِي تَأَمُّلٌ وَمُنَاجَاتِي
خُشوعٌ وَزَفْرَتي تَرْتِيلُ

وَبَلائِي أَنَّ النَعِيمَ الذِي
أَرْجُو نَعِيمٌ مُسَوَّفٌ مَمْطُولُ

لَمْ يَضِعْ فِي الظَّلامِ نُورُكَ عَنْ
قَلْبِي فَقَلْبِي إِلَى سَنَاكَ الدَّلِيلُ

مَعْدِنُ الخَيْرِ والجَمَالِ المُصفَّى
وَجْهُكَ الخَيِّرُ الكَرِيمُ الجَمِيلُ
وأَنا السائِلُ المُلِحُّ وَيَحْلُو
وَحْشَةَ الذُلِّ أَنَّكَ المَسْؤُولُ

وَبِيُمْنَايَ أَلْفُ كَنْزٍ عَطَايَاكَ
وما فِي يَدَيَّ إلاَّ القَلِيلُ
رَبِّ ! نُعْمَاكَ أَنْ تُنَضِّرَ قَلْبِي
بِمُحَيَّاكَ فَهْوَ صَادٍ مَحِيلُ

رَب ! قَلْبِي زَيَّنْتُهُ لِمُحَيَّاكَ
فَمُرْ تَنْسَكِبْ بِقَلْبِي الشَمُولُ
هُيِّئَتْ فِي سَرِيرَتِي لَكَ رَبِّي
سِدْرَةُ المُنْتَهَى وَطَابَ النُزولُ
جَوْهَرُ القَلْبِ وَهْوَ إِبْداعُ كَفَّيْكَ
عَلَى مَا بِهِ كَرِيمٌ أَصِيلُ
وَبِقَلْبِي رِضْوانُ يَهْفُو لِمَرْآكَ
وَنَدَى سَرِيرَتِي جِبْرِيلُ

يَالِدَاتِ الشَبَابِ لَوْ يَنْفَعُ الدَمْـ
ـعُ جَزَتْكُم مَدَامِعِي والعَوِيلُ

وَكُهولاً أَبْلَتْ شَبَابَهُمُ الجُلَّى
فَهُمْ فِي الصِبا الوسِيمِ كُهُولُ
رَوَّعَتْ سِرْبَنَا المَنَايَا وَأُمُّ
المَجْدِ فِي الغُوطَتَيْنِ أُمٌّ ثَكُولُ
رَاعَ قَلْبِي الرحيلُ حَتَّى تَوَلَّيْتُمْ
فَأَشْهَى المُنَى إلَي الرَحِيلُ
لَوْعَتِي - والثَرى يُهَالُ عَلَيْكُم -
كَوَفَائِي مُقِيمَةٌ لاَ تَحُولُ
لَوْعَةُ الحُر حِين أَفْرَدَهُ الدَّهْرُ
فَمَنْ يَتَّقِيهِ حِينَ يَصُولُ
وَأُناجِي قُبورَكُمْ أَعْذَبَ النَجْـ
ـوى وأَشْكو مُعَاتِبَا وأُطِيلُ
وَكَأَنَّ القُبور تَسْمعُ شَكْوايَ
وَتَدْرِي حَصْبَاؤُهَا ما أَقُولُ
عَيَّرُوا بالفُلولِ بِيض ظُبَانَا
مِن قِراعِ الزَمَانِ هَذِي الفُلولُ
وَإِذَا السَيْفُ كَلَّ مِنْ هَبْرِهِ الهَامَ
فَقَدْ شَرَّفَ السُيُوفَ الكَلِيلُ
الدُجَى عُذْرُ مُنْكِرِينَا وتَخْفَى
غُرَرُ الخَيْلِ فِي الدُجَى والحُجُولُ
ذَلَّ مَجْدٌ لَمْ يَنْتَسِبْ لِكِفَاحٍ
فَهْو مَجْدٌ رثٌّ المَعَالِي هَزِيلُ

* * *

غُوطَةَ الشَامِ هَلْ شَجَاكِ بَيَانٌ
مِنْ قَرِيضِي كَأَنَّهُ التَنْزِيلُ
وَعِتَابٌ كالجَمْرِ ضُنْتُكِ عَنْهُ
جَزَعاً أَنْ يَنَالَ مِنْكِ عَذُولُ
كُلُّ مَجْدٍ يَفْنَى وَيَبْقَى لِشِعْرِي
شَرَفٌ بَاذِخٌ وَمَجْدٌ أَثِيلُ

***

غُوطَةَ الشامِ مِنْكِ صدٌّ وَحِرْمـ
ـانٌ وَمِنَّا العَطَاءُ والتَنْوِيلُ
أَلَذِي شَرَّدَتْهُ عَنْكِ المَعَالِي
آبَ وَهْوَ المُكَفَّنُ المَحْمُولُ(1)
غُرْبَةٌ فِي العُلَى وَيَنْأَى عَنِ
الغِمْدِ فَيَبْلَى المُهَنَّدُ المَسْلُولُ
مُثْخَنٌ بالجِرَاحِ يَهْفُو إِلَى
الأُمِّ فَأَيْنَ التَرْحِيبُ والتَأْهِيلُ
رُبَّ فَتْحٍ تَرْوِيهِ لِلدَّهْرِ
أَشْلاءُ قَنَاةٍ وَصَارِمٌ مَفْلُولُ
ضَنَّتِ الشَامُ بالوَفَاءِ عَلَيْنَا
طَلْعَةٌ سَمْحَةٌ وَوُدٌّ بَخِيلُ

(1) المرحوم عادل العظمة

أيسرُ الجُهْدِ أنْ تَضِجي وَتَشْكي
قد يَرُجُّ الطُّغْيانَ قالٌ وَقِيلُ
واعذري الهَامِسينَ خَوْفاً فما يَهْدِرُ
عِنْدَ الصِيالِ إلاَّ الفُحُولُ
لاَمَنا اللائمُونَ في حُبِّ حَسْنَاءَ
مَلُولٍ وَكُلُّ نُعْمَى مَلُولُ
لاَ تحُاسِبْ أخا هَوىً في هَواهُ
كُلُّ ثَغْرٍ على الهَوى مَغْسُولُ
أيُّ بِدْعٍ في ثَوْرَةٍ مِنْ مُحِبٍّ
قَدْ يَثُورُ المُقَيَّدُ المَكْبُولُ
لَكِ مِنِّي الهَوى كما رَنَّحَ الفَجْرَ
نَسِيمٌ في غُوطَتَيْكِ عَلِيلُ

* * *

يَا رِفاقي بَكَيْتُ فِيكُمْ شَبابِي
كُلُّ عَيْشٍ بَعْدَ الشَبابِ فُضُولُ
مَنْ تَمَلَّى بِقَلْبِهِ الضَاحِكِ الهَانِي
فَقلْبِي المُمَزَّقُ المَتْبُولُ
أَيْنَ سَعْدٌ وَعادِلٌ وَرِياضٌ [1]
ما لِرَكْبِ الرَدى المُجِدِّ قُفُولُ

---

[1]) سعد الله الجابري وعادل العظمة ورياض الصلح

وَنجِيبٌ [1] وَأَيْنَ مِنِّي نَجِيبٌ
غَالَ قَوْمِي مِنَ المَنِيَّةِ غُولُ
كَيْفَ أَغْفَى أَبُو رِيَاضٍ [1] وَحَقِّي
فِي الشَّامِ المُضَيَّعُ المَخْذُولُ
وَتَلاقَيْتُمُ عَلَى البُعْدِ فِي قَلْبِي
فَلا رَوَّعَ اللِّدَاتِ رَحِيلُ

* * *

حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ دُنْيَايَ أَنِّي
بِكُمُ فِي سَرِيرَتِي مَشْغُولُ
وَأَرَاكُمْ حَتَّى لأَسْأَلُ نَفْسِي
أَيَقِينٌ رُؤَايَ أَمْ تَخْيِيلُ
بُورِكَتْ نِعْمَةُ الخَيَالِ وَيُرْضِينِي
خِدَاعُ الخَيَالِ وَالتَّعْلِيلُ
أَجْهَدَتْنَا الضُّحَى عَلَى زَحْمَةِ الرَّوْعِ
فَهَلْ يُسْعِدُ الطِّلاحَ الأَصِيلُ
أَيْنَ أَيْنَ الرَّعِيلُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ
طُوِيَ الفَتْحُ وَاسْتُبِيحَ الرَّعِيلُ

* * *

(١٩٥٢/٥/٢٠)

---

١) نجيب الريس

غربـــة الـــروح

في رثاء الفقيد العظيم فارس الخوري

أتــرِعــي الــكَــأس أدْمُعــاً وَرَجيقـــا
حَــقٌ بَعْـضِ الهُمــومِ أنْ لا نُفِيقَــا
سـلِـم الجَمْــرُ لِـي وَعــاش بِقَلْبِـــي
أرْيحِـي اللهيـــبِ عَذْبــاً أنِيقَــا
يَا شَــآمِــي يا قِبْلَــةَ اللـــهِ للدُنْيَــا
ويا راحَهـــا المُصــفَّـــى العَتِيقَـــا
أتْــرِعْ الــكَــأس مِــنْ هَــواكِ لِتَــرْوَى
كبِــدي مِــنْ هَـــواكِ لا لِتَذُوقَــا
مَزِّقِيــهــا تَغْمُـــرْكِ طِيبــاً وَنُــوراً
لا تَمَلِّـــي الــطُيــوبَ والتَمْزِيقَـــا
لَمَلــم الفَجْــرُ ذِكرياتــي دَمــاً سَكْبــاً
وَمَجْــداً غَمْــراً وَعَهْـــداً وَثيقَـــا
لَمْلَــم الفَجْــرُ ذِكْرَياتـــي فَما لَمْلَــم
إلاَّ أقـــاحِيـــــاً وَشَقِيقَـــــا
كِبْــرِيائــي فَــوْقَ النُجـــومِ وَلَوْلاَهـــا
لَمَا كُنْــتُ بالنُجـــومِ خَلِيقَــا
جــلَّ شِعْــري ـ أقِيــهِ بالـرُوحِ مِـنْ كُــلِّ
هَــوانٍ ـ والشِــعْــرُ كالعِـرْضِ يُــوقَــى

ما شَكَوْتُ العَدُوَّ كِبْراً ولكِنِّي
شَكَوْتُ المُبَرَّأَ المَوْثُوقَا
وأَخاً لي سَقَيْتُهُ الوُدَّ صِرْفاً
فَسَقاني مِنْ وُدِّهِ المَمْذُوقَا
طَبْعِي الحُبُّ والحَنانُ فَما أَعْرِفُ
لِلْمَجْدِ غَيْر حُبِّي طَرِيقَا
وَكُنوزي - وَلَيْس تَحْرِسُها الجِنُّ
تُنادِي المَحْرُومَ والمَرْزُوقَا
لَمْ يَضِقْ بالعَدُوِّ حِلْمي وغُفْرَاني
وأفْدِي بِمُقْلَتي الصديقَا
لا أُرِيدُ الإنْسانَ إلاَّ رحيماً
باخْتِلافِ الهَوى وإلاَّ شَفِيقَا

* * *

لي قُبورٌ كَنَزْتُ فِيها شَبابي
وَصَبُوحي عَلى المُنَى والغَبُوقَا
يا قُبور اللِداتِ كُلُّ شَقيقٍ
حاضِنٌ في الثرى أخاهُ الشَقِيقا
وَسِعَتْ هَذِه القُبورُ فُؤادي
كيفَ تشكو - وَهْي السماوَاتُ - ضِيقَا
كَيْفَ لا تُنْبِتُ الرَياحِين والشَوْقَ
وَقَلْبِي على ثَراها أُرِيقَا

مُقْلَتِـي يَسْـتَحِـمُّ في دَمْعِهَـا الطَّيْـفُ
وتَحْنُـو فـلا يَمـوتُ غَرِيقَـا
يَنْـزِلُ الجُـرْحُ مِنْ فُؤَادِي علـى الحُـب
وَيَلْقَـى التَـذْلِيـلَ والتَشْوِيقَـا

* * *

شـامَـةَ الفَتْـحِ نامَ (فارسُـكِ) النَجْـدُ
وَحَـقٌّ الـوَفـاءِ أَنْ يَسْتَفِيقَـا
سَبَقَتْـهُ أَحْبـابُـهُ للمَنـايَـا
فَـرَحِمْـتُ المُجَلِّـي المَسْـبُوقَـا

وَنَعَـم عُـدْتُ (للعَقيـقِ) ولكِـنْ
فـارَق الأَهْـلُ واللِـداتُ (العَقِيقـا)
أنـا كـالـطَيْـرِ أَلْـفُ صحْـراءَ لَفَّتْهُ
مَهِيـض الجَنـاحِ شِلْـواً مَزِيقَـا

ماتَ أَيْكِـي ومَـات وِرْدِي فَـلا تَعْجِيـلَ
أُغْنَـى بـه ولا تَعْوِيقَـا
غُـرْبَتـي قَـدْ سَئِمْـتُ غُرْبَـةَ روحـي
وَمَلَلْـتُ التَغْـرِيـبَ والتَشْـرِيقـا
غُرْبَتـي غُرْبَتـي عَلى النَـأْيِ والقُـرْبِ
أَرَانـي إِلـى دُجَـاهـا مَسُـوقَا

حِدْتُ عَنْها غَرْباً وَشَرْقاً وطَوَّفْتُ
فَما اجْتَزْتُ سَهْمَهَا المَرْشُوقا

***

(فارِسُ) المَجْدِ لَمْ تُزَغْرِدْ
عَذارى المَجْدِ إلاَّ انْتَخى وكان السَبُوقا
وَلَهُ الطُرْفَةُ المَلِيحَةُ تُغْنِي
عَنْ نِقاشٍ وَتُسْكِتُ المِنْطِيقَا
وبيانٌ تَخالُهُ الوَشْيَ والأَطْيا
ب شَتَّى واللؤْلُؤَ المَنْسُوقَا
فِيه عُمْقُ البِحارِ تَزْخَرُ بالدُرِّ
وفيهِ مَتارِفُ المُوسِيقَا
وَضَمِيرٌ يكادُ يُسْرِفُ في الحِس
فَيَجْزِي حتَّى الخَفِي الدَقِيقَا
عالِمٌ يسْكُبُ العُذوبَةَ في العِلْمِ
فَتَستافُ عَنْبراً مَسْحُوقَا
يَا لَنَسرٍ تَقَحَّم الشَمْس حَتَّى
مَلَّ عِزَّ الشُموسِ والتَحْلِيقَا
حَقٌّ عِبْئَيْنِ مِنْ سِنين ومَجْدٍ
أنْ يَكُفَّا مِنْ شَأْوِهِ وَيَعُوقَا
يَهْرَمُ النَسْرُ فالطَريقُ عِثارٌ
ذِكْرياتُ الصِبا زَحَمْن الطَرِيقَا

عَبَّ مِنْها النَسْرُ الحَبِيسُ فَرَدَّتْهُ
لِدُنْيا الشُموسِ حُرّاً طَلِيقَا
غَمَرتْ قَلْبَهُ حَنِيناً وأَشْواقاً
وَيُمْناهُ لُؤْلُؤاً وَعَقِيقَا
عالَمُ الذِكْرياتِ تُمْنَمهُ الخالِقُ
حَتَّى يُدَلِّلَ المَخْلوقا
هُو مِنْ أَرْيحَيَّةِ اللهِ ما شِئْنا
رحِيقاً صَفْواً ومِسْكاً فَتِيقَا

* * *

حالَ بَيْني وبَيْنَ لُقْياكَ دَهْرُ
سامَنِي عِبْئَهُ فَكُنْتُ المُطِيقَا
أَنْزَلَتْنِي عَلى فَرُوقَ رزايَاهُ
فَحَيَّا عِطْرُ السماءِ (فَرُوقَا)
ضاقَ لُبْنانُ بِي وكانَ رَحِيباً
وَتَنَزَّى حِقْداً وكان رَفِيقَا
ما لِلُبْنانَ رُحْتُ أَسْقِيهِ حُبِّي
وَسقانِي مَرارةً وعُقوقَا
أنا أَغْلَيْتُهُ بِلُؤْلُؤِ أَشعارِي
وَطَوَّقْتُ جِيدَهُ تَطْوِيقَا
وَزَرَعْتُ النُجومَ في لَيْلِ لُبْنانَ
فَـرَفَّ الدُجى نَدِيّاً وَرِيقَا

دَلّهَتْنِي (سَمْراءُ لبْنانَ) أَطْيابا
وَقَدّاً مُهَفْهَفاً مَمْشُوقا
وَجَمالاً غالى بِزينَتِهِ اللهُ
وَثَنّى وثَلَّث التَدْقِيقا

وَعَفافاً ذادَ الشِفاهَ وَخلىً
لِلْعُيونِ السُلافَ والتَحْدِيقا
جُنَّ قَلْبُ الدُجى بأَهْدابِها الوُطْفِ
فَأَغْنَى جَفْناً وَكَحَّلَ مُوقا

* * *

قَدْ أرادُوا لُبْنانَ سَفْحاً ذَلِيلاً
وَأَرَدْناهُ شامِخاً مَرمُوقا

وَحَمِدْتُ الجُلىَّ بِلُبْنَانَ لَمَّا
كَشَفَتْ لِي اليَقِينَ والتَلْفيقَا
إنْ عَتَبْنا على الكِنانَةِ إدْلالاً
فَقَدْ يُعْتِبُ الصديقُ الصدِيقَا

وَهَبَتْنا فِرْعَونَهَا وَوَهَبْنَاهَا
على العُسْرِ يُوسُفَ الصِدِّيقَا
كَيْفَ يشْرِي العَبِيدَ كافورُ
بالمَالِ وكافورُ كَان عَبْداً رَقِيقَا

أَرْزُ لُبْنَانَ لَنْ يَكُونَ لِكَافُورَ
مَتَاعاً ولِلأَرِقَّاءِ سُوقَا

* * *

يا قُبوراً في الشامِ رُبَّ قُبورٍ
أَنْزَلَتْها النَوى مَكاناً سحِيقا

مُوحِشاتٍ إلاَّ عَزِيفاً مِن الجِـ
ـنِ يَرُجُّ الدُجى وإلاَّ نَعِيقَا
هَائِماتٍ كالنُورِ طَارَتْ صَبابَا
تِي إلَيْها فما اسْتَطَعْنَ اللُحُوقَا
غَرَّبَتْنَا العُلَى قُبوراً وأَحْياءَ
وعَاثَتْ بِشَمِلِنا تَفْرِيقَا
واغْتِرابُ القُبورِ مِنْ حِيلِ المَـ
ـوْتِ لِيُخْفِي كُنُوزَهُ والعُلُوقَا
تَسْمعُ الريحُ حين تُصْغِي حَنِيناً
مِنْ فُؤادي على الثَرى وشهيقا

ما لِقَوْمي غَالَ الحِمامُ فَرِيقاً
مِنْهُمُ والعُقوقُ غَال فَرِيقَا
ظَلَم الكَنْزَ أَهْلُهُ فَتَمَنَّى
أَنْ يَكُونَ المُبدَّدَ المَسْرُوقَا

فارَقُـونـي مُعَـطَّـرِين مِـنَ الفَتْـحِ
وخَلَّـوا لِـي الأَسـى والشَهِيقَـا
أظْمَأَتْنِـي وُجُـوهُهُـمْ حِيـنَ غابِـتْ
فَـأَدَرْتُ الـذِكْـرى سُـلافـاً ورِيقَـا
عَهْـدُهَـا بالخَـلُـوقِ عَهْـدُ قَدِيـمُ
أَلِفَـتْ غُـرَّةُ المُجَلِّـي الخَلُوقَـا

* * *

يا لِـداتَ الفُتـوحِ نَسْـقـي مَنايَانَا
وَيسْـقِيْنَنَـا الهَـوى تَرْنِيقَـا
بَيْنَنَـا صُحْبَـةُ الأَبـاءِ وعِـزٌّ
أُمَـوِيٌّ يُطَـاوِلُ العَيُّـوقَـا(١)
وَكفـاحُ كَعـاصِـفٍ ضَـجَّ في الدُنْيـا
رُعـوداً هَـدَّارَةً وَبُـروقَـا
والمُـروءاتُ كالغَـرائِـرِ فـي الريـفِ
مِـلاحُ لاَ تَعْـرِفُ التَزْوِيقَـا
وَعُقُـودٌ مِّـنَ السِنيـن نَظَمْنَاهَـا
سُجُـونـاً وكِبْـرِيـاءً وَضِيقَـا
نَحْـنُ كُـنَّـا الزِلْـزَالَ نَعْصِـفُ بالشَـرْقِ
نَـرُجُّ الشُـعـوبَ حَتَّـى تُفِيقَـا

---

١) العيوق نجم مضيء في طرف المجرة

فابْتَـدَعْنـا مـن ألـرُؤَى واقِـعَ الحَـقِّ
وَمِـنْ غَمْـرَةِ الـظَـلامِ البَرِيقَـا
نَقْحَـمُ الغـامِـضَ الأشَـمَ مِنَ المَجْـدِ
وَنـأْبَـى المُمَهَّـدَ المَطْـرُوقَـا
نَحـنُ عِطْـرُ السُجـونِ عِطْـرُ المَنايَـا
نَحْمِـلُ الجُـرْحَ مُطْمَئِنّاً عَمِيقَـا
نَحْـنُ كالشَـمْـسِ جُـرحُهَا وَهَّـجَ الدُنْيَـا
غُـروبـاً مُنَـوَّرا وَشُـروقَـا

نَحْـنُ والشَـامُ والفُتـوحـاتُ والأَحْـزانُ
دُنْيَـا تَزَيَّنَـتْ لِتَـرُوقَـا
مـا دَرَى الشَـرْقُ قَبْلَنـا سَـكْرَةَ الحَـقِّ
ولا خَمْـرهـا ولا الرَاوُوقَـا
نَحْـنُ عِشْـقٌ للغُـوطَتَيْـنِ بـراهُ اللّـهُ
حَتَّـى يُـؤَلِّـهَ المَعْشُـوقَـا

نَحْنُ فـي الكَـأْسِ نَغْمَـةٌ نَحْـنُ فـي النَـ
ـغْمَـةِ صَهْبـاءُ صُفِّقَـتْ تصْفيقـا

خَمْـرةُ النُـورِ خَمْـرَةُ الثَـأْرِ والإِيمـانِ
طـابَـتْ بَـرْداً وطـابَـتْ حـرِيقَـا
يَعْـرِفُ الحَـقُّ قيمـةَ الجَـوْهَـرِ
الفَـرْدِ ويُغْلـي جـديـدَهُ والعَتِيقَـا

يُعْـذَرُ الحُـرُّ حِيـن لا يُخْطِـىءُ العَـزْمَ
وإنْ كـانَ اخْـطـأَ التَـوْفِيقَـا
يا رَئِيـسي مِـنْ أَرْبَعِيـن زَحَمْنـاهَـا
إبـاءً مُـرّاً وبَـأْسـاً حَنِيقَـا
أنْـتَ نَشَـأْتِنِـي على الصـبْـرِ والعِـزّ
كَما تُرْهِـفُ الحُسـامَ الذَلِيقَـا (١)
مُنْتَدى الشَـامِ والـوِزارَةُ[2] ضمانـا عَرِيقـاً
يُصْـفِـي هَـواهُ عَرِيقَـا
وَهُمُـومٌ كَـأَنَّهُـن الأمـانِـيُّ جَمـ
ـالاً ونَشْـوَةً وَسُمُـوقـا
مُتْـرفـاتٌ تَرعْـرَعَـتْ فـي فُؤادَيْنَـا
وطـابَـتْ شَمـائِـلاً وعُـروقَـا
يـرِدُ الخَـطْـبُ مِنْـكَ قَلْبـاً سـرِيّاً
وَبَيـانـاً عَفّـاً وَوَجْهـاً طلِيقَـا
مـنْ يَعُـلُّ النَـدِي بَعْـدَكَ بالشَهْـ
ـدِ المُصـفّـى ومـنْ يَسُـدُّ الفُتُـوقَـا
هَـدَرَتْ بالنَـدِي خُطْبَتُـكَ الشَمَّـاءُ
والـرِيـقُ لاَ يَبُـلُّ الحُلُـوقَا
أنْـكَـرْتـكَ الحَيـاةُ بالشَيْـبِ والسُـقْـ
ـمِ فَهـيءْ للفـارِكِ[3] التَطْلِيقَـا

١) الذليق الحاد
٣) المرأة تبغض زوجها
٢) كان الشاعر وزيرا في وزاره الرئيس فارس الخوري

حَمَــلَ المَــوْتُ مِن لِداتِــكَ شَــوْقاً
يَسْــتَحِــثُ الخُــطَــى وعتْبــاً رَقِيقَــا
وَكتــابــاً مِــنَ الهَــوى نَمَّقُــوهُ
فــأَجَـــادُوا البَيـــانَ والتَنْمِيقَــــا
وَطُيــوفــاً تَبَــرَّجَــتْ لِكَــرى جَفْنَيْــكَ
حَــتَّــى يَــرْضَــى وَحــتَّــى تَلِيقَــا

* * *

غَيَّــبَ القَبْــرُ مِنْــكَ شَمَّاءَ مَجْــدٍ
وَغُــرَةً تَزْحَــمُ النُجــوم سحُوقَــا
يَتَلَقَّــاكَ (هاشِــمٌ)[1] في رُبَــى عَدْنٍ
وَيَسْــتَقْبِـــلُ المَشُـــوقُ المَشُـــوقَا
حَــــي عَــنِّــي سَعْــداً[2] وَقَبِّــلْ مُحَيّاً
كــالضُحَــى باهِــر الســنــى مرْمُــوقَــا
وَأَبَــا أَسْعَــدٍ[3] سَقَتْــهُ دُمـــوعي
وَسُلَيْمـــانَ[4] (والنَدِيـــم)[5] الصــدُوقَــا

---

١) هاشم الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية والآتون من اركان الكتلة الوطنية الراحلين
٢) سعدالله الجابري
٣) ابو أسعد هارون عبد الواحد هارون زعيم اللاذقية
٤) سليمان المعصراني المجاهد المعروف
٥) نديم الموصلي الوطني المعروف

واسْقِ (قَدْرِي)[١] و (عادِلاً)[٢] و (جَمِيلاً)[٣]
مِـنْ حَنِينِـي طِيبَ الهَـوى والرَحِيقَـا
واشْـكُ حُزْنِـي (لِمُظْهَـرٍ)[٤] (وَنَجِيـبٍ)[٥]
رَاعَ دَهْـرٌ أَخَـاكُمـا فَأَفِيقَـا
لِي حُقُـوقٌ علـى القُبُـورِ الغَوالِـي
وَيُـوَفِي قَبْـرُ الـكَرِيـمِ الحُقُوقَـا

* * *

١٩٦٢/١١/١٨

---

١) الدكتور احمد قدري من زعماء القضية العربية
٢) عادل العظمة
٣) جميل مردم بك الزعيم الوطني الكبير
٤) مظهر رسلان
٥) نجيب الريس ـ صاحب جريدة القبس

الشهيد

في حفلة ذكرى هنانو عام ١٩٤٥

وفــاؤكَ لا عُســـرُ الحَياةِ ولا اليُسْـــرُ
وَهَمُّــكَ لا الــدّاءُ المُلِــحُّ ولا العُمْــرُ
إذَا المَرْءُ لَــم يَملِــكْ وُثوبــاً على الأذى
فَمِــنْ بَعْضِ أسْماءِ الــرَدى الحَــقُّ والصَبْرُ
إذَا مَلَــكُــوا الــدُنْيا على الحُـــرِّ عُنْـــوَةً
فَفــي نَفْسِــهِ دُنْيَا هِي العِـــزُّ والكِبْـرُ
وإنْ حَجَبُــوا عَنْ عَيْنِيهِ الــكَوْنَ ضَاحِكاً
أَضــاءَ لَهُ كَوْنٌ بَعِيــدٌ هُــو الفِكْــرُ
فَلَيْلَتُــهُ صُبْــح وَعُسْرَتُــهُ غِنَــىً
وَأَحْـــزانُــهُ نُعْمَــى وآهــاتُــهُ شِعْــرُ
أُنَــزِّهُ آلامــي عَــنِ الــدَمْــعِ والأَســى
فَتُؤنِسُــهــا مِنّــي الطَــلاقَــةُ والبِشْــرُ
وأَضْــحَــكُ سُخْــراً بالــطُغَــاةِ وَرَحْمَــةً
وَفــي كَبِــدِي جُرْحٌ وفــي أَضْــلُعِــي جَمْرُ
كِفَــاءٌ لِعَسْفِ الدَهْــرِ أنّــي مُؤْمِـــــنٌ
وَعَـــدْلٌ لِطُغْيــانِ الــورى أنّني حُــرُّ
وَمـــا ضَرَّني أَسْرٌ وَنَفْسِـــي طَلِيقَـــةٌ
مُجَنَّحــةٌ ما كَفَّ مِــنْ شَأْوِهــا أَسْــرُ

أُهَدْهِـدُ مِـنْ أَحْـزانِهـا كُلَّمـا وَنَتْ
وَيُسْلِـسُ بَعْـدَ المَرْيِ لِلْحَـالِـبِ الدَرُّ
أُطِـلُّ عَلى الـدُنْيـا عَزِيـزاً أَضَمَّنِـي
إِلَيْهِ ظَـلامُ السِـجْـنِ أَمْ ضَمَّنِـي القَصْـرُ

وما حَاجَتِـي للنُـورِ والنُـورُ كامِـنٌ
بِنَفسِـي لا ظِـلٌّ عَلَيْـهِ ولا سِتْـرُ
وَمـا حَاجَتِـي للأُفْـقِ ضَحْيَـانَ مُشرِقاً
وَنَفسِـي الضُـحَـى والأُفْـقُ والشَـمْسُ والبَدْرُ

وَمـا حَاجَتِـي للـكائِنـاتِ بِأسْـرِهَا
وَفِـيْ نَفْسِـي الـدُنْيَـا وَفِـيْ نَفْسِـي الدَهْـرُ
يُرِيدُونَ أَسْـرارِي ولِلَّيْـلِ سِـرُّهُ
إِذَا نَقَّبُـوا عَنْـهُ ومـا لِلضُـحـى سِـرُّ

لَعَمْـرُكَ للضَـعْـفِ الخَفَـاءُ وَكَيْـدُهُ
ولِلْقُـوَّةِ الـكُبْـرى الصَراحَـةُ والجَهْـرُ
وَمـا أَكْبَـرَتْ نفسـي سِـوى الحَـقِّ قُـوَّةً
وَإِنْ كانَ فـي الـدُنْيـا لَهـا النَهْـيُ والأَمْرُ

وَكُنْـتُ إذَا الـطَـاغِي رَمـانِـي رَمَيْتُـهُ
فـلا نُصْرَتِـي هَمْـسٌ ولا غَضَـبِـي سِـرُّ
وَأَحْمِـلُ عَـنْ إِخْـوانِي العُسْرَ هانِئـاً
وَيُبْعِـدُنِـي عَنْهُـمْ إِذَا أَيْسَرُوا اليُسْـرُ

فَلَيْتَ الذي عاطَيْتُهُ الوُدَّ صافِياً
تجاوَزَني مِنْ كَأْسِهِ الآجِنُ المُرُّ

وأشْقَى إذَا أعْرَضْتُ عَمَّنْ أُحِبُّهُ
وَلكِنْ دَواءُ الكِبْرِ عِنْدي هُوَ الكِبْرُ

ونَفْسِي لَوَ انَّ الجَمْرَ مَس إبَاءَهَا
على بِشْرِهَا الرَّيَّانِ لاحْتَرَقَ الجَمْرُ

(١) ويا خيبة الطاغي يُدِلُّ بِنَصْرِهِ
وَمِنْ سَيْفِهِ لاَ رُوحِهِ انْبَثَقَ النَصْرُ

يُغَالِي بِدُنْياهُ ويَجْلُو فُتونَهَا
وَدُنْياهُ في عَيْنَي مُوحِشَةٌ قَفْرُ

رَأَيْتُ بِزُهْدِي ما رَأى بِغُرورِهِ
فَأَعْوامُهُ ساعٌ وآمادُهُ فِتْرُ

شَكا حُبَّهُ لِي وَهْوَ رَيَّانُ مِنْ دَمِي
وأَنْيابُهُ حُمْرٌ واَظْفارُهُ حُمْرُ

وصانِعَ يَسْتَجْدِي الوَلاءَ فيالَهُ
غِنىً مَلَكَ الدُنْيا ومَعْدِنُهُ الفَقْرُ

* * *

تَلَفَّتُّ لا شَمْلِي جَمِيعٌ ولا الهَوى
قَريبٌ ولا فَرْعُ الصِبى عَبِقٌ نَضْرُ

---

(١) يشير الشاعر بهذا البيت وما بعده الى انتصار الحلفاء في الحرب الاخيرة

وَيا سَامِــرِ الأَحْبــابِ مالَك مُوحِشــاً
مَعَــاذَ الهَــوى بـلْ أَنْـتَ يُـؤْنسُـكَ الذِكْـرُا
أديمُــكَ مِــنْ حَـب القُــلوبِ تَـمزَّقَـتْ
عَلَيْــهِ فَســالَ الحُــبُّ والشَــوْقُ والطُهْــرُ
إذَا ظَمِئــتْ فـي قَطْعِهــا البِيــدَ نَسْمَــةٌ
أَلَـمَّــتْ بِهِ وَهْنــاً فَرَنَّحَهــا السُكْــر

فَيـا للصَّـبــا العَجْلَى إذَا عَبَــرَتْ بِهِ
تَــأَنَّــتْ كما يَرْتَــاحُ في الوَاحَــةِ السَّــفْرُ
تَمَنَّيْــتُ إجْـلالاً لَـهُ وكَرامَةً
لَــو انَّ حَصــاهُ أَنْجُــمُ الفَلَكِ الزُهْرُ
وَأَجْـزَعُ إنْ مَرَّتْ بِهِ الــرِيحُ زَعْزَعاً
وأسْرَفَ حَــتَّــى جَــاوَزَ الغَــايَةَ القَطْـرُ

فَلَيْـتَ الــربيعَ الــطَلْقَ عَاطَــاهُ كَأْسَـهُ
مَـدَى الــدَهْـرِ لا بَـرْدٌ عَلَيْـهِ وَلا حَرُّ
لَقَـدْ سَاءَنِــي غــادٍ عَلَيْـهِ وَرائِـحُ
فَمِـنْ كَبِــدِي فَوْق الثَـرى قِطَـعٌ حُمْرُ

وَلَــوْ قَدَرَتْ صَانَتْــهُ عَيني كَـرامَـةً
كَما صِيـنَ فــي أَغْلـى خَزائِنِـهِ الـدُرُّ
تَطُـوفُ بِك الأَحْـلامُ سَكْـرى كَعَهْـدِهَـا
وَيَنْــطِـفُ مِــنْ أَفْيـائِـكَ الحُـبُّ والعِطْـرُ

وَيَضْحَكُ لي وَجْهُ نَدِيٌّ مُنَوَّرٌ
كأَنْ لَمْ يُغَيَّبْ مِنْ طَلاقَتِهِ القَبْرُ[1]

وَحَتَّى كَأَنْ لَمْ يَطْوِهِ عَنِّى الرَدَى
فَهَلْ بُعِث الأَمْواتُ أَمْ رَدَّهُ السِحْرُ

تُلِمُّ بِهِ الذِكْرى فَيَحْيَا كَبارِقٍ
طَواهُ الدُجَى عَنِّي لِيُطْلِعَهُ الفَجْرُ

ويَبْعَثُهُ حُبِّي وفي كُلِّ خافِقٍ
صَحِيحِ الهَوى بَعْثُ الأَحِبةِ والنَشْرُ

فَيَا قَلْبُ فِيكَ الرَاحِلُونَ وإِنْ نَأَوْا
وَفِيكَ النَدامَى والرَيَاحِينُ والخَمْرُ

خَلَعْتَ على المَوتَى الحَياةَ وسِرَّها
وَطَالَعَهُمْ مِنْكَ القِيامَةُ والحَشْرُ

وَفاءٌ يَصُونُ الراحِلينَ مِنَ الرَدى
إِذَا رَاحَ يُدْنِي مِنْ مَنَايَاهُمُ الغَدْرُ

ويا سَامِر الأَحْبابِ طَيْفٌ ولا كَرى
وَسُكْرٌ ولا راحٌ وَرَيًّا ولا زَهْرُ

كِلانا على ما كَلَّفَ النَفْس مِنْ رِضًى
أَضَرَّ بِهِ نَأْيُ الأَحِبَّةِ والهَجْرُ

***

أَبا طَارِقٍ[1] هَذِي سَرايَاكَ أَقْبَلَتْ
يَرِفُّ على أَعْلامِها العِزُّ والنَصْرُ

---

(١) المغفور له ابراهيم هنانو

لَقَـدْ قُدْتَهـا حَيّاً ومَيْتـاً فَما ثَنَـى
شكيمتهـا عُنْـفٌ ولا هَـدَّهَا ذُعْـرُ
فَمُـرْ تَسْـمَـعِ الـدُنْيـا هَـواكَ وَيَنْطَلِقْ
إلى الفَتـحِ بَعْـدَ الفَتْـحِ عَسْـكَرُكَ المَجْرُ
وَمُـرْ يَتَمَـزقْ كُـلُّ قَيْـدٍ أَبَيْتَـهُ
وَيُسْرِفْ على طُغْيَـانِـهِ الحَطْـمُ والـكَسْرُ
تبـرأتَ [1] في دُنْيـاكَ مِنْ كُلِّ نَاكِثٍ
ذَلِيـلٍ فـلا عُرْفٌ لَدَيْـهِ ولا نُكْـرُ
وَمِـنْ زاهِـدٍ لَمّا رأى الصَّيْـدَ مُكْثِبـاً [2]
تَمَـزَّقَ عَنْـهُ الـزُهْـدُ وافْتَضَـحَ المَكْـرُ
وَمِّـنْ يَظُـنُّ الفقْـر عُـذْراً لِكُفْـرِهِ
وَمـا أَقْنَـعَ الإيمَـانَ إلاَّ الـرَدى عُذْرُ
يُـدِلُّ بِمـاضِيهِ فَهَـلْ رَاحَ شَافِعَـاً
بِـذِي رِدَّةٍ نُسْـكٌ تَقَـدَمَّ أَوْبِـرُ
عِصـابَـةُ شَـرٍ راح يَبْـرَأُ مِنْهُـمُ
إلى اللَّـهِ إبْقـاءً عَلَى نفسـهِ الشَـرُّ
رُوَيْـدَكَ شَـرُّ الـكـافِـريـنَ مُـوحـدٌ
أَلَـحَّ عَلَيْـهِ بَعْـدَ إيمـانِـهِ الكُفْـرُ
عَبـادِيـدُ شَتَّـى أَلَّـفَ الـوِزْرُ بَيْنَهُـمْ
فَـلا رَحِـمٌ إلاَّ الضَـراعَـةُ والـوِزْرُ

(١) يريد الشاعر بهذا البيت وما بعده الحكومات التي كانت تفرضها الحكومة الفرنسية ايلم انتدابها
(٢) دانيا منه

وَبَيْـنَ اللِئَـام العـاثِـريـن وإِنْ نَأَتْ
مَنـاسِـبُهُـمْ قُـرْبَـى السـجِيَّـةِ والصِهْـرُ

* * *

تَمَنَّيْتُ أَنَّ الغَيْبَ شَفَّ فَلَـمْ يَعُقْ
عَـن المَلاِ الأَعْلـى حِجـابٌ ولا سِتْرُ
ولُحْـتَ لَنَـا في عالَـمِ الحَـقِّ والْتُقـى
عَلـى المَوْعِـدِ الهـانِـي المُقِيمُـونَ والسَفْـرُ
فَقَـرَّتْ بِمـا تَلْقَـاهُ عَيْنـاكَ وانْطَوَتْ
على النَشْـوَةِ الكُـبْـرى الجَـوانِـحُ والصَدْرُ
أَتَعْـلَـمُ أَنَّ الشـامَ فَكَّـتْ إِسـارَهَـا
فَـلا قَيْدَ بَعْـدَ اليَوْمِ فيهـا ولا أَسْرُ
يُصـرِّفُ أَمْـرَ النَـاسِ فِيـهـا مُـوَفَّقـاً
مُعَـاوِيَـةُ الـدُنْيـا وصـاحِبُـهُ عَمْـرُو
وَأَنَّ رِيـاضَـاً[1] هَـزَّ لُبْنَـانَ فَانْتَخَـتْ
شَمَـائِـلُ فِـي لُبْنَـانَ مَيْمُـونَـةٌ غُـرُّ
رمـى كُـلَّ بُـرْدٍ أَجْنَبِـيٍّ مُـزَوَّرٍ
وَعَـادَتْ لِقَحْـطَـانَ المَنَـاسِـبُ والنَجْـرُ[2]
وَلَمَّـا شَكَـى لُبْنَـانُ ضَجَّـتْ أُمَـيَّـةٌ
وَجُنَّـتْ لَـهُ بَغْـدادُ والْتَهَبَـتْ مِصْـرُ

(١) رياض الصلح
(٢) النجر الحسب

أيا طارقٍ أبقيتَ لِلْحَقِّ سُنَّـةً
هِـي العِـزَّةُ القَعْسَاءُ والفَتْكَةُ البِكْرُ

بَنَيتَ عَلَيْهَا كُتْلَةً وَطَنِيَّةً
مِنَ الصِيدِ ما خَانُوا هَواكَ ولاَ فَرُّوا

لَقَدْ حَمَلُوا عَنْكَ الجِهَادَ وما وَنى
وَحَقِّكَ نَابٌ للخُطُوبِ وَلاَ ظُفْرُ

فَإنْ أقسمُوا أنْ يَفْتَدُوا بِنُفُوسِهِمْ
أَمَانَتَكَ الكُبْرى لَدَيْهِمْ فقد بَرُّوا

نَمَاكَ وَسَيْفَ الدَوْلَةِ الدارُ والهَوى
وَغَنَّاكُما أَنْدَى مَلاَحِمهِ الشِعْرُ

وأُقْسِمُ بالبَيْتِ المُحَرَّمِ ما احْتَمَتْ
بِأَمْنَعَ مِنْ كَفَّيْكُمَا البِيضُ والسُمْرُ

فَإنْ تَفْخَرِ الشَهْبَاءُ فالكَوْنُ مُنْصِتٌ
وَحَقٌّ بِسَيْفَي دَوْلَتَيْهَا لها الفخْرُ

* * *

أحِبَّاي لَوْ غَيْرُ الرَدَى حَالَ بَيْنَنَا
دَنَا البَرُّ في عَيْنَي وانْكَشَفَ البَحْرُ

بِأَسْماعِكُمْ وَقْرٌ وَقَدْ رُحْتُ شَاكِياً
وَحَاشَا فَفِي سَمْعِ الثَرى وَحْدَهُ الوَقْرُ

وَأَوْحَشْتُمُ الدُنْيَا كَأَن لَمْ تَدُسْ بِكُمْ
عَلى الهَامِ فِي الرَوْعِ المُحَجَّلَةُ الشُقْرُ

وَحَتَّى كَأَنَّ الرَمْلَ لَمْ يُرْوِهِ دَمُ
كَرِيمُ المُصفَّى لاَ أُجَاجٌ وَلاَ نَزْرُ
فوارَحْمَتَا لِلنَّائِمِينَ عَلى الطَوى
وَأُتخِم مِنْ قَتْلاهُمُ الذِئْبُ والنَسْرُ
تَهُدُّهُمُ الصحْراءُ هَدّاً ولِلرَّدَى
سِلاحَانِ فِي البِيدِ الهَواجِرُ والقَرُّ
وَلاَ مَاءَ إلاَّ ما يُزَوِّرُهُ بِهَا
سرابٌ نَدِيُّ اللَّمْحِ مُنْبَسِطٌ غَمْرُ
إذَا سَقَطُوا صرْعَى الجِراحِ تَحَامَلُوا
عَلى نَفْسِهِمْ واسْتُؤْنِفَ الكَرُّ والفَرُّ
وَلَوْ آثَرُوا الدُنْيَا لَقَدْ كَانَ جَاهُهَا
تَلِيداً لَدَيْهِمْ والقَسامَةُ والوَفْرُ

* * *

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الشَبابَ قصيدة
يُحَلَّى بِها مُلْكٌ ويُحْمَى بِها ثَغْرُ
تُطَوِّفُ فِي الدُنْيَا الوساعِ كَأَنَّمَا
هِيَ الخِضْرُ أَوْ يَرْوِي شَوارِدَهَا الخِضْرُ
هَزَزْتُ بِها نُوَّامَهُم مُتَرَفِّقَا
وَيُؤْذِي الشَبَابَ المُرْتَجَى اللَّوْمُ والزَجْرُ
إذَا كُنْتُ فِي نُصْحِي لَهُمْ غَيْر مُوجِعٍ
فَلِي بالذِي يُرْضِي شَمَائِلَهُم خُبْرُ

وعِنْدِي مِنْ زَهْوِ الشَبابِ بَقِيَّةٌ
يَرِفُّ الصِبا فِيهَا وأَفْياؤُهُ الخُضْرُ

أَلَمَّتْ بِيَ الأَيامُ حُمْراً نُيوبهُا
فَمَا شَابَ لِي قَلْبٌ وَلاَ شَابَ لِي شَعْرُ

دُرُوبُ العُلَى للسَالِكِين عَدِيدَةٌ
وأَقْربهُا لِلْغَايَةِ المُوحِشُ الوَعْرُ

فَلا تَقْنَطُوا مِنْ غَايَةِ المَجْدِ لاَ يَرَى
لَهَا العَقْلُ إِمْكَاناً فقَدْ يَنْبُعُ الصخْرُ

* * *

أُعِيذُ مِنَ اليَأْسِ المَريرِ نُفُوسَكُمْ
تَلاقَى عَلَى إِعْنَاتِهَا الظُلْمُ والقَهْرُ

إِذَا رَكَدَتْ بَعْدَ الهُبوبِ فإِنَّهَا
لَكالْبَحْرِ مِنْ أَخْلاقِهِ المَدُّ والجَزْرُ

أَرَى العَفْو والنِسْيَانَ مِنْ خُلُقِ الصِبا
وَلَمْ يُنْسِ عِنْدَ الشَّيْبِ حِقْدٌ وَلاَ ثَأْرُ

وَمَا أَكْرَمَ النِسْيَانَ والعَفْو مِنْكُمُ
إِذا لَمْ يَضِعْ حَقٌ وَلَمْ يُحْتَسَبْ وِتْرُ

وَأَنْتُمْ عَلى دَلِّ الشَبابِ وَزَهْوِهِ
وأَهْوائِهِ رُكْنُ القَضِيَّةِ والذُخْرُ

وفاء القبور

الى ابنتي (جُهَيْنة) الوَرْدَةِ النَقِيَّةِ الندية التي اسْتأثَرَ بِـها اللهُ في ربيعِ صِباها فهي بين يَدَيْه في جَنَّةِ الخُلود عُطـورٌ ـ ونَغَمٌ ـ وَجَمَال

إنِّـي أُكَــرِّمُ شِعْــرِي فـي مَتَــارِفِـهِ
كَمَــا تُكَــرَّمُ عِنْــدَ المُؤْمِـنِ السُــوَرُ
هَـدِيَّـةُ اللّـهِ فِيهـا عِطْــرُ جَنَّتِـهِ
والخَمْــرُ واللَّعَــسُ النَشْــوانُ والحَـوَرُ
وَقَـدْ أَحِــنُّ الـى حُسْـنٍ يُـدَلِّلُـنِي
كمــا يحِــنُّ الـى أنْــدائِـهِ الزَهَـرُ
وَبُلْبُــلُ الــدَوْحِ تُــرْضِيـهِ بِـأَيْكَتِـهِ
نُعْمَــى الجَمـالِ ويُـرْضِـي غَيْـرَهُ الثَمَــرُ
أُرِيــدُ حُبّـاً كَنــارِ الحَـقِّ مُلْتَهِبــاً
كَمُــزْبِــدِ المَــوْجِ مِـنْ شَمَّــاءَ يَنْحَــدِرُ
نَــزْرُ الهَـوى لَيْس يُرْضِـي جَائِعــاً شرِهاً
إلى الصــبـابَـةِ لا يُبْقِـي وَلا يَــذَرُ
والعَبْـقَــرِيُّ وإنْ جَــلَّــتْ مَـواهِبُـهُ
طِفْــلُ السَّــريــرَةِ لا حِقْـدٌ ولا حَذَرُ
طِفْــلٌ فـإنْ نَـالَ ضَيْمٌ مِـنْ كَـرامَتِـهِ
مـا البَحْـرُ يَـزْأَرُ. ما البُـرْكانُ يِنْفَجِـرُ
ذُنُـوبُـهُ خَفِــراتٌ مِـنْ بـراءَتِـهِ
أَحْلَــى الغَــوايَــةِ ما يَنْـدَى بِـهِ الخَفَـرُ

ومـا تَمَنَّـى خَيـالي أَنَّنِـي مَلَـكٌ
فَوْقَ المَـلائِـكِ زَهْـواً أَنَّنِـي بَشَـرُ

أُقِيـمُ مـا شِئْـتُ في عَدْنٍ وَأَتْـرُكُهـا
وَأَخْلَـعُ الجِسْـمَ أَحْيانـاً وأَتَّـزِرُ

أُطِـلُّ والشِـعْـرِ مِـنْ عَصْـمَـاءَ باذِخَـةٍ
وَفـي السُـفُـوحِ غُـرورُ الحُـكْمِ والبَطَـرُ

نَحْـنُ النسُـورُ وَمِـنْ نُعْمَـى جَوانِحِنـا
أَنَّـا رَأَيْنَـا صِغـاراً كُـلَّ مَـنْ كَبُرُوا

وَرُبَّ هَجْـرٍ سواءُ فـي مَواجِعِـهِ
أَكْبـادُ مَنْ هُجِـرُوا ظُلْمـاً وَمَـنْ هَجَـرُوا

* * *

أَدْعُـو قُبُـور أَحِبَّائـي لِتَسْمَعَنِـي
وَهَـلْ تُجِيـبُ دُعـاءَ الثَاكِـلِ الحُفَـرُ

قَبْـرٌ بِضـاحِيـةِ الشَـهْبـاءِ[1] طـافَ بِهِ
فَلَمْلَـم الـطِيـبَ مِنْ حَصْـبـائِـهِ السحَـرُ

واسْتُـودِعَـتْ حِمْصُ[2] قَبْـراً لَوْ مَرَرْتُ بِهِ
لَهَـش لِـي مِنْـهُ حُـبُّ مُتْـرَفُ عَطِـرُ

وَلِـي قُبُـورٌ عَلَـى الفَيْحـاءِ[3] غـافِيَـةٌ
زُوَّارُهَـا الـطَيْـرُ والأَشْـواق والقَمَـر

---

١) سعد الله الجابري في حلب

٢) مظهر رسلان من اقطاب الوطنية

٣) نجيب الريس وعاهل العظمة

ظَمْأى وَيَنْدَى ثَراهَا لَوْعَةً وَهَوىً
إذَا أَلَم بِهَا مِنْ غُرْبَتِي خَبَرُ
تِلْكَ المَصارِعُ رَدَّ المَوْتُ نَجْدَتَها
عَنِّي فَكادَ الأَدِيمُ السَمْحُ يَعْتَذِرُ
طَاحَ الزَمانُ بإِخْواني وَأَوْرَدَهُمْ
عَلى الحُتُوفِ فلا عَيْنٌ ولا أثَرُ
أصْبَحْتُ بَعْدَهُمُ حَيْرانَ مُنْفَرِداً
والرِيحُ مُعْوِلَةٌ واللَّيْلُ مُعْتَكِرُ
أحْنُو على كُلِّ قَبْرٍ مِنْ قُبورِهِمُ
أَبْكِيهِ حَتَّى بَكَى مِنْ لَوْعَتِي الحَجَرُ
قد عَقَّنِي الصحْبُ حَتَّى لا أَضِيقُ بِهِ
إنْ عَقَّنِي الأَقْرِبانِ السمْعُ والبَصرُ
أُلَوِّنُ الخَطْبَ أَضْواءً وَغالِيَةً
وأُبْدِعُ الفَقْرِ عِزّاً حِينَ أَفْتَقِرُ
وَما وفَى لِي مِمَّنْ كُنْتُ أُوثِرُهُمْ
إلاَّ القُبورُ والا الأَيْكُ والنَهَرُ

* * *

استنبول في ١٢ نيسان ١٩٥٨

خلع الحياة على البلى

في رثاء احمد شوقي

لا الأمْسُ يَسْلُبُكَ الخُلودَ ولا الغَدُ
هَيْهاتَ أَنْتَ على الزَمانِ مُخَلَّدُ
تَتَجدَّدُ الدنيا وَقَلْبُكَ وَحْدَهُ
دُنيا تُعِيدُ شَبَابَها وتُجَدِّدُ
لَكَ مِنْ خَيالِكَ عالَمٌ مُتَناسِقٌ
بِهِجٌ تُعاوِدُ خَلْقَهُ وتُجَوِّدُ
أمَّا البَسيطَةُ فَهْي فِيهِ خَميلةٌ
وَلِعَ الربيعُ بِها ورُحْتَ تُغَرِّدُ
وَسَكَبْتَ في الانْغامِ قَلْبَكَ دَمْعَةً
لا كالدُموعِ وَرَحْمَةً تَتَنَهَّدُ
خَلَعَ الحَياةَ على البِلى فكأَنَّهُ
لِلْبعْثِ مِنْ قَبْلِ الأَوَانِ يُمَهِّدُ
قَيْسُ ولَيْلَى بَعْدَ طُولِ كَراهُما
ثَغْرٌ يَرِفُّ ووجْنَةٌ تَتَوَرَّدُ
بُعِثَا كَعَهْدِهِما القَديم فَمَنْ رَأى
تِلْكَ العُيونَ يَرِفُّ فيها الإِثْمِدُ
فِي كُلِّ قافيةٍ حَياةٌ تُجْتَلَى
ومُنَى تَضُوعُ وزَفْرَةٌ تَتَرَدَّدُ

صُــوَرُ الجَـزَيـرةِ ما جَلَــوْتَ مِنَ العُلى
والحُسْـــنِ لا مــا أَوْلَتْــهُ الحُسَّــدُ
الحُــبُّ والخِيَــمُ المُنيفَـةُ والقِـرى
ولُبـانـةٌ عنـد الغـديـرِ ومَوْعِـدُ
وَسَــكِينَــةُ الصَــحْــراءِ الا هــازِجـاً
مَـرِحـاً يُعِيــدُ حُـداءَهُ ويُـرَدِّدُ

* * *

يـا شـاعِـر الـدنيـا لَقَدْ أَسْكَـرْتَهـا
مــاذا تُغَنِّيـهــا ومـاذا تُنْشِـدُ
خَفَّـتْ بِزينَتِــهـا إلَيْـكَ مَشُــوقَـةً
سَــكْــرى تَعُــبُّ كُــؤوســهــا وتُـعَرْبِـدُ
وَجلَــتْ على الشُــعــراء قَبْلَكَ حُسْـنَـهـــا
لَــكِـنْ أَراكَ شَهِــدْتَ ما لم يَشْهَـدُوا
الـزاهِـديـنَ بهِـا ولـو كَشَــفَـتْ لَهُـمْ
سِــرَّ الحيـاةِ المُجْتلــى لَـمْ يَـزْهَـدُوا
نَظَــروا الى خَيْـرِ الـوُجـودِ وحُسْنِهِ
شَــزْرا كمــا نَظَـر الضِيــاءَ الأَرْمَــدُ
أَطْـرَيْـتَ فِتْنَتَهــا فَـدَعْ فــي غَيِّــهِ
مَـنْ راحَ يَعْــذِلُ حُسْنَــهــا ويُفَنِّـدُ
العَبْقَـرِيَّـةُ شُعْلَـةٌ مـن نـارِهَـا
حَمْـراءُ نـاضِــرَةُ اللَّــظــى تَتَوقَّـدُ

والشِّعْرُ والنَغَمُ الشَجِيُّ وَرَحْمَةٌ
تَسَعُ الوُجودَ ونَقْمَةٌ تَتَوعَّدُ

***

يا فِتْنَةَ الدنيا يَذُمُّكِ مَعْشَرٌ
والحَقُّ كُلُّ الحَقِّ في أنْ يَحْمَدُوا
أَلْهِبْ نُبوغَكَ في الحَيَاةِ وحُبِّها
وانا الضَنينُ بأنَّهُ لا يَخْمَدُ
الكَنْزُ بين يَدَيْكَ فانْثُرْ دُرَّهُ
إنّي أراهُ يزيدُ حين يُبَدَّدُ
ظَلَم الجَمالَ أبا عَلِيٌّ مَنْ رَأى
أنَّ الجَمالَ غَوايَةٌ تَتَوَدَّدُ
وَسَمَوْتَ في صُوَرِ النَعيمِ تَعُدُّهَا
مِنْ نِعْمَةِ اللهِ التي لا تُجْحَدُ
الحَقُّ والإبداعُ مِنْ نَفَحاتِهَا
والخَيرُ مِنْ أسْمائِهَا والسُؤْدَدُ
حُبُّ الجَمالِ عِبادةٌ مقبولَةٌ
واللهُ يُلْمَحُ في الجمالِ ويُعْبَدُ

* * *

يا شاعِرَ الدُنيا نَدِيُّكَ حافِلٌ
والجَمْعُ مُصْغٍ والمَواكِبُ حُشَّدُ

يَتَنَظَّرُونَ السِحْرَ مِنْ جَبَّارِهِ
هَيْهَاتَ دُونَ السِحْرِ بابٌ مُوصَدُ

يُشْكَى إِلَيْكَ وأَنْتَ رَهْنُ مَنِيَّةٍ
وتُزارُ في عَنَتِ الخُطُوبِ وتُقْصدُ

وَلَقَدْ يُرَجَّى السَيْفُ وهو مُثَلَّمٌ
ولَقَدْ يُهابُ الليثُ وَهْوَ مُصفَّدُ

فاذْهَبْ كما ذَهَبَ الربيعُ على الرُبى
مِنْهُ يدٌ وعلى القلوبِ لَهُ يَدُ

وَلَكَ الإمارَةُ في البيانِ يُقرُّهَا
أَمْسُ الزَمَانِ ولا يَضِيقُ بها الغَدُ

* * *

دمعة على الشاعر عبد الحميد الرافعي

لا تُعِيدِي أَلْحَانَهُ لا تُعِيدِي
جَلَّ ذَاكَ الهَوى عَنِ التَقْلِيدِ
نَعِم البُلْبُلُ الاسِيرُ فَقَدْ عَادَ
إلى أُفْقِهِ الفَسِيحِ المَدِيدِ
شَاعِرٌ لاَ يَحُدُّهُ الكَوْنُ مَلَّتْ
نَفْسُهُ ضِيقَ عَالَمٍ مَحْدُودِ
وَرَأَتْ جِسْمَهُ على كَرَمِ العُنْصُرِ
سِجَّانَ كَنْزِهَا المَرْصُودِ
فَهْي تَقْسُو عَلَيْهِ تُمْعِنُ فِي الهَدْمِ
وَتَأْسَى لِرُكْنِهِ المَهْدُودِ
فإذَا هَدَّهَا الصِراعُ اطْمَأَنَّتْ
وَنَجَتْ في خَيَالِهَا المَصْفُودِ
لَمْ يَكُنْ مَوْتُهُ فِراقًا وَلَكِنْ
هَذِهِ أَوْبَةُ الخَيَالِ البَعِيدِ
عَادَ للفَنِ ذَلِكَ النَغَمُ العَذْبُ
وآبَتْ حَنَانَةُ التَغْرِيدِ
وانْطَوى فِي شَذَى الربِيعِ وَقَدْ
ضَمَّ فُنُونَ العَبِيرِ عِطْرُ الوُرودِ

قُــوَّةٌ مِــنْ هَـوى وَسِــحْــرٍ رَمَتْهَـــا
رَبَّـةُ الشِــعْـرِ فـي يَـدَيْ (كُـوبيـدِ)
كُلَّمــا آذَنَ الفَنَــاءُ تَنَـــادَتْ
بِــوُجُــودٍ يُطِــلُّ خَلْــفَ وُجُــودِ
مُلْهَـم الشِـعْـرِ مِـنْ هَـوى كُـلِّ نَفْــسٍ
وَلُبــانـاتِ كُــلِّ قَلْــبٍ عَمِيــدِ
يَتِمــتْ بَعْــدَكَ القَــوافي وَضَجَّــتْ
بــاكِيــاتٍ بِيـوْمِـكَ المَشْهُــودِ
بَعْــض نَجْــواكَ لِلْمَشِيــبِ وإِنْ
نَــزَّهْـت نَجْـواكَ عـنْ أذى وحُقُــودِ
يَجْمَـعُ الــدَهْـرُ مِنْ غَـدائِــر بِيـــضٍ
حِـينَ يسْـطُـو ومِـنْ غـدائــر سُـــودِ
وَلَعَـلَّ الــرَدَى أَحَـنُّ عَلـى الشِعْـــرِ
وأَحْنَـــى عَـلى الصرِيـــعِ الشَهيــدِ

* * *

رُزِيءِ الشِــعْـرُ فَيـكَ عَبْـدَ الحَميـــدِ
عَبْقَــرِي القَــدِيــمِ عَــذْبَ الجَدِيـــدِ
غَــزَلٌ يُسْــكِــرُ النُفــوس ويُـدْنِــي
مــا نــأَى مِــنْ خَيَــالِهـا المَنْشُـــودِ
وَأَغَــانٍ تُعِيــدُ حُـبّـاً وَعِطْــراً
مــا رَوَتْــهُ العُصُــورُ عَــنْ دَاوُودِ

فَتَرَشَّفْ مِنْهُنَّ خَمْر ثُغُورٍ
وَتَنَشَّقْ فِيهِنَّ عِطْر خُدُودِ
مِنْ قَوافٍ كأَنَّهَا بَسَمَاتٌ
حالِيَاتٌ على شِفَاهِ الغِيدِ
قُيِّدَتْ بالروِي بَعْدَ انْطِلاقٍ
نَزَواتُ الحَنِينِ والتَغْرِيدِ
كُلَّما ردَّدَ المُغَنُّونَ رَقَّتْ
وَهَفَا السامِعُونَ للتَرْدِيدِ
وَأَطَلَّتْ مِنْها فُتونُ ثُغورٍ
وَلُبانَاتُ أَعْيُنٍ ونُهُودِ
وَجِراحَاتُ كُلِّ قَلْبٍ ظَمِيءٍ
وابْتِسامَاتُ كُلِّ ثَغْرٍ بَرودِ
والمُنَى العَارِياتُ أَلْهَبَها
الشَوْقُ فَجُنَّتْ وَلَوَّحَتْ بالبُرودِ
وَحَنَتْ تَنْشُدُ الخُلودَ لِيَغْفُو
بَيْن أَحْضَانِها إِلَهُ الخُلودِ
عُمَرٌ في القَصِيدِ مِنْ آلِ نُعْمٍ
وَسُلَيْمَانُ قبْلَهُ في النَشِيدِ
والمُحِبُّونَ بَسْمَةٌ عِنْدَ ثَغْرٍ
يَتَمَلَّى ومِعْصَمٌ عِنْدَ جِيدِ
طَالَ عَهْدِي بالشِّعْرِ إلاّ لَمَاماً
زَوْرَةَ الطَيْفِ بَعْدَ طُولِ الصُدُودِ

وأَنَا شَاعِرُ الشبابِ وَعِنْدِي
ما يَشاؤُونَ مِنْ مُنىً وَقَصِيدِ
لَمْ أَخُنْ عَهْدَهُمْ فَحُبِّي عَلَى مَا
أَلِفُوهُ وَذِمَّتِي وعُهُودِي
والمَيامِينُ آلُ جَفْنَةَ والتَّاجُ
عَلَيْهِمْ أُبُوَّتِي وجُدودِي
لاَ تَغُرَّنْكَ ضِحْكَةٌ مِنْ حَزِينٍ
ضَحِكَاتُ البُروقِ سِرُّ الرُعُودِ

* * *

حَبَّذا عَهْدُنَا على الغُوطَةِ الخَضْراءِ
والحُسْنُ دائِمُ التَجْدِيدِ
ولَيَالٍ لنَا عَلَى الرَبْوةِ المُتْنَافِ
سكْرى نَعِيمِهَا المَوعُودِ
نَتَهادَى عَلَى عُيونِ الأَقَاحِي
وَنَغْفُو عَلَى شِفَاهِ الوُرودِ
أُنْشِدُ الشِعْر والشَبابُ سُكَارَى
مِنْ مُعِيدٍ مِنْهُمْ وَمِنْ مُسْتَزِيدِ
لا أُبَالِي وَقَدْ قَسَوْتُ عَلَى الظَالِمِ
عَسْفَ الدُجَى وَعَض الحَدِيدِ
وَلَئِنْ نَالَنِي الشَبابُ بِلَوْمٍ
فَبِنُعْمَى الشَبابِ أَوْرَقَ عُودِي

الذكرى

رثى بهذه القصيدة ابن عمه المرحوم الشيخ علي محمد كامل وقد كان في طليعة الزعماء الوطنيين في محافظة اللاذقية

لَهِيبٌ مِنَ الذِكْرى وَحَقِّكَ لا يَخْبُو
مَتى يَتَلاقى بَعْدَ نَأْيِهِمُ الصحْبُ

أَحِبَّةَ قَلْبِي إِنْ بَعُدْتُمْ فَما نَأى
عَنِ القَلْبِ لا الذِكْرُ المُلِحُّ ولا الحُبُّ

عَلى طَيْفِكُمْ أَغْمَضْتُ عَيْنِي والتُقى
صِياناً لَه في مُقْلَتِي الهُدْبُ والهُدْبُ

جَلَوْتُ القَذى عَنْها وَفاءً لِطَيْفِكُمْ
فَأَحْلامُها نُعْمى ومَدْمَعُها عَذْبُ

نَزَلْتُمْ مِن الذِكْرى بِقَلْبِي مَنْزِلاً
يرِفُّ عليه النُورُ والظِلُّ والخِصْبُ

أَراكُمْ على بُعْدِ المَزارِ فَيالَهُ
حَنِيناً تَلاقى عِنْدَهُ البُعْدُ والقُرْبُ

ويُدنيكُمُ مِنْهُ خَيالٌ مُجَنَّحٌ
هَراقَتْ عَلَيْهِ نُورَها الأَنْجُمُ الشُهْبُ

خَيالٌ يجوزُ الدهر والكَوْنَ والمُنى
وَيَطْوي الغُيوبَ النائياتِ ولا يَكْبُو

فَيا بُعْدَها مِنْ غايَةٍ لَمْ تُرِحْ بِها
مَطِيٌّ ولا حَطَّ الرِحالَ بِها رَكْبُ

ولِلَّــهِ ما أوْفــى الخيالَ فَبيْنَنــا
وَبَيْنَــكُــمُ مِنْــهُ الرَســائِــلُ والكُتْــبُ

يُلِــمُّ فَيلْقَــاكُــم ويَشْــكُــو اليكُــمُ
مِــنَ البُعْــدِ ما نَشْكــو ويَصْبُــو كَما نَصْبُــو

ونَــظْمَــأُ لَوْلا نَهْلَــةٌ مِــنْ رحيقِــهِ
أُدِيَــرتْ فَلا الساقِــي أفاقَ ولا الشَــرْبُ

سُلافٌ مِــنَ الــذِكْــرى أُدِيَــرتْ كُؤوسُهــا
فما شَــرِبَ النُــدْمانُ لَكِنَّهُــمْ عَبُّوا

نُعِيتُــمْ فَلَــمْ يَخْلُــصْ الى القَلْــبِ نَعْيُكُــمْ
وَلَــمْ تَتَقَبَّلْــهُ البَصِيــرَةُ واللُّــبُّ

إذَا مَــر وَجْــهٌ عابِــرٌ رُحْــتُ أجْتَلــي
أسارِيرَهُ بِشْــرٌ عَلَيْــهِــنَّ أمْ رُعْــبُ

لَعَــلَّ الــذِي يَنْعَــاكُــمُ كَانَ كاذِبــاً
فَيا نِعْمَــةً قَــدْ كَانَ يَحْمِلُهــا الكِذْبُ

يَجُــسُّ الــطَبِيبُ النَبْــض حَــيرْانَ ذاهِــلاً
وَهَيْهــاتَ لا يُغْنِــي الــطَبِيبُ ولا الطِبُّ

ويَــرْجُــو على اليَأْسِ المَرِيــرِ وَإنَّــهُ
خِــداعُ الأمــانِــي والتَعِلَّــةُ والحُــبُّ

ولِــلأَهْــلِ أبْصــارٌ روانٍ تَعَلَّقَــتْ
بِعَيْنَيْــهِ إيجــابٌ هُنــالِكَ اَمْ سَلْبُ

وَصــمْــتٌ مريــرٌ دُونَ ما فِيــهِ مِــن أســى
بُــكــاءُ الثَــكالى والتَفَجُّــعُ والنَــدْبُ

فوارَحْمتا للنَّاهِلاتِ مِن الصِبى
أَلَمْ يَتَهَيَّبْ مِنْ بَراءَتِها الخَطْبُ
غَرائِرُ مِنْ نُعْمَى الدَلالِ تَلَفَّتَتْ
فَأَعْوَزَها عَطفُ الأُبُوَّةِ والحَدْبُ

فَيا لَلصبِى الهانِي شَجانِي أَنَّهُ
حَزِينٌ وَمِنْ طَبْعِ الصِبى اللَهْوُ واللَّعْبُ
فيا رَب لا راعَ الطُفولَةَ رائِعٌ
ويا ربِّ لا أَلْوى بِنَعْمائِها كَرْبُ

ويا رَب للاطْيارِ والفَجْرِ والنَدَى
إذا شِئْتَ لا لِلْعَاصِفِ الغُصُنُ الرَطْبُ
إذا انْهَلَّ غَرْبٌ[1] مِنْ صَغيرٍ جَرى لَهُ
مِنَ الملإِ الأَعْلى علَى صَفْوِهِ غَرْبُ
إذَا عَبَراتُ الطِفْلِ مَرَّتْ بِمُجْدِبٍ
مِنَ النَفْسِ رَوَّتْهُ فَفارَقَهُ الجَدْبُ
دُموعٌ كَعَفْوِ اللهِ لَوْ مَر بَرْدُهَا
عَلى الرَمْلَةِ الحَرَّى لَنَضَّرَها العُشْبُ

ويا رَبِّ مُرْ تُصْبِحْ نَسِيماً مُعَطَّراً
عَلى كُلِّ مَحْزُونٍ زَعازِعُها النُكْبُ
ويا رَب عِنْدي مِنْ كُنوزِكَ حَفْنَةٌ
مِنَ الحُب أُذْرِيها ولكِنَّها تَرْبُو

(١) الغربُ الدمع

تَمَنَّيْتُ لَوْ فَاضَتْ حَنَانَاً وَرَحْمَةً
مِنَ الظَالِمِينَ الخُنْزُوانَةُ[1] والعُجْبُ
فَلاَ يُعْوِزُ الإِنْسانَ حُبٌّ ونِعْمَةٌ
ولا يُعْوِزُ الطَيْرَ الجَداوِلُ والحَبُّ
أرى الفَرْدَ لايَبْقَى وإِنْ طَالَ حُكْمُهُ
وَيَبْقَى بَقَاءَ الحَقِّ والزَمَنِ الشَعْبُ
وأَشْهَدُ أَنَّ الظُلْمَ يُرْدِي فَلَوْطَغَى
على السَفْحِ هضْبُ شَامِخٌ زُلْزِلَ الهَضْبُ
شَكَتْ جَبَرُوتَ الكُثْبِ حَبَّاتُ رَمْلِهَا
إِلى اللهِ فانْهَارَتْ مع العاصِفِ الكُثْبُ

* * *

أَبا أَحْمدٍ هَلْ يُرْفَعُ السِتْرُ مَرَّةً
عَنِ المَلاِ الأَعْلَى وتَنْكَشِفُ الحُجْبُ
وَفُزْنَا مِنَ النُورِ المَصُونِ بِلَمْحَةٍ
تَقَرُّ بِها عَيْنٌ ويَنْدَى بِها قَلْبُ
وكُشِّفَ للأُخْرى صَفَاءٌ مُغَيَّبٌ
حَبِيبٌ إِلى قَلْبِي ولكِنَّهُ صَعْبُ
وَلُحْتَ لَنا في عَالَمِ الحَقِّ بِدْعَةً
مِنَ النُورِ يَخْبُو كُلُّ حُسْنٍ وَلا تَخْبُو
فَرُحْنا نُحَيي مَنْ نُحِبُّ تَحِيَّةً
تَنَازَعَها الشَوْقُ المُبَرحُ والعَتْبُ

(١) الخُنْزُوانة الكبر

أَتَنْـأى فَهَـلاً وَقْفَـةٌ يَشْـتَفِـي بهـا
خَلِيـلٌ وَيقضِـي حَـقٍّ لَـوْعَتِـهِ صـبُّ
أَتَنْـأى ومـا وَدَّعْـتَ أَهْـلاً ولاَ حِمىً
فَـأَيْنَ الحَنـانُ السـمْـحُ والخُلُـقُ الرَحْبُ

* * *

أبـا أَحْمَـدٍ هَـذِي المَواكِـبُ أَقْبَلَـتْ
يَضِيـقُ بهـا شَـرْقُ المَنـازِلِ والغَـرْبُ
رَأَتْ بِشْرَكَ المَرْمُـوقَ في وَجْـهِ أَحْمَدٍ
فَلِلْعَيْـنِ مِـنْ نُعْمَـى طَلاقَتِـهِ شُـرْبُ
أبـا أَحْمَـدٍ فـي ذِمَّـةِ اللـهِ صَارِمٌ
مِـنَ الحَـقِّ لاَ يَشْـكُو الضِرَابَ ولا يَنْبُـو
يَمَـانٍ مُحَـلىً فَهْـو في السِلْـمِ زِينةٌ
وَتَـكْشِفُ عُنْفَ المَوْتِ في حَـدِّهِ الحَـرْبُ
سَقَـى اللـهُ بالـذِكْرى على غَيْـرِ حَاجَةٍ
ولاَ حَادَ عَنْ أَطْيابِهـا الغَـدِقُ السَكْبُ
عُهُـوداً لنـا كالنُـورِ أَمَّـا نَعِيمُهـا
فَسـمْـحٌ لِمَنْ يَهْـوى مَفـاتِنَـهُ نَهْـبُ
لَبِسْـنَ الصِبَـى بُرْداً فلا خَـزُّ(١) فَارِسٍ
يُـدِلُّ ولا الـدِيبـاجُ والـوَشْيُ والعَصْـبُ

(١) الخزُّ: الحرير

عُهـودُ نَجِيبـاتُ الأَصـائِـلِ والضُحَـى
وَإِنْ قَلَّ في الإِنْسـانِ والزَمَـنِ النُجْبُ

* * *

ولِـلّـهِ مـا أَحْلَـى مَرابِـعَ لَهْوِنَـا
يُنـادِمُ تِـرْبـاً في خَمـائِلِهَا تِـرْبُ
يُنِيـخُ ذَوُو الحَـاجاتِ فيـهـا رِحَـالَـهُمْ
وَتَصْـهَـلُ في أَفْيـائِهـا الضُـمَّـرُ القُـبُّ
أَحِـنُّ اذا فارَقْتَنِـي بَعْض سـاعَـةٍ
وَتُحْمَـدُ فـي الحُـب اللَّجاجَـةُ لا الغِبُّ
شَبَبْنـا علـى مَحْـضِ الـوَفـاءِ وَصَفْوِهِ
كـذلِكَ آبـائـي وآبـاؤُكـمْ شَبُّـوا
ويَجْمَعُنـا نَجْـرٌ قَرِيبٌ سمـتْ بِهِ
لِغَـسَّـانَ أَقْيـالٌ غَطـارِفَـةٌ نُجْـبُ
وَحُـبٌ رَمَتْـهُ فـي اللَّهِيـبِ لِصَهْـرِهِ
صُـروفُ الليـالـي والقَـطِيعَـةُ والـذَنْـبُ
وكـأسٍ تَسـاقَيْنـا ثَلاثِيـن حِجَّـةً
عُـذوبَتُهـا طَبْـعٌ وتَقْـطِيبُهـا كَسْـبُ
أَشُـمُّ عَبِيراً مِنْ تُـرابِـكَ عَاطِـراً
أَمِنْـكَ اسْـتَعـارَ العِـطْـرَ والنَضْـرَةَ التُـرْبُ
فَحَيَّتْ ثَراكَ المُزْنُ كَفُّـكَ لا الحَيَا
وَجَـادَتْـهُ بالسُّقيـا يَمِينُـكَ لا السُحْـبُ

* * *

خمرة الاحزان

في رثاء الشاعر شبلي الملاط

لاَ الحِقْدُ خَمْرَةُ أَحْزانِي وَلاَ الحَسَدُ
مِنْ جَوْهَرِ اللّهِ صِيغَ الشَاعِرُ الغَرِدُ
سَقَيْتُ أَحْزانَ قَلْبِي مِنْ عَقِيدَتِهِ
فَأَسْكَرَ الحُزْنَ مَا أُغْلِي وأَعْتَقِدُ
والهَمُّ يَعْرِفُ كَيْفَ اخْتَارَهُ كَبِدي
وَكَيْفَ تُكْرِمُ جَمْرَ اللوْعَةِ الكَبِدُ
نِعْمَ العَطَاءُ وَحَسْبِي أَنَّهَا انْغَمَسَتْ
تُمَزِّقُ العِطْرَ مِنْ جُرْحِي يَدٌ وَيَدُ
يَا مَنْ أَلَحَّ عَلى قَلْبِي يُقَطِّعُهُ
أَلَحَّ مِنْهُ عَلَيْكَ الخَمْرُ والسَهَدُ
دامٍ وَيَعْبَقُ صَهْبَاءً وغَالِيَةً
سَجِيَّةٌ فِي الأَراكِ العِطْرُ والمَلَدُ
عِنْدِي الوسِيمُ مِنَ الغُفْرانِ أَسْكُبُهُ
عِطْراً عَلى كُلٍّ مَنْ آذَوْا وَمَنْ حَقَدُوا
أَكْبَرْتُ عَنْ أَدْمُعِي مَنْ كَانَ مُضْطَهَداً
وَرُحْتُ أَبْكِي لِمَنْ يَطْغَى وَيَضْطَهِدُ
الحَاصِدُونَ مِنَ الدُنْيَا شَماتَتَهَا
لَوْلا الذِي زَرَعُوا بالأَمْسِ ما حَصَدُوا

* * *

ظَمِئْتُ والشَمْس مِنْ كِبْرٍ ومِن أَنفٍ
وَرُحْتُ والشَمْس لا نَغْنُو وَلاَ نَرِدُ
أَعُلُّهَا مِنْ فُؤَادِي بَعْض لَوْعَتِهِ
فَرنَّحَ الشَمْس ما أَشْكُو وما أَجِدُ
للشِعْرِ والشَمْسِ هَذا الكَوْنُ لاَ عَدَدٌ
يَطْغَى عَلى النُورِ فِي الدُنْيا ولا عُدَدُ
لَقَدْ حَلَفْنَا عَلى الجُلَّى وَزَحْمَتِهَا
أَنْ لاَ يُفَارِقَنَا عِزٌّ وَلاَ صيدُ
قِرَى الخُطوبِ إِذَا ضَجَّتْ زَعازِعُهَا
صبْرُ الكَرِيمِ عَلى البَأساءِ والجَلَدُ
وَضَاقَ قَوْمٌ بِأَشْعَارِي وموكِبِها
فِي مَوْكبِ الشَمْسِ يَخْزَى الحِقْدُ والرَمَدُ

* * *

يُوَثِّقُ الظُلْمُ مِنْ أَعْذارِهِ نَفَراً
كَأَنَّهُمْ مِنْ هَوانِ الذُلِّ ما وُجِدُوا
الشَّاتِمِينَ مِن الأَعْراضِ مَا مَدَحُوا
والثالِبِينَ مِنَ الطُغْيَانِ ما حَمَدُوا
البَائِعِينَ لَدى الجُلِيِّ وَلِيَّهُمُ
والرائِجِين وَلَوْلاَ ذُلُّهُمْ كَسدُوا
إِذَا المَغَانِمُ لاَحَتْ وَهْي آمِنَةٌ
هَبُّوا فَإِنْ حَمِيَتْ نَارُ الوَغَى هَمَدُوا

إذَا تَبَلَّـجَ فَجْـرُ النَصْـرِ بَعْدَ دُجَـى
وَقَـر بَعْدَ الضِـرابِ الصـارِمُ الفَـرِدُ
طَـوى الشُـجَاعُ عَلـى صَمْتٍ بُطولَتَـهُ
وجَـرْجَـرتْ نَـاقَـةٌ واسْتَـأْسَـدَتْ نَقَـدُ

* * *

سَكَبْـتُ فِـي الكَـأْسِ اشْجَـانِـي فَتِلْـكَ يـدِي
مِـنْ عِبْـئِهِ مـا حَمَلَتْـهُ الـكَأْسُ تَرْتَعِـدُ
أَيْـنَ الذَوائِـبُ مِـنْ قَـوْمِـي ومـا اقْتَحَمُـوا
مِـنَ الفُـتُـوحِ ومـا حَـلُّـوا ومـا عَقَـدُوا
أَفْـدِي القُـبُـورَ التـي طَـافَ الـرجَـاءُ بِهـا
يـا لَلْقُبُـورِ غَـدَتْ تُـرْجَـى وَتُفْتَقَـدُ
وَلـي قُبُـورٌ علـى الصـحْـراءِ مُـوحِشَـةٌ
فَـلا تُـزارُ وَلاَ يَدْرِي بِهـا أَحَـدُ
الحَـالِيَاتُ وَلاَ مَـاءٌ وَلاَ زَهَـرُ
والثَـاكِـلاتُ وَلاَ ثَـأْرٌ وَلاَ قَـوَدُ

طَـوتْ جُفُـونُ الـرَدى بِيضَـاً غَطَـارِفَـةً
لَـوْ أَنَّهُـمْ مـا جَدُوا شَمْـس الضُحَـى مَجَـدُوا

لَـمْ أَعْـرِفِ الحِـقْدَ إلاَّ فِـي مَصـارِعِهِـمْ
وَلَـمْ أُجِـزْ قَبْلَهَـا أَعْـذَارَ مَنْ حَقَـدُوا
تِلْـكَ القُبُـورُ وقَلْبِـي لاَ يَضِيـقُ بِهـا
ضَـاقَـتْ بِرَحْمَتِهَـا الأَغْـوارُ والنُجُـدُ

مَصَارِعُ الصِيدِ مِنْ قَومِي فَكُلُّ ثَرىً
بَدْرٌ وكُلُّ أَدِيمٍ مُوحِشٍ أُحُدُ

لو كانَ يَعْلَمُ سَعْدُ اللَّهِ[1] ما ابْتَدَعَتْ
بِي الخُطوبُ تَنَزَّى الفَارسُ النَجِدُ

وَلَوْ دَرَى هاشِمٌ[2] حُزْنِي لَدَلَّلَنِي
وَرَدَّ عَنِّي العَوادِي الضَيْغَمُ الحَرِدُ

أَحِبَّتِي الصِيدُ شَلَّ المَوْتُ سَرْحَهُمُ
وَقَدْ حَنَنْتُ الى الوِرْدِ الذي وَرَدُوا

ألسَّالِكُونَ مِنَ العَلْياءِ أَخْشَنَها
والقاحِمُونَ وغَيْرَ الشَمْسِ ما قَصَدُوا

أُكَذِّبُ المَوْتَ فِيهِمْ حُرْمَةً وهَوى
وللأَمَانِي طَرِيقٌ هَيِّنٌ جَدَدُ

لَعَلَّهُمْ مَنْ عَناءِ الفَتْحِ قَدْ نَزَلُوا
عَنِ الصوافِنِ فَوْقَ الرَمْلِ واتَّسدوا

لَعَلَّها غَفْوَةُ الوَانِي فَإِنْ رويتْ
جُفُونُهُمْ مِنْ لُبانَاتِ الكَرى نَهَدُوا

تَرَفَّقِي يا خُطوبَ الدَهْرِ واتَّئِدي
لا تُجْفِلِي النَوْمَ فِي أَجْفَانِ منْ سَهِدُوا

---

(١) سعد الله الجابري

(٢) الرئيس الزعيم هاشم الاتاسي

وَحـــاذِري أنْ تُثِيــري مِـــنْ مَواجِدِهِـمْ
لَـمْ يُصرَعـوا بالـرَدى لكِنَّهُـمْ رَقَـدُوا

يَصُـــونُهُـمْ مِنْ حُتــوفِ النـاسِ مَجْدُهُـمُ
كأَنَّهُـمْ مِـــنْ جَــلالِ المَجْـدِ ما فُقِـدُوا

طــالَ انْتِــظــارُ المَذاكِـي في مرابِطِهـا
ألا يَــرِقُّ لَهَـــا فُرْســانُهـا النُجُــدُ

***

يا شــاعِـراً زَحَـم الـدُنْيـا بِمَنْكِبِـهِ
كالسَيْــلِ يَهْـدَأُ حِينـاً ثُـم يَطَّـرِدُ

تَراقَصــتْ في لَهَيــبٍ مِــنْ قَرِيحَتِـهِ
ثلــوجُ لبنــانَ والامــواجُ والزَبَــدُ

حُلْــوُ الشَمائـلِ لم يُجْهِـدْ بَشاشَتَهـا
عِـبْءُ السِنيــن ولا أزْرى بِهـا الكَمَـدُ

عَــرارُ نَجْـدِ شَمِيـمٌ مِنْ سُــلافَتِهِ
والحُـورُ والـدَعَـجُ المَخْمُـورُ والغَيَــدُ

ولِلْهَــوى أَلْــفُ قَصْــرٍ في جَوانِحِـهِ
وَكُلُّ قَصْـرٍ لَـهُ مِنْ عَبْقَـرٍ رَصَـدُ

وَفي العَقِيــقِ علــى الــوادِي وَضَفَّتِـهِ
حَنَــتْ وَحَنَّـتْ قَوافٍ كالضُــحَـى شُـرُدُ

فَمِــنْ نَسيــبٍ كَما نَاحَــتْ مُطَوَّقَـةٌ
والفَجْــرُ يُسْــرِعُ والـظَلْمَــاءُ تَتَّئِـدُ

أَلُمسْكِرُ القَدِّ حتَّى كُلُّهُ هَيَفٌ
والمُسْكِرُ الرِيق حتَّى كُلُّهُ بَرَدُ

عَلى نُهودِ العَذَارى مِنْ فَرائِدِهِ
عِطْرٌ وفي الجيدِ مِنْ أَغْزالِهِ جَيَدُ

وَمِنْ حَماسٍ اذا رِيعَتْ عَرينَتُهُ
كما يُزَمجِرُ دُونَ الغَابَةِ الأَسَدُ

مِنْ كُلِّ مُبْرِقَةٍ بالحَقِّ مُرْعِدَةٍ
كالمَوْجِ في العاصِفِ المَجْنُونِ يَحْتَشِدُ

يُجَلْجِلُ الهَوْلُ فيها فالظُبَى مِزَقٌ
مِن الحَديدِ المُدَمَّى والقَنا قِصَدُ[1]

والصافِناتُ وقد ضَجَّتْ سَنابِكُها
وَضَجَّ فوق الجِيادِ الضُمَّرِ الزَرَدُ

* * *

أَبا الكَواكِبِ مِنْ شِعْرٍ وَمِنْ وَلَدٍ
تَقاسم النُور مِنْكَ الشِعْرُ والوَلَدُ

فَمِنْ قَوافٍ عَلى أَنْغامِها عَبَقٌ
وَمَنْ قَوافٍ عَلى غُرَّاتِها رَأَدُ

بَيْني وبيْنَكَ عَهْدُ الأَوْفياءِ فَهَلْ
أَدَّى المُحِبُّونَ للأَحْبابِ ما وَعَدُوا

---

(١) مفرد قِصْدة القطعة المتكسره

عَهْــدٌ علــى إهْـــدِنَ[1] الخَضْرَاءِ نَبْعَتُهــا
والشِــعْــرُ والبَــدْرُ حُفَّــاظٌ لِما شَهِــدُوا

بِتْنــا صَفِيَّيْــنِ لَــمْ نُسْلِــفْ قَدِيم هَـوىً
بَشَــاشَــةُ النُــورِ تُغْــرِي كُــلَّ مَن يَرِدُ

أَبــا الـكَواكِبِ عَهْــدِي أَنْــتَ تَعْرِفُــهُ
لا يَنْــطَــوِي العَهْــدُ حَتَّــى يَنْــطَــوِي الأَبَدُ

* * *

مَنْ شــاعِــرُ رَنَّــحَ الــدُنْيَا فَمــا ازْدَحَمَــتْ
إلاَّ بِــهِ وَلَــهُ الأَخْبــارُ والبُــرُدُ

غُضُــونُ وجْــهٍ سُطُــورُ خَطَّهَــا قَلَــمٌ
لاهٍ فَيُسْــرِفُ أَحْيــانــاً وَيَقْتَصِــدُ

وقَــامَــةٌ تَحْمِــلُ التِسْــعِيــن لا وَهَــنٌ
فِيهــا على الــرِحْلَــةِ الــكُبْــرَى ولا أَوَدُ

وَلِلْعُيــونِ بَرِيــق كَــادَ يَحْسُــدُهُ
زَهْــوُ الشــبــابِ وأَبْــرادُ الصِبــا الجُدُدُ

والعَبْقَــرِيُّ شَبــابٌ عُمْــرُهُ وَهَــوىً
وَجُــذْوَةٌ فــي زَوايــا قَلْبِــهِ وَدَدُ

تِلْــكَ الــطيــوفُ كُنــوزُ مِــنْ رُؤىً وَمُنَــى
أَلــروحُ مُثْــرِيَــةٌ والمُمْلِــقُ الجَســدُ

* * *

(1) مصيف في شمال لبنان

لُبْنَانُ يا حُلُمُ الفِرْدَوسِ أَبْدَعَهُ
عَلَى غِرارِ ذُراكَ الوَاحِدُ الصَمَدُ

وزَاهِدِينَ بِحُسْنٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ
لَوْ آمَنُوا بِجَمالِ اللهِ ما زَهِدُوا

حُسْنٌ أَتَمَّ على لُبْنانَ نِعْمَتَهُ
مُحَسَّدٌ وتَمامُ النِعْمَةِ الحَسدُ

يا جَنَّةَ الفِكْرِ يَسْمُو كَيْفَ شَاءَ ولا
أُفْقٌ يَحُدُّ ولا شَأْوٌ ولا أَحَدُ

يا مُكْرِمَ النَجْمِ في مَغْسُولِ غُرْبَتِهِ
لِكُلِّ نَجْمٍ ذُراكَ الأَهْلُ والبَلَدُ

كَأَنَّما الشُمُّ مِنْ لُبْنانَ في سَفَرٍ
البَدْرُ يَقْرُبُ والغَبْراءُ تَبْتَعِدُ

أَرائِكٌ لِنُجَيْماتٍ مُدَلَّلَةٍ
يُنازِعُ النَوْمَ في أَجْفانِها السَهَدُ

كَأَنَّها مِنْ مُلوكِ الجِنِّ قد سُحِرُوا
وَهُمْ قِيامٌ فما هَمُّوا ولا قَعَدُوا

كأنَّها هُجَّدٌ طَالَ الوُقوفُ بِهِم
حَتى انْجَلى لِلْقُلوبِ الوَاحِدُ الأَحَدُ

كأَنَّهُم مِنْ جَلالِ اللهِ قد شُدِهُوا
عِنْدَ اللقاءِ فما خَرُّوا ولا سجَدُوا

أَلحُسْــنُ مُنْسَـجِــمٌ فيــه وَمُخْتَلِــفٌ
والحُسْــنُ مُجْتَمِــعٌ فيــه ومُنْفَــرِدُ
جَــرى سَنَــى البَــدْرِ مَــاءً في خَمَائِلِــهِ
فَــرُحْــتُ بالمَوْجَــةِ الــزَهْــراءِ أَبْتَــرِدُ

* * *

صانَــتْ مُسوحُكُــمُ الفُصْحَــى وكــانَ لَهَــا
مِنْــكُــمْ بِمِحْنَتِهَــا الأَرْكَــانُ والعُمُــدُ
قَــرَّتْ بِأَدْيِــرَةِ الــرُهْبــانِ يَغْمُرُهَــا
شَــوْقُ البَنِيــنَ وَحُــبٌّ مُتْــرَفٌ رَغِــدُ
الــزَاحِمُــونَ بِهــا الــدُنْيــا إِذَا انْتَبَهُــوا
والــزاحِمُــونَ بِهــا الأُخْــرى إذا هَجَــدُوا
أَلمُنْزِلُــوهــا علــى أَنْــدَى سرائرِهِــمْ
كأنَّهَــا عِطْــرُ ما صَــلَّــوْا ومــا عَبَــدُوا
لَــمْ يَخْــذُلُــوا لُغَــةَ القــرآنِ أُمَّهُــمُ
وَكَيْــفَ يَخْــذُلُ قُرْبَــى كَفِّــهِ العَضُــدُ
ولِــلأذانِ وللنَّــاقُــوسِ مِــنْ قِــدَمٍ
عَهْــدٌ علـى الحُــبِ والغُفْــرانِ يَنْعَقِــدُ
تَعــانَقَــتْ مَرْيَــمٌ فيــهِ وَآمِنَــةٌ
وَحَــنَّ لِلــرَشَــدِ الإِيمَــانُ والرَشَــدُ

***

أَبَــا الكَواكِــبِ هَـــلْ فـي الخُلْـــدِ مَكْرُمَـــةٌ
أَوْ نِعْمَـــةٌ كُنْــتَ تَرْجُـوهَــا وتَفْتَقِـــدُ

تَنَحَّـــتِ الحُـــورُ إجـلالاً لِشَـــاعِـرِهَـــا
واسْـتَقْبَلَتْـــكَ عَــذارَى شِعْــرِكَ الخُـــرُدُ

مِـــنْ كُـــلِّ سَمْـــراءَ مَعْسُـــولٍ مراشِفُهَـــا
ولا تُلُـــوحُ بالسُّـقْيَـــا وَلا تَعِـــدُ

لا تُخْـطِـــئُ العَيْـــنُ أَنَّ الأَرْزَ مَنْبِتُهَـــا
وَأَنَّ وَالِـدَهَـــا قَحْـطَـــانُ أَوْ أَدَدُ

وَنَسْـمَـــةٌ مِـــنْ صبـــا لُبْنَـــانَ أَوْفَدَهـــا
لَـــكَ الأَحِبَّـــةُ والأَبْنَـــاءُ والحَفَـــدُ

هَـــلْ فـي رُبَـى الخُلْـدِ ما يُنْسِيـــكَ أَرْزَتَـــهُ
والنُـــورُ والحُسْـــنُ فـي أَفْيائِهَـــا بَــدَدُ

أَحَـــقُّ بالشَـــوْقِ للأَوْطـــانِ مَـــنْ نَزَحُـــوا
وبـــالحَنِيـــنِ لِرَيَّاهَـــا مَـــنِ ابْتَعَــدُوا

يـزِيدُهـا أَلْـــفَ حُسْـــنٍ بَعْـــدَ فُرْقَتِهَـــا
قَلْـــبٌ وَيَفْتَـــنُّ فـي تلـوِينهـــا خَلَـــدُ

هَـــلْ جَنَّـــةُ اللـــهِ عَـــنْ لُبْنـــانَ مُغْنِيَـــةٌ
أَسْـتَغْفِـــرُ اللَّـــهَ لا كُفْـــرٌ ولا فَنَـــدُ

* * *

حَمَلْـــتُ مِـــنْ بَرَدَى لِلأَرْزِ مُرْقِصـــةً
فِيهـــا الصبـــابَـــةُ والأَشْـــواقُ تَحْتَشِـــدُ

عُروبَــةُ الشـامِ يا لُبْنــانُ صافِيَــةٌ
سَــمْحَــاءُ كالنُــورِ لا مَكْــرٌ ولا عُقَــدُ

تُنَــزَّهَ الحُــبَّ عَــنْ مــنٍّ وَعَــنْ نَكَــدٍ
وَقَــدْ يُنَغِّــصُ حُسْــنَ النِعْمَــةِ النَكَــدُ

نَحْــنُ المُحِبيــن نَهْــواكُمْ وَنُؤْثِرُكُــمْ
هَــلْ كـان مَــنْ دَلَّلُــوا القُرْبــى كَمَــنْ وَأَدُوا

نَحْــنُ الـظِمــاءَ ونَسْــقِــي الحُــبَّ أَرْزَكُــمُ
أَلْحُــبُّ فــي الشـامِ لا نَزْرٌ ولا ثَمَــدُ

* * *

١٢ كانون الاول ١٩٦١

ثُكل الأمومة

الى روح أخي كامل مروة صاحب جريدة « الحياة »

ما لِلْمَنِيَّةِ أدعوها وتبتعِدُ
أَمَرُّ مِنْ كلِ حَتْفٍ بعضُ ما أَجِدُ
ظمآنُ أشْهَدُ وِرْدَ الموتِ عن كَثَبٍ
والوارِدونَ أحبَّائي ولا أَرِدُ
عَلَّلْتُ بالصبر أَحزاني فيا لأَسى
بالجَمْرِ من نفحاتِ الجَمْرِ يَبترِدُ
دَعَوْتُ خِدْني مِنْ دَمْعٍ ومِنْ جَلَدٍ
فأَسْعَفَ الدَمْعُ لكنْ خانني الجَلَدُ
أَصْبحْتُ أَعْزَلَ والهيجاءُ دائرةٌ
لا السيفُ رَدَّ الأذى عَنِّي ولا الزَرَدُ
أَرُدُّ رشْقَ الظُبى عن مُهْجَتي بيدٍ
وتَمْسَحُ الدَمْعَ مِنْ نَزْفِ الجِراحِ يَدُ

***

أبا جميلٍ[1] سلامُ اللهِ لا كُتُبٌ
إليكَ تَحْمِلُ أَشْواقي ولا بُرُدُ
لَقيتَ في الحقِّ ما لاقى به نَفَرٌ
مِنَ الهُداةِ وما عانَوْا وما جَهَدُوا

(١) الشهيد كامل مروة صاحب جريدة « الحياة »

والعبقــريُّ غــريـبٌ فـي مَـواطِنِـهِ
يَــدورُ حيـثُ يــدورُ الحِقْــدُ والحَسَــدُ
وحـامليـــنَ رِســالاتٍ مُقَــدَّســـــةً
تَـوَحَّــدُوا بالجهـــاد السـمْــح وانْفردوا
مُشَـــتَّتيـــنَ بِعَصْــفِ الــريــح لا وَطَنٌ
يَلُـــمُّ اشْــتَــاتَ بَلْــواهُــمْ ولا بَلَــدُ
مَعــارِكُ الحــقِّ من أَجْســادِهـم مِزَقٌ
على ثَــراهــا ومِــنْ مُـرّانِهِـمْ قِصــدُ
ورُبَّ شـــاكٍ فَســادَ العصْـــر يَظْلِمُـــهُ
لَــمْ يَفْسُـــدِ العَصْـرُ لكنْ أَهْلُــهُ فَسَدُوا
***
أَذاكِــرٌ لـي على صَيْـداءَ هــائِـئـةً
مِـنَ الــزمــانِ عليهــا نِعْمَــةٌ وَدَدُ(١)
يَمْشِـي بِـكَ المَجْـدُ في أَفياءَ وارفةٍ
مِــنَ الأمـــانـــي لا تُلْــوي بمــا تَعِــدُ
فيهــا صِبــاكَ عطــورٌ عبقــريتُــهُ
ولــي شَبــابٌ طــريـفُ العُمْــرِ مُتَّئِدُ
ونحـــنُ بيـن الــدروب الحــاليـاتِ يَــدٌ
تَضُــمُّهــا فــي ظــلالِ البُـرْتُقــال يَـدُ
وأَسْــتَعيـدُكَ شعْــري حيــن تُنْشِــدُهُ
حَتّــى يُقَــوِّمَ فــي إنشــادِهِ الأَوَدُ

(١) الدد اللهو واللعب

حُبٌّ أبوكَ تَولاَّهُ وَدَلَّلَهُ
وراحَ يُكْرِمُ إرْثَ الوالِدِ الوَلَدُ

***

يا مُبْدعَ السِحْرِ إلاّ أنه كَلِمٌ
وساقي الرأي إلاّ أنَّه شَهَدُ
يا ناقِداً حُبُّهُ يُمْلِي فَرائِدَهُ
حتَّى لَيَنْدى حَناناً حين يَنْتَقِدُ
يا مانِحَ النُورِ من تاهَتْ دُروبُهُمُ
ومانِحَ الحُبِ والغُفْرانِ مَنْ حَقدوا
يَفْنَى المُزَوَّرُ مِنْ مَجْدٍ ومَنْ خُدِعَتْ
به الشعوبُ وتَبْقى أنْتَ والأبَدُ
لَنْ يَعْدَمَ القَبْرُ لارياً ولا عَبقاً
فَلي جفونٌ نَديَّاتٌ ولي كَبِدُ
أحْنو على دَمِكَ المَطْلولِ ألْثِمُهُ
أزْكى من الوَرْدِ ما جادتْ به الوُرُدُ[1]
دِماءُ قَلْبِكَ إيمانٌ وغالِيَةٌ
فليس يُنْكِرُها بدْرٌ ولا أُحُدُ
دِماءُ قَلْبِكَ ما مِنْ قَطْرَةٍ نَزَفَتْ
إلاّ تَمَنَّتْ سَناها نجمةٌ تَقِدُ

***

(١) الورد جمع الوريد

يـا مَـنْ نُحِبُّ ولـولا الحُـبُّ لا لَعَـسٌ
ولا لَمـى عَبِقٌ السُـقيـا ولا غَيَـدُ
سَهِـرْتُ فـي زَحْمَـةِ الجُلّـى ومَزَّقَنـي
أَنّـي شَهِـدْتُهُـمُ أغْفَـوْا ومـا سَهِـدُوا
وفـي ضَنـايَ وفـي أحْـزانـي ازْدَلَفُـوا
يُحَرِّضُـونَ علـي الـدَهْـرَ واتحَـدُوا
حتـى بكَتْ محِنَتـي منْ ظُلْمِهِـمْ وغَـدتْ
بالـدَمْـعِ تَنْهَـشُ مِـنْ قلبـي وتَزْدَرِدُ

***

أُمّـاهُ دَمْعُـكِ تَبْـكي مِـنْ مَـواجِعِـهِ
شُـمُّ البـواذِخِ والأَفـلاكُ تـرتَعِـدُ
أُمّـاهُ لم يَبْـقَ لـي روحٌ فـأُغْدِقُـهُ
علـى أَسـاكِ ولا دَمْـعٌ ولا كَبِـدُ
تَطـوفُ عَيْنُكِ فـي الـزُوارِ سـائِـلَـةً
عـن الحبـيبِ الـذي وَلّـى وَتفْتَقِـدُ
وطـافَ ثُكْلُـكِ فـي عَـدْنٍ فَهَـلْ سـأَلَـتْ
مَسـاجِـبُ النـور أين النُـورُ والرغَدُ
ثُكْـلُ الأمـومَـةِ فـي التسـعيـنَ حيـن بكـى
عنـد المَـلائِـكِ فـي جَنّـاتِهِـمْ سجـدوا
ثُكْـلُ الأمـومـةِ عنـد اللـهِ حُـرْمَتُهُ
كحُـرْمَـةِ الحـقِّ لاستْـرٌ ولا بُعُـدُ

ثُكْلُ الأمومةِ عند اللهِ فاتحةٌ
مِنَ الكِتابِ وإيمانٌ ومُعْتَقَدُ
ثُكْلُ الأمومةِ حفَّ الانبياءُ بِه
يُهَدْهِدونَ مِنَ الآلامِ واحتشدوا
يدعو فَتُفْتَحُ أبوابُ السماء لهُ
ويَمسحُ الدَمْعَتَيْنِ الواحِدُ الأحدُ

***

وأَنْتِ أُمَّ جميلٍ أيُّ نازلةٍ
لم تُبْقِ رِفْداً لِحُزْنٍ جاءَ يرتفِدُ
ما قَبْلَ يومكِ يَوْمٌ رُحْتُ أشْهَدُهُ
لَهُ لِواءٌ على الأحْزانِ مُنْعَقِدُ
لُبْنانُ أين ربيعٌ كُنْتُ أيْكَتَهُ
يُبْكَى الربيعُ إذا جافى ويُفْتَقَدُ
لا الشمُّ كالعَهْدِ فيه لَهْفَةً وقِرىً
على النُسورِ ولا الأمواجُ والزَبَدُ
لا الأرْزُ بَعْدَ ثوانا مائِسٌ عَطِرٌ
ولا الغصونُ عليها الطائِرُ الغَرِدُ
جيرانُكَ الأنَجُمُ الزهراءُ عاتِبةٌ
وكُلُّ نَجْمٍ حَزينٌ ثاكِلٌ حَرِدُ
يُطَلُّ فيكَ دَمٌ للنورِ بَعْدَ دَمٍ
ولا حُماةٌ ولا ثأْرٌ ولا قَوَدُ

لِـي فِيـكَ شِعْــرٌ رَواهُ العِطْــرُ فازْدَحَمَتْ
مِنْــكَ السُــفــوحُ علــى رَيَّــاهُ والنُجُـدُ

لُبنـانُ فيـكَ قُبــورٌ للسيــوف حِمًــى
هــانٍ ففــي كُــلِّ قَبْــرٍ صــارِمٌ فَـرِدُ

تــأَلَّـقـوا فـي سماءِ المَجْــدِ مـا خَمَـدَتْ
رَغْـمِ العَـواصِـفِ ذِكــراهـم ومــا خَمَــدُوا

حتـى إذا ضَفَــرتْ غــاراً لِمَــفرِقِهِــمْ
أَنـامِـلُ الخُـلْدِ زانَ الخُلْـدَ مَنْ خَلَـدوا

***

أبــا جميلٍ وقــرْبــى بَيْنَنَــا اتَّصــلَــتْ
إلـى الجِنــانِ فَــدَانٍ وهْــو مُبْتَعِــدُ

عَـدْنــانُ(١) عِنْـدَكَ فـي النُعْمـى ولـي كَبدٌ
عَلَــيْهِ بالجَمْــرِ والأحْــزانِ يتَّقِــدُ

أَحْبــابُنــا فــي جِنَـانِ الله قــد نَعِمُـوا
لقـد شَقينــا بِهِـمْ لكنَّهــم سَعِــدُوا

هَــشُّــوا إلـى ابْـنِ أَخِيهِـمْ وَهْـوَ بَيْنَهُمُ
بحــاليـاتِ صِبــاهُ كَـوْكَــبٌ يَقِـدُ

يــاَلَلنُجــومِ قديمـاتِ السـنـى نَزَلَـتْ
علــى قِــراهــا نُجــومٌ طُلَّــعٌ جُـدُدُ

حَمَّلْـتُ عَدْنـانَ أَطْيـابَ الحنـينِ فَهَـلْ
أَدَّى أَمـانَــةَ ما اشــكـو ومــا أَجِـدُ

(١) ولد الشاعر وقد توفي في رونق صباه

لـم أَرْثِــه وَهْــو روحـــي فارقَـــتْ جَسَدي
وَكَيْـفَ يَبــكـي ويَـرْثــي روحَــهُ الجَسَـــدُ
أَلِــمُّ بالقَبْـر أُغْلِيـهِ وأَلْثِمُـهُ
وحَـوْلِـي الســاخِــرانِ الغَيْـــبُ والأَبَـدُ
أَحِبَّتــي كُلَّمـا غـامَـتْ طُيــوفُهُمُ
هَتَفْــتُ لا تَبْعُــدوا عَنِّــي وقـد بَعُــدُوا

***

رُوحُ الشــهيدِ كنــور اللـــهِ ما هَمــدَتْ
لَبِّــث قليــلاً تَـر الــظُلاَّمَ قـدْ هَمَدوا
حَرْبُ على الــكُفْـر والــطُغْيـان يُضْـرِمُهـا
رَأْيٌ على الحُجَّـةِ الـزهــراءِ يَعْتَمِـدُ
رمـوْكَ غَـدْراً ولَـوْ صـالـوا مجُـابَهَـةً
لَمـزَّقَ الصــائِـدِيـن الضَيْـغَـمُ الحــرِدُ
سِــلاحُـكَ الــنُــورُ والإِســلامُ وحْـدَهمــا
ومنْهمــا الـعَـوْنُ عنـد الفَتْــحِ والمَــدَدُ
رســالـةٌ مِـنْ ابـي الــزهـراء خـالـدةٌ
عـديـدُكَ الفـاتِـحُ المَنْصــورُ والعُــددُ
حتـى اذا انهــزمَـتْ شَتـى فُلــولِهِـمُ
ومَـــرَّغَ الجُبْــن زَهْــوُ الحـــقِّ والصيـدُ
أَشْـرَفْـتَ والــدمُ شـمْـسٌ ــ راح يَحْجُبُهـا
بِــكفِّــهِ ويُــواري وَهْجَهـــا الـرَمَـدُ

لا يَخْدَعَنَّكَ زَهْوُ الظالمينَ وإنْ
تاهتْ على الفَلَكِ الأبْراجُ والعَمَدُ
ثلاثةٌ لِهوانِ الدَهْرِ قَدْ خُلِقوا
ألظالِمونَ وعَيْرُ الحَيِ والوَتَدُ
تَكَبَّر الحقُّ أنْ تَلْقَاهُ مُضْطَهَداً
ألظُّلْمُ في عُنْفُوانِ الظُلْمِ مُضْطَهَدُ

***

شمائِلُ الصيدِ مِنْ قَوْمي مُعَطَّرَةٌ
بِمُتْرَفِ الحق لا غالَوْا ولا جَحَدوا
سَمْحاءُ لم تَذرِ تهريجاً ولا عُقَداً
فَكَيْفَ شَوَّهَها التهريجُ والعُقَدُ
تَنكَّروا لقديمِ المجد وهو ضُحى
يُؤذِي العيون ولا يُؤْذي الضُحى الرمدُ
خُطوبُهُمْ لا خُطوبُ الدَهْرِ ضاريةٌ
على العُروبةِ إنْ حَلُّوا وإن عَقَدوا
ألهانئونَ بِسِلْمٍ لا حُماةَ لَهُ
فِداءُ مَنْ زحَمُوا الجُلّى ومَنْ نَهَدوا
القُدْسُ مَلْحَمَةٌ مَيْدانُها ازْدَحَمَتْ
بهِ الكُماةُ وخَيْلُ الحقِّ تَطَّرِدُ
ورَمْلُ سيناءَ لَحْدٌ هَبَّ مُنْتَفِضاً
بكُلِّ مَنْ سَقطوا غَدْراً وما لُحِدُوا

يَصيحُ أَلْفُ صدى في الرَمْلِ مُنْتَظِراً
أن يَسْتَثِير الصحارى فارسٌ نَجِدُ

***

أرى الأَذِلاَّءَ والهيجاءُ ساخِرَةٌ
توعَّدوا بالوغَى لكنَّهُمْ وَعَدُوا
رَدَّ الأُباةُ على الطُغْيانِ غارَتَهُ
ولم يَسُلُّوا ظُبىً لكنَّهُمْ حقَدوا
وكيف أَرْضَى بِقَوْمٍ أَلَّهُوا صَنَماً
وَكَفَّروهُ وذَمُّوا بَعْدَ أن حَمِدُوا
حتى إذا راعَ قَصْفُ الرَعْدِ مَنْ سمِعُوا
وراعَ بَرْقُ الدُجى أَحْلاَمَ منْ شَهِدوا
تكشَّفَ النَقْعُ عَنْ أَشلاءِ طاغية
ورَاحَ يَخْطُرُ في غاباتِهِ الأَسدُ

***

أَبا جميلٍ أُناجي فيكَ حاليةً
مِنَ الشمائلِ أُغْليها وأَفْتَقِدُ
تَحَوَّلَتْ أُفُقاً غير الذي عَرَفوا
وأَنْجُماً في الدُجى غَيْر التي رَصدُوا
فَسلَّم الفَلَكُ الأَسْمى على فَلَكٍ
فيه الكواكِبُ والأَسْحارُ والرَأَدُ

هـذي السـمـاءُ كِتـابٌ مِنْ شتيـتِ رُؤى
فَـكُلُّ نَجْـمٍ بها رأيٌ ومُعْتَقَـدُ
لـي عالَـمٌ يغمُرُ الـدنيا وتَغْمُرُهُ
وعـالـمٌ عَطِـرُ الأسـرارِ مُنْفَـرِدُ
تخِـفُّ روحـي لَحـاقـاً في حُتـوفِكُـمُ
ويَحْـكُـمُ القَـدَرُ العـاتـي فَتَتَّئِدُ
أَلعَيْـشُ بَعْـدَكُمُ لَغْـوٌ فـلا طَـرَبٌ
فيـه ولا أَمَـلٌ هـانٍ ولا كَمَـدَ
فيـا شقـاءَ فتـى آمـالُـهُ رجَعَت
لأَمْسِـه وانـطـوى يـومٌ ومـات غَدُ

***

إيهٍ حكيم الدهر !

قيلت في مهرجان المعري الالفي

حَلِــي النَــدِيُّ كَرامَـــةً للــرَّاحِ
عَجَبــاً اتُسْــكِرُنــا وأَنْـــتَ الصَاحِـــي
لَــكَ في السرَائِــرِ بِدْعَـــةٌ مَرْمُوقَـــةٌ
أُنْـــسُ المُقِيـــمِ وَجَفْـــوةُ النُـــزَّاحِ
مَجْــدٌ كآفَــاقِ السمـــاءِ اذا انْتَهَـــتْ
مِنْـــهُ نَـــواحٍ بـــادَهَـــتْ بِنَواحِـــي
الــدَهْـــرُ مِلْـــكُ العبقـــريَّـةِ وحْدَهَـــا
لا مِلْـــكُ جبـــارٍ ولا سَفَّـــــاحِ
والــكَــوْنُ فـــي أَسْـــرارِهِ وكُنُـــــوزِهِ
لِلْفِــكْـــرِ لا لِوَغـــى ولا لِسِـــلاحِ
ذَرتِ السِــنُـــونَ الفــاتِحِيـــنَ كأَنَّهُـــمْ
رَمْـــلٌ تَنــاوَلَـــهُ مَهَـــبُّ رِيـــاحِ
لا تَصْـــلُـــحُ الـــدُنْيـــا وَيَصْـــلُـــحُ امْرُهَـــا
إِلا بِفِــكْـــرٍ كالشُـعـــاعِ صُـــرَاحِ
مَــرِحٍ عَلــى كيـد الحَيــاةِ وأَهْلِهـــا
يَلْــقَـى شَدائِــدَهَـــا بِأَزْهَـــرِ ضَـــاحِ
خَيْـــرُ العَقَــائِـــدِ فـــي هَـــوايَ عَقِيـــدَةٌ
شَـــمَّـــاءُ ذاتُ تَوَثُّـــبٍ وَجِمِـــاحِ

تَبْنِي الحَياةَ على هُدَى إيمانِها
والعَقْلُ مُثْبِتُ غَيْرِها والمَاحِي

سَكْرى مِنَ الحَقِّ المُدِلِّ ورُبَّما
لَقِيَ الحُتُوفَ فَحادَ عَنْها الصَاحِي

سُكْرُ العَقِيدَةِ أَيْنَ مِنْ آفَاقِهِ
سُكْرُ العُيونِ وأَيْنَ سُكْرُ الرَاحِ

مَلَكَ الحَياةَ فَخلْفَ كُلِّ ثَنِيَّةٍ
لليَأْسِ يَكْمُنُ مِنْهُ أَلْفُ طِمَاحِ

شَرَفُ المَعارِكِ بالجِراحِ وبالرَدَى
فَبِدار قِسْطَكَ من أذىً وجِراحِ

واحْمِلْ بِكَفَيْكَ الحياةَ تَحَدِّياً
مِنْها لأَوَلِ مُعْتَدٍ بالسَّاحِ

أَلعُمْرُ مِنْ غَيْبِ القَضاءِ خَبِيئَةٌ
فابْسُطْ مَصُونَ كُنوزِهِ بالرَّاحِ

لا تَشْكُ مِنْ قِصرِ الحَياةِ فَرُبَّما
أغْنَتْ إشارَتُها عَنِ الإفْصاحِ

سِفْرُ الحَياةِ إذا اكْتَفَيْتَ بمَتْنِهِ
أغْناكَ مُوجَزُهُ عَنِ الشُرَّاحِ

واخْتَرْ لِنَفْسِكَ مِيتَةً مَرْموقَةً
بَيْنَ النُجومِ عَلى الأَدِيمِ الصَاحِي

لِلْمَـوْتِ فـي اللُجَـجِ العَمِيـقَـةِ رَهْبَـةٌ
شَمَخَـتْ بِسُؤْدَدِهـا عَلـى الضَحْضـاحِ
حَوَّطْـتُ باللـهِ العَقِيـدَةَ مِـنْ أَذَى
خَـرْقـاءَ فاجِـرَةِ اليَمِيـنِ وَقَـاحِ[1]
سَكِـرَتْ على كَرَمِ النـدِي وَعَرْبَـدَتْ
فـاليَـوْمَ لا خَمْـرِي ولاَ أَقْداحِـي

لَهْـوُ العُيـونِ ولا أَقُـولُ قَـذاتُـها
وَكِـلُ تَكَلُّـفَ زَهْـوَةَ المُجْتـاحِ
مُتَـرَنِّـحُ العِـطْفَيْـنِ مِـنْ خُيَـلائِـهِ

مَـاذَا تَـرَكْـتَ لِغَـارَةٍ وَكِفَـاحِ
اللَّـهُ يَعْلَـمُ مـا أَرَدْتُ شَمـاتَـةً
بِمُصـرَّعِيـنَ مِـنَ العَيـاءِ طِـلاحِ
تَـأْبَـى الشَـمـاتَـةَ فـي الضعيـفِ شَمـائلـي
وَتَعِـفُّ عَـنْ شِـلْـوِ الجَـرِيحِ صِفـاحِي
وأَنـا الـذِي وَسِـعَ الهُمُـومَ حَنَـانُـهُ
وَبَـكَـى لِكُـلِّ مُعَـذَّبٍ مُلْتَـاحِ
أَشْـقَـى لِمَـنْ حَمَـلَ الشَـقَـاءَ كَـأَنَّمَا
أَتْـراحُ كُـلِّ أَخِـي هَوى أَتْـراحِـي

(١) يريد الشاعر فرنسا وقد خرجت من الحرب مهزومة من الالمان ثم جاءت تعرض صولتها وعنفوانها على الشعب السوري الاعزل

غَسلَ الأَسى قَلْبي وَحَسْبُكَ بالأَسى
مِنْ غاسِلٍ حِقْدَ القُلوبِ وَماحِي
وَوَدِدْتُ حينَ هَوى جَناحُ حَمامَةٍ
لَوْ حَلَّقَتْ مِنْ خافِقي بِجَناحِ
حُبٌّ قَدِ انْتَظَمَ الوُجودَ بأَسْرِهِ
أَسدَ الشَرى وَحَمامَةَ الأَدْوَاحِ

* * *

أَعْمى تَلَفَّتَتِ العُصورُ فَما رَأَتْ
عِنْدَ الشُموسِ كَنورِهِ اللمَّاحِ
نَفَذَتْ بَصيرَتُهُ لأَسْرارِ الدُجَى
فَتَبَرجَتْ مِنْها بِأَلْفِ صباحِ
مَنْ راح يَحْمِلُ في جَوانِحِهِ الضُحى
هانَتْ عَلَيْهِ أَشِعَّةُ المِصْباحِ

* * *

أَمُصور الدُنْيا جَحيماً فائِراً
يَرْمِي العُصورَ بِجَمْرِهِ اللَّفَّاحِ
هَونْ عَلَيْكَ فَفِي النُفوسِ بَقِيَّةٌ
مِنْ رَحْمَةٍ ومُروءَةٍ وَسماحِ
خَلْفَ الهَجيرِ وَعُنْفِهِ وَلَهِيبِه
ما شِئْتَ مِنْ ظِلٍّ وَطيبِ نِفاحِ

ضَجَّتْ مَلائِكَةُ السماءِ بِساخِرٍ
مُر الدُعابَةِ شَاتِمٍ مَدَّاحِ
السُخْرُ فيهِ اذَا أُخِذْتَ بِكُفْرِهِ
كالسُخْرِ حِينَ تَراهُ في النُصَّاحِ
نَكَبَ العَقائِدَ والطِباعَ فَيا لَهَا
فَتَكاتِ حَتْفٍ كالقَضاءِ مُتَاحِ
وَعَدا على حَرَمِ السماءِ فَيا لَهُ
فَتْحاً أَطَلَّ بِهِ عَلَى الفَتَّاحِ
عَرَّى السرائِر والنُفوس مُمَزِّقاً
عَنْهُنَّ كُلَّ غِلالَةٍ وَوِشَاحِ
وَجَلا المَصُونَ مِن الضَمَائِرِ فانْتَهَى
هَمْسُ النُفوسِ لِضَجَّةٍ وَصِياحِ
إنْ يَقْسُ في نَقْدِ الطِباعِ فَلَمْ تَكُنْ
تُرْجَى لِرَحْمَتِها يَدُ الجَرَّاحِ

* * *

إيهٍ رَهِينَ المحبسين أَلَمْ يَئِنْ
إطْلاقُ مَأْسورٍ وَفَكُّ سراحِ
ظَفِرَتْ بِرَحْمَتِكَ الحَياةُ وَصُنْتَها
عَنْ كُلِّ ناعِسةِ الجُفونِ رَداحِ
أَتَضِيقُ بالأُنْثَى وَحُبُّكَ لَمْ يَضِقْ
بالوَحْشِ بَيْنَ سباسِبٍ وَبِطَاحِ

يـا ظَـالِـم التُفَّـاح ِ فـي وَجَنَـاتِـها
لَـوْ ذُقْتَ بَعْـض شَمـائِـل ِ التُفَّـاح ِ
عِطْـرٌ أحَـبُّ مِـنَ المُنــى وَغِـلاَلَـةٌ
بِـدْعٌ فَمِـنْ وَهْـج ٍ وَمِـنْ أَفْـراح ِ
هِـي صُـوَرَةٌ لِلَّـهِ جَـلَّ جَـلاَلُـهُ
عَـزَّتْ نَظَـائِـرُهـا على الألْـواح ِ

* * *

مَنَحَـتْ بِقُـدْرَتِـهِ النَعِيـم وَلَـوَّنَتْ
انــوارَهُ جَلَّـتْ يَـدُ المَنَّـاح ِ
لَيْتَ الهُمُومَ العَبْقَـرِيَّـةَ هُـدْهِـدَتْ
بِحَنـانِ طَيِّبـةِ اللَّمَـى مِمْـراح ِ
لَوْ أنهَـا نَـزَلَـتْ عَـلى نُعْمَـى الهَوى
نَـزَلَـتْ مُـدَلَّلَـةً بِـأَكْرَم ِ سـاح ِ
حَـرَمٌ عَلى عُسْـرِ الـزَمـانِ وَيُسْـرِهِ
وَحِمَـى أَمِيـن ِ السِـرْبِ غَيْـرُ مُبَـاح ِ
مـا أحْـوَجَ العَقْـلَ الحَـكِيـم وَهَمُّـهُ
وَسِـعَ الحَيـاةَ لِصَـبْوَةٍ وَمِـراح ِ
وَلِمَـنْ تُـدَلِّلُـهُ وَتُسْـكِـرُ رُوحَـهُ
عِنْـدَ الهَجِيـرِ بِظِـلِّها التَفَّـاح ِ
أُنْثَـى إذَا ضَـاقَـتْ سَـرِيَـرةُ نَفْسِـهِ
طَلَعَـتْ بِـآفـاقٍ عَلَيْـهِ فِسَـاح ِ

تَسْــقِـي الهُمُــومَ إِذَا وَرَدْنَ حَنَــانَهَــا
بِمُعَــطَّـــرٍ كـالسَّلْسَـبِيـلِ قَــرَاحِ
وَتَــرُدُّهُـــــنَّ عَــرائِسـاً مَجْلُـــوَّةً
كَنَـدى الصـبـاحِ وَكُــنَّ غَيْــرَ صِبَاحِ
لِلْعَبْقَــرِيَّــةِ قَسْــوَةٌ لَــوْلا الهَــوى
عَصَــفَـتْ بِكُـــلِّ عقيــدةٍ وَصـــلاحِ
رَعْنَـــاءُ إِنْ تَــرَكَ الجَمَــالُ عِنَـانَهَـــا
طَـاحَـــتْ بِفَــارِسِ مَتْنِهَــا الجَحْجَـــاحِ
مــا للشِـــراعِ عَلــى العَـواصِفِ حِيلَـــةٌ
إِنْ لَــمْ تُصــرِّفْـهُ يَــدُ المَـــلاَّحِ

* * *

إِيــهِ حَكِيــم الـدَّهْــرِ أَيُّ مَلِيحَـــــةٍ
ضَــنَّـــتْ عَلَيْــكَ بِعِــطْــرِهَـا الفَـــوَّاحِ
أَسْــكَنْتَهَــــا القَلْــبَ الـرحِيـــم فَـــرابَـهـــا
مـا فِيــهِ مِـنْ شَكْــوى وَرَجْــعِ نُـــواحِ
جَــرحَــتْ إِبَــاءَكَ والحَيَـــاءَ فَأَقْفَـــلاَ
بَـــابَ المُنَـــى وَرَمَيْـــتَ بالمِفْتَـــاحِ
لَــوْ أَنْصــفَــتْ لَســقَتْــكَ خَمْــرَةَ رِيقِهَـــــا
سُــكْــرِ العُقـــولِ وَفِتْنَـــةَ الأَرْواحِ
ولأَسْــعَفَتْــكَ عَلــى الهَــوى بِمُعَــطَّـــرٍ
بـــالحُسْــنِ لا بِشَقَــائِــقٍ وَأَقـــاحِ

لاَ تُخْـفِ حُـبَّكَ بالضَـغِينَـةِ والأَذَى
الحُـبُّ جَوْهَـرُ حِقْـدِكَ المِلْـحَـاحِ
وَأَطِـلْ هِجَـاءَكَ مَـا تَشَـاءُ فَخَلْفَـهُ
غُـرَرٌ مُنَضَّـرَةٌ مِـنَ الأَمْـدَاحِ
العَبْقَـرِيَّـةُ والجَمَـالُ تَحَـدَّرا
مِـنْ نَبْعَـةٍ وَتَسَـلْسَـلاَ مِنْ رَاحِ
أَخَـوانِ مَـا طَلَـعَ الضُـحَـى لَوْلاَهُمَـا
إلاَّ عَلَـى العَبَـرَاتِ والأَتْـرَاحِ
الـظَّـالِمَـانِ المَـالِـكَـانِ وَنِعْمَـةً
مَـا أَسْـلَفَـا مِنْ زَلَّـةٍ وَجُنَـاحِ
إنَّ التـي حَرَمَتْـكَ نِعْمَـةَ حُبِّهَـا
وَأَبِيـكَ عَـارُ كَواعِـبٍ وَمِـلاَحِ
لَـوْ كَـانَ فِـي يَـدِي الـزَمَـانُ وَسِـرُّهُ
وَأَعِنَّـةُ الإمْسَـاءِ والإصْبَـاحِ
فِـي مَشْهَـدٍ تَكْسُـو الوُفُـودُ رِحَـابَـهُ
وَيَغَـصُّ بالغَـادِيـنَ والـرُوَّاحِ
لَنَـزَعْـتُ فِتْنَتَهَـا وَسِـحْـرَ جُفُـونِهَـا
وَمَحَـوْتُ نُـورَ جَبِينهَـا الـوَضَّـاحِ
وَنَثَـرْتُ جَـوْهَـرَ ثَغْـرِهَـا مِـنْ عِقْـدِهِ
فَصِحَـاحُـهُ العَـطِـراتُ غَيْـرُ صِحـاحِ

وَرَدَدْتُ للسبْعِينَ رَيِّقَ عُمْرِهَا
والحَالِيَاتِ مِنَ الصِبَا المِمْرَاحِ
وَجَلَوْتُ مِرْآتِي فَنَدَّتْ صَرْخَةٌ
كَلْمَى وَغَطَّتْ خِزْيَهَا بالرَّاحِ
حَتَّى إذَا أَتْمَمْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ
أَشْرَفْتُ انْظُرُ نَظْرَةَ المُرْتَاحِ
فَثَأَرْتُ مِنْ ظُلْمِ الجَمَالِ وَرُبَّمَا
شَمَتَتْ جِرَاحٌ فِي الثَرى وأَضَاحِ
وَإِذَا رَأَيْتُكَ ضِقْتَ فِيهِ تَنَكَّرَتْ
للجِدِّ مِنْهُ دُعَابَتِي وَمُزاحِي

* * *

الوَحْدَةُ الكُبْرى تَهَلَّلَ فَجْرُهَا
بِظِلاَلِ أَبْلَجَ ذَائِدٍ نَفَّاحِ
هَذِي العُرُوبَةُ فِي حِمَاكَ مُدِلَّةٌ
رِيعَ العَدُوُّ بِهَا وَضَاقَ اللاَّحِي
(١) الأَزْرَقُ الرجْرَاجُ حَنَّ لِرَمْلَةٍ
فِي الدِجْلَتَيْنِ نَدِيَّةٍ مِسْمَاحِ
(٢) وأرى الكِنَانَةَ إنْ تُمَاجِدْ مَا جَدَتْ
بالعَاصِ لا بِمَنَى وَلاَ بِفِتَاحِ

***

١) يريد الشاعر ان البحر في سورية يحن الى لقاء صحراء العراق
٢) الكنانة مصر والمعنى ان مصر الآن اذا موجدت تماجد بالعاص اي عمرو بن العاص الذي فتحها واسس الحكم العربي فيها لا بمنى ولا بفتاح وهما فرعونان من فراعنة مصر .

سَمْعَاً حَكِيمِ الدَّهْرِ فَهْيِ قَصِيدَةٌ
وَأَبِيكَ بِدْعُ مُغَرِّدٍ صِدَّاحِ
عَصْمَاءُ إِنْ شَهِدَ النَدِيُّ خَطِيبَهَا
تَرَكَتْ فِصَاحَ القَوْمِ غَيْرَ فِصَاحِ
بَدَهَتْ شَوارِدُهَا العِدَى بِكَتِيبَةٍ
خَضْرَاءَ تَلْمَعُ بالحَدِيدِ رَدَاحِ
هَلْ فِي ثَرَاكَ عَلَى المَعَرَّةِ مَوْضِعٌ
بَيْنَ العُيُونِ لِدَمْعِي السَحَّاحِ
حَنَتِ النُفُوسُ عَلَيْهِ تَسْكُبُ حُبَّهَا
فَجَلَتْ بَرَاحَ البِيدِ غَيْرَ بَرَاحِ
مَا لِلْجِيَادِ الأَعْوَجِيَّةِ حُسَّرَاً
صَرْعَى الهَجِيرِ عَلَى المَدَى الفَيَّاحِ
فَاعْذِرْ إِذَا لَمْ أُوفِ مَجْدَكَ حَقَّهُ
لُجَجُ الخِضَمِّ طَغَتْ عَلَى السَبَّاحِ

اطـلَّ من حرم الرؤيـا فعزانـي

منــازِلُ الخُلْــدِ لا أَرْبــاعُ لُبْنــانِ
وَفِتْنَــةُ السِـحْـرِ لا آيـــاتُ فَنَّـانِ
جِنَــانُ لُبْنــانَ حَسْـبِـي مِنْــكِ وَارِفَــةٌ
فِيـهــا النَـدِيَّـانِ مِنْ رَوْحٍ وَرَيحْـــانِ
شَبَّ النَبِيُّــونَ فــي أَفْيائِهــا وَحَبَـتْ
فيهــا خَيــالاتُ إِنْجِيــلٍ وقُــرْآنِ
بَلِيلَــةٌ بِدُمــوعِ اللــهِ مـا وَسِنــتْ
إلاَّ وَبيْــنَ خوافِيهــا حَبِيبـــانِ
يَغْفُــو بِهــا الفَجْـرُ فـي أَحْضـانِ مُورِقَـةٍ
مَـديـدَةِ الـظِـلِّ سَكْـرى الآسِ والبَـانِ
سَقَتْــهُ مِـنْ خَمْـرِهــا قَبْـلَ الـكَـرى عَلَـلاً
فَبَعْضُ أَحْــلامِــهِ أَحْــلامُ سَكْــرانِ
وَدَغْدَغَتْــهُ فَلِــلأَغْصــانِ هَيْنَمَـــةٌ
كأنَّهــا بَثُّ غَيْـرانٍ لِغَيْــرانِ
وَمـا تَنَبَّــهَ حَتـى راعَــهُ وَهَــجٌ
والشَـمْـسُ حَلْـيُ رُبَـى خُضْـرٍ وَوِدْيانِ
صحِبْـــتُ فِيـكِ شَبــابـي والهَـوَى ومُنَـى
لُعْــس الشِـفـاهِ وظِـــلاً غَيْـر ضَحْيـانِ

فَأَسْــبِغِــي نِعْمَــةَ النِسْيــانِ تَغمُرُنــي
عَســى يُخَفِّــفُ مِــنْ بَلْــوايَ نِسْيــانِي

أَمْسَيْــتُ لا رِيقُهــا المعســولُ أسعدنــي
ولا الجُــنونُ جنــونُ الحُــب واتّانِــي

أَلَــحَّ بِــي السُقْــمُ حتَّــى لا يُفارِقُني
وَراحَ يَنْسِــجُ قَبْــلَ الشَيْــبِ أَكْفَانِــي

عَفًّى على نَــزَواتِ النَفْسِ جامِحَــةً
إلاَّ اهْتِــزازَ خَلِيــعِ الحُسْــنِ نَشْــوانِ

وَصــبْــوَةً للعُيــونِ النُجْــلِ هائِمَــةً
مِــنَ الشَــبــابِ بِظِــلٍّ العَــاطِفِ الحَـانِـي

يُثِيــرُ بي كلُّ حُسْــنٍ فِتْنَــةً وهَــوًى
فَمــا أَمُــرُّ بِمــاءٍ غَيْــر صَدْيَــانِ

ويا رُبَــى الحُسْــنِ فــي لُبْنــانَ هَلْ عَرِيَــتْ
مُخْضَــلَّــةُ الــدَوْحِ مِنْ ظِــلٍّ وأغْصــانِ

وَمِــنْ لُبــانَــاتِــي السَــكْرى مُصَرَّعَــةً
مِــنَ الــوَنــى بَيْــنَ أفيــاءٍ وأَفْنَــانِ

ويا رُبـى الحُسْــنِ هَــلْ مِنْ نَفْحَــةٍ حَمَلَــتْ
شَــذَى النُهــودِ لِصــادِي القَلْــبِ حَرَّانِ

وَهَــلْ صبــاكِ نَمُومُ العِــطْــرِ ناقِلَــةٌ
بَــعْــدِي أحــادِيــث أَذْيَالٍ وأَرْدَانِ

ويارُبَى الحُسْنِ في لُبْنانَ هَلْ ثَمِلَتْ
بَعْدي الرَياحِينُ مِنْ صَهْباءِ نَيْسانِ
ويا رُبَى الحُسْنِ في لُبْنانَ لاَ انْبَسَطَتْ
يُمْنى الهَجيرِ عَلى أفْياءِ لُبْنانِ
مُدِّي ظِلاَلَكِ يَنْعَمْ في غَلائِلِها
صَرْعَى الرَدى مِنْ أَحِبَّائي وأخْداني
النَّائِمينَ بِظِلٍّ الارْزِ يُنْشِدُهُمْ
رِوايَةَ الدَهْرِ في نُعْمَى سُلَيْمانِ
أمَّا البَلابِلُ فَلْتُؤْنِسْ قُبورَهُمُ
مِنْ كُلِّ سَاجِعَةٍ في الدَوْحِ مِرْنَانِ
أُعِيذ بالحُبِ والذِكْرى هَوى نَفَرٍ
بِيضِ الوُجوهِ مِنَ النَعْماءِ غُرَّانِ

* * *

قَدْ صَوَّرَ الوحْيُ ألْوانَ النَعيمِ على
مِثالِ ما فِيكَ مِنْ حُسْنٍ وألْوانِ
وزادَ فِيها خُلُودا ما عَنِيتُ بِهِ
أشْهى اللُبانَاتِ في حُكْمِ النُهى الفَاني
لايَعْذُبُ الوَصْلُ إلاّ أنْ يُخَامِرَهُ
خَوْفُ المُحِبِّينَ مِنْ نأيٍ وَهِجْرانِ
ولا هَناءَ بِنُعْمى لا تَخَافُ لَها
فقداً ولا تُبْتَلى مِنْها بِحِرْمَانِ

لَـوْ يَعْلَمُـونَ مَناجِـي النَفْسِ ما خَلَعُوا
ثَـوْبَ الخُـلـودِ على نُعْمى وأحْـزَانِ
فـأصْبَـحَ الـكُونُ لَغْواً لا حَيَاةَ بِـهِ
مِـنْ رَغْبَـةٍ فـي مَجَـالِيـهِ وغُنيـانِ
ما للخُلُـودِ ومـا للحُسْـنِ يـزْعَمُـهُ
هَيْهـاتَ عُـري مِـنْ حُسْـنٍ وإتْقَـانِ
يُضْـفِـي الجَمـالَ على الايـامِ مُقْتَـدِرٌ
مِـنَ (التَحَـوُّلِ) ذُو عِزٍّ وسُلْطانِ
عَنـا لَـهُ الـكَوْنُ مأْخُـوذاً بِفِتْنَتِـهِ
مِـنْ أَنْجُـمٍ ومَـكـانَـاتٍ وأزْمَـانِ
وعـاطِفَـاتٍ وأرْواحٍ وأخْيِلَـةٍ
تَغْـزو الـوُجـودَ وآراءٍ وأدْيـانِ
وَرُبَّمـا فَقِهَـتْ مِـنْ أَمْـرِهِ عَجَبـاً
قَبْـلَ الهُـداةِ عَصـا مُوسَى بْنِ عِمْرانِ

* * *

لِيُؤْمِـنِ النـاسُ مـا شَاؤُا بِـربِهِـمُ
فَبِـالَتحَـوُّلِ بَـعْـدَ اللهِ إيمـانِـي
تَسْمُـو إلـى أُفْقِـهِ القُـدْسِـي طـاهِـرَةً
طُـهْـرَ الـدُمـوعِ تَسـابِيحـي وألْحـانِـي
كَفَـرْتُ بالـرُوحِ بَعْـد الـرَيْـبِ آونَـةً
وَكَـانَ زُلْفَـى إلـى نَجْـواهُ كُفـرانِـي

وَقَـرَّبَ النـاسُ مـا شَاؤُا لِمَذْبَحِـهِ
فمـا تَقَبَّـلَ مِنْهُـمْ غَيْـرَ قُـرْبـانِي
أَعْلَنْـتُ حِيـنَ أَسَـرُّوا امْـرَهُــمْ فَـرَقـاً
يـا بُعْـدَ ما بَــيْنَ إسْـرارٍ وإعْـلانِ

* * *

إنَّ الخُلـودَ ومــا تَروِي مَـزاعِمُهُـمْ
عَـنِ الســعـادَةِ فـي الأُخْـرى نقيضــانِ
لا يَخْـدَعُ اللـهُ قَـوْمـاً يُـؤْمِنـونَ بِـهِ
فَتِلْكَ خُـدْعَـةُ إنْسـانٍ لإنْســانِ
جِنَـانُ رَبِّــكَ في سِـرِ الخُلـودِ غَدَتْ
وكُـلُّ آوٍ اليهـــا رَازِحٌ وانِ
مَـلَّ المُقيمـونَ فِيـهــا من هَنَاءَتِهِمْ
كمـا يَمَـلُّ الســقـامَ المُدْنَفُ العَانِـي
تَمْضِـي العُصُــــورُ عَلَيْهِـمْ وهْــي واحِـدَةٌ
اليَوْمُ كالأَمْــــسِ فيـهــا ضـاحِـكٌ هـانِـي
تُـزْجِـي السَّآمَــةَ تَفـكيــراً وعاطِفَـةً
إلـى عُقـولٍ وأهـواءٍ وَوِجْــــدانِ
لا يَـرْقُبـونَ جَـديداً فـي خُلـودِهِمُ
لَـرَثٌّ مِـنْ قِـدَمِ العَهْـدِ الجَديدانِ
ولا يُحِبُّـونَ لَكِـنْ تِلْكَ طــائفـةٌ
مِـنْ مـاجِنــاتٍ خَليعـاتٍ ومُجَّـانِ

ولا يُناجُون في أحْلامِهِمْ أَمَلاً
مُحَبَّباً بَيْنَ إنْكارٍ وإيقَانِ
ولا يُحِسُّونَ لا حُزْناً ولا جَذلاً
فالقَوْمُ ما بَيْنَ مَشْدُوهٍ وسهْوانِ
يا شَقْوَةَ النَفْسِ تَخْلو بَعْدَ أَنْ عَمِرَتْ
مِنْ حَسْرَةٍ ولُبانَاتٍ وأَضْغَانِ
وضَيْعَةَ القَلْبِ لا تأوي اليهِ مُنىً
كالنَحْلِ تَأْخُذُ مِنْ رَوْضٍ وبُسْتانِ
مِنْ كُلِّ مَنْ أَبْلتِ الأَذْهارُ جِدَّتَهُ
فَمَا يُحَرِّكُهُ تَذْلِيلُ رِضْوانِ
يُنادِمُ الحُور لَكِنْ غَيْرَ مُغْتَبِطٍ
وَيَشْربُ الراحَ لَكِنْ غَيْرَ ظَمْآنِ
لَوَدَّ في كُلِّ ما يُجْريه مِنْ عَسَلٍ
ومِنْ خُمورٍ ومِنْ دُرٍّ وَعِقْيانِ
هُنَيْهَةً مِنْ شَقَاءٍ يَطْمَئِنُّ بِها
إلى مُناجَاةِ آلامٍ وأَشْجانِ
إذا تَذَكَّر دُنياهُ هَفَا وَلِعاً
إلى حَبيبٍ وَصهْباءٍ ونُدْمانِ
وَراحَ يَبْحَثُ في المَجْهُولِ عَنْ أَمَلٍ
وَعَنْ شَقاءٍ وَعَنْ أَهْلٍ وَخُلاَّنِ

لَعَلَّ بَيْنَ زَوايا النَفْسِ قَدْ تُرِكَتْ
ثُمالَةٌ مِنْ صبابـاتٍ وتَحْنَانِ

* * *

أمَّا الغَواني فَصخْرٌ لا يُحَرِّكُها
نَجْوى مُحِبٍّ ولا تَذْلِيلُ وَلْهانِ
لا تَعْرِفُ الحُبَّ إلاَّ مَحْض تَلْبِيَةٍ
لِعَابِرِينَ مِنَ الأَبْرارِ فِتْيَانِ
وَلا تَحِنُّ إلى رُوحٍ وعَاطِفَةٍ
فالحُبُّ في مَلَكُوتِ اللهِ جُثْماني
مِنْ كُلِّ مُرْتَجَّةِ الأَرْدافِ حَالِيَةٍ
بالحُسْنِ أَخَّاذَةٍ بالسِحْرِ مِفْتَانِ
خَبا لَهِيبُ المُنَى في رُوحِها فَغَدَتْ
وَحُسْنُهَا في جُلاهُ حُسْنُ أوْثَانِ
جَنَى الخُلودُ عَلَيْهَا فَهْي شَاكِيَةٌ
إلى الأُنُوثَةِ ذَاكَ الخَائِنِ الجَاني

* * *

ولِلْخُلودِ عَلى أَهْلِ الجَحِيمِ يدٌ
تُجْزَى مَع الدَهْرِ إحْسَاناً بِإِحْسَانِ
الكافِرُونَ لِطُولِ العَهْدِ قَدْ أَلِفُوا
بِقَاعِهَا نُضْج أرْواحٍ وأَبْدَانِ

وَقَـدْ تُـزَفُّ بِهـا والحَفْـلُ مُحْتَشِـدٌ
سـجِينَـةٌ مِـنْ ضَحَـايَاهَـا لِسـجَّانِ
فَـأَصْبَحَـتْ وَهْـي مِـنْ مَـاءٍ وَمِـنْ مَـدَرٍ
شيطـانَـةً تَتَصـبَّـى كُـلَّ شَيْطَـانِ
وَرُبَّمَـا صَحِبُـوا فِيهـا زَبـانِيـةً
بَعْـدَ القِلى إلْـفَ إخْـوانٍ لإخْـوانِ
لاَ يَأْلَـون وَلاَ تَشـكُـو جُسُـومُهُـمُ
مِـنَ اللَّـظَـى فَهْـي نِيـرانٌ بِنِيـرانِ

* * *

مَلِيـحَـةَ الـدَلِّ مِـنْ غَسَّـانَ لا بَلِـيَتْ
شَـمَائِـلُ الصِـيدِ مِـنْ أَقْيَـالِ غَسَّـانِ
أَتَـأْذَنِيـنَ بِإنْشَـادٍ فَما جُلِيَـتْ
إلاَّ لِحُسْـنِـكِ أَشْـعَـارِي وأَوْزَانِـي
طَـوَّفْـتُ فِـي هَـذِه الـدُنْيَـا عَلَى مَهَـلٍ
طَـوافَ أَشْـعـث مـاضِـي العَـزْمِ يَقْظـانِ
تُظِلُّنِـي مِصْـرُ أحْيَـانـاً وآوِنَـةً
أعَـاقِـرُ الخَمْـر فِـي جَنَّـاتِ بَغْـدانِ
وَقَـدْ صَحِبْـتُ شُعُـوبَ الأَرْضِ مِـنْ عَرَبٍ
شُـمِّ الأنُـوفِ إلـى رُومٍ وَكِلْـدَانِ
مُفَتِّشَـاً عَـنْ عَزاءِ النَفْـسِ لا لَعِبِـي
أدَّى إلَيْـهِ ولا حِلْمـي وَعِرْفَـانِـي

مُســـائِــلاً عَنْـهُ حَتَّـى قَـدْ عَيِيـتُ بِــهِ
إرْثَ الفَـلاسِــفِ مِـنْ هِنْـدٍ وَيُـونَـانِ
فَمــا رأيْــتُ لَــهُ عَيْنَـا وَلا أثَــراً
وَلا أفَــادَ طَـوافِـي غَيْـرَ خِذْلانِــي
إذا نَدَبْـتُ جُهــودِي وهْـي ضَـائِعَـةٌ
أطَــلَّ مِـنْ حَـرَمِ الــرُّؤْيَـا فَعَــزَّانِــي

* * *

ثُـمَّ انْثَنَيْـتُ وَركْبِـي جِـدُّ مُتَّئِــدٍ
مِــنَ الــوَنَـى وَرَفِيقــي جِـدُّ حَيْــرانِ
والبِيـدُ أَوْسَـعُ مِـنْ صَـدْرِ الحَلِيـمِ مـــدَىً
وللسَّــرَابِ بِهــا الآفُ غُــدْرانِ
ظَمْــأى حَيَـارَى وخَلْـفَ الـرَّكْبِ طَــائِفَـةٌ
حُمْــرُ اللــواحِــظِ مِــنْ أُسْـدٍ وَذُؤْبَــانِ
فَأَيْقَـنَ القَـوْمُ بالجُـلَّى وَقَـدْ صَمَتُــوا
لِهَيْبَـةِ المَـوْتِ وهُـوَ المُقْبِـلُ الدَّانِــي
حَتَّـى إذا اليَأْسُ لَمْ تَتْـرُكْ مَـرارَتُـهُ
إلاَّ بَقِيَّــةَ صَبْـرٍ غَيْــرِ خَزْيَــانِ
لاَحَـتْ خِيَـامُــكِ بالصــحْــراءِ مُـونِقَـةً
أبْهَـى وأزْيَـنَ مِنْ عَـرْشٍ وإيــوانِ
فَكَــبَّــر الــرَّكْبُ مُرْتَــاحَــاً الـى أمَـلٍ
عَـذْبِ المُجَــاجَـةِ حَــالِي الــوَشْــي رَيَّــانِ

مُبَادِراً لـلـظِـلالِ الخُضْـرِ قَـدْ كُسِيَتْ
نَثِيـر وَرْدٍ وَنَمَّـام وَسَـوْسَـانِ
فَمـا فَتَحْـتُ جُفُـونِـي وَهْـي دَامِـيَـةُ
مِـنَ الـرِمَـالِ أَعَـانَ اللَّـهُ أَجْفَانِـي
حَتَّـى لَمَحْتُـكِ خَلْـفَ السِـتْـرِ ضَـاحِكَـةً
إلـى جَـوارٍ وَحُجَّـابٍ وَغِلْمَـانِ
فَقَـرَّتِ النَفْـسُ لا شَكْـوَى ولا تَعَـبُ
ولا لَجَـاجَـةُ إيمَـانٍ وَكُفْـرانِ
وَابْصَـرَتْ بَعْـدَ طُـولِ البَحْـثِ غَـايَتها
فَـاذْعَنَـتْ لِهَـواهـا أيَّ إذْعَـانِ
رَأَتْ بِعَيْنَيْـكِ يـا لَيْلى وَقـدْ يَئِسَـتْ
عَـزاءَهَـا لا بِإِنْجِيـلٍ وَفُرْقَـانِ
فَقَبَّلَـتْ شَفَـةٌ حَمْـراءُ دَامِيَـةٌ
واهْتَـزَّ مِـنْ نَشَـواتِ اللَثْـمِ نَهْـدَانِ
سِـرُّ السَـعَـادَةِ فِـي الـدُنْيَـا وإنْ خَفِـيَـتْ
تَجْلُـوهُ مِنْـكِ علـى الأكْـوانِ عَيْنَـانِ
آمَنْـتُ بالحُـبِّ مـا شَـاءَتْ عُـذوبَتُـهُ
آمَنْـتُ بالحُـبِّ فَهْـوَ الهَـادِمُ البَانِـي

ما شأن هذا الاشعث الجواب

هَـلْ عِنْـدَ أنجُمِـكَ الضَواحِـكِ مَا بـي
يا لَيْـلَ إشْـرَاكِي وَصُـبْـح مَتَابِـي
طَهَّـرْتُ آثـامِـي البَـريئَـةَ في لَظَـى
قُبَـلٍ كأحْـلامِ النَعيـمِ عِـذابِ
فَـأدِرْ علـي سُـلافَ رِيقِـكَ واسْقِنِـي
واسْـقِ النـدِيـم سُـلافَـةَ الأَعْنـابِ
وإِذَا عَتَبْـتُ علـى لَمَـاكَ فَرُبَّمَـا
سَـمَـحَ الحَبِيـبُ بِرَشْـفَـةِ الأَعْتـابِ
وَسَّـدْتُـكَ اليُمْنَى في غَـدٍ
أرِدُ الحِسـابَ ووجْنَتـاكَ كِتابِـي
وَنعِمـتُ أَلْمَـحُ في جُفُـونِـكَ رَغْبَـةً
خَجْلـى صرِيعَـةَ نَشْـوةٍ وَدُعَـابِ
لاَ تَغْـفُ تَحْلُـمْ بالنُجـومِ فَيرْتَمِـي
منهـا لِرَشْـفِ لَمَـاكَ أَلْفُ شِهَـابِ
لا تَغْـفُ وَأْثَـمْ في هَـواكَ ولا تَخَـفْ
نُسْـكِي أمَـانُـكَ في غَـدٍ وثَوابِـي
هَيْهَـاتَ وِزْرُكَ لا أَنُـوءُ بِحملِـهِ
إنْ صـحَّ أمْـرُ قِيَامَـةٍ وحِسـابِ

* * *

يَا رَب عَفْوَكَ قَدْ ثَمِلْتُ فَخَلِّنِي
لِغَوايَتِي وتَهَتُّكِي وَشرَابِي
وَجنونِ أَحْلامِي تَثُورُ عَنيفَةً
حَمْرَاءَ بَيْنَ معَالِمٍ وَقِبابِ

سَفَكَتْ دَمِي وأُلِحُّ فِي إِرْضائِهَا
فَتَعافُهُ وَتُلِحُّ فِي إغْضابِي
أَحْلامُ جَبَّارِ السماواتِ العُلَى
نَزَلَتْ عَلَي وَضَمَّها جِلْبابِي

خَلَقَتْ بِبَيْدائِي الظَمِيئَةِ جَنَّةً
ثَرْثارَةَ الأَلْوانِ والأَطْيابِ
يَأوي إلى [illegible] وحَنانِهَا
قَلَمُ الحَكيمِ ومِنْجَلُ الحَطَّابِ

فإِذَا الحَيَاةُ على جَلالَةِ قَدْرِهَا
دَاري وهَذا الأُفُقُ بَعْضُ رِحابِي
وَإِذَا الكَواكِبُ مِنْ لِدَاتِ طُفُولَتِي
والكَوْنُ والأَجْيالُ مِنْ أَصْحابِي

نَزَلَتْ على فَقْري وأَعْوَزَها القِرى
هَذا دَمِي ولُبانَتِي وشَبابِي
وثُمَالَةٌ فِي الكَأْسِ أَغْفَلَها الهَوى
لِمُصَرَّعِينَ غَطارِفٍ أَنْجابِ

صِرْفاً وَأشْفَقَ مِنْ عَنيفِ خُمارِها
ساقي الكُؤوسِ فَشَجَّها بِرُضابِ

* * *

ذاكَ البَيانُ على مَرارَة كأسِهِ
سُكْرُ العُقولِ وفِتْنَةُ الألْبابِ
وتَخالُهُ قِطَعَ الرِياضِ تَفَتَّحَتْ
فِيها الخَمائِلُ عن أغَرِ عُجَابِ
نَشْوى بأنداءِ الصَباحِ يُديرُها
ساقِي الربيعِ مُزْعفرِ الجِلْبابِ
والحِكْمَةُ الغَرَّاءُ في كَلِماتِهِ
نُورُ البَيانِ وحِلْيَةُ الآدابِ
أَفْضَى إلى الأخلاقِ شِعري مَصونَةً
أتُراهُ يَكْتُمُ سِرَّها ويحُابِي
مالِي ولِلأخْلاقِ يَغْمُرُ سِرُّهَا
عَنَتَ الغَبِي وخُدْعَةَ المُتَغابِي
ألغَدْرُ في دَاوُدَ[1] بَعْدَ مَشِيبه
ورِعَايَةُ الأَضْيافِ مِنْ رَاحابِ[2]
ظَمْأى إلَى القُبَلِ الأثِيمَةِ عَذْبَةً
كَالبابِلِيِّ مَريرةً كالصَّابِ

(١) ـ اشارة الى ما ذكرته التوارة من ارسال داود احد قواده للمعركة ليستأثر بامرأته

(٢) ـ راحاب اسم بغي ورد ذكرها في التوارة وقد اخفت جاسوسين كانا عندها فلم تبح بأمرها

قَامَتْ بأَعْباءِ الوَفاءِ ولَمْ يَقُمْ
فِيهِ جَلالُ المُلْكِ والأحْسابِ
وأبَتْ لِضَيْفَيْها الحَبائِلَ بَعْدَمَا
وَرَدَا حَبائِلَ عُرْيِها الجَذَّابِ ؟

* * *

مَرْحَى لِبائِعَةِ السُرورِ ولا انْطَوَتْ
ذِكْراكِ مِنْ نَشْوى الدَّلالِ كَعَابِ
أَزْرَى بِعِفَتِكِ الجَمالُ وَخَلْفَهُ
سُكرانِ سُكْرُ هَوىً وسُكْرُ شَبابِ
مرحى وإنْ عَصَرَ الشَقاءُ سُلافَةً
مِنْ وجْنَتيكِ أثيمَةَ الأكْوابِ
مَرْحى وفي عَيْنَيْكِ مِنْ صُوَرِ الهوى
ما لا يُعَدُّ ومِنْ رُؤَى الأحْبابِ
مِحْرابُ حُسْنِكِ قَدْ وَقَفْتُ بِبابِهِ
وَسَجَدْتُ أَعْبُدُ دُمْيَةَ المِحْرَابِ
وَلَمَحْتُ فيهِ جَلالَ حُسْنِكِ راقِداً
فَوْقَ الشِفاهِ اللُّعْسِ والأهْدابِ
وَسَكِرْتُ مِنْ أحْلامِهِ بِسُلافَةٍ
عَجَبٍ وَمِنْ آهاتِهِ بِمَلابِ
جُبْتُ الظَلامَ فَلَمْ أدَعْ مِنْ دُجْنَةٍ
إلاَّ غَدائِرِ شَعْرِكِ المُنْجَابِ

وَلَقَدْ تَبَيَّنْتُ الهَوى لَمْ يُخْفِهِ
في مَخْدَعِ الشَهَواتِ أَلْفُ نِقابِ
فِي ذِمَّةِ الذِكْرى بَقَايَا لَيْلَةٍ
عُرْيانَةٍ مَجْنُونَةِ الآرابِ

* * *

وَيُرِيغُهُ عَنِّي النعيمُ فأَنْثَني
لأَراهُ في العَبَراتِ والأَوْصابِ
وَسَخِرْتُ بالأَوْهامِ عَصْرَ شَبيبَتِي
وَحَسِبْتُ فَيْضَ المَاءِ لَمْعَ سَرابِ
فَاليَوْمَ تَخْشَعُ للخُرافَةِ حِكْمَتي
وَيَطُوفُ حَوْلَ قِبابِها إعْجابِي
وأَرى به طَيْفَ الحَقيقةِ كامِناً
خَلْفَ الحِجابِ ولاتَ حِينَ حِجَابِ
قَتَلَتْ هَوايَ وحِكْمَتِي وتَجارِبي
فأَنا الشَهِيدُ وهَذِهِ أَسْلابِي
حَسْناءُ تَلْتَفِعُ البُرودَ قَدِيمَةً
يا لَيْتَها رَضِيَتْ جَدِيدَ إهَابِي
فاخْشَعْ لِحالِيَةِ الشَبابِ وَرُبَّما
شَهِدَتْ وكانَ الدَهْرُ في الغُيَّابِ
تَفْنَى لِتَقْتَبِلَ الحَيَاةَ نَضِيرَةً
سَمْحَاءَ بَعْدَ تَنازُعٍ وَغِلاَبِ

عُبِدَتْ وسُبَّتْ فَهْيَ مُنْذُ تَبَرَّجَتْ
للكَوْنِ بَيْنَ عِبادَةٍ وسِبابِ
مَثَلُ الحَقِيقَةِ كالجَمالِ ورُبَّما
مَتَّتْ إِلَيْهِ بأَقْرَبِ الأَسْبابِ
لِلْمَشْرِق الضاحِي الأَغَر قِلادَةٌ
مِنْهُ وللشَفَقِ المَريضِ الخابِي
الصُبْحُ مرْموقُ الضِياءِ مُنَوَّرٌ
واللَيْلُ ريَّانُ المَلاحَةِ سابِي
سُبْحانَ مَنْ نَثَرَ الحَقِيقَةَ حَفْنَةً
قُدْسِيَّةً مِنْ حِكْمَةٍ وصَوَابِ
تُذْرِي الرِياحُ مَدامِعَ رَحْمَةٍ
بَيْنَ العَقائِدِ أَوْ سِياطَ عَذابِ
فالمْحْ نَثِيرَ ضِيائِها فِيما تَرى
مِنْ دَعْوَةٍ وخُرافَةٍ وَكِتابِ
لَوْلا التُقَى لَرَأَيْتُ بَعْض جَلالِها
وَجَمالِها بِرِسالَةِ (الكَذَّابِ)[1]

* * *

يا سيدَ الصرْحِ المُمَرَّدِ دُونَهُ
حُجُبُ المَنونِ وَقَسْوَةُ الحُجَّابِ

(١) مسيلمة الكذاب: رجل ادعى النبوة

رَفَعَتْهُ مِنْ جِنٍّ السَمَاءِ عِصابَةُ
فَبَدا أشَمَّ عَلى أشَم عُقَابِ

العَدْلُ والتَوحِيدُ فِي ذُرُواتِهِ
وَعِبَادَةُ الأَزْلَامِ والأَنْصابِ

بَيْتُ الحَقِيقَةِ طَافَ فِي أرْكانِهِ
ذُلُّ العَبيدِ وَعِزَّةُ الأَرْبَابِ

وَعَلَتْ مَعَ الأوْرادِ فِي غَلَسِ الدُجَى
أُغْنِيَّةٌ لِلْحُب مِنْ زِرْيَابِ

وَتَعَانَقَ البُغَضَاءُ حَوْلَ قِبَابِهِ
يَتَألَّفُونَ شَوارِدَ الأَحْسابِ

وَحَنَا اليَقِينُ عَلى الجُحودِ وما حَنَا
إلاَّ عَلى الخُلَصاءِ والأَتْرابِ

تَتَخَايَلُ الأَسْرَارُ فِيهِ وَتَخْتَفِي
مَعَهَا طُيوفُ السِحْرِ والإغْرابِ

وَتَرَى عَلى الشُرُفَاتِ أشْباحَ الرُؤَى
تُصْغِي وَيُنْشِدُهَا إلهُ الغَابِ

وَتُحِسُّ بالنَغَمَاتِ تَعْتَنِقُ الدُجَى
وَتُثِيرُ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ إطْرابِ

نَغَمُ الخَفَاءِ تَجَاوَبَتْ أصْدَاؤهُ
فِي مُوحِشٍ غَمْرِ الرِمَالِ يَبَابِ

وَإِلَهــةُ الــوادِي تَثُــورُ بِعُرْيِـــهَـــا
وَثْبــاً لِلُجَّـــةِ نَهْــرِهِ المُنْســـــابِ
فَيَضُــمُّـــــهَـــا عُــرْيَــانَـــةً مَقْــــــرورَةً
نَشْــوَى بِعُنْــفِ غَــرامِـهِ الصــخَّـــــابِ
لَــوْ أَنَّ خَــدَّيْهــا إِلَيْــكَ وَثَغْــرَهَــا
لَقَــطَفْــتَ مِــنْ وَرْدٍ وَمِــنْ عُــنَّـــابِ

* * *

أَشْــرِقْ بِــلأْلاءِ اليَقِيــنِ وَسِـــــــرِهِ
فــالأَنْبِـيــاءُ وآلُهُــمْ فِــي البَـــابِ
عِيســـى وَرَحْمَتُـــهُ وأَحْمَـــدُ والـــرُّؤَى
والــوحْــيُ نُــورُ مَفَــاوِزٍ وَشِعَـــابِ
وَرِبِيـــبُ مِصْــرَ تَطُــوفُ حَــوْلَ جَمَــالِـهِ
رِيَــبُ الغَيُــورِ وَخُــدْعَــةُ المُغْتـــابِ
يَــدْعُــو أَفَــانِيـنَ الهَــوى فَتُجِيــبُــهُ
وَدَعَــا هَــواكَ فَلَــمْ يَفُــزْ بِجَـــوابِ
والفَــاتِحُــونَ مِــنَ المُـلـوكِ كَـأَنَّهُـــمْ
عُقْبَــانُ جَــوٍّ أَوْ قَسَــاوِرُ غَـــابِ
أَلــدُرَّةُ البَيْضَـــاءُ دُونَ جَمَــالِهَـــا
سُــودُ المَنُــونِ بِــزَخْــرَةٍ وَعُبَـــابِ
حَمَــلُــوا الــلآلِـى والسُـلافَـــةَ والمُنَـــى
وَغَــرائِــبَ الأَلْــطَــافِ والأَجْــلاَبِ

وَحَمَــلْتُ أَسْــمــالي إِلَيْــكَ وشَــافِعِــــي
لِهَــوى فَتَــاتِـكَ غُـرْبَتِــي وعَــذَابِــــــي
فاسْــخَــرْ بِإِدْلالِــي عَلَيْكَ وَقُــلْ لَهَــــا
مَــا شَــأْنُ هَــذا الأَشْعَــثِ الجَــوَّابِ ؟

حيرة النفس

شَجَاها مِنْ عُهودِكَ مَا شَجاهَا
وَجَنَّ اللَّيْلُ فادَّكرتْ أسَاهَا

هَفَتْ لِشَبَابِها وَصَبتْ إِلَيْهِ
وَرَقَّ لهَا النَصِيحُ فما لحَاهَا

وَهَيْهَاتَ الشَبابُ وَأَيْنَ مِنْهُ
مُنَى للنَفْسِ تَعْثُرُ في وَجَاهَا

كَبا وَركائِبُ الأعوامِ فِيهِ
مِنَ العِشْرِينَ لم تَنْقُلْ خُطَاهَا

أيَخْذُلُني الشَبابُ ضَنىً وسُقْماً
أفولَ الشَمْسِ تَغْرُبُ في ضُحَاهَا

وما عُذْرُ الشَبابِ كَبُرْتُ فِيهِ
وَلي نَفْسٌ فَتِيَّاتٌ مُناهَا

سَقَاها مِنْ سُلافَتِهِ كُؤوساً
وَحَنَّتْ للمَزِيدِ فَما سَقاهَا

يُراخِي بالعِنانِ لَهَا رويْداً
فَإِنْ وَثَبَتْ لِغَايَتِها ثَنَاهَا

وَتَدْعُوها الفُتونُ وَهُنَّ سِحْرٌ
فَتُطْرِقُ لا تُلَبِّي مَنْ دَعاهَا

تُـريدُ ولا يُرِيدُ وكـلُّ نَفْـسٍ
يجُارِيـهـا الشَـبـابُ عَلـى هَواهَـا
يُرِيـهـا للمُنَـى صُوَراً مِـلاحـاً
فَمـا هَمَّتْ بهِـا إلاَّ أباهَـا

فَيا ظِـلَّ الشَـبـابِ أكُـلُّ وانٍ
تُـفِـيءُ عَلَيْـهِ فـي الـدُنْـيا سِواهَـا
ويا ظِـلَّ الشَـبـابِ أتَتْـكَ غَـرْثَـى
فـكانَ أذَى القَـطِـيعَـةِ مِنْ قِراهَـا

أطَلْـتَ هَوانَهـا فاذْهَـبْ حَبِيبـاً
رَعَتْـهُ على المَغِيـبِ وَمـا رَعاهَـا
وَضُـم إلَيْـكَ عِقْـدَكَ وَهْـو دُرٌّ
لأَزْيَـنُ مِـنْ سِـوارِكَ مِعْصَاهَـا

مُعَـذَّبَـةٌ إذا لَمَحَـتْ جَمـالاً
هَفَـتْ وَجْـداً وعـاوَدهـا ضَنـاهَـا
وَتَنْشُـدُ حُبَّـهـا الأَسْـمـى وَتـأْوي
إذا عَيِـي السُـهـادُ إلـى كَراهَـا

فَتَلْمَـحُ فـي الـرُؤى حُسْـنـاً طَريفـاً
وَجَـلَّ الحُسْـنُ تَخْلُقُـهُ رُؤاهـا
تَبَنَّتْـهُ فَجَـاءَ يَهُـزُّ عِطْفـاً
بِبُـرْدَتِهـا وَيَخْـطُـرُ فـي حُلاهَـا

وَكَـدْتُ وسِـحْـرُهُ سِحْـرٌ خَفِـيٌّ
أرَى فِيـهِ المُـحَـبب مِـنْ صِباهَـا

* * *

هَـداهَـا اللَـهُ مِنْ حَـيرَى أَضـاعَـتْ
لُبـانَتَهـا وبـارَكَ مَـنْ هَداهَـا
تُسـائِـل عَـنْ أخِيهـا مَنْ تُلاقِـي
وكلُّ أُخَيَّـةٍ وَجَـدتْ أخَـاهَـا
وَأَحْسـبُ أنَّـهُ أَغْفَـى كَـلالاً
وَمَـرَّتْ فـي الظَـلامِ فَمـا رَآهَـا
أأُخْـتَ الـدَّوْحِ حسْـبُـكِ لا تُغَنِّـي
فَـأُخْـتُ السِـرْبِ قَدْ فَقَـدَتْ طَـلاهَـا

* * *

ويا نَفْسِـي عَبَـدْتُـكِ عَـنْ يقِيـنٍ
وَحَسْبِـي قَـدْ عَبَـدْتُ بِكِ الإِلَهَـا
أُحِـبُّ الحُسْـنَ فـي الحَـدَقِ الـرواني
وفِـي ثَغْـرِ الفَتَـاةِ وفِـي لَمَاهَـا
وَفِـي عِطْـفٍ يُثِيـرُ هَـوىً مُلِحَّـاً
إذا رَفَّـتْ عَلَـيْهِ ذُوءِابَتَـاهـا
وَفِـي نَهْـدَيْ مُنَعَّمَـةٍ لَعُـوبٍ
وَفِـي مـاءِ الخُـدودِ وفِـي لَظَـاهـا

وَفي ضَحِكِ الطُفولَةِ وَهْوَ سِحْرٌ
وفي مَرحِ الصِغارِ وفي دُماها
أُعانِقُ قامَةً فيهِ وغُصْنَاً
وَأَلْثِمُ فيه سالِفَةً وفَاهَا
بَرِئتُ الى الحَقيقَةِ مِنْ غُواةٍ
تَفِرُّ مِنَ الصباحِ الى دُجَاهَا
تُرِيدُ رِضاكَ تَقْييداً وَأَسْراً
وأَيْنَ رِضَاكَ رَبِّي مِنْ رِضَاها
وَأَنْكَر قُدْرَةَ الخَلاَّقِ رُوحٌ
رَأى صُوَرَ الجَمالِ وما اشْتَهاهَا
لِمَنْ جُلِيَتْ بِزينَتِها عَروساً
وَفِيم أَحَبَّها وَلِمَنْ براهَا

* * *

عَبَدْتُكَ في الجَمالِ ولا أُبالي
ضَلالُ النَفْسِ ذَلِكَ أَمْ هُداهَا
فَفِي نَفْسِي جَحيمُكَ مَنْ سَيَصْلَى
بِها لِشَقائِهِ ومَنِ اصْطَلاهَا
وفي نَفْسِي السَماءُ وَفَرْقَداهَا
وَمَنْ سَمَكَ السَمَاءَ وَمَنْ رَقَاهَا
وَهَلْ مِنْ أَنَّةٍ خَفِيَتْ وَدَقَّتْ
أَسىً إِلاَّ وفي نَفْسِي صَداهَا

فَيـا لَـكَ مِـنْ عَمَـىً وَسـلِـمْتِ عَيْنَـاً
لَـوِ اخْتـارَتْ لَمّـا تَـرَكَـتْ عَماهَـا

ويا لَـكِ حَيْـرَةً عَرَضَـتْ لِموسـى
فَضَـلَّ سبيـلَ غَايَتِهـا وتَاهَـا

أرادَ جَلاءَهـا نَفَـرٌ كَرِيـمٌ
فَجَلَّلَهـا الغُـمـوضُ ومـا جَـلاهَـا

فَتَحْـتُ سرِيرَتِـي صَفَحَـاتِ نُـورٍ
وَقَـدْ خَبَـر الصـحِيفَـةَ مَـنْ تَـلاهَـا

وَزَحْـزَحْـتُ الحِجَـابَ عَـنِ الخَفَـايـا
وَقُلْنَـا شَقْـوَةٌ بَلَـغَـتْ مَـداهَـا

وانجلــت نفسي في النور

أَين أَمْـــسي ؟ فَرَّ لا يُلـوي بِهِ
مُجْتَلى بَـدْرٍ ولا لألاءُ شَمْسِ
حـــازَهُ الــدَهْـرُ ومـرَّتْ فَوْقَهُ
لُجَجُ أَخْـــطَـــأهـــا عَــدِّي وَحَــدْسي

* * *

يَـــالِأَمْســـي وَهْـــو يَجْتــازُ المَـدى
بـــينْ أشـــبـاحٍ مِنَ الأَيَّامِ خُرْسِ
مَـــرَّ في الآبـــادِ فاسْتَوقَفَهُ
مِـــنْ لُيَيْـــلاَتِ شَبَـــابي أَلْـفُ أَمْسِ
عَرَفَـــتْ فيـهِ أخـاهـــا آيِباً
مِـــنْ رُبـــوعٍ عافِياتِ الـــذِكْرِ دُرْسِ
وانْتَحَـــتْ فِـيهِ مكانـــاً مُوحِشاً
هُوَ مَعْ وَحْشَتِهِ ذُرْوَةُ رَمْسِ

* * *

قَالَ أَمْسُ هاتِ عَنْ صاحِبِنا
وابْعَـــثِ الـــذِكْرى فَطُـــولُ العَهْـــدِ يُنْسِي
قَـــدْ تَـمَلَّيْـــتُ بِـــهِ غَض الصبـــى
زيْـــــر حَسْـــنـــاءَ وورقـــاءَ وكَـــأْسِ

كَمَنَتْ للغيدِ في أشْعارِهِ
زِينةُ الشَيْطانِ مِنْ غَيٍ وَرِجْسِ

خَالِعاً بُرْدَيْ عَفافٍ وَتُقىً
سادِراً يُصْبِحُ في الغَي ويُمْسي

يُقْطَفُ الحسنُ على أوراقِهِ
مِنْ شِفاهٍ عَذْبةِ المَلْمَسِ لُعْسِ

* * *

قَال أمْسُ وأنا عَهْدي بِهِ
نِضْو أوْرادٍ وتَسْبيحٍ وَدَرْسِ

يَعْبُدُ اللهَ فَفي مِحرابِهِ
كَعْبَةُ زَهْراءُ مِنْ نُورٍ وَقُدْسِ

رَضِيَ الصُوفَ فما يَعْرِفُهُ
ناعِمُ الخَزِّ ولا غالي الدِمَقْسِ

* * *

ضحِكَ الأمْسُ فَرَنَّتْ في الدُجى
ضِحْكةُ الثاكِلِ في لَيْلَةِ عُرْسِ

وانْثَنى يَخْطُبُ فِيهِمْ خُطْبَةً
أبْلَغَ المَنْطِقِ في أعْذَبِ جَرْسِ

أيْنَ ما تَرونَ عَنْ صاحِبِنا
عَرِيَ الحَقُّ فلا عُذْرَ لِلُبْسِ

أتَقِيٌّ وَهو يَنْفِي كُلَّ ما
لمْ يُؤَيَّدْ بيَقِينٍ أوْ بحِس
أخَلِيعٌ والضَنى يُسْلِمُهُ
في رَبيعِ العُمْرِ مِنْ بُرْءٍ لِنُكْسِ
هُو - يَعْفُو اللهُ عَنْ آثامِهِ -
ساخِرٌ صُوَّرَ مِنْ سُقْمٍ وَيَأْسِ

* * *

مَزَّقَ الحَقُّ حِجاباً للدُجَى
وانْجَلَتْ نَفْسِي في النُورِ لِنَفْسِي

الكآبة الخرساء

أتُركينِي بِوحْدَتِي وعَنَائِي
واهْرُبِي مِنْ تَأوُّهِي وَبُكَائِي

أنْتِ عَذْراءُ . والنَعِيمُ وَصفْوُ الحُبِّ
حَقٌّ المَلِيحَةِ العَذْراءِ

ما بِقَلبِي غَيْرُ الجِراحِ وَهَلْ يُرْضِيكِ
مَأْوَى مُدَنَّسٌ بالدِمَاءِ

إنَّ هَذا الوَرَى بيوتُ قَصِيدٍ
أنا فِيها يا مَيُّ بَيْتُ الرِثَاءِ

لسْتُ أهْواكِ فازْدَرِينِي والخَائِنُ
أهْلٌ للهَجْرِ والازْدِراءِ

كِذْبَةٌ تَسْعَدِينَ فِيها وأشْقَى
أنا فِي كِذْبَتِي مِنَ الشُهَدَاءِ

قَدْ يَخُطُّ القَضَاءُ سَطْراً وفِي
تَضْحِيَةِ المَرْءِ مَحْوُ خَطِّ القَضَاءِ

يا دَوائِي مِنَ الأسَى أنا أجْلَلْتُكَ
عَنْ قُرْحَةِ الأذَى يا دَوائِي

باسِمٌ والهُمُومُ تَحْفِزُ دَمْعِي
أنا فِي الابْتِسَامِ عَيْنُ المُرائِي

والكَآبَاتُ ألْفُ نَوْعٍ وما
يَقْتُلُ الكآبَةِ الخَرْسَاءِ

فلسفة الحقيقة

أَهُنَيْهَــةً قَطَـعَ الضُــحَـــى أَمْ جِيـــلا
يَــوْمَ العُفَــاةِ لَقَــدْ خُلِقْــتَ طَــوِيــلا
مــا ضَــرَّ فَجْـرَكَ لَــوْ تَــلأْلأَ وانِيــاً
فَلَعَــــلَّهـــا تَغْفُـــو العُيــونُ قَلِيــلا
عَــاجَلْــتَ أَحْــلامَ الــدُجَى فَطَــوَيْتَهَــا
والــرُوحُ تَــرْشُــفُ ثَغْـرَهـا المَعْـــسولا
مَــا كــانَ أَهْنَــأَهَــا يُـلَـوِّنُ سِحْــــرُهَــا
صُــوَرَ المُنـــى وَيَـــزُفُّهــا[1] تَــذْلِيــلا
وَيُثِــيرُ فيـــهِــنَّ الحَيـــاةَ شَهِـيَّةً
والحُـــبَّ أَرعَـــنَ والشَـــبـابَ مُنِيـــلا
رَاضَ الشِــفــاهَ الشـامِســاتِ علــى الهَــوى
فَضَحِــكْــنَ يَهْمِسْـــنَ الحِــوارَ عَليــلا
وَحَنــا علــى بُـــؤْسِ العُفــاةِ فَمــا رَأَوْا
مِــنْ عَثْــــرَةٍ إلاَّ رَأَوْهُ مُقِيــلا
خَلَـــعَ النَضَـــارَةَ والشَــبــابَ عَلَيْهِـــمُ
والحُـــبَّ والمَتَـــعَ العِــذابَ الأُولـــى
نِعَـمْ وإنْ كانَـتْ تَحُــولُ عَلى الضُحَـى
أَيُّ المَبـاهِــجِ لَــمْ تَكُـنْ لِتَحُــولا

---

(١) يحضنها

تَحْنُو على القَلْبِ الجَرِيحِ فَيَنْثَنِي
رَيَّانَ مِنْ رَحَمَاتِهَا مَطْلُولا

وَتَرُفُّ إنْ حَمِيَ الهَجِيرُ غَمامَةً
وَنَدىً وظِلاً في الهَجِيرِ ظَلِيلا

وَتُحَوِّلُ البِيدَ الظِمَاءَ خَمَائِلاً
سَكْرى وَرَبْعاً ضَاحِكاً مَأْهُولا

فَكَأَنَّهَا فِيما تُزَخْرِفُ مِنْ مُنَىً
آسٍ تحُاوِلُ كَفُّهُ التَجْمِيلا

* * *

إنَّ الذي خَلَقَ الحَقِيقَةَ عَلْقَماً
خَلَقَ المُنى للوارِدِينَ شَمُولا[1]

تَتصارَعانِ ولا تَرى إحْداهُما
ظَفَراً لِتَبْسُطَ حُكْمَهَا وتَطُولاَ

تَدْعُو المُنَى زُمَرَ القُلُوبِ وأُخْتُها
تَدْعو بَصائِرَ في الوَغَى وَعُقُولاَ

والكَوْنُ بين الضُرَّتَيْنِ مُقَسَّمٌ
فَاشْهَدْ قَبِيلاً يَسْتَبِيحُ قَبِيلاَ

واعْذُرْ عَلى البَغْيِ القُلوبَ فَطالما
قُيِّدَتْ وذُلِّلَ صَعْبُها تَذْلِيلا

---

(١) الشمول الخمرة

أمَّا الدُجى والفَجْرُ مِنْ أعْدائِهِ
فَلَقَدْ بَصُرْتُ بهِ يَخُرُّ جَدِيلاَ

* * *

قُلْ لِلْحقيقةِ إنْ قَسوْتِ فَرُبَّما
فَكَّ الزمانُ أَسِيرَكِ المَكْبُولاَ
إنْ تَمْلِكي الدُنْيا وَسِر كُنوزِها
لَمْ تَمْلِكي الأَحْلامَ والتَأمِيلاَ
أُفُقُ المُنى أحْنى وأَرْحَبُ عَالَماً
وأَحَنُّ أفْياءً وأَزْيَنُ سُولاَ
صُوني الكُنوزَ عَنِ العُفاةِ فلا تَرى
عَيْنٌ الى تِلْكَ الكُنوزِ سَبِيلاَ
وَتَخَيَّريها للقَوِي سُلافَةً
وَغِنىً وَطَرْفاً نَاعِساً مَكْحُولاَ
و إذا شَكا العافِي فَسَوْطَكِ واسْمعِي
نَغَم الأُلُوهَةِ زَفْرَةً وعَوِيلاَ
وَتَنَكَّرِي للنائِمينَ عَلى الطَّوى
اللهُ قَدْ خَلَقَ المُنى لِتُدِيلاَ
ما كَان جُودُكِ للسَعَادةِ ضامِناً
صِدْقا وبُخْلُكِ بالشَقاءِ كَفِيلا

* * *

هَـذي الحَيـاةُ عَنَـتْ لِبـأْسِـكِ رَهْبَـةً
فتَسـمَّعِـي لجَبـاً بهـا وصَهِيـلا
وَزمـاجِـراً قامَـتْ علـى غَمائِهـا
مِـنْ حُكْمِـكِ العَاتـي القَـوِي دَلِيـلا
مَلَـكَـتْ يَـداكِ هَواءَهـا وبِحَارَهـا
والـكَـوْنَ أجْمَـعَ عَرْضَـهُ والطُـولاَ
ألْعِلْـمُ يَحْـكُـمُ وَحْـدَهُ مُتَعَسِّفَـاً
لا قَلْـبَ فـي سُلْطـانِـهِ وَمُيُـولاَ
والعِلْـمُ إنْ مَلَـكَ القُـلـوبَ فَسـمـهِ
وَحْشِيَّـةً وادْعُ الحَضـارَةَ غِيـلاَ
والعِلْـمُ إنْ مَلَـكَ القُلـوبَ فَسَمِّهـا
صَـخْـراً تَنُـوءُ بِعِبْئِـهِ مَحْمُـولا
لا نَبْـض ما خَفَقَـتْ بِـهِ لَكِنَّـهُ
صَـوْتُ الحَـدِيـدِ غَدا يِصِـلُ صَلِيـلا
أَمَّـا الأكُـفُ فَخَـيْرُهـا ذُو جِنَّـةٍ
حَـطَـم الـربـابَ وعـالَـجَ الإزْمِيـلاَ
أَلْعِلْـمُ سخَّـرَهَـا وَحَسْـبُ العِلْـمِ أَنْ
تَـزِنَ الامـورَ جَمِيعَهـا وَتَكِيـلاَ
عَفَّـى عَلى حَـرَمِ الخَيـالِ وقُدْسِـهِ
أَوَ مَا تـرى حَـرَمَ الخَيـالِ أُزِيـلاَ

وَلَقَـدْ وَقَفْـتُ بِـهِ أُنـاشِـدُ غَائِبـاً
قَفَـلَ الخَلِيـطُ وَمـا أَطـاقَ قُفُـولاَ
وَبَـكَيْتُ - أجْـزِيهِ - وَرُبَّ مَدامِـعٍ
خَفَّفْـنَ كَرْبـاً أوْ شَفَـيْنَ غَلِيـلاَ

* * *

عَهْـدِي بِهِ والشِعْـرُ فـي أَدْواجِـهِ
نَـدَّى القُلـوبَ أغـانِيـاً وَهَدِيـلاَ
خَضِـلَ العُـطـورِ تَرِفُّ أَنْـداءُ المُنَـى
فِيـه السـرائِـر بُكْـرَةً وأَصِيـلاَ
وَجَـلا لَكَ الـدُنْيَـا عَلـى مَا تَشْتَهِـي
مِنْهَـا يُمَلِّـقُ حِسَّـكَ المَخْتُـولاَ
وَأَعـادَ مَطْـوِيَّ العُـصـورِ وآدَمـاً
يَحْنـو بِأَدْمُعِـهِ علـى هَابِيـلاَ
مُنِـح الخُلـودَ وَلا مُيـولَ ولاَ هَـوى
فَـأَبَـى وآثَـر غُرْبَـةً وَرَحِيـلاَ
غَـزِلٌ يُفَـارِقُ مَـنْ أَحَـبَّ وَسَـرَّهُ
أنْ فَـارَقَ التَـكْبِيـر والتَهْلِيـلاَ
تَتَغَيَّـرُ الأَلْـوانُ تَغْمُـرُ نَفْسَـهُ
بـالحُسْـنِ لاَ نَزْراً ولا مَمْلُـولاَ
وَتَبَـدُّلُ الأَلْـوانِ نِعْمَـةُ خَالِـدٍ
لَـمْ يَـدْرِ في فِرْدَوْسِـهِ التَبْدِيـلاَ

***

وَتَـرى بِأَفْيـاءِ النَخيـلِ بُثَيْنَـة
تَحْنـو لِتَحْتَضِـنَ النُهـودُ جَمِيـلاَ
فَانْعَـمْ بِرُؤْيَـةِ عَـاشِـقَيْـنِ تَلاقَيـا
سِـحَـراً وَقَـدْ هَـوَتِ النُجُـومُ أُفُـولا
واعْـذُرْ جَمِيـلاً حِيـنَ جُـنَّ جُنونُـهُ
فَسـطَـا ولا غَـزَلاً وَلاَ تَأْهِيـلاَ
نَشْـوانَ يَهْصِرُهَـا إِلَيْـهِ وَلاَ يـرى
إِثْمـاً وَيُلْهِـبُ عُـرْيُهـا تَقْبِيـلاَ
يَتَـرَشَّـفُ الثَغْـرَ الشَـهِـيَ سُلاَفَـةً
وَيَرُفُّـهُ كالأُقْحُـوانِ بَليـلاَ

* * *

وَدُمَـىً وَرَدْنَ عَلـى الغَـديرِ وما اتَّقَـتْ
حَسْـنَـاؤُهُـنَّ الشَـاعِـرَ الضِـلِّيلا[1]
حَتَّـى إِذا أَخْفَـى البُـرودَ وَسَـامَهَـا
أَمْـراً رَأَتْـهُ مِـنَ الحَيَـاءِ جَلِيـلاَ
عَطَفَـتْ تُنَـاشِـدُهُ العَفَـافَ وأَتْلَعَـتْ
جِيـداً كَلأْلاَءِ الصَّبـاحِ أَسيـلاَ
فَأَبـى وتُسْـرِعُ نَحْـوَهُ عُرْيَـانَـةً
خَجْلَـى لَقَـدْ حُـبَّ الجَمَـالُ خَجُـولاَ
* * *

(١) امرؤ القيس

وَتُطَالِعُ المَجْنُونَ فِي أَسْمَالِهِ
شِلْواً بِأَنْيَابِ السِّقَامِ أَكِيلاَ
خَذَلَتْهُ نَعْمَاءُ العُيُونِ وَسَخَّرتْ
لِلْعَبْقَرِيَّةِ ذَلِكَ المَخْذُولاَ
فَهَوى صَرِيعاً بالرِّمَالِ مُكَفَّناً
بِمَدامِعِ الصُّبْحِ البَلِيلِ غَسِيلا

* * *

وَفَتَى[1] قُرَيْشٍ وَهْوَ يَقْتُلُ طَرْفُهُ
لِيَرَى الثُّرَيَّا والِهاً مَخْبُولاَ
عَبَثَتْ لِتَشْهَدَ مِنْهُ أَيَّةَ لَوْعَةٍ
تُجْزَى وأَيَّ هَوَىً مُلِحٌّ تُولَى

* * *

وَسُكَيْنَةٌ والشِعْرُ ضَيْفُ نَدِيِّهَا
والحُسْنُ يَبْعَثُ شَجْوَهُ فَيَقُولاَ
نَشْوَى الدَّلالِ تَعُبُّ مِنْ خَمْرِ الهَوى
سُكْراً وَيَمْنَعُهَا الحَيَاءُ تَمِيلاَ
مِلءُ العُيُونِ مَفَاتِناً لَكِنَّهَا
مِلءُ القُلُوبِ عُلاً أَعَزَّ أَثِيلاَ
وَقَفَ العَفَافُ يَذُودُ عَنْ ذَاكَ اللَّمَى
إلاَّ المُنَى شَرِسَ الذِيَادِ بَخِيلاَ

---

(١) عمر بن ابي ربيعة

وَتُــذِيعُ جُمَّتُهــا عَبِيــراً رُبَّمَــا
أَخَــذَ الشَذَى القُــدْسِي عَــنْ جِبْرِيــلاَ

* * *

وَأبــا نُــواسٍ فِــي مجــالِــسِ لَهْــوِهِ
قَســم اللّيَــالِي سَكْــرَةً وَذُهُــولاَ
حُلْــو الــدُعـابِ هَفَــا وَعَلَّــلَ ذَنْبَــهُ
لــلآثِميــنَ فَأَحْســنَ التَعْلِيــلاَ
حَسِــبَ الحَيَــاةَ سُــلافَــةً وَمُهَفْهَفَــاً
والبَــاقِيــاتِ مِــنَ الحَيَــاةِ فُضُــولاَ
لَــمْ يَهْــوَ عِــزَّ الحُسْــنِ فِــي خَفِــراتِهِ
وَأَحَبَّــهُ عِنــــدَ القِيــانِ ذَلِيــلاَ
مِــنْ كُــلِّ نَــافِــرَةٍ فإِنْ جَمَّشْتَهَــــا[1]
أَلْفَيْــتَ عِقْــدَ نِطَاقِهَــا مَحْلُــولاَ
تَأَبَــى فَيَصرِفُــهُ المَلالُ وَلَــوْ حَنَــتْ
تَبْغِــي لُبَــانَتَــهُ لَكــانَ مَلُــولاَ

* * *

وَتَــرَى ابْــنَ بُــرْدٍ وَهــوَ فِــي نَزَوَاتِــهِ
ليثــاً تحــامــاهُ الــورى معــــزولا

(١) قرصتها ولاعبتها

هَتَكَ الفَضائِحَ بَعْدَ صَوْنٍ وانْتَضى
لِلْمالِكينَ بَيانَهُ المَصْقُولاَ
فَرمَوْهُ بالإِشْراكِ ثُم تَلَمَّسُوا
مِنْ حاسِدِيهِ شاهِداً مَقْبُولاَ
حَتَّى إِذَا عَزَّ الشُهودُ تَمَحَّلُوا
فَرَأَوْا شُهوداً في القَرِيضِ عُدُولاَ
زَعَمْتَهُ أَهْواءُ السِياسَةِ كافِراً
تاللهِ ما بالكُفْرِ راح قَتِيلاَ

* * *

مُتَجاوِرِينَ تَرى بِكُلِّ خَمِيلَةٍ
عِنْدَ الغَدِيرِ خَلِيلَةً وَخَلِيلاَ
مُتَنادِمِينَ على السُلافَةِ أَنْشَدُوا
غُرَرَ النَسِيبِ وَرتَّلُوا التَنْزِيلاَ

* * *

سَقْياً لِنَعْماءِ الخَيالِ ولا رَأَتْ
عَيْناي رَبْعاً مِنْ هَواهُ مُحِيلاَ
أَثِمَتْ بِزِينَتِهِ الحَضارَةُ واقْتَضَتْ
شَرَّ التقاضِي دَيْنَها المَمْطُولاَ
شَوْهاءُ تَحْلُمُ بالجَمالِ ولا تَرى
إِلاَّ الأَسى والثُكْلَ والتَرْمِيلاَ
وَيَعُدُّ مَنْطِقُها الضَجِيجَ تناسُقاً
والحُبَّ عِلْماً قَدْ أُعِدَّ فُصُولاَ

فاذا أَرَدْتَ الحُبَّ فابْغِ أُمورَهُ
عِنْدَ الكِتابِ وحاذِرِ التَأْوِيلاَ
وَتَعَلَّمِ الحُرُقاتِ مِنْ صَفَحَاتِهِ
والدَمْعَ كَيْفَ تَرُوضُهُ فَيَسِيلاَ
وَاْحذَقْ مُعاتَبَةَ النُجومِ وَلَوْمَها
مُتَوجِّعاً وَتَعَمَّدِ التَطْوِيلاَ
فَمِنَ الكِياسةِ فِي كِتابِكَ أَنْ تَرَى
بَيْنَ النُجومِ على هَواكَ عَذُولاَ

* * *

حَرَمَ الخَيالِ فِدى رُؤاكَ حَضَارَةٌ
قَدْ مَثَّلَتْكَ لِتُخْطِىءَ التَمْثِيلاَ
هَيْهاتِ حُسْنُكَ مِنْ جَمالٍ خادِعٍ
غَش العيونَ واحْكَمِ التَضْلِيلاَ
إِنِّي لأَلْمَحُ في الغُيوبِ رِسالَةً
وأَرَى وَراءَ الغَيْبِ مِنْكَ رسولا
وَكِتابَ حَقٍّ لا يُبَالي بالهَوى
إنْ خَالَفَ المَعْقُولَ والمَنْقُولاَ
إِنْجِيلَ عِيسى في الحَنانِ وإِنْ يَكُنْ
في غَيرِ ذَاكَ يخَالِفُ الإِنْجِيلاَ
وَبيانَ أَحْمَدَ قُوةً وعُذُوبَةً
وَنُهىً ورأياً في الحَياةِ جميلاَ

عَفًّــى علــى مَدَنِــيَّةٍ صَخَّابَــةٍ
يَــذَرُ الخَلِــي ضَجيجُهــا مَشْغُــولا
جَبَّــارةٍ لاَ عَطْفَ فــي أَقْدارِهَــا
عَجْلَــى ومــا خُلِــقَ الــزَمَــانُ عَجُولاَ
يُمْنَــى تُعِــدُّ لَــكَ المَتــاعَ وأُخْتُهــا
تَلِــدُ الشَــقَــاءَ وَتَخْلُــقُ التَنْكِيــلاَ
تَبْنِــي وَتَهْــدِمُ كالحَيــاةِ وَرُبَّمَــا
غَــزَلَــتْ لتَنْــكِــث خَيْطَهــا المَغْــزُولاَ
لا عَطْــفَ يَــخْفُــقُ في الصُــدور ولا هــوىً
كَذَبَتْــكَ عَيْنُــكَ بــلْ رأيْــتَ طُلُــولا
والعِلْــمُ وَيْــلَ العِلْــمِ يَــوْمَ حِسابِهِ
إنْ كَــانَ عَــنْ نَزَواتِهــا مَسْــؤُولا

* * *

هَــذا كِتَــابُ الغَيْــبِ فيهِ رَحْمَــةٌ
تَسَــعُ البــرِيَّــةَ مُتْــرَفــاً ومُعِيــلا
غَسَــلَ الــوُجــودَ مِــنَ الضَغــائِــنِ والهَــوى
لِتَحِــلَّ رُوحُ اللــهِ فيه حُلُــولا
وَتــأَلَّــفَ الانســابَ يَغْمُــرُ عَطْفُــهُ
مِنْهــا فُروعــاً سَمْحَــةً وأُصُــولا

ساوَتْ بَساطَتُهُ الشعوبَ فما تَرى
فيها هَجيناً أوْ تَعُدُّ أصيلا
وَحَنَتْ على النَفس الأَثيم فابْصَرَتْ
إثْم النُفوسِ على النفوس دَخيلا
وَلَدَتْهُ أَخْيِلَةُ الشَرائِعِ فِكْرَةً
فَنَمَا بِأَحْضانِ الحَضَارَةِ غُولا
خَلَقتْ لهُ الاسماءَ وهو كِنَايةٌ
وتَخَيَّلَتْ أَلْوانَهُ تَخْييلا
وَرَمَتْ بِهِ الإِنْسانَ في نَعْمائِهِ
فَتَصيَّدَتْهُ مُكَبَّلاً مَغْلُولا
لَمْ تَرْض تَعْذِيبَ الحَياةِ فَسخَّرَتْ
بَعْدَ الرَدى لِعِقابِهِ المَجْهُولا
فكأَنَّما تلكَ الشرائِعُ تَقْتَضِي
عند النفوس ضَغائِناً وذُحُولا

الدميــة المُحطَّـمَة

أيَـا دُمْيـةً أنْشَـأتُهـا وَعَبَدْتُهـا
كما عَبَـدَ الغَـاوُونَ مَنْحُـوتَ أحْجـارِ
سَكَبْـتُ بهِـا رُوحـي وأهْـواءَ صَبْوَتـي
وألْـوانَ أحْـلامـي وبِـدْعَـةَ أطْـوارِي
جَمَعْـتُ بهِـا الـدُنْيـا فكانَـتْ سُـلافَتِي
وكأسِـي ونُـدْمـانـي وأهْلـي وسُمَّـارِي
وَنـامَـتْ علـى الحُلْـمِ المُريـحِ بمُقْلَتِـي
وَهَدْهَـدَهـا عِطْـري وحُبّـي وإيثـارِي

* * *

وَيا دُمْيـةً أنْشـأتُهـا ثُـمَّ حَطَّمَـتْ
يَـدايَ الـذي أنْشَـأتُ تَحْـطِيـم جَبَّـارِ
جَمَـالُكِ مِنْ سِـحْـري وعِـطْـرُكِ مِنْ دَمِـي
وفِتْنَتُـكِ الـكبـرى خَيالـي وأشْـعَارِي
وثَغْـرُكِ مِنْ حَانـي فَيَا لِـمُنَمْنَـمٍ
نَـدِيٍّ بأنْفـاسِ الـرياحيـنِ مِعْطـارِ
ألَـم بِهِ إثْمـي فَنَـدَّاهُ بالمُنـى
وَمَـر بِهِ وَهْنـاً فَطَيَّبَـهُ عَـارِي
خَلَقْتُـكِ مِـنْ أهْـواءِ نَفسِـي وَنَوَّعَـتْ
بِـكِ الحُسْـنَ اهْوائـي وحُبّـي وأوْطـارِي

فَمــا يُشْــتَهــى خَــدَّاكِ الا لأَنَّنــي
تَــرَكْــتُ على خَــدَّيْــكِ إِثْمــي وأَوْزَارِي
ومــا أَسْــكَرَتْ عَيْنــاكِ الا لأَنَّنِــي
ســكَبْــتُ بِجَفْنَيْــكِ الغَــوِيَّيْــنِ أَسْــراري

* * *

أَيُنْكِــرُنــي حُــسْــنٌ خَلَقْــتُ فُتونَـــهُ
فَيَخْنُــقُنــي عِطْــري وَتَحْــرِقُنــي نـــاري
وتُنْكِــرُنــي يا غَضْــبَةَ الشِــعْــرِ والهَــوى
ويا غَضْبَــةَ الــدُنْيــا ويا غَضْــبــةَ البَــارِي

* * *

رَدَدْتُــكِ للــطــينِ الــوَضيــعِ ومــا حَنا
على رَوْضِــكِ الهــانــي هُبــوبــي وإِعْصاري
وفــارَقْــتُ اذ فارَقْتُــكِ الــطــينَ وَحْــدَهُ
وعــادَتْ الى نَفْســي عُطــوري وأَنْــواري

* * *

الكعبة السمراء

نــائِيَـــةَ القُــطــوفِ كُـــلُّ نَجْمَـــــةٍ
مِــــنْ شَفَتِـــي دَانِيَـــةُ القُطـــوفِ

ويــا رَبِيــعــاً مِـنْ فُتــونٍ وَهَــوىً
طَـافَ الــرَبِيــعُ بالهَــوى فطــوفــي

زَارَتْ طُيــــوفٌ مِنْــكِ ثُــمَّ لَـمْ تَعُــدْ
إِلَيْــكِ جَفْنِـــي شَـــرَكُ الطُيـــوفِ

وَيــا خُطــوبَ الـدَهْـــرِ لا تُهَــوِّلـــي
رَوْضَـــكِ الحُـــبُّ فَلَـــنْ تخُيفِـــي

كُـــلُّ لُبانَــاتِـــي طُيـــوفٌ وَرُؤىً
كأَنَّهُــــنَّ شَطَحَـــاتُ صُــوفِـــي

تَحْمِلُـــــنِي غَمــامَـــةٌ مَسْحُــــورَةٌ
كالبَـــرْقِ عَبْـــرِ أُفُـــقٍ مَكْشُـــوفِ

خَمْـــرِيَّـــةُ الحَـــريـــرِ والشَـــذا مَعـــاً
تَعِـــجُّ مِنْ مُنَـــاي بالأُلُـــوفِ

تُلَثِّــــمُ الأَنْجُــم مِـنْ أَحْلامِهَـــا
بــالأُرْجُــوانِ العَبِـــقِ الشَفِيـــفِ

عَلَــى غِنَـاءٍ وَرُؤى وَوَتَـــرٍ
تَــرَنَّحَـــتْ تَرَنُّـــحَ النَـــزِيــــفِ[1]

---

(١) النزيف : السكران

وَلا تَتِيـــهُ فـــي الــدُجــى غَمامَتِـــي
شَــوْقِـــي دَلِيـــلي والضُــحَـــى رَدِيفــــي
أَسْـــأَلُ عَنْـــكِ كَوْكبـــاً فَكَوْكَبــــاً
بِنَـــزَقِ المُعَـــذَّبِ المَلْهُـــــوفِ
أَلْفَـرْقَـــدانِ أَنْـــزلاكِ مِنْهُمَـــــا
عَلى النَـدِيـــمِ وَعَلـــى الوَصِيـــــفِ
كَعْبَتِـــي السـمْـــراءُ قَـدْ لَقِيتُهَـــا
بَيْـــنَ عَويـــلِ الجِـــن والعَزِيـــفِ
فَلَـــنْ تحِـــنَّ بَعْـدَهَـــا لِوَثَـــنٍ
عِبـادَتِـــي الـوَلْهـــى وَلا عُكوفِـــي
أَمُـــرُّ فِيـــهِ وَكأَنِّـــي لَـمْ أَكُـــنْ
أَفْـدِيـــهِ بالتَليـــدِ والطَريـــــفِ
كَعْبَتِـــي السـمْـــراءُ أَنْـتِ قِبْلَتِـــي
عَلـى بَلِيـــلٍ بالنَـــدى وَرِيـــــفِ
حُسْـنُـــكِ لَـمْ يُـؤْلَـــفْ ولا أَلُومُـــهُ
تَـكَبَّـــرَ الحُسْـــنُ عَلى المَأْلُـــوفِ
تَبَـــرَّجَـــتْ لَـــكِ الشُــفُـــوفُ دُهَّـــاً
يـا مَـــنْ رَأى تَبَـــرُّجَ الشُــــفوفِ
والأَيْـــكُ حَـــنَّ وانْحَنَـــتْ وَسَلَّمَـــتْ
غُصُـــونُهُ علـى القُـــدودِ الهِيــــفِ

تَحِيَّةَ القُرْبى وما أَرَقَّها
وَحَنَّةَ الأُلُوفِ لِلأُلُوفِ
طارَتْ إِلَيْكِ كَبِدي مَحْمُولَةً
عَلى جَناحِ الرَجَزِ الخَفِيفِ
أَلْمُرْقِصِ السماءَ في عُرْسِ الهَوى
والحُورُ يَنْقُرْنَ على الدُفُوفِ
الناثِرِ الانْجُمِ في فَرْحَتِهِ
دراهماً نهباً على الضيوف
وضَنَّ بالشَمس فَضم يَده
حِرْصا على دِينارِها المَشُوفِ
النَغَمُ الناعِمُ في اخْتِصارِهِ
أَحْلَى مِنَ المُطَوَّلِ العَنِيفِ
وَرَنْوَةُ الحَيِي أَلْفُ قِصَّةٍ
عَنِ الهَوى وَغَمْزَةُ العَفِيفِ

* * *

نائِيَةَ القُطُوفِ كُلُّ نَجْمَةٍ
مِنْ شَفَتِي دَانِيَةُ القُطُوفِ
الأُقْحُوانُ ثَغْرُكِ المُنَدَّى
وَنَحْنُ بالعِطْرِ وبالرَفِيفِ
دَعِي النَصِيفَ[1] وَأَطِلِّي (جَنَّةً)

---

(١) النصيف الخمار. وهو ما تغطي المرأة به رأسها

هــل تســتَــرُ الجَنَّــةُ بالنصيــفِ

شَــرِبْــتُ أقــداري في مُصَفَّـــى

شَهْــدِكِ حَتَّـــى سَكِـــرَتْ حتوفِـــي

تَسْـــأَلُ كُـــلُّ أيْكَــةٍ جارَتَهـــا

عَـــنْ قَدِّكِ المهَفْهَـــفِ النَحيـــفِ

تَـــم رَشيـــقـاً أمْلَـــداً وَلَقِيَـــتْ

مِنْـــهُ الفُضـــولُ نَظْـــرَةَ العَيُــوفِ

قَـــدُّكِ والضَـــميـــرُ مِـــنْ سَجِيَّـــةٍ

بُـــورِكَ بالـــرَهِيـــفِ والرهِيـــفِ

والنـــاهِـــدانِ وَثْبـــا كَرَصـــدٍ

عَلـــى الـــكُنـــوزِ الحَـــالِـــاتِ يُوفِـــي

تَحـــالَفـــا تَصـــوُّنـــاً وَعِـــزَّةً

وامْتَنَـــعَ الحَلِيـــفُ بالحَلِيـــفِ

مُضَـــمَّخَـــانِ خَمْـــرَةً وَشَهَـــداً

أهكـــذا يُصْـــمَـــدُ للزُحـــوفِ

أذْكـــي بِقَلْـــبـــي إنْ خَبـــا لَهِيبُـــهُ

جَمْـــرِ الغَضَـــا أَوْ دَمْعَـــةَ اللَّهِيـــفِ

هَـــلْ يَسْـــمَـــحُ الضُـــحَـــى بِبَعْـــضِ ظِلِّـــهِ

قَـــدْ طـــالَ فـــي هَجِيـــرِهِ وُقُوفِـــي

أَحْمِـــلُ فـــي مجـــامِـــري بَخُورَهَـــا

هَـــدِيَّـــةَ المُشَـــرَّدِ الضَعِيـــفِ

وَلُبَنـــاً مِــنْ فِضَّــةٍ وَلُبَنـــاً

مِــنْ ذَهَــبٍ لِقَصْــرِكِ المُنِيــفِ

تَعَــطَّــرِي فَهــذِهِ صبابَتِــــي

واكْتَحِلِـــي فَهَـــذِهِ حُروفـــي

* * *

١٩٦٢/١٢/٨

العـذراء الخائنـة

أَحْبَبْتُهَــا سـاخِـرَةً كالـــرُؤَى
مُبْهَمَـةً غَامِضَــةً كالظُنــونْ
مَجْنُــونَــةً والحُسْنُ لَــمْ تَكْتَمِــلْ
فِتْنَتُــهُ إلاً بِبَعْــض الجُنُــونْ
طَرُوبَــةً ضَحَّــاكَــةً كالصبــا
كَئِيبَــةً قَـاتِمَــةً كالمَنُـونْ
اليَــأْسُ فِـي أَجْفَـانِهـا والمُنَــى
والضِحْــكُ فِــي أَلْحَــانِهَـا والأَنِيــنْ
وَخِفَّــةُ الأَيَّــام فِــي ثَغْــرِهَــا
لَــكِــنْ بِعَيْنَيْهَــا وَقَـارُ السِنيــنْ
قَـدْ مَــزَّقَ الفَجْرُ وَلَـمْ تَثْنِــهِ
شَفَــاعَــةُ الحُــب وَنَجْــوى الفُتــونْ
غُلالَــةً شَفَّـــافَــةً عَذْبَــةً
عَلَــى لَمَــاهَــا مِنْ رُؤَى الحَالِمِيــنْ
تُثِيــرُ فِــي قَلْبِــي شُكــوكَ الهَــوى
لاذِعَــةً ثُــمَّ تُرِيــدُ اليَقِيـــنْ
هَيْهَــاتَ قَلْبِــي قَـدْ غَــدَا كافِــراً
وَكانَ فِيهـــا أَوَّلَ المُؤْمِنيــنْ
يـا صُـورَةً أَبْــدَعَ تَكْوِينَهـــا
فِـي مَطْلِــعِ الفَجْــرِ إلَـــهُ الفُنــونْ

وَنَغْمَـةً مِـنْ بَعْـضِ أَلْحَانِهـا
هَمْـسُ اللَّيـالِي وارْتِعَـاشُ الغُصُـونْ
وَنَفْحَـةً لِلَّـهِ عِطْرِيَّـةً
نَـدِيَّـةً حَيَّـا بِهـا البَائِسِيـنْ
وَزَهْـرَةً أَخْشَـى عَلـى حُسْنِهَـا
مِـنْ خَطْـرَةِ الفِـكْـرِ وَنَجْـوَى العُيـونْ
لاَ تَخْـدَعِينِـي إنَّنِـي عَـالِـمٌ
بِمَـا تُبِينِيـنَ ومـا تَكْتُمِيـنْ
أَرَى عَلـى خَـدَّيْـكِ فِيما أَرَى
بِـأَلْـفِ لَـوْنٍ قُبَـلَ العَاشِقِيـن
مِـنْ قُبْـلَـةٍ خَـائِنَـةٍ مُـرَّةٌ
وَقُبْلَـةٍ وادِعَـةٍ فِـي الجَبِيـنْ
وَقُبْلَـةٍ حَمْـراءَ مِثْـل اللَّظَـى
وَقُبْلَـةٍ بَيْضَـاءَ مِثْل اليَقِيـنْ
تَأْبَيْـنَ إلاَّ مَحْـو آيَـاتِهـا
وَهُـنَّ يـا لَيْلايَ لاَ يَمَّحِيـنْ

* * *

لا تُنْـكِـري حُبَّـكِ لِـي إِنَّنِـي
أَسْتَشْـهِـدُ الـرَيْحَانَ واليَـاسمِيـنْ
والنَهْـر إذْ تَنْـظُـرُ أَمْـواجُـهُ
لا أَسْـتَحِـي مِنْهـا ولا تَخْجَلِيـنْ

والأَيْكَــــةَ الخَضْـــراءَ إِذْ أَبْـصَــرَتْ
تَبَــذُّلَ الحُسْــنِ الشَـهِـي المَصُـــونْ
وَأَنَّــةً بُحْــتِ بِهِـــا للدُجَــى
فَعَــطَّــر اللَّيْــلَ عَبِيــرُ الأَنِيــنْ
دَامِـــيَةً مُـــوجَعَــــةً وَقَّعَــتْ
أَلْحَـــانَهَـــا يُمْنَــى الــرجِيــمِ اللَّعِيــنْ
سَأَسْــكُــبُ الــدَمْعَــةَ فِيهـــا الأَســى
والشِــعْــرُ والحُــبُّ الشَــجِــيُّ الحَزِيـــنْ
لَعَلَّنِــي يَشْــفَـــعُ بِــي عِنْدَهَــا
هَــذا الهَــوى البَـاكِـي وَهَــذا الحَنِيــنْ
صُـــورَةً أَبْـدَعَ تَكْوِينَهـــا
فِـي مَطْلِـعِ الفَجْـــرِ إِلــهُ الفُنــونْ

يــا جارتــي

يَــــا وَرْدَتِــي أيــنَ الشَــذَى والنَّــدَى
يــا كَبِــدِي أَيْــنَ الــهَــوَى والحَنِيـــنْ
يــا رُوحِــي الثَــكْلَــى أَلَــمْ تَــأْخُــذِي
عَــنْ رَبَّــةِ الأَلْحَــانِ غَيْــرَ الأَنِيــنْ
يــا أُمَّ أحْــلامِــي وأُمَّ المُنَــى
فِــي فَجْــرِهَــا أيْــنَ قَبَــرْتِ البَنِيـــنْ
لَمَحْــتُ فِــي كَأسِــي وَقَــدْ شَعْشَعَـــتْ
طَيْــفَ الأمــانِــي والهَــوى والسِنِيــنْ
وَذِكْرَيَــاتِــي وَهْــي عُــرْيانَــةٌ
تَبْــدُو وتَخْفَــى بَيْــنَ حِيــنٍ وَحِيــنْ
وَتِلْــكَ حَسْــنَــاءُ بِلَــوْنِ الضُحَـــى
وَتِلْــكَ شَوْهَــاءُ بِلَــوْنِ الدُجُــونْ
يَقْفِــزْنَ فِــي كَأسِــي فَــلاَ أنْثَنِــي
عَــنْ خَمْــرَةِ الــكَأْسِ وَلاَ يَنْثَنِيـــنْ
هَــذا جُنُــونُ النَفْــسِ فِــي سُكْرِهَــا
والعَقْــلُ مِــنْ خُــدَّامِ هــذا الجُنُــونْ

***

جَــارَتِـــي الحَسْــنَــاءُ ثَرْثَــارَةٌ
سَــكْــرى الهَــوى نَشْوى الصِبَــى والفُتُــونْ

رَأَيْــتُ مِــنْ أَحْــزانِهــا مـا اخْتَفَــى
وَدَقَّ حَتَّــى ما تَــراهُ الظُّنــونْ
كُـلُّ الأَسـى الصـاخِـبِ يـا جـارَتي
فِـدَاءُ حُــزْنٍ صـامِــتٍ فَــي العُيــونْ
هَاتِــي مِـنَ الأَحْــزَانِ مـا شِئْتِــهِ
لا يَفْهَــمُ الأَحْــــزانَ غَيْــرُ الحَزِيـــنْ
يـا جَارَتِــي الحَسْــنَــاءَ هَــلْ تَعْلَمِيــنْ
يـا جَارَتِــي لَيْتَـكِ لا تَعْلَمِيــنْ

(فطال عليك الليل)

أُحِبُّـكِ حُبّـاً لا تَطوفُ بِهِ المُنَـى
عـرائِـس في حَلْـيِ المِـلاحِ العَـرائِـسِ
أُحِبُّـكِ عَـنْ يأسٍ وما حُـبُّ آمِـلٍ
بِـأَقْـرَبَ في نَجْـواهُ مِـنْ حُـبِّ يَائِـسِ
وَأَهْمِـسُ في سَمْـعِ النَسيـمِ رِسالَـةً
فَهَـلْ دَغْـدَغَـتْ نَهْـدَيْـكِ مِنْ ثَغْـرِ هَامِسِ
رُوَيْدَكِ تَهْفُـو بي إلى الـكَـأْسِ خَطْـرَةٌ
مِـنَ الـذِكْـرِ مَـرَّتْ فـي خَيالاتِ هَاجِـسِ
تُعِيـدُ لِعَيْنِـي كُـلَّ مَـا فَاتَ وانْطَـوى
وَتَـرْفَـعُ مِنْ بَالـي الـطُلُـولِ الدَوارِسِ
فَأَلْمَـحُ فـي الـذِكْـرى غَدِيراً تَرِفُّـهُ
مَـعَ البَـدْرِ أَثْـداءُ الـظِبـاءِ الأَوانِـسِ
وَنَهْـراً تَعَـرَّى البَـدْرُ فيـهِ كَرامَـةً
لِبَعْـضِ القُـدودِ العَـاريـاتِ المَوائِـسِ
وأَلْمَـحُ فـي الـذِكْرى جُنـونـاً وَسَـوْرَةً
مِـنَ الحُـبِ فـي تِلْكَ الجُفـونِ النَواعِـسِ
فَيـالَـكَ كَنْـزاً راحَ يَسْـخَـرُ رَبُّـهُ
فَمَتَّـعَ مِنْ لأْلاَئِـهِ عَـيْنَ بَائِـسِ

* * *

لَقَــدْ خُنْــتِ حَتَّــى لاَ يَغــارُ أَخُــو هَــوىً
أحبَّــكِ مِنْ وَجْــدٍ طَريــفٍ مُلابِــسِ
فَفِــي كُلِّ غَــضٍّ مِنْـكِ آثــارُ قاطِــفٍ
وفي كُــلِّ بَــضٍّ مِنْـكِ آثــارُ لامِــسِ
فَطــالَ عَلَيْــكِ الليلُ تَأْوِي مـع الدُجَـى
بِجَفْنَيْــكِ أشْــبـاحُ الــرؤى والهَــواجِسِ

* * *

شقراء

هَذهِـذ هُمومَـكَ عِنْـدِي
عَلـى حَيَـائِـي وَصَـدِّي
حُـورُ النَعِيـمِ تَمَنَّـتْ
نُعْمَـى هَـوايَ وَوَجْـدِي
هَـلْ عِنْـدَهُـنَّ رَحِيقِـي
وَهَـلْ لَدَيْهِـنَّ شَهْـدِي
يَـا سَاكِـبَ الشِعْـرِ خَمْـراً
مِـنْ شِعْـرِ رَبِّـك خَـدِّي
وَمِـنْ مَعَـانِيـهِ عِطْـرِي
ومِـنْ قَوَافِيـهِ وَرْدِي
تَأَنَّـقَ اللّـهُ دَهْـراً
يُعِيـدُ فِـي وَيُبْـدِي
حَتَّـى جَـلانِـي شِعْـراً
يَـا حَسْـرَةَ الشِعْـرِ بَعْـدِي !
خَيَـالُـهُ السَمْـحُ نَـدًى
ثَغْـرِي وَتَمْتَـم عِقْـدِي
وَقَلْبُـهُ كَـانَ كَـأْسِـي
وَجَفْنُـهُ كَـانَ مَهْـدِي
وَالأَنجُـمُ الـزُهْـرُ حَـوْلِـي
دُمًـى لِلَهْـوِي وَعَـدِّي

فَغَـــارَتِ الحُــــورُ مِـــنِّـــي
وَكُـــلُّ زَهْـــوٍ وَمَجْـــــدِ
وَهَـــبَّ فِـــي رَوْضِ عَـــــدْنٍ
عَلَـــي عَـــاصِــــفُ حِقْـــدِ
فَكَـــانَ لِلَّـــهِ حُكْـــــمٌ
لِشَقْوَتِـــي بَـــلْ لِسَعْـــــدِي
واخْتَـــارَ بُعْـــدِي عَنْـــهُ
وَرَاحَ يَبْكِـــــي لِبُعْـــــدِي

* * *

دُنْيَـــاي أَحْلَـــى وأَغْـلَـــى
مِـــنْ أَلْـــفِ جَنَّـــةِ خُلْـــدِ
أَنَـــا الـــربيـــعُ المُنَـــــدَّى
قَـــارُورَةُ العِـــطْـــر نَهْـــدِي
يَهِيـــمُ حُسْـــنِـــي بِحُسْنِـــي
وَيَجْتَلِـــــي وَيُفَـــدِّي
وَجُـــنَّ ثَغْـــرِي بِرِيـــقِـــي
وَحَـــنَّ جِيـــدِي لِزَنْــــدِي
وَكُـــلُّ وَشْـــيٍ حَـــرِيــــرٍ
يَـــوَدُّ لَـــوْ لَـــفَّ قَـــدِّي
وَكُـــلُّ عِطْـــرٍ تَشَهَّـــــى
أَنْ أَسْفَـــحَ العِـطْـــر وَخْـــدِي

شَقْراءُ تَحْلُمُ شَمْسُ الـ
ضُحَى بِخَدِّي وَبُرْدِي
رَفَّتْ خُصَيْلاتُ شَعْرِي
بأَشْقَرِ النُورِ جَعْدِ
سَكْرانِ تِيهٍ وَدَلٍّ
مَخْمُورِ وَهْجٍ وَوَقْدِ
يَا شَاكِيَاً زُوْرَ وَعْدِي
أَحْلَى مِنَ الوَصْلِ وَعْدِي
هِيَامُنَا يَا حَبِيبِي
طُيُوبُ خَمْرٍ وَنَدٍّ
أُرِيدُ طَيْفَاً لِجفْنِي
أُرِيدُ حُلْمَاً لِسُهْدِي
كُلُّ المُحِبِينَ مُلْكِي
وَأَنْتَ وَحْدَكَ نِدِّي
وَكِبْرِيَاءُ جَمَالِي
تُرِيدُ مِنْكَ التَحَدِّي

* * *

شَقْراءُ يَا لَوْنَ حُسْنٍ
مُحَبَّبٍ مُسْتَبِدٍّ
وَيَا جَمَالاً غَرِيباً
عَلَى ظِبَاءِ مَعَدٍّ

لاَ وَسْمُ لَيْلايَ فِيهِ
وَلاَ مَلامِحُ هِنْدِي

وَلاَ اسْمِرارُ الغَرِيراتِ
بالعَقِيقِ وَنَجْدِ

ظَمْآنُ أَنْشُدُ وِرْداً
وَعِنْدَ عَيْنَيْكِ وِرْدِي

يا سَكْرَةً بَعْدَ صَحْوِي
وَفِتْنَةً بَعْدَ رُشْدِي

يا رَغْبَةَ العَيْنِ والقَلْبِ
بَعْدَ يَأْسٍ وَزُهْدِ

بَيْنِي وَبَيْنَكِ حَرْبُ
وَهَوْلُ أَخْذٍ وَرَدِّ

صِراعُ رُوحَيْنِ فِيهِ
عُنْفُ العَدُوِّ الأَلَدِّ

وَغَزْوُ قَلْبٍ لِقَلْبٍ
فَتْحُ يُبِيدُ وَيُرْدِي

فَنَاءُ دُنْيَا بِدُنْيَا
وَطَيُّ بَنْدٍ بِبَنْدِ

الحُبُّ لا حُكْمُ شُورَى
لَكِنَّهُ حُكْمُ فَرْدِ

فَهَيِّـــئِي فِتْنَــةَ الحُسْـــــنِ
كُلَّهَــــــا واسْتَعِــــــدِّي

جنيف (١٩٥٤/٥/١٢)

امَّـــا الشبـاب

أمَّــا الشَّبــابُ فَرُبَّمـا نادَمْتُـهُ
رَيّانَ مِـنْ حُبِّـي وَمِـنْ عَبَراتِـي
صَـاحَبْتُـهُ عِشرِيـنَ أُذْنِـبُ فِـي الهَـوَى
دَلاًّ وَتَغْتَفِـرُ المِلاحُ هَنَاتِـي
قَصُـرَتْ لَيَـالِيهِ وكُـلٌّ قَصِيـرَةٌ
فِي الطَّيِّبَـاتِ عَرِيضَـةُ اللَّـذَّاتِ
فِـي ذِمَّـةِ الحَـدَقِ المِراضِ عُهُـودُهُ
سَـكْرَى المُنَـى قُـدسيَّـةَ النَّفَحَـاتِ
أَصْـبَحْـتُ لاَ لُغْـسُ الشِـفَـاهِ كَعَهْدِهَـا
كَـأْسِي ولاَ حَدَقُ المَهـا مِرْآتِـي

* * *

يَـا مَـنْ يُلِـحُّ هَـوايَ فِـي اسْتِعْطَافِهـا
وَتُلِـحُّ فِـي ظُلْمِـي وَفِـي إِعْنَاتِـي
أَنْـكَرتنـي بَعْـدَ الشَّبـابِ ومـا خَبَـتْ
نَـارٌ على شَفَتَيْـكِ مِـنْ قُبُلاتِـي
أَيَّـامَ أَرْشُـفُ مِـنْ لَمَاكِ سُلافَتِـي
وَأَعُـلُّ مِـنْ آهـاتِـكِ العَطِـرات

وَأَمُدُّ أَشْراكَ الغَوايةِ والهَوى
لأُثِيرَ فِيكِ كَوامِنَ الشَهَواتِ
فَتَثُورُ وَهْيَ عَنِيفَةٌ صَخَّابَةٌ
هَوْجَاءُ بَعْدَ رَوِيَّةٍ وأَنَاةِ
هَيْهَاتَ يُرْجِعُهَا إِلى اطْمِئْنَانِهَا
إِلاَّ هَوىً شَرِسُ الشَمَائِلِ عَاتِ
وَحَلَفْتُ ثَغْرُكِ ما تَقَبَّلَ رَشْفَةً
مِنْ عابِدِيكِ أَحَبَّ مِنْ رَشَفَاتِي
وَنَعَمْ تَنَكَّر لِي الشَبابُ وَفَاتَنِي
مَا فَاتَ مِنْ أَيَّامِهِ النَضِراتِ
فَتَقَبَّلِي ذِكْرَى هَوايَ بَقِيَّةً
مِنْهُ تَرِفُّ لَمَاكِ فِي نَغَمَاتِي

انني قدمت روحي في الضحايا

يـا صَبـايَـا طـالَ عَهْـدِي بالهَـوى
أوَ تَرْضَـيْنَ بِهَـذا يا صَبايَـا
إنَّ فـي قَلْبِـي زَوَايـا لِلْمُنَـى
هَـلْ يَثُـورُ الحُـبُّ مِنْ تِلْـكَ الزَوَايـا
أرْجِعِـي كَـأْسِـي يا فاتِنَتـي
إنَّ فـي كَأْسِـي مِـنَ الخَمْـرِ بَقَايا
رَقَـدَتْ رُوحـي علـى أُغْنِيَّـةٍ
لِخَيَـالاتِ الأمـانـي والمَنايَـا
فَتَـلاشَـتْ مَـعْ صَـدَى أُنْشُـودَةٍ
فَـرِغَـتْ مِنْهـا الإلاهـاتُ الخَطَايـا
يـا إلهـاتِ الهَـوى لا تَغْضَبِـي
إنَّنـي قَدَّمْـتُ رُوحـي فـي الضَحايا

* * *

المعبد المسحور

أيُّها الضَّاحِكُ الطَّروبُ ألا تأسَى
لِهذِي الدُموعِ في عَيْنَيَّا
أنا أبْكِي وكَرَّمَ اللهُ والحُسْنُ
عَنِ الدَمْعِ خَدَّكَ الوَرْدِيَّا
شَوَّهَ العَاذِلُونَ عِنْدَكَ حُبِّي
لا عَلَيْهِمْ فَعَارُ حُبِّي عَلَيَّا
قَسَمُوهُ بَيْنَ البَراءَةِ والإِثْمِ
وَوَجَدْتُهُ أثِيماً بَرِيَّا

* * *

يا حَبِيبي دَعْنِي أُقَبِّلُ خَدَّيْكَ
وأشْتَفُّ ثَغْرَكَ اللُؤْلُؤِيَّا
وَتَبَذَّلْ للحُبِّ سُكْراً وعُرْياً
جَسَداً فاتِناً ورُوحاً غَوِيَّا
أَهْوَى جَنَّةُ بِقَلْبِي والشَهْوَةُ
نارٌ حَمْراءُ في شَفَتَيَّا

* * *

مِهْرَجَانٌ لِمُتْعَةِ الجِسْمِ حَالٍ
يَرْحَمُ اللهُ حُبَّنا العُذْرِيَّا

* * *

طافَ بِي طائِفٌ مِنَ المَعْبَدِ المَسْحورِ
يَدْعو فقالَتِ النَفْسُ هَيَّا

يا حَبِيبي وسِحْرُ عَيْنَيْكَ يُغْنِيني
أَشاهَدْتَ سِحْرَهُ البَابِلِيَّا

مَعْبَدٌ للهَوى الأَثِيمِ بَنَيْنَا
الفَجْر فيهِ والمَشْرِقَ الذَهَبِيَّا

وأقَمْنا على الكَهَانَةِ فِيهِ
والعِبادَاتِ شَاعِراً عَبْقَرِيَّا

يَتَغَنَّى سَكْرانَ بَيْنَ عَوارٍ
رَضِيتْ عُرْيَها كِساً وحُلِيَّا

وإِذا يَشْتَهي الأَغانِي يَسْمَعْ
مَعْبَداً والغَرِيض والمَوْصِلِيَّا

وإِذا حَنَّ للكَرى فَذِراعانِ
وَنَهْدانِ وابْتِسامٌ ورِيَّا

حالِمٌ فالزَمانُ يَرْقُبُ أَمْري
والمُنَى الحالِياتُ طَوْعُ يَدَيَّا

والرُؤى عالَمٌ خَفِيٌّ أَراهُ
عالَماً ضاحِكَ السنا مَرْئِيَّا

مَر في مُجْدِبِ الحَياةِ خَيالي
فَجَرى نَفْحَةً وماءً وَفيَّا

صَــوَّرَتْ قُــدْرَةُ الخَيــالِ مِنَ العَسْــجَدِ
والنــورِ كــأُسِــي الخَــزَفِيّــا
رُبَّ حُلْــمٍ تَنــاقَلَتْــهُ اللَّيــالِــي
والخَيــالاتُ فاسْــتحــالَ نَبِيّــا

* * *

الكنز المقدس

بِثَغْـرِكِ مِنْ ذِكْرَى شَبَـابِي صَحِيـفَةٌ
مُـطَـرَّزَةٌ بالحُـبِّ والأَمَـلِ السامِـي

وَفِـي لَحْظِـكِ السَـاجِي مِنَ الشِعْـرِ والهَـوى
تَـرَكْـتُ خَيَالاَتِـي وسُـكْرِي وأَحْـلاَمِـي

وَلِـي قُبُـلاَتٌ بَيْـنَ نَهْـدَيْكِ أَوْدِعَـتْ
شَبـابِـي وآمَـالِـي العِـذَابَ وآلامِـي

فَلاَ يَمْتَهِـنْ نَهْـدَاكِ كَنْـزاً مُقَـدَّسَـاً
خَبَـأْتُ بِـهِ رُوحِـي وَبَهْجَـةَ أَيَّـامِـي

خُـذُوا فاغْسِـلُـوا يـا آثِمِيـنَ ذُنوبَكُـمْ
أَلَـمْ يَجْـرِ دَمْـعُ اللّـهِ مِـنْ قَلْبِـي الـدَّامِـي

الحب والله

تَأَنَّقَ الدَوْحُ يُرْضِي بُلْبُلاً غَرِداً
مِنْ جَنَّةِ اللهِ قَلْبَانَا جَناحَاهُ
يَطِيرُ ما انْسَجَما حَتَّى إِذَا اخْتَلَفا
هَوَى وَلَمْ تُغْنِ عَنْ يُسْرَاهُ يُمْنَاهُ
أَلخَافِقانِ مَعاً فالنَجْمُ أَيْكُهُمَا
وَسِدْرَةُ المُنْتَهَى والحُبُّ أَشْبَاهُ
أَسْمَى العِبادَةِ رَبٌّ لِي يُعَذِّبُنِي
بِلا رَجاءٍ وَأَرْضَاهُ وأَهْوَاهُ
وَأَيْنَ مِنْ ذِلَّةِ الشَكْوَى وَنَشْوَتِهَا
عِنْدَ المُحِبِّينَ عِزُّ المُلْكِ والجَاهُ
تَقَسَّم الناسُ دُنْياهُمْ وَفِتْنَتَها
وَقَدْ تَفَرَّدَ مَنْ يَهْوَى بِدُنْيَاهُ
ما فَارَق الرِيُّ قَلْباً أَنْتِ جُذْوَتُهُ
ولا النَعِيمُ مُحِبّاً أَنْتِ بَلْوَاهُ
غَمَرْتِ قَلْبِي بِأَسْرارٍ مُعَطَّرَةٍ
والحُبُّ أَمْلَكُهُ للرُوحِ أَخْفَاهُ
وما امْتَحَنْتُ خَفايَاهُ لأَجْلُوَهَا
ولا تَمَنَّيْتُ أَنْ تُجْلَى خَفايَاهُ

الخَافِقانِ - وَفَوْقَ العَقْلِ سِرُّهُما
كِلاَهُما للغُيوبِ الحُبُّ واللهُ

كِلاهُما انسَكَبَتْ فيه سرائِرُنَا
وما شهدناهُ لكنَّا عبدناهُ

أرخصتُ للدمع جفني ثم باكَرَهُ
في هَدْأَةِ الفَجْرِ طَيْفٌ مِنْكِ أغلاهُ

وَأَسْكَرَتْنِي دُمُوعِي بَعْدَ زَوْرَتِهِ
أَطَيْفُ ثَغْرِكِ سَاقَاها حُمَيَّاهُ

طَيْفُ لِشَقْراءَ كَاسٍ مِنْ مَتارِفِهِ
لَوْ لَمْ أَصُنْهُ طَغَى وَجْدِي فَعرَّاهُ

حُنَا مَعَ العِطْرِ وُرَّاداً على شَفَةٍ
فَلَمْ نَغَرْ مِنْهُ لَكِنَّا أَغْرَنَاهُ

تَهَدَّلَتْ بالجَنَى المَعْسُولِ واكْتَنَزَتْ
والثغْرُ أَمْلَؤُهُ للثَغْرِ أشْهَاهُ

نَعُبُّ مِنْهُ بِلا رِفْقٍ وَيُظْمِؤُنَا
فَنَحْنُ أَصْدَى إِلَيْهِ ما ارْتَشَفْنَاهُ

فِي مُقْلَتَيكِ سماواتٌ يُهَدْهِدُهَا
مِنْ أَشْقَرِ النُورِ أَصْفَاهُ وَأَحلاهُ

وَرَنوةٌ لَكِ رَاحَ النَجْمُ يَرْشُفُهَا
حَتَّى تَرَنَّحَ سُكْرٌ في مُحَيَّاهُ

أَطَلَّ خَلْفَ الجُفُونِ الوُطْفِ مَوْطِنُهُ
بَعْدَ الفِراقِ فَحَيَّاهُ وَفَدَّاهُ

يَضِيعُ عَنِّي وَسِيمٌ مِنْ كَواكِبِهَا
فَحِينَ أَرْنُو إِلَى عَيْنَيْكِ أَلْقَاهُ
قَلْبِي وللشُقْرَةِ المِغْنَاجِ - لَهْفَتُهُ
لَيْتَ الحَنِينَ الذي أَضْنَاهُ أَفْنَاهُ

تُضَفِّرُ الحُورُ غاراً مِنْ مواجِعِهِ
وَتَسْتَعِيرُ رُوءَاهَا مِنْ خَطَايَاهُ
أَغْفَيْنَ فِيهِ لَماماً ثُم عُدْنَ إِلَى
جَنَّاتِهِنَّ وَقَدْ لَمْلَمْنَ رَيَّاهُ
يَسْأَلْنَ باللَّهْفَةِ الغَيْرى عَلَى خَجَلٍ
مَنْ فَجَّر العِطْرَ مِنْهُ حِينَ أَدْمَاهُ ؟
لَمْ تَعْرِفِ الحُورُ أَشْهَى مِنْ سُلافَتِنَا
رَفَّ الهجِيرُ نَدى لَمَّا سَقَيْنَاهُ

مُدَلَّهُ فِيكِ ما فَجْرٌ وَنَجْمَتُهُ !
مُوَلَّهُ فِيكِ ما قَيْسٌ وَلَيْلاَهُ !
مَنْ كَانَ يَسْكُبُ عَيْنَيْهِ وَنُورَهُمَا
لِتَسْتَحِمِ رُوءاكِ الشُقْرِ لَوْلاَهُ
سما بِحُسْنِكِ عَنْ شَكْواهُ تَكْرِمَةً
وَراح يَسْمُو عَنِ الدُنْيَا بِشَكْواهُ

يُرِيـدُ بِدْعـاً مِـنَ الأَحْـزانِ مُؤْتَلِقـاً
وَمِـنْ شَقَـاءِ الهَـوى يَخْتَـارُ أَقْسـاهُ
سَكَبْـتِ قَلْبَـكِ في وِجْـدَانِـهِ فَـرَأَتْ
يـا عَـزَّ ماشِئْـتِ لا ماشَـاءَ عَيْنَـاهُ
أَنْـتِ السـرابُ عَـذابٌ وَقْـدُهُ وَرَدىً
وَتُـؤْنِـسُ العَيْـنَ أَفْيـاءٌ وأَمْـوَاهُ

اتسألين عن الخمسين ؟

أَتَسْــأَلِيــنَ عَــنِ الخَمْسِيـنَ مـا فَعَلَــتْ
يَبْلَــى الشَــبــابُ ولا تَبْلَــى سجـايَــاهُ
فــي القَلْــبِ كَنْــزُ شَبـابٍ لا نَفــادَ لَهُ
يُعطِـــــي وَيَــزْدَادُ ما ازْدَادَتْ عَطايَاهُ
فَمــا انْطَــوى وَاحِـدٌ مِنْ زَهْـوِ صَبْوَتِهِ
إلاَّ تَفَجَّــر أَلْــفٌ فـي حَنـايَــاهُ
هَــلْ فـي زَوايَاهُ مِـنْ راحِ الصِبــا عَبَقٌ
كُــلُّ الــرحِيـقِ المُنَــدَّى فـي زَوايَـاهُ
يَبْقَــى الشَــبــابُ نَــدِيّـاً فـي شَمائِلِــهِ
فَلَمْ يَشِــبْ قَلْبُــهُ إنْ شَــابَ فَــوْدَاهُ
تَـزَيَّــنَ الــوَرْدُ أَلْــواناً لِيَفْتِنَنَــا
أَيَخْلِــفُ الــوَرْدُ أَنَّــا ما فَتَنَّــاهُ
صــادِي الجَــوانِــحِ فــي مَطْلُــولِ أَيْكَتِــهِ
فَمــا ارْتَــوى بالنَــدى حَتَّــى قَطَفْنَــاهُ
هَــذا السُــلافُ أَدامَ اللــهُ سَكْــرَتَهُ
مِــنَ الشِــفــاهِ البَخِيــلاتِ اعْتَصرْنَــاهُ
جَــلَّ الــذِي خَلَــقَ الــدُنْيـا وَزَيَّنَهــا
بالشِــعْــرِ أَصْــفَى المُصــفَّــى مِنْ مَزايَـاهُ

نَحْنُ الذَين اصْطَفَانا منْ أحِبَّتِهِ
فَلَوْ تُدارُ الطِلَى كُنَّا نَدامَاهُ
وَشَرَّفَ الشِعْر لَمَّا صَاغَهُ تَرَفاً
فَكُنْتِ نَغْمَتَهُ النَشْوى وَمَعْنَاهُ
وراح يُنْشِدُنَا عَصْمَاءَهُ شَفَةً
وَمُقْلَةً وَجُنِنَّا فاسْتَعَدْنَاهُ

* * *

رُوحِي فِدى وَثَنٍ ما كَانَ أفْقَرنَا
إلَيْهِ في عِزَّةِ النُعْمَى وأغْنَاهُ
إنْ كَانَ يَذْكُرُ أوْيَنْسى فَلا سَلِمَتْ
عَيْنِي ولا كَبِدِي إنْ كُنْتُ أنْسَاهُ
يا مَنْ سَقَانَا كُؤوس الهَجْرِ مُتْرَعَةً
بَكَى بِساطُ الهَوى لما طَوَيْنَاهُ

* * *

اللهب القدسي

يحِبُّ قَلْبِي خبايَاهُ وَيَعْبُدُها
إِذَا تَبَرَّأَ قَلْبٌ مِنْ خبايَاهُ
طُفُولَةُ الرُوحِ أغْلى ما أُدِلُّ بِهِ
والحُبُّ أَعْنَفُهُ عِنْدِي وَأَوْفاهُ
قَلْبِي الذي لَوَّنَ الدُنْيا بِجُذْوَتِهِ
أَحْلى مِنَ النُورِ نُعْمَاهُ وَبُؤْساهُ
غِرٌّ وَأَرْفَعُ ما فِيهِ غَرارَتُهُ
وأَنْذَلُ الحُب - جَلَّ الحُبُّ - أَدْهَاهُ
ما الحُسْنُ إِلاَّ لُبانَاتٌ مُنَمَّقَةٌ
لَكِنْ يُؤَلِّهُهُ أَنَا عَشِقْنَاهُ
لَمْ يُرْدِهِ أَلْفُ جُرْحٍ مِنْ فَواجِعِهِ
حَتَّى أُصيبَ بِسَهْمٍ مِنْكِ أَرْدَاهُ

* * *

آمَنْتُ باللَّهَبِ القُدْسِيِ مُضْرِمُهُ
أَذْكَى الأُلُوهَةَ فِينا حِينَ أَذْكَاهُ
تُزَيِّنُ الرُوحُ قُرْبَاناً لِفِتْنَتِهِ
وَقَدْ يَضِنُّ فَتُسْتَجْدَى مَنَايَاهُ

وَلَـوْ أقـامَ الضَـحـايَـا مِنْ مَصـارِعِـهَا
لآثـرَتْ مَـوْتَهَـا فِيـهِ ضَحايَـاهُ
ألعَبْقَـرِيَّـاتُ وَهْـجٌ مِـنْ لَـوافِحِـهِ
والشَـمْـسُ مُجْلُوَّةً إحْـدَى هَـدايَـاهُ

وتـائِهيـنَ بِـهَـدْيٍ مِـنْ عُقُـولِهِـمُ
لَـوْ يَمَّمُوا اللَّهَبَ القُـدْسِي ما تَاهُـوا
مـا رَاعَنـا الـدَهْـرُ بالبَلْـوَى وَغَمْرَتِهَـا
لَـكِنَّنَـا بـالإِبـاءِ المُـرِّ رُعْنـاهُ

إنْ نَحْمِـلِ الحُـزْنَ لا شَكْـوَى ولا مَلَـلُ
غَـدْرُ الأَحِبـةِ حُـزْنٌ مـا احْتَمَلْنَـاهُ
وَمـا رَعـانـا على عَصْفِ الخُطـوبِ بِنَا
هَـوى حَبيـبٍ رَعَيْنَـاهُ وَنَـرْعَـاهُ

لَيْـتَ الـذينَ وَهَبْنَـاهُـمْ سرائِـرَنـا
فـي زَحْمَةِ الخَـطْبِ أغْلَـوا ما وَهَبْنَـاهُ
وَلا وَفـاءَ لِقَلْـبٍ حِيـنَ نُـؤْثِـرُهُ
حتـى تكـونَ رَزَايـانـا رَزَايـاهُ

أشـامِـتٌ عِنْـدَ جُـلاّنـا ومـا نَزَلَـتْ
إلاَّ علـى الحُـب والإيثـارِ جُـلاّهُ
هَـانٍ وَمِحْنَتِـي العَصْـمـاءُ دامِيـةٌ
رَاوٍ وَمِـنْ لـوعتـي الشَـمَّـاءِ سُقْيـاهُ

ما ضَجَّ في قَلْبِهِ جُرْحٌ فَكَابَدَهُ
ولا أَلَم بِهِ وَجْدٌ فَعانَاهُ
تَضِنُّ باللَّهْفَةِ الحَرَّى جَوانِحُهُ
والقَلْبُ أَخْصَبُهُ بالنُورِ أَسْخَاهُ

فما تَرَشَّفْتُ إِيماناً بِمَعْبَدِهِ
ولا شَمَمْتُ طُيوباً في مُصَلاَّهُ
ناءٍ عَنِ النارِ لَوْ طَافَ اللهيبُ بِهِ
لَوَهَّجَتْ هذه الدُنْيا شَظَايَاهُ

قَد هَانَ حَتَّى سَمَتْ عَنْهُ ضَغِينَتُنَا
فما حَقَدْنَا عَلَيْهِ بَلْ رَحِمْنَاهُ
يُرْضِيهِ أَنْ يَتَشَفَّى مِنْ مَدامِعِنَا
لَمْ نَبْكِ مِنْهُ وَلكِنَّا بَكَيْنَاهُ

حَسْبُ الأَحِبَّةِ ذُلاًّ عَارُ غَدْرِهِمُ
وَحَسْبُنَا عِزَّةً أَنَّا غَفَرْنَاهُ
يَهْنِيكَ أَنَّكَ في نُعْمَى لِمِحْنَتِهِ
وأَنَّ غَدْرَكَ قَبْلَ الدَهْرِ أَشْقَاهُ

جَاهُ خَلَقْنَاهُ مِنْ أَلْوانِ قُدْرَتِنَا
فَكَيْفَ يكْفُرُ فِينا مَنْ خَلَقْنَاهُ
لَوْ رَفَّ حُبُّكَ في بَيْداءَ لاهِبَةٍ
على الظِماءِ رَحِيقاً ما وَرَدْنَاهُ

جَلَوْتُ طَيْفَكَ عَنْ عَيْنِي فَأسْلَمَهُ
إلى الدُجى وإلى الإعْصارِ مَأْوَاهُ
فَيالَكَنْزٍ شَكَتْ مِنْهُ جَواهِرُهُ
وَضَاعَ عَنْ نَفْسِهِ لَمَّا أضَعْنَاهُ
صَحَا الفُؤادُ الذي قَطَّعْتَهُ مِزَقاً
حَرَّى الجِراحِ وَلَمْلَمْنَا بَقايَاهُ

* * *

١٩٥٦/١٢/٨

هواجس

هَـواجِسِـي فِيـكِ إِيمَـانُ وَغَـالِيـة
وَأَنْجُـمُ وَفَـرَاشُ تَعْبُـدُ اللَّهَبَـا
وَسَـالِفَـاتُ رُؤَىً حِيـنَ اشْـتَهَيْـتِ لَنَـا
فِـي البِيـدِ خَيْمَتَهَـا السمْـرَاءَ والكُثُـبَـا
هَـواجِـسُ أَنْـتِ دُنْيَـاهَـا وَمَعْدِنُهَـا
فَـكَيْـفَ تُبْـدِعُ إلاَّ النُـور والطَرَبَـا
النَـازِلاتُ عَلَـى قَلْبِـي وَنِعْمَتِـهِ
حُـوراً مِـن الأُفُـقِ القُـدْسِـي لا رِيبـا
المُتْـرَفَـاتُ وأَحْـلاهَـا وأَمْلَحُهَـا
طَيْـفُ مَـعَ الفَجْـرِ مِـنْ أَهْـدَابِـكِ انْسَـرَبَا
رَوَى لَنـا عَنْـكِ مـا نَـدَّى سرائِرَنَـا
مِـنَ المُنَـى السُـمْـرِ إِنْ صِـدْقَاً وإِنْ كَذِبَـا
تَصَـوَّفَ القَلْـبُ تَذْلِيـلاً لِسَاكِنِـهِ
فَمـا شَكَـى عَنَـتَ البَلْـوَى ولاَ عَتَبَـا
وَكَيْـفَ يُوحِـشُ قَلْبِـي مِـنْ سُـلافَتِـهِ
وقَـدْ أُدرْتُ عَلَيْـهِ الحُـبَّ والأَدَبَـا
يَـا عَذْبَـةَ الثغْـرِ.. لَـوْ طَـافَ الخَيَالُ بِـهِ
قَـرَأْتُ فِـي وَجْهِـكِ الإِشْـفَـاقَ والغَضَبَـا

إِذَا تَمَنَّاكِ قَلْبٌ لا نُجومَ بِهِ
تَمَلْمَلَ الفَلَكُ الغَيْرانُ واضْطَرَبَا
يَرُدُّ حُسْنُكِ أَهْواءَ النُفُوسِ تُقًى
وَيَسْكُبُ الخَيْرَ والأَطْيابَ والشُهُبَا
كَأَنَّهُ الكَعْبَةُ الزَهْراءُ ما اجْتَرَحَتْ
مُنَى الحَجِيجِ بِها إِثْماً وَلاَ لَعِبا

* * *

غَيْبٌ لِحُبِّكِ مِنْ نُعْمَى اليَقِينِ بِهِ
كَأَنَّنِي كاشِفٌ عَنْ سِرِهِ الحُجُبَا
بَيْنِي وَبَيْنَكِ أَنسابٌ مُوَثَّقَةٌ
هَذا اللَّهِيبُ بِقَلْبِي خَيْرُهَا سَبَبَا
فَلَوْ بَخِلْتِ بِنَعْمَاءِ العَذابِ لَمَا
نَشَدْتُ عِنْدَكِ إِلاَّ جَمْرَهُ أَرَبَا
لَمْ يَشْهَدِ اللَّهَ قَلْبٌ لاَ لَهِيبَ بِهِ
وَيُشْرِقُ اللَّهُ فِي القَلْبِ الذِي الْتَهَبَا
أُعِيذُ مُؤْنِس ، رُوحِي ، بَعْدَ وَحْشَتِهَا
أَنْ يَسْتَرِدَّ مِنَ النَعْمَاءِ ما وَهَبَا
يا ضَيْعَةَ النَغَمِ الأَسْمَى وَلَوْعَتَهُ
إِذَا مَحَى الخَالِقُ الفَنَّانُ ما كَتَبَا
شَفَعْتُ عِنْدَكِ حُبِّي فِي مَواجِعِهِ
وَما تَمَزَّقَ مِنْ قَلْبِي وَمَا سُلِبَا

أَخْفَيْتُ ظُلْمَكِ عَنْ نَفْسِي لأَرْحَمَهَا
ثُمَّ ابْتَدَعْتُ لَهُ الأَعْذَارَ والسببا

* * *

هَواكِ عِنْدِي مُقِيمٌ فِي مَواطِنِهِ
فَإِنْ تَحَوَّلَ عَنْ نَعْمَائِهَا اغْتَرَبَا
أُحِبُّكِ الحُبَّ تَأْلِيهاً خَلَعْتُ بِهِ
عَلَى تَدَلُّهِي الإِجْلالَ والرَّهَبَا

* * *

سَكَبْتُ فِي دَرْبِكِ الأَطْيابَ وَاهِمَةً
وَجَلَّ كَأْسُكِ عَنْ عِطْرِي الذِي انْسَكَبَا
لَعَلَّهُ ـ والخُطَى السَمْراءُ تَسْلُكُهُ
يَعُلُّهَا مِنْ حَنِينِي بَعْض مَا شرِبَا
أَغْلَيْتُ نُعْمَى الهَوى عِنْدِي وَمِحْنَتَهُ
فَحُبُّ مَا مَر مِنْهُ حُبُّ مَا عَذُبَا
مَدامِعِي فِيكِ لَوْ أَكْرَمْتِ جَوْهَرَهَا
أَكْرَمْتِ فِيهَا الهَوى والشِعْر والعَرَبَا
أُجِلُّ بَابَكِ عَنْ طُولِ الوُقوفِ بِهِ
فَقْرُ الكَرِيمِ تَجَلَّى صَمْتُهُ طَلَبَا

١٩٥٧/٤/٢٦

ظمأ الى السراب

يُرَافِقُنِي سرابُكِ أَرْيَحِيّاً
فَأُغمرُ بالرحيقِ وبالمَلاَبِ[1]
سرابٌ أَسْمَرُ القَسَماتِ هانٍ
نَدِيٌّ اللمْحِ وَرْدِيٌّ الحَببِ
يُزَوِّقُ لي الرمالَ جَنىً وظِلاًّ
وَيَغْمِزُ بالكؤوسِ وبالشَرابِ
وَقَطَّفَ ما يُنَوِّرُ مِنْ طُيوفٍ
عَلى أَجْفانِ ناهِدَةٍ كَعابِ
وَعلَّلَ بالرجاءِ فَكَانَ أَحْنى
عَلَيَّ مِن الأَحِبَّةِ والصِحَابِ
مَحَا حِقدَ الهَجيرِ على الصحارى
وَوَحْدَتِي المَرِيرَةَ واغْتِرابي
فَيا نُعْمَى القُلوبِ ولا أُداري
ويا نُعْمَى العُيونِ ولا أُحَابي
سرَابُكِ رحْمَةٌ ومُنىً حِسانٌ
سَكَبْنَ طُيوبَهُنَّ على عَذابي
أَحُثُّ خُطايَ في اللَّهَبِ المُدَمَّى
إلى أَفْيائِهِ الخُضْرِ الرِطَابِ

---

(١) الطيب بلون الزعفران

سَقَــى عَيْنِــي مَتـارِفَــهُ وَرَوَّى
ظِمـاءَ الـرَمْــلِ بالنُـطَــفِ العِذَابِ
فَلَــوْ كَانَ الشَـبــابُ كما عَهِدْنَــا
وَهَبْـــتُ جَــزَاءَ نِعْمَتِــهِ شَبابِــي

بَكَيْت مِــنَ الســرابِ فحيــنَ وَلَّــى
وَأَوْحَــدَنِــي بَكَيْــتُ علــى السَــرابِ
وأشْقَــانــي اليَقِيــنُ فَياحَنِينــي
الــى الخُــدَعِ المُنَضَّــرَةِ الســوابِـي

مَغَــانٍ للســرابِ خَفِيــنَ إلاًّ
طُيــوفَ الجِــن فــي الــوَهْــجِ المُذابِ
أَتَمْحُــو يا سرابُ خُطــاكَ هُوجُ
مَــواحٍ للمَعــالِــمِ والقِبــابِ

يَدُلُّ علــى خُطــاكَ شَــذاً وحُــبٌّ
فَــأَرْشُــفُ ما وَطِئْــنَ مــن التُــرابِ
سَقَــى اللــهُ السَرابَ وفَــاءَ قَلْبِــي
وَعِــطْــر سرِيرَتــي وَصــبا رَبابِــي

وَنضَّــرَهُ بِأَنْــدى مِــنْ دُموعِــي
وَدَلَّلَــــهُ بِأَنْعَــم مِــنْ عِتابِــي
بِمـا بَيْــنَ الجَوانِــحِ مِــنْ حَنيــنٍ
مُلِــحٍّ فــي الشــهــودِ وفــي الغِيَــابِ

بِنَارِ تَدَلُّهِي بِرُؤَى جُنُونِي
بِإِيمَانِي بِحُبِّكِ بِارْتِيَابِي
بِوَجْهِكِ وَهْوَ نُورٌ فِي صَلاتِي
بِهَمْسِكِ وَهْوَ وِرْدٌ فِي كِتَابِي
بِعِزَّةِ لَوْعَتِي بِحَيَاءِ حُزْنِي
بِسُكْرِي عِنْدَ لَمْحِكِ وَاضْطِرَابِي
بِأَنْدَاءِ الصَبَاحِ مُنَمْنَمَاتٍ
بِمَا سَكَبَ الرَبِيعُ عَلَى الرَوَابِي
سَقَى اللهُ السَرَابَ مُنَى بِرُوحِي
عَلَى الحِرْمَانِ زَاخِرَةَ العُبَابِ
فَيُصْبِحُ وَهْمُ نِعْمَتِهِ يَقِيناً
وَتَسْتَغْنِي الرِمَالُ عَنِ السَحَابِ
وَتَلْثِمُ مَا أُسَبِّحُ مِنْ شِفَاهٍ
وَتَرْشُفُ مَا أُقَدِّسُ مِنْ رُضَابِ

* * *

هَوَايَ سَجِيَّةٌ وَشَبَابُ قَلْبٍ
وَجَلَّ صِبَا القُلُوبِ عَنِ التَصَابِي
خَضَبْتُ بِلَوْنِ سُمْرَتِكِ المُصَفَّى
حَيَاتِي وَالمُحَبَّبَ مِنْ رِغَابِي
وَلامَكِ عِنْدَنَا قَوْمٌ وَعَابُوا
يَجِلُّ النُورُ عَنْ لَوْمٍ وَعَابِ

وَأَنْتِ النُورُ في عَيْنِي وَقَلْبِي
عَلى حالَيْكِ مِنْ شَهْدٍ وَصابِ
سريرتُكِ الضِياءُ بلا غُروبٍ
وَعَيْناكِ الغُيوبُ بِلا حِجَابِ
وَقَفْتُ بِبابِ جاهِكِ مُطْمَئِنّاً
كأَنَّ الدَّهْرِ والدُنْيا بِبَابِي

* * *

١٩٥٦/٣/١٠

السراب المظلم

حَنَا السرابُ على قَلْبِي يُخَادِعُهُ
بالوَهْمِ مِنْ نَشْوَةِ السُقْيَا وَيُغْرِيهِ
فَكَيْفَ رُحْتُ وَلي عِلْمٌ بباطِلِهِ
أَهْوَى السرابَ وَأَرْجُوهُ وَأُغْلِيهِ

وَيْحَ السرابِ على الصحْراءِ تُسْلِمُهُ
رِماهُا السُمْرُ مِنْ تِيهٍ إلى تِيهِ
يُزَوِّرُ المَاءَ للسُقْيَا وَلَهْفَتُهُ
حَرَّى إلى مَنْهَلٍ يَحْنُو فَيسْقِيهِ
جَلا النَمِيرِ وما ابْتَلَّتْ جَوانِحُهُ
مِن النَمِيرِ ولا ابْتَلَّتْ مآقِيهِ
أَيَّامُهُ خُدَعٌ للرَكْبِ ضاحِكَةً
سُخْراً ولِلْعَدَمِ القَاسِي لَيالِيهِ
صَرْعاهُ لَوْ عَرَفُوا الأَسْرارَ ما جَزِعُوا
مِمَّا يُعَانُونَ بَلْ مِمَّا يُعَانِيهِ
ألا يَمَلُّ السرابُ الغَمْرُ وَحْدَتَهُ

أَلا يَحِنُّ الى نُعْمَى تُنَدِّيهِ
هَيْمانُ لَهْفَانُ لا مَأْوىً لِوَحْشَتِهِ
قَلْبِي الذِي وَسِعَ الأَكْوانَ يُؤْوِيهِ

أبْـكِـي لِبَلْـواهُ تَحْنَانـاً وَمغْفِـرةً
رُوحُ الأُلُـوهَـةِ رُوحـي حِيـنَ أبْكِيـهِ

اذا خُـدِعـتُ فقـد جـازَيْـتُ خُـدعَتَـهُ
بـالعُـذْرِ أبسُـطُـهُ والـذنـبِ أطـويـهِ

ادْعُـو السـرابَ إلى رُوحـي فَقَـدْ حَلِيَتْ
بِهَـا اللُبَـانـاتُ تُرْضِيـه وَتُغْوِيـهِ

لَهْفـي عَلَيْـهِ أسِيـراً في يَدَيْ قَـدَرٍ
يُمِيتُـهُ كُلَّ يَـوْمٍ ثُـمَّ يُحْيِيـهِ

يَغِيـضُ قَبْـلَ رَفِيـفِ الجَفْـنِ زَاخِـرُهُ
أقَلْبُـهُ جَفَّ أمْ جَفَّـتْ سَواقِيـهِ

مَاءُ ولا رِيَّ ينـدى فـي شَمائِلِـهِ
كَأنَّـهُ القَـوْلُ فاتَتْـهُ مَعانِيـهِ

يُزَوِّقُ الحُسْـنَ ألْـوانـاً ومـا عَصَفَـتْ
بِـرُوحِـهِ سَوْرَةٌ للحُسْـنِ تُصْبيـهِ

هَـذي مَراعيـه عُطْـلٌ مِـنْ بَشاشَتِهـا
حَنَّـتْ لِشبَّـابَـةِ الـراعـي مَراعِيـهِ

لَوْ صَعَّـدَ القَصـبُ الـوَلْهـانُ زَفْرَتَـهُ
لَنَـوَّرَتْ بِيـدُهُ واخْضَـلَّ وَادِيـهِ

ما لِلسَّـرابِ دَنَـا حَتَّـى إذَا اكْتَحَلَـتْ
بِسِحْـرِ دُنْيـاهُ عَيْنِـي شَطَّ دَانِيـهِ

أنْتِ السرابُ ولكنِّي علىَ ظَمَأي
بِأَنْهُرِ الخَمْرِ في الفِرْدَوْسِ أَفْدِيهِ
مَحَوْتُ مِنْ قَلْبِي الدنيا فما سَلِمَتْ
إلاَّ طُيوفُ هَوانا وَحْدَهَا فِيهِ

* * *

النبع المسحور

بُرْدُكِ فَـوْق الخَصْـرِ جَارُ الرُؤَى
فَخَلْفَـهُ تَطْفِـرُ جِنِّـيَّـتَـانْ
شَيْطَـانَتَـانِ اصْـطَفَتَـا جَـنَّـةً
قَـدْ تُـؤْنِـسُ الجَـنَّـةَ شَيْطَـانَتَـانْ
دَارَتْ عَلَـى الـظَمْـأَى حُمَيَّـاهُمَـا
فَـاللَّهْـوُ فِـي الجَنَّـةِ طَلْـقُ العِنَـانْ
يُدْنِيهِمَـا الشَـوْقُ وَلَـمْ تَـدْنُـوَا
فَهَـلْ هُمَـا نَهْـدَانِ أَمْ نَجْمَتَـانْ
تَمُـوجُ أَلْحَـانُ الصِبَـا فِيهِمَـا
كَأَنَّمَـا نَهْـدَاكِ أُغْرودَتَـانْ
عُشَّـانِ لا للـطَّيْـرِ بَـلْ لِلْهَـوى
عُشَـانِ بَـلْ لِلْمِسْـكِ قَارُورَتَـانْ
عِنْـدِي طُيُـوبٌ لَـكِ أَعْدَدْتُهَـا
عِـطْـرُ لُبَـانَـاتِـي وَعِـطْـرُ البَيَـانْ
رَشَّـا عَلَـى حُسْـنِـكِ رَيَّـاهُمَـا
فَهَـلْ دَرَى عِطْـرَاي مَـا يَفْعَـلاَنْ
حُسْـنُـكِ عِطْـرُ العِـطْـرِ فِـي جَنَّتِـي
عَلَـى غِنَـاهَـا وَلُبَـانُ اللُبَـانْ
فَاغْـدِي عَلَـى الرَمْـلِ وَرُوحِـي يَضُـعْ
وَرْدٌ وَيَفْـرُش طِيبَـهُ أُقْحُـوانْ

عَيْنَاكِ بَحْرٌ حِينَ أَغْفَى انْحَنَتْ
فَلَمْلَمَتْ أَحْلامَهُ الضِفَّتَانْ

تَغْفُو بِعَيْنَيْكِ طُيوفُ المُنَى
عَيْنَاكِ للأَشْوَاقِ أُرْجُوحَتَانْ

قَلْبِي وَقُرْطَاكِ حَلِيفَا ضَنَى
أَلَمْ يَئِنْ أَنْ يَتْعَبَ الخَافِقَانْ

وَخُصْلَتَانِ ارْتَاحَتَا فِي يَدِي
مِنَ الدُجَى المَخْمُورِ مسْكُوبَتَانْ

شَذَاهُمَا بَاقٍ وإِنْ غَابَتَا
كَأَنَّمَا فَرْعَاكِ رَيْحَانَتَانْ

تُغَامِزِينَ البَدْرَ فِي مَوْعِدٍ
فَغِرْتُ لَمَّا الْتَقَتِ الغَمْزَتَانْ

يُنَمْنِمُ الأَحْلامَ فِضِّيَّةً
وَتَنْسُجُ الشَمْسُ لَكِ الأُرْجُوانْ

وَمُلْكُكِ البَدْرُ وَشَمْسُ الضُحَى
وما يَصُوغَانِ وَمَا يَغْزِلانْ

قَدْ بَاحَ جَفْنَاكِ بِسرِ الدُجَى
جَفْنَاكِ مِنْ سِرِ الدُجَى مُتْرَعَانْ

تَضْحَكُ عَيْنَاكِ وإِنْ جَدَّتَا
لاَ سِحْرَ فِي عَيْنَيْنِ لاَ تَضْحَكَانْ

تَنْـطِـقُ عَيْنَـاكِ وَلَـمْ تَنْطِقِــي
وَقَـدْ تُطِيـلانِ وَقَـدْ تُوجِـزَانْ
وَلَـمْ تَضِيقَـا بِمَعَانِي الهَوى
أَلا تَلُومَـانِ أَلا تَعْتَبَـانْ

* * *

رَشِيقَـةَ الأَحْـزانِ وَالقَـدِّ هَـلْ
يَنْبُـتُ فِـي جَمْـرِ الغَضَـا غُصْـنُ بَـانْ
نَـزَلْـتِ قَلْبِـي سِـدْرَةَ المُنْتَهَـى
مَـا أَرْزُ لُبْنَـانَ وَمَـا الغُـوطَتَـانْ
وَبَيْنَنَـا قُـرْبَـى الشَـذَى لِلشَـذَى
أَلْحُـسْـنُ والشِـعْـرُ رَضِيعَـا لِبَـانْ
تَـرْشُـفُ مِـنْ نَهْـدَيْـكِ إِغْفَـاءَتِـي
كَـأْسَيْـنِ قَـدْ أُتْـرِعَتَـا بِنْـتَ حَـانْ
طَـافَـتْ بِـكِ الـكَـأْسُ فَرَنَّحْتِهَـا
وَجُـنَّ لَمَّـا شَمَّـكِ الـزَعْفَـرانْ
نَبْـعُ الصِبَـا المَسْحُـورُ[1] يَشْتَفُّـهُ
قَلْبِـي والسَـمْـرَاءُ والفَـرْقَـدَانْ
نَشْـتَفُّـهُ حَـتَّـى ثُمَـالاتِـهِ
فَنَحْـنُ لاَ نَفْنَـى وَيَفْنَـى الـزَمَـانْ
نَشْـتَفُّـهُ حَـتَّـى يَـعُـودَ الصِبَـا
واللِّمَّـةُ السَـوْدَاءُ والعُنْفُـوانْ

---

١) اشارة الى ما ورد في الاساطير عن وجود نبع يكفل للشارب منه خلود الشباب

وَبَيْتُنَا فِي رَبْوَةٍ سَمْحَةٍ
حُلْوُ السُفوحِ الخضْرِ، حُلْوُ الرِعَانْ
وَغَابَةٌ يَغْفُو الضُحَى عِنْدَهَا
وَشَمْسُهَا تَغْرُبُ قَبْلَ الأَوَانْ
قُبورُنَا فِيهَا بِلا وحْشَةٍ
يُؤْنِسُهَا فِي الوحْدَةِ السِنْدِيانْ
وَقُبَّةٌ[1] تَحْرِسُ كَنْزَ الدُجَى
كَأَنَّهَا فِي الغَابَةِ الدَيْدَبَانْ
والنَبْعُ والقُبَّةُ في هَدْأَةٍ
يُسْرِعُ دَهْرٌ وَهُمَا وَانِيَانْ
ما هَزَّتِ الدُنْيا أَنَاتَيْهِما
فَتُغْرِبُ الدُنْيا ولا يَدْهَشَانْ
ولَوَّحَتْ مِن بَعْضِ أفْيائِنَا
كَفَّانِ بالحِنَّاءِ مَخْضُوبَتَانْ
حَضَنْتُ في السمْراءِ دُنْيَا المُنَى
حِينَ التقينا كَبَّرَ العَالَمَانْ
جُزْنَا حُدودَ الكَوْنِ لا مَشرِقَانْ
في جَلْوَةِ النُور، ولا مَغْرِبَانْ
جُزْنَا حُدودَ الكَوْنِ، حتَّى الْتَقَى
كُلُّ مَغِيبٍ عِنْدَنا بالعِيَانْ

١) قبة قديمة لاحد لأولياء في مسقط راس الشاعر.

وعـــادَ للأَنْجُـــمِ ما ضـــاعَ مِـــنْ
أَضْــوائِهَـــا واعْتَنَـــــــق الأَزْهَــــــرانْ
واخْتَصـــــــر الــدُنْيـــا شــذاً مُسْكِــــرٌ
أَوْ لَهْفَـــــة عَذْراءُ أَو قُبْلَتـــــانْ
بُحْـــتُ بأَسْــــراري فَعُبُّـــوا الشَــــذى
فُضَّــــتْ عَـــنِ الـرَاحِ العَتِيـــقِ الدِنَـــانْ
ما غـــابَ عَـــنْ أَعْراسِــنَـــا أَهْلُنَـــا
أَلشَـمْــسُ والأَنْجُــمُ فـــي المِهْرَجَـــانْ
والنـــاسُ لا تَعْـــرِفُ أَحْزَانَنَــــــا
يَرْثــي لَنـا الشَـــوْقُ وَيَبْكِــــي الحَنَــــانْ

يَرْفَعُنــــي المَوْجُ إِلَـــى شَـــاهِـــقٍ
وَحَــطِّنِـــي لا تَهْـــدَأُ الــكِفَّتَـــانْ
زَلْــزَلَـــــتِ الأَمْـــــواجُ زِلْــزَالَهَـــا
واحْتَضَنَتْـــــهـــا دُجْنَـــةٌ مِـــنْ دُخَـــانْ
قــد رَجَّهـــا العـاصــفُ حتـــى طَغَـى
لُــؤْلُــؤُهَـــا ـ طَوْعَ يَـــدِي والجُمـــانْ
وَمِحْنَـــــةٌ طالَـــــتْ وأَكْرَمْتُهَـــــــا
بالصــبْـــرِ حَتَّى مَــلَّ دَهْــرُ فَـــلاَنْ

لا يَقْنَـــطُ الحُــرُّ ولا يَشْتَكِــــي
لِــكُـــلِّ بحـــرٍ هائِـــجٍ شَاطِئَـــــانْ

فَتَّشْــتُ عَــنْ خَوْفــي فَلَــمْ أُلْفِــهِ
كَيْــفَ أرَى الخَــوْفَ وَأَنْــتِ الأَمَــانْ
* * *
قَرَّبَنَــا اللــهُ فَفَــوْقَ الزَمــانْ
نَحْــنُ مَــعَ النُــورِ وَفَــوْقَ المَكــانْ
يُضَــوِىءُ الــظُلْمَــةَ إيمــانُنــا
وَيُسْــكِــرُ الفَجْــرَ رَحِيــقُ الأَذَانْ
نَحْــنُ وَقَلْبَــانــا وأَسرْارُنَــا
شَــوْقٌ الــى اللــهِ وأُغْنِيَّتَــانْ
أَوَجْهُهَــا أَمْ بَيْتُــهُ قِبْلَتِــي
أَسْــتَغْفِــرُ اللــهَ فَلِــي قِبْلَتَــانْ
نُرِيــدُ جَمْــراً لِبَخُــورِ الهْــوَى
فــي النَارِ هــذا الجَمْــرُ لا فــي الجِنَــانْ
صــلاتُنــا النُــورُ فَمِــنْ وَهْجِهَــا
شَــعَّ الضُــحَــى وأُتَلَــقَ النَيِّــرَانْ
مِــنْ وِرْدِنَــا الأفــلاَكُ تَسْبِيــحَــةٌ
والصُــبْــحُ والنَجْمَــةُ تَكْبِيرَتَــانْ
تَغْمِــزُنــي الشَــمْــسُ عِنــاقَ الهَــوى
فَلَفَّنِــي مِــنْ فَرْعِهــا خُصْلَتَــانْ
وَجْهِــي ـ وَلَــمْ تَخْــدَعْ أَسَارِيــرُهُ ـ
والقَلْــبُ مِرْآتَــانِ مَجْلُوَّتَــانْ

كَتَبْــتُ (بِسْـــمِ اللـــهِ) فالـطِّــرْسُ مِنْ
عَـــدْنٍ (وَبِسْـــمِ اللـــهِ) حُــورِيَّتَــانْ
لَــمْ يَعْنِنِـــي عُسْـــرٌ ولا شِـــدَّةٌ
اللـــهُ والسـمـــراءُ لِـــي المُسْتَعــانْ
عَرَّيْـــتُ فَقْــرِي عِنْــدَ بابَيْهِمـــا
وَتَعْـذُبُ الشَــكْــوى وَيَحْلُــو الهَــوانْ

* * *

١٩٦٢/١٢/٢١

أيها المعرض عني

أيُّهَـــا المُعْـــرِضُ عَنِّـي مـا الـذي رَابَـــكَ مِنِّـــي
أنْـــتَ حُلْـوٌ فـي الـرِضَـى السَمْـحِ وَحلْـوٌ فـي التجَنِّـي
دَعْ يَقِيني ـ وَهُـوَ الجَمـــرُ ـ إلى أفْيـاءِ ظَنِّـي
لِـي كُنُـوزُ الحُـب، يسْـتغْنِـي بهـا قَلْبِـي وَيُغْنِـي
والمُنَـى ضَاعَـتْ فَهَبْنِي مِنْـكَ نَعْمَـاءَ التمَنِّـي
تَعْـدِلُ الـدُنْيَا طُيـوفٌ عَلِقَـتْ مِنْـكَ بِجَفْنِـي
وَأنَـا البُلْبُـلُ فـي الأيْكِ وفـي الأَسْرِ يُغَنِّـي
تَـرَفُ الإحْسـانِ أنْ أُضْـفِي على دُنْيـاي حُسْنِـي
قَـدْ جَـلانِـي اللـهُ مِنْ نُعْمـاهُ إشْـرَاقَـهَ يُمْـــنِ
أنَـا والأنْجُـمُ أغْفَيْنَـا علـى مَهْـدٍ وحِضْـــنِ
وابْتَـدَعْنَـا ألْـفَ دُنْيَـا وَخَلَقْنَـا ألـفَ فَـنِ
أنَـا والأنْجُـمُ لانَفْنَـى علـى الـدهْـرِ ونُفْنِـي
أنَـا إنْ أدْنُ مِـنَ اللهِ فَـإنَّ الشَـوْقَ يُـدْنِـي
نـاعِـمُ النُـورِ نَمانِـي والأعَـاصِـيرُ تَمْتَنِـي
يَظْمَـأُ العَقْـلُ فَـأَسْـقِي العَقْـلَ أُسْطُورَةَ جِـنِ
لَـمْ يضِـقْ حُـبـي بِمـا ألْقـاهُ مِنْ حِقْـدٍ وغِبْـنِ
أُنْـزِلُ الآثـامَ أضْيـافـاً علـى جَنَّـةِ عَـدْنِـي

* * *

خالقه

مِـنْ نُعْمَيـاتِـكِ لِـي أَلْــفٌ مُنَـوَّعَـةٌ
وَكُـلُّ وَاحِـدَةٍ دُنْيَـا مِـن النُورِ
رَفَعْتِنِـي بِجَنَـاحَـي قُــدْرَةٍ وهـوى
لِعَـالَـمٍ مِـنْ رُؤَى عَيْنَيْـكِ مسْـحُورِ
تَعُـبُّ مِـنْ حُسْـنِـهِ عَيْنِـي فَـإِنْ سَكِـرتْ
أَغْفَـتْ علـى سُنْـدُسِـي مِـنْ أَساطِيـرِ
أُخَـادِعُ النَـوْمَ إِشْـفـاقـاً على حُلُـمٍ
حَـانٍ علـى الشَـفَـةِ اللمْيـاءِ مَخْمُـورِ
وَزَارَ طيفُـكِ أَجْفَانـي فَعَطَّـرها
يا لَلطُيـوفِ الغَـريـراتِ المَعـاطِيـرِ
طُيـوبُـهَـا فـي زِيـارَاتِ الـرُؤَى نَـزَلَتْ
مِـنْ مُقْلَتَـي عَلَـى أَصْـفَـى القَـواريـرِ
كَـأَنَّ هَمْسَـكِ فـي رَيَّـاهُ وَشـوَشَـةٌ
دَارَ النَسِيمُ بِهـا بَيْـن الأَزَاهِيـرِ
تَنْـدى البَـراءَةُ فِيـهِ فَهْـو مُنْسَكِـبٌ
مِـنْ لَغْـوِ طِفْـلٍ ومِـنْ تَغْـرِيـدِ عُصْفُـورِ
رَشَـفْـتُ صـوتَـكِ فـي قَلْبِـي مُعَتَّقَـةً
لَـمْ تُعْتَصـر وَضيـاءً غَيْـر مَنْظُـورِ
لَـوْ كُنْـتِ فـي جَنَّـةِ الفِـرْدَوْسِ وَاحِدَةً
مِـنْ حُـورِها لَتَجَـلَّى اللـهُ لِلْحـورِ

خَلَقْتِنِـي مِنْ صبابَاتٍ مُـدَلَّهَةٍ
ظَمْـأى الحَنِيـنِ إلـى دَلٍّ وَتَغْـرِيـرِ
فَكَيْـفَ اغْفَلْـتِ قَلْبِي مِـنْ تَجَلُّدِهِ
لَمّـا تَـوَلَّيْـتِ إبْـدَاعِـي وتَصْوِيـرِي ؟
وَكَيْـفَ تَشْـكِيـنَ مِنْ حُبِّـي غَـوايَتَهُ
وَأَنْـتِ كَـوَّنْـتِ تَفْـكِيرِي وَتَعْبِيـري
وَهَـلْ تُـريـدِيـنَ رُوحِـي هَـدْأةً وَوَنَـى
فَـكَيْـفَ أَنْشَـأْتِ رُوحِـي مِـنْ أعـاصيـرِ ؟
أَلِـفْـتُ نَفسِي على ما صُغْتِ جَوْهَرَهَا
يـا غُـرْبَتِـي عِنْدَ تَحْـوِيـري وَتَغْيِيـري !

* * *

كَبَّـرْتُ لِلـطَّلْعَـةِ النَشْـوى أُسَبِّحُهـا
أكـانَ لِلَّـهِ أمْ لِلحُسْـنِ تَكْبِيـري
يـاطِفْلَـةَ الـرُوحِ حَبّـاتُ القُلـوبِ فِدَى
ذَنْـبٍ لِحُسْـنِـكِ عِنْـدَ اللـهِ مَغْفُـورِ
آثـامُـكِ الخَفِـراتُ البِيضُ لَـوْ جُلِـيَتْ
لِـطُـورِ مُـوسى لَنَـدَّتْ ذُرْوَةَ الطُـورِ
كـأَنَّهـا أُقْحُـوانَـاتٌ مُنَضَّـرَةٌ
بِمُخْصِـبٍ عَبِـقِ الـرَيْحَـانِ مَمْطُـورِ
يـانَجْمَـةً تَخْتَفِـي حِينـاً وتُشْـرِقُ لـي
حِيـنـاً أفـانِيـنَ تَـعْـرِيـفٍ وتَنْكِيـرِ

لَقَــدْ هَجَــرْتِ أخــاكِ الفَجْـر وانْتَبَهَــتْ
شَــمْسُ الصــباحِ علــى أَنَّــاتِ مَهْجُـورِ
مِــنْ مَـوْطِـنِ النُــورِ هذا الحُسْــنُ أَعْرِفُهُ
حُلْــو الشَـمـائِـلِ قُـدْسِـي الأسـارِيـرِ
فَفِـي السـمــاءِ علـى مَطْلُـولِ زُرْقَتِهَــا
أرى مَسـاحِـبَ ذَيْــلٍ مِنْــكِ مَجْــرُورِ

* * *

لاتَجْــزَعــي مِــنْ مَقــاديـرٍ مُخَبَّــأَةٍ
حَنــا يُـدَلِّلُنَــا ظُــلْـمُ المَقــادِيــرِ
عِنْـدِي كُنُــوزُ حَنــانٍ لا نَفــادَ لَهَـا
أَنْهَبْتُهَــا كُــلَّ مَظْلُـومٍ وَمَقْهُــورِ
أُعْــطِــي بِـذِلَّـةِ مَحْـرُومٍ فَـوا لَهَفِـي
لِسائِــلٍ يُغْــدِقُ النَعْمَــاءَ مَنْهُــورِ
جَـواهِـري فـي العبيــرِ السـكْـبِ مُغْفِيَــةٌ
مِـنَ الــوَنـى بَعْـدَ تَغْلِيــسٍ وَتَهْجِيـرِ
تـاهَـتْ عَـنِ العُنُـقِ الهَـانـي فَأَرْشَـدَهَـا
إلــى سَنَــاهُ حَنِيـنُ النُــورِ للنُــورِ

* * *

الى استاذي مصطفى الغلاييني

قيلت في حفل تكريمي له

أتَسْمَعُ إنَّهُ صَوْتُ الشَبابِ
فَدَتْهُ النَفْسُ مِنْ داعٍ مُجابِ
وما غَيْرُ الشَبابِ حِمىً عَزِيزُ
يُرَجَّى للثَوابِ وللعِقابِ
أبا النَشْءِ الجَديدِ بَنَيْتَ نَشْأً
مِنَ الأَخْلاقِ والأَدَبِ اللُّبابِ
هَنِيئاً ما أَصَابَكَ مِنْ خُطوبٍ
وَما لاقَيْتَ مِنْ مِحَنٍ صِعابِ
وما غَالَبْتَ مِنْ زَمَنٍ وَنَاسٍ
وأَنْتَ اللَيْثُ يَنْهَدُ للغِلابِ
وَأَعْوامُ الشَبيبَةِ وَهْي تُطْوى
عَلَىَ شَمْلٍ شَتيتٍ واغْتِرابِ
تُجاهِرُ بالحَقيقَةِ لاتُداري
وَتَصْدَعُ بالنَصيحَةِ لا تُحابِي
تَعَهَّدْتَ الشَبابَ فَمِنْ قَصيدٍ
سقيْتَ بِهِ البَيانَ إلى كتابِ
دَعَوْتَهُمُ إلى الفُصْحَى فَلَبَّوْا
وَبُورِكَ في الدُعاءِ المُسْتَجابِ

جَلَـوْتَ فُتونَهَا فَهَفـوْا إلَيْهـا
وفُلِّـتْ حِـدَّةُ النَّفَــرِ الغِضَـابِ
ومـا اخْتَلَفُـوا علـى الأَنْسـابِ إلاَّ
هَدَيْتَهُــمُ الـى النَسَــبِ القُـرابِ
تُـؤَلِّـفُ بَيْنَهُـمْ وَتَــذُودُ عَنْهُـمْ
ذِيـادَ الليْـثِ عَـنْ أَشْــبالِ غَـابِ

* * *

أَتَـذْكُـرُ فـي الشـآمِ لَنـا عُهُــوداً
مُعَــطَّـرَةً كــأنْفــاسِ الكَعَــابِ
بِــدُمَّــرَ لا السُــفـوحُ مُعَطَّــلاتٌ
مِـنَ الغَـزَلِ النَــدِيِّ ولا الرَوابِـي
وَهَـلْ عِنْـدَ الخَمـائِـلِ مـا قَطَفْنـا
مِـن الفِتَــنِ المُنَــوَّرَةِ العِــذَابِ
نُطَــوِّفُ مـا نُطَــوِّفُ ثُــمَّ نَـأْوي
إلى أفْنـانِـهـا النُضْـرِ الـرِطَـابِ
ونُنْشِــدُها النسيــبَ علـى ذُبــولٍ
فَيُغْنِيهــا النَسيـبُ عَـنِ الرَبَــابِ
وُرودُ الشَـــامِ تُسْــكِـرُهــا القَــوافِـي
وَتَهْــفُــو للتَــوَجُّــعِ والعِتَــابِ
وَتَــطْــرَبُ للنَــدِيِّ مِـنَ المَعـانِـي
فَتَجْــزِي بالــظِــلالِ وبــالمَلابِ

لِئَــنْ نَضُـرَتْ خَمَـائِلُهـا فـإِنِّـي
خَلَعْــتُ عـلـى خَمَـائِلِهـا شَبـابِـي

وَوَدَّعْــتُ الصِبــى فِيهـا حَمِيــداً
وَرُحْــتُ أُغَــشُّ قَلْبِـي بالتَّصـــابِـي

أحِــنُّ إِلـى شَبـابـي حِيـنَ أَهْفُــو
إلى تِلْـكَ المَعـالِـمِ والقِبــابِ

وَمَــنْ يَنْعَــمْ بِصُــحْبَتِــهِ فــإِنِّــي
جَـنَــى مُــرُّ الإِبـاءِ علـى صِحـابِـي

لِـداتُ طُفـولَتِـي ذَهَبُـوا تَبـاعـاً
وَعَـاقَتْنِـي الخُــطـوبُ عَـنِ الذَهــابِ

أُسـائِــلُ عَنْهُــمُ فَـأرى وُجُـــومـاً
فَـأُغْضِـي قَـدْ عَثَـرْتُ علـى الجَـوابِ

وَأسْــمَــعُ للقُبــورِ صـدىً وَجيعـاً
حَنِيــنَ الغـائِبيــنَ إلــى الإِيَــابِ

سَقَــى تِلْكَ القُبـورَ دَمِـي وَدَمْعِــي
وَجَــلّ القَبْــرُ عَـنْ سُقْيـا السَحَـابِ

وَمَـنْ فَـوْقَ التُـرابِ فِـدى بُــدورٍ
خَبَــا لألآؤهــا تَحْـــتَ التُـرابِ

* * *

أَتَعْـذِلُنـي وَقَلْبِـي فـي وَجيــبٍ
مِــنَ الـذِكْــرى وَدَمْعِـي فـي انسكـاب

فَـدَيْتُـكَ إنْ بَكَيْـتُ أســىً وذِكْـرَى
فَـهَــذا الــدَمْـعُ لَمْ يَكُ في حِسابي
وَعيـدُكَ بَهْجَـةُ الـدُنْيـا عَلَيْـهِ
رُواءٌ مِـنْ شَمـائِلِكَ الـسوابِـي
صَحِبْتُـكَ فـي الشـآم وكُنْـتَ بَــرّاً
تُخَـاطِبُنـي وَتَلْـطُـفُ في خِطَابِـي
تُعَلِّمُنِـي الــوَسِيـم مِـنَ القَوافِـي
وَتَهْـدِيني القَــوِيـم مِـنَ الشِّعـــابِ
وَتُـكْـرِمُ مَشْـهَـدي وَتَـذُودُ عَنِّـي
إذَا الحُسَّــادُ أنْــطَقَهـا غِيـابِـي
فَتَـاكَ وإنْ تَـأَوَّلَتِ الأعَــادي
وَلَجَّـتْ فـي أذايَ وفي اغْتِيـابِي
وَغَسَّـانُ العُلـى قَـومِـي ولَكِــنْ
إلـى آدابِـكَ الغُــرِّ انتِسـابِــي

* * *

ايكما الرّبيع ؟

الى الامير مصطفى الشهابي
وقد زار اللاذقية والشاعر يشكو التواء في قدمه
فلم يستطع استقباله

ثَنــانِــي عَــنْ لِقــائِــكَ يا أميــــري
عِثــارُ الجَــدِّ والقَــدَمُ الوَجِيــعُ
فَخَفَّ مَــعَ الجُمــوعِ إليْــكَ قَلْبــي
يُــرافِقُهـــا ومــا دَرَتِ الجُمُــــوعُ
وَمَــزَّقَــهُ الحَنِيــنُ فَكُــلُّ جُـــرْحٍ
هَــوىً يَشْــكو وغــالِيَــةٌ تَضُـــوعُ

* * *

أمــيرِي والعُلَــى حَسَــبٌ رَفِيــعُ
يُمَــكِّــنُ مَجْـدَهُ أدَبٌ رَفِيـــعُ
جَمَعْــتَ كِلَيْهِمــا فـزَكَــتْ أُصــولٌ
عَلَــى نَعْمائِــهــا وَزَكَــتْ فُـــرُوعُ
تَحِـــنُّ لَكَ الــرُبــوعُ وَلَسْـــتُ أدْري
لِمَــنْ تَشْــكــو مُصِيبَتَهــا الرُبـــوعُ
تَنَمَّـــر كُـــلُّ خَــوَّانٍ لئيـــمٍ
وَتــاهَ النَــذْلُ واخْتــالَ الوَضِيــعُ

وَنَالَتْ مِنْ حَرائِرِنا بَغِي
لِكُلِّ هَوىً مُسَخَّرَةٌ تَبُوع
وَرُبَّةَ حُرَّةٍ جَاعَتْ وَتغْنى
بِثَدْيَيْهَا البَغِيُّ فَلا تَجُوعُ
رَأَيْتُ الكُفْرَ يَكْتُمُهُ ذَوُوهُ
وكُفْرُ القَوْمِ عُرْيَانٌ خَلِيعُ
وَأَوْصدَتِ الشآمُ السمْعَ عَنَّا
فَما فِي الشَامِ للبَلْوىَ سَمِيعُ
عَنَوْا للخَائِنينَ وَدلَّلُوهُمْ /
وما بالَوْا بأَرْحامٍ تَضِيعُ
وما صَرَعُوا عَدُوَّهُمُ بِنُعْمَى
ولكِنَّ الوَفاءَ هُو الصرِيعُ
فَلَوْ دَرتِ الضُلوعُ صنيعَ قَلْبِي
لَمَا غَفَرَتْ جَريرَتَهُ الضُلُوعُ
يُطِيعُ أَحِبَّةً جَارُوا عَلَيْهِ
ويَأْمُرُهُ الزَمانُ فلا يُطِيعُ
تَشَفَّعَ في ذُنوبِهِمُ وَفائِي
فَفازَ الحُبُّ وأَنْتَصر الشَفِيعُ

* * *

أَميري هَذه شَكْوى أَلَحَّتْ
فضاقَ بِجَمْرِها الصدْرُ الوَسِيعُ

وَعِنْـدَكَ مِثْلُهـا ولَـدى كلينَــا
لأَسْـرارِ العُلـى حَـرَمٌ مَنِيـعُ
وَأهْـلاً بالاميـرِ فَكُـلُّ قَلْـبٍ
إلـى لُقْيَـاكَ خَفَّـاقٌ نَـزُوعُ
نَزَلْـتَ مَعَ الـربيـعِ عَلـى رُبَانـا
فَقـالَ النـاسُ أَيُكُمـا الـربيـعُ

* * *

بين الامير والشاعر

أيا شاعر العُرْب الذي سارَ شِعْرُهُ
يُدَوِّي فلا يَثْنيهِ بَرٌّ ولا بَحْرُ
تذكَّرْ بِثَغْرِ اللاذِقيةِ صاحباً
اذا دَبَّ فيه اليأسُ أنعشَهُ الذِكْرُ

———— الامير مصطفى الشهابي

أميرَ الندى والأرْيحيَّةِ والعُلى
أَحَبُّ من النُعْمى شمائِلُكَ الغُرُّ
بيانُكَ لا عِطْرُ الجِنانِ وسِحْرُها
وطَبعُكَ لا الشَهْدُ المُصفّى ولا الخَمْرُ
صَحِبْتُكَ من عشرينَ تَجْمَعُ بَيْنَنَا
من الأدبِ الأعلى الشمائِلُ والفِكْرُ
وأنّا تحدَّيْنا الطُغاةَ فلم يَضِقْ
بِطُغْيانِهِمْ مِنّا كِفاحٌ ولا صَبْرُ
وأنّا اناخَ الدهْرُ حِيناً بِعَسْفِهِ
علينا فلم يُسْلِسْ شكائِمَنا الدهْرُ
وأنّا تقاسمنا الإمارة بيننا
لكَ النثرُ في آفاقها ولي الشِعْرُ
أقاربُ لا من أُسْرَةٍ أو عشِيرةٍ
فمن صُور القُرْبى الشمائلُ والنَجْرُ

وأهْـــلٌ على بُعْـدِ الجدودِ وإنما
أخـو الحُـــر في الـــدنيا هو الماجِـدُ الحُرُّ

فدلّـلْ وفـائـي ما قَدَرْتَ فـــإنَّه
وحَقِّـكَ نِعْـــم الـــذُّخْـرُ إنْ فُقِـدَ الذُّخْـر

سَكْب المروءات

الى أخي اكرم زعيتر

لــي أخٌ سَكْــبُ المــروءاتِ اذا الــداعــي دعــاهُ
اريحَــيٌّ اليَــدِ والفــكْــرِ، وللفــكــرِ نَــداهُ
مــاحــكــاه الهنــدوانــيُّ ولا أغنــى غِنــاهُ
أكــرمُ الــوُدِّ تفيــأنــا على الجُــلىَّ حمِــاهُ
صــاغــه الخيــرُ من الخيــر لُبــابــاً واصطفــاهُ
مُعْــرِقُ الأَمجــاد والأنســابِ طــابــت نَبْعتــاهُ
فــاذا عُــدَّت غطــاريــفُ العلــى فاذكــر أبــاهُ[1]
واذا عُــدَّتْ أســاطيــنُ النُّهــى فاذكــر أخــاهُ[2]
واذا الميــدان جلَّــى الــشــوطُ كــان ابــنَ جَــلاهُ
ضــاحــكٌ ما شئــت تُــخْــفي عــزَّة الــكِــبْــر أســاهُ
عبــقــريٌّ القلــب والعقــل تــرشَّــفنــا سنــاهُ

٥ ـ ١١ ـ ٥٧

(١) المرحوم الشيخ عمر زعيتر الزعيم الفلسطيني الكبير
(٢) المرحوم العلاّمة عادل زعيتر

أخـــا الجُلَّـــى

إلى أخي الاعز الاغلى اكرم زعيتر

أأكــــرم حبُّنـــا أصــفـــى وأســمـــى
علـــى عنَـتِ الخــطــوب من العتـــاب
ومـــا عـــزَّيْــتُ حيــن ألَــم خطــبُ
مصــابــك فــي جــلالتــه مصـــابي[1]
أخـــا الجُلَّـــى وربّ أخ تعـــرَّى
لـــدى الجـــلَّـــى عـــن الحسب القُــراب
أُحِبُّـــكَ للنبيـــل مـــن المعـــالـي
وللعَــطِـــرِ السَّـــريّ مـــن الـرِغـــاب
وأنـــت اذا تحـــدتـــك الـــرزايـــا
ضيـــاءُ الشـــمـــس يســخـــر بالسحـــاب
تحـــنُّ اليـــك عنـــد البعـــد روحـــي
حنيـــن الـــورد للنُّـــطَـــفِ العِـــذاب
وحبُّـــكَ نعمـــة الـــدنيـــا وأحلـــى
مـــن النُّعمـــى شمـــائِلُـــكَ الســوابي

(١) على اثر وفاة شقيقه المرحوم نبيه زعيتر

صهرت من الخطوب

أأكـــرمُ مـــا تضـــوَّعـت الغـــوالـــي
بأعـــطـــر منـــك مأثـــرة وَعَرْفـــا
صُهِـــرْتَ مـــن الخـــطـوب فـــزدت قـــدراً
وَتِلْـــكَ سجـيةُ الـــذَّهَـبِ المُصـــفّى

بغداد سنة ١٩٣٩

إلى صديقي الدكتور ايمن الكزبري

أيمـن الكـــزبـــريُّ دنيـا من العـلم
ودنيـــا مـــروءةٍ ووفـــاءِ
زانـــهُ اللـــه بالعـــظيـــمِ مـن الطـب
وجَلَّـــتْ سَجِـــيَّـــةُ العظمـــاءِ

سيذكرني

سيذكرني بَعْدَ الفراقِ أحبتي
وَيَبْقَى مِنَ المرء الاحاديثُ والذكرُ
ورودُ الرُّبى بَعْدَ الربيعِ بعيدةٌ
ويُدنيك منها في قواريره العطرُ

١٩٧٨

البــواكيــر

الاهداء

الى مثال البطولة العربية الى الشهيد الراقد في ميسلون الى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبودية وعلى الحياة

مرابع الاحباب

مر الشاعر بعد ميسلون بدار الملك فالفاها مقفرة

أمَرابِــعَ الاحْبَــابِ في قلبــي لِـمنْ ظَعَنُــوا مرابِـعْ
فَسَلي الاضَالِعَ عَـنْ هَواهُ فَسِـرُّهُ عِنْـدَ الأَضَالِعْ
أَتْبَعْتُــهُ رَكْـبَ الحَبِيـبِ مُيَمِّمـاً ذاتَ الأَجَــارِعْ
وســأَلْــتُ عَنْــهُ الــراجِعِيــن فَقِيـل قَلْبُــكَ غَيْـرُ راجِــعْ

* * *

بَعُــدَ الــذيـن أُحِبُّهُــمْ والــوجْـدُ يُذْكِيــهِ البِعــادْ
وَيْــلَ الجيادِ فقد نَـأتْ بأحِبَّتـي تِلْك الجِيَـادْ
بَعَثُـوا خيالَــهُــمُ وَكَيْـفَ بِــهِ لِمَـنْ حُـرِمِ الـرُّقَـادْ
أَتُــراهُــمُ عَلِمــوا بِمَــنْ أَصْفَــاهُــمُ صِــدْقَ الــوِدادْ

* * *

يا ســاكِنِي القَصــرِ المَهِيــبِ عَفَــتْ وحقكُــمُ القُصُــورْ
وَتَغَيَّــر الــزَمَــنُ الخَــؤونُ فَمَــا وَفَــى لَكُــمُ عَشيــر
نُقِضَــتْ عُهُــودُكُــمُ وخَانَــكُــم المُقَــرَّبُ والسمِيــر
وَتَنَــكَّــر الإِخْــوانُ حِيــن تَنَــكَّــر الــدَهْــرُ الغَــدُورْ

* * *

أَبْوابُــكُــمْ هُجِــرتْ فَــلاَ نُــورٌ هُنــاكَ ولا ازْدِحـامْ
قَــدْ كـان يُؤنِسُهــا الضِيــاءُ فَصــارَ يُوحِشُــهــا الظَــلامْ

واحسرَتَـا ! لُـمْـتُ الخُـطُـوب فَمـا انتَفعْـتُ مِـنَ المَــلامْ
جَـدٌّ تَنَبَّـهَ ثُـم أدْرَكَـهُ الـكَـرى طِفْـلاً فَنَـامْ

* * *

أحْبَـابَنَـا أيْـن الأُلَـى نَظَمُـوا بِمَدْحِـكُـمُ الجَواهِـر
أيْـن القَصـائِـدُ تَزْدَهِـي مُتَبَـاهِيـاتٍ كالضرَائِـر
أيْــن المُغَنِّــي والنَـدِيـمُ وَأيْــن ذو الغُــرِرِ السوائِـر
صمــتَ الجَمِيعُ وَلَـمْ يَفُـهْ غَيْـري مِن الشُعَـراءِ شَاعِـرْ

* * *

غَنَّيْـتُ مـا شـاء القَـرِيـض لَدَيْكُـمُ مُتَرَنِّـمـا
وَنَطَـقْـتُ عَــنْ سِــر القُلُــوبِ مُعَبِّــراً وَمُتَرْجِـمـا
حَتَّــى اذا نَزَلَ القَضَــاءُ مُعَبِّسـاً مُتَجَهِّمَـا
رَدَّدْتُ شِعْــري فــي حِمــاكُـمْ باكِيـاً مُتَأَلِّـمـا

* * *

أنَــا لا يُغَــيِّرُنــي الصُـدودُ ولا الجَفَـاءُ ولا النَــوى
وَلِـعٌ بِسُــكَّانِ اللِـوى مرحـى لِسُــكَّـانِ اللِّــوى
واللــهِ قَلْبــي مـا تَنَـكَّـب عَــنْ هَـواهُ ولا ارْعَـوى
لا خَــانَ عَهْـدُكُمُ الــوَثِيــقَ علـى البِعــادِ ولا نَــوى

* * *

بسمـاتُ شِعْـري حَوَّلَتْهـا الفـاجِعَـاتُ الـى دُمُـوعْ
فـإذا بكَيْـتُ علـى الرُبُـوعِ فـإنَّ ذا حـقُّ الرُبُـوعْ
الفَـاخِـراتُ على الـزَمَـانِ التـائِهَـاتُ علـى الرَّبِيـعْ
سَلَـبَ الـزَمَـانُ جَلالَـهَـا وَجَمَـالَ فَـرْقَـدِهَـا الرَفِيـعْ

* * *

أحْبَـابَنَـا لا تَضْـعُفـوا فالضُـعْـفُ داعِيـةَ الفَنَـاءْ
وَتَعَلَّمـوا أنَّ الحَيَـاةَ وَصـفْـوَهَـا للأَقْوِيـاءْ
النَّـاهِـدِيـنَ الـى النِـزالِ الصـابِـرِيـنَ علـى البَـلاءْ
القَـاحِمِيـن علـى الخُـطُـوبِ عَرِينَـهـا وعلـى القَضَـاءْ

* * *

أيْـنَ الشَـرائِـعُ ؟ لَمْ يَعُـدْ فـي الارْضِ ظِـلٌّ للشَـرائِـعْ
دَرَسَـتْ وقَـامَ بِنـا علـى أنْقَـاضِـهـا ديـنُ المَطَامِـعْ
الصِـدْقُ مـا نَطَقَـتْ بِـهِ فـي النـاسِ أفْـواهُ المَـدافِـعْ
والحَـقُّ مـا قَـامَـتْ تُؤَيِّـدُهُ الـظُبَـى البِيـضُ القَـواطِـعْ

* * *

ضَـلَّ الـذي زَعَـم الأنـامَ عَـنِ القَـدِيـمِ تَقَدَّمُـوا
النـاسُ فـي كُـلِّ العُصـورِ كَمـا عَلِمْـتَ هُـمُ هُـمُ
يَشْقَـى الضَـعيفُ وَيَسْتَبِـدُّ بِـهِ الـكَمِـيُّ المُعْلَـمُ
وتُحَلِّـلُ الأَطْمَـاعُ مـا تَخْتَـارُهُ وَتُحَـرِّمُ

* * *

دُوَلٌ تَــدُولُ وَغَيْــرُهــا تُبْنَــى علــى أَنْقاضِهَــا
ومَمَــالِــكٌ مرِضَــتْ فَحَــارَ الــطِــبُ فــي أَمْراضِهَــا
قُصــتْ قَوادِمُهــا فَمَــنْ يَحْنُــو عَلــىٰ مُنْهاضِهـا
تـرمــي الليـالي بالخـطــوبِ ونحـنُ من أَغـراضهــا
(١٩٢٠)

الى الحبيبة الصغيرة

أنـا إنْ بَعُـدْتُ عَنِ الـديـارِ فإنَّنِي
يـا مـيُّ قَلْبـي في ديارِكِ بَاقِـي
حُبِّـي وإنْ شَـطَّ النَوى بِمَزارِكُمْ
حُبِّـي وأَشْواقِـي لَكُـم أَشْواقِـي
لا تَـرْقُبُـوا مِنِّـي تناسِي عَهْدِكُـمْ
إنَّ الـوَفَـاء المَحْض مِنْ أَخْلاقِـي
أنـا لَسْـتُ أُخْلِـفُ بالنـوى ميثـاقكم
أو تُخْلِفُـونَ علـى النـوى ميثاقـي
وَيُـريقُ أَدْمُعِـي الصُدودُ وإنْ يَكُـنْ
دَمْعِـي لِهَـوْلِ المـوْتِ غَيْـر مُـراقِ
أنــا كـالحُســامِ اذا جَـلاهُ صـاقِـلُ
يـزْدَادُ إشـراقـاً علـى إشْـراقِ

* * *

(١٩٢٠)

الشاعر والبؤس

خُلِقَ الشاعِرُ والبُؤسُ مَعَاً
فَهُما خِلَّانِ لَمْ يَفْتَرِقَا

* * *

ذَهَبَ العُمْرُ ولَمْ تُمْسِكْ يَدِي
بَيْنَ أتْرابِي صَفِيَّاً أوْ خَلِيلاَ

أنَا في الكَوْنِ شَقِيٌّ حائِرٌ
لا أرى نُوراً ولا أُهْدَى سبيلاَ
أنَا طَيْرٌ لَمْ يُغَرِّدْ فاسْمَعُوا
بالدُجَى مِنْهُ نُواحاً وعوِيلاَ
أنا إنْسانٌ غَرِيب أمْرُهُ
شَرِبَ السُم وعافَ السلسبيلا
أنا رُوحٌ حُرَّةٌ طائِرَةٌ
رضِيتْ بَيْن الدَرارِي مقيلاَ
تَرْمُقُ الدُنيا فَتَبْكي جَزَعاً
وتُناجِي أَهْلَها جِيلاً فَجِيلاَ
شَارَكتْ في الحُزْنِ مَنْ ذَاقَ الأَسى
وَأَبَتْ مثْلَهُمُ الصبْر الجَمِيلاَ
وَشَكَتْ حر الهَوى حِينَ شَكَوْا
وَبَكَتْ حِينَ نَوى الإلْفُ الرحِيلاَ

بُــورِكَ الحُــبُّ ومــا أَعْـدَلَـهُ
مَلَكَ الـرُوحَ وَلَــمْ يَنْسس الهَيُـولى

* * *

قَدْ سَرَى في الــكَوْنِ حــتَّــى لَمْ يَدَعْ
فــي قُلوبِ النــاسِ قَلْبــاً مُغْلَقَـا
هُوَ حُزْنٌ هـادِىءٌ في غِبْطَـةٍ
وَهْــو لَوْ ذُقــت نَعِـيمٌ في شَقَـا

* * *

إيْــهِ يا مَوْجُ سَلامــاً هَكَــذا
يُرْسِـلُ الصــبُّ مَـعَ المَـوْجِ سَلامَهْ
أَنَــا مَظْلــومٌ فَمَـنْ هَذا الذي
يَـرْفَـعُ الغُمَّــةَ عَنِّــي والظُــلاَمَــهْ ؟
مَـرَّ بِـي الــدَهْـرُ فَأَدْمــى مُقْلَتِي
بَعْــدَ أنْ اثْبَــتَ في قَلْبِــي سِهامَهْ
لَمْ يُغَيِّــرْنــي سَقَــامــاً وهَــوىً
إنْ يَكُــنْ غَيَّــرَنــي وَجْهــاً وقَامَـهْ
هَاتِ حَدِّثْنِــي عَــنِ العَهْــدِ الذي
كَانَ فيِ ثَغْــرِ لَيَالِـي ابْتِســامَهْ
لا أرى مِنْ بَعْــدِ عِشْرِينَ مَضَــتْ
عَجَبــاً إنْ عَــاوَدَ القَلْــبُ غَــرامَهْ

ذِكْرُ الشامَ سَقاهَا صيبٌ
طاهِرُ المُزْنِ وحَيَّتْهَا غَمامَهْ
لا تَلُمْهُ حِينَ يُصفِيهَا الهَوى
إنَّما الشَامُ بوجْهِ الدَّهْرِ شَامَهْ

***

كَيْفَ لَمْ أَقضِ حَنِيناً وأَسىً
يَوْمَ فارَقْتُ بِرَغْمِي جِلَّقَا
لِلِّقا قَالَتْ وَمَنْ أَعْلَمَهَا
أَنَّنِي أَحْيا إلىَ يَوْمِ اللِّقَا

* * *

أُنشُقِي أَزْهَارَ شِعْرِي غَضَّةً
إنَّنِي أَلْقَيْتُهَا بَيْنَ يَدَيْكِ
واعْذُرِينِي حِينَ أَبْكِي واذْرِفِي
دَمْعَةً طَاهِرَةً مِنْ مُقْلَتَيْكِ
حِرْتُ فِي الحُبِّ إلى أَنْ لاَحَ لِي
سِرُّهُ مُحْتَجِباً فِي نَاظِرَيْكِ
قُوَّةٌ قاهِرَةٌ تَجْذِبُنِي
حَيْثُما يَمَّمْتُ مُضْطَرّاً إلَيْكِ
هَذِهِ المَوْجَةُ فَرَّتْ بَعْدَمَا
قَبَّلَتْ بالسِرِ إحْدى قَدَمَيْكِ

لا تَلوميها فَمَا فِي قُبْلَةٍ
طَهُرتْ إِثْم عَلَيْها أَوْ عَلَيْكِ
ونَسِيمُ الصُبْحِ مَا أَسْعَدَهُ
حِيْن تَرْوِيهِ حُمَيَّا شَفَتَيْكِ
وَيْح شِنْفَيْكِ قَدِ اهْتَزَّا هوى
حِينَما شَمَّا الشَذَى مِنْ وجْنَتَيْكِ
كُلُّ ما في الكَوْنِ يَهْواكِ فَهَلْ
حِلْيَةُ الزَنْدَيْنِ تَهْوَى مِعْصَمَيْكِ

* * *

إِنَّ فـي نَهْدَيْكِ طِيباً عَبِقَاً
أَنْشِقِي الشَاعِر هَذا العَبَقَا
واذْكُرِي الشَاعِر والبُؤْس مَعَاً
فَهُما خِلاَّنِ لَمْ يَفْتَرِقَا

* * *

(١٩٢١)

حَيَاةُ أَسيرِ القَيْدِ لَفْظٌ بِلا مَعْـــنى

الانتداب الفرنسي في عنفوانه وفي الفورة من طغيانه وقد جزأ الوطن شر تجزئة وأقام دويلات في اللاذقية وحلب وجبل الدروز وقطع كل صلة بين هذه الاجزاء وبين الأم الرؤوم الخالدة دمشق واشتد تنكيله بالاحرار الذين ينادون ـ بالوحدة في الوطن الواحد

أتُغْنِـــي ومــا أَجْـدى الحُســامُ ولا أغْنَـــى
قَـوافٍ مِن الأَشْعَــارِ تَبْقَــى ولا تَفْنَــى

أَدَرْتُ علـى الأَســماعِ مِنهــا سُـلافَـــةً
وأَرْضَيْـتُ فيهــا اللـهَ والعُـرْبَ والفَنَّــــا

تُحَـــذِّرُنـــي قَرْض القَـــريضِ مُهَــذَّبــاً
عِصـابَــةُ شَــرٍ لا تُقِيمُ لَـهُ وَزْنَــــا

وَهَـــدَّدَنِـــي بالسِـــجْـنِ قَــوْمٌ سَفَاهَـــــةً
فَتـى العَـــربِ الأَنْجــادِ لا يَرْهَـبُ السِجْنَــا

سَأَبْـعَــثُ مــن شِعْـــري جِيــاداً مُغِيرَةً
عَلَيْهــا كُـماةٌ تُحْسِــنُ الضَرْبَ والطَعْنَـــــا

وَأُذْري علـــى الاطْــلال أَطْــلالِ يعــــرب
مــدامِــع حُــر تَسْـتَحيلُ قَنـاً لُدْنـا

هَـلِ الشِعْــرُ الا بَسْـمَــةٌ تَمْنَـحُ الفَتَـــى
هَـنَــاءَ المُـنــى أَوْ دَمْعَـــةٌ تَبْعَـثُ الحُـزْنـا

يَظُنُّـــونَ أَنَّ الشِـــعْـــر وَزْنٌ وطَـالَمَـــا
قَــرَأْتُ مِــن الأَشْــعــارِ مـا خَـالَـفَ الـوَزْنَـا

مِن الشِعْـــرِ ـ أَصْفـى الشِعْـــر ـ بَيْتٌ مُنَمْنَمٌ
تَسِيرُ الصبا فيه لِتُنْشِـدَهُ الغُصْنَـا
مِن الشِعْـــرِ ـ أَحْلى الشِعْـــرِ ـ ثغــر مُقَبَّلٌ
رَشَفْـــتُ بِـهِ السَّلـــوى ولَـمْ أُحْـرمِ المَنَّـا

وفي عَـيْـنِ سَلْـمـى قد تَلَـوْتُ قصيـدةً
مِـن الشِـعْـرِ لم تَتْـرُكْ لِضَرَّاتِـهـا حُسْنـا
وللشِـعْــرِ آيِ فـي النُـهــودِ قَـرأْتُـها
وفـي الشَـفَـةِ اللَمْيــاءِ والمُقْلَـةِ الوَسْنَـى
نَـأَيْـتُ عَنِ الفَيْحــاءِ ـ لا عَـنْ مَلاَلَـةٍ
وَحيــداً ودمعـــي يـوْمَ فُـرْقَتِهــا مَثْنَـــى

فَلِلَّـــهِ مَغْنَـــى الغُـوطَتَيْـنِ ولا سَـــقَتْ
علـى البُعْـدِ الا أدْمُعـي ذلـك المَغْنـى
يَقُـولـونَ غَـــن الغُـــوطَتَيْـــنِ وَهَـلْ رَأَوْا
محُـــبّـــاً علـى مَثْـــوى حَبيبتـــهِ غَـــنَّى

فَيـا جَنَّـةَ الفِرْدَوْسِ لَـو لَمْ يَعِـثْ بهـا
شياطيـــنُ إنْـسٍ رَوَّعُـوا الإنْـس والجِنَّـا
ويـا جَنَّـــةَ الفِـرْدَوْسِ لَـكِنْ قُطُـوفُــها
بِغَيْـرِ أَكُفِّ الصيـدِ مِنْ أَهْلِـهــا تُجْنَى
حَنَنْـــتُ الى رَيَّـــاكِ والسَيْـفُ مُصْلَـتٌ
وَقَــدْ يُعْــذَرُ النـائـي الغَـريـبُ إذا حَنَّــا

وذَكَّرني رَيَّاكِ رَوْح شَمَمْتُه
كأنَّ شَذاهُ مِن خَمائِلِكِ الغَنَّا

فَياوارِدي ماءَ الشآم رويتُم
فَلِلّهِ ما أصْفَى ولله ما أهْنى

ويا ناظِري غيدَ الشآم نَعِمْتُم
فَلِلَّهِ ما أبْهى ولِلَّهِ ما أسْنَى

ويا عُصْبَةً في الغُوطَتَيْن فَتاهُم
اذا جادَ لَمْ يُتْبِعْ عَطِيَّتَهُ مَنَّا

أرى أنَّ هَذا الأمْر قد جَدَّ جِدُّهُ
فَكُونوا لنا حِصناً نَكُنْ لَكُمُ حِصْنَا

ولا تَشْنَ مِنْ هَذي الأَعِنَّةِ قُوَّةٌ
فإنَّ عِنانَ اليَعْرُبِيين لا يُثْنَى

ولا تَقْنَطُوا مِنْ بارِقِ الفَوْزِ إنَّنِي
أرى الفَوْزَ مِنْكُمْ قابَ قَوسَيْنِ أَوْ أدْنَى

لَقَدْ زَعَم الواشُونَ أنّي نَسِيتُكُمْ
شُروطُ الهَوى أنْ لا تُعِيروهُمُ أُذْنَا

يُريدونَ هذا البُعْدَ بَيْني وبَيْنَكُم
فَلا نَعِمُوا بالاً ولا صحِبُوا يُمْنَا

هُمُ حَجَبُوا عَنّا نَسيم حِمَاكُم
وَهُمْ نَقَلُوا زُور الحَديثِ لَكُمْ عَنَّا

أسيئوا بِهِم ظَنّاً وإِنْ لاَنَ مسُّهُمْ
فَـو اللـهِ وَدُّوا أَنْ تُسيئـوا بِنَـا ظَنَّـا
وإِنَّـا عَلى جَـوْرِ الخُطـوبِ وعُنْفِـهَـا
وحـقٍّ هَـواكُـمْ مـا غَـدَرْنَـا ولا خُنَّـا
لِسِـرٍّ مِـن الأَسْـرارِ لا تَجْهَـلُونَـهُ
تَخَـلَّـتْ عَـنِ اليُسْـرى شَقيقَتُها اليُمْنَـى

* *

لَئِـنْ خَـانَ عَهْدَ الغُوطَتَـيْنِ عِصابَـةٌ
رَأَوْا بَيْعَهُـم رِبْحـاً وأَلْفَيْتُـهُ غَبْنَـا
فَفِـي الجَبَـلِ النَـائي لِعُصْـبَـةِ جِلِّـقٍ
مِـن الْقَـوْمِ خِدْنٌ لَمْ يَخُـنْ فِي الهَـوى خِدْنَا
أَمِـينٌ علـى عَهْـدِ الشـآمِ كَأَنَّـهُ
يرى وهـو قَيْسُ الحُـبِّ فِي جِلَـقٍ لُبْنَـى
إذا هَـم أَمْضَـى هَمَّـهُ غَيْـر جَـازِعٍ
وراح ولـم يَقْـرعْ لِفِـعْلَـتِـهِ سِـنَّا
نَمَتْـهُ إِلـى أَبْنـاءِ جَفْنَـةَ فِتْيَـةٌ
ميامِيـنُ لَـمْ تَأْلَـفْ سيوفُـهُـمُ جَفْـنَـا
إذا طَرَقُـوا بـاب المُلوكِ فإِنَّهُـمْ
بِغَيْـرِ العَـوالِـي السُمْـرِ لَـمْ يسْـأَلُـوا إِذْنَـا

* * *

خُـذُوا حِذْرَكُـم يا ناقِمـين مع العِـدَى
عَلَى النَفَـرِ الأَدْنَـيْنَ مِنْ أَهْلِـكُمْ جُبْنَا
خذُوا حِذْرَكُـمْ يا دافِنـي رَأْيِ قَوْمِهِـمْ
فلِلشَـمْـسِ نُـور لَنْ تُطِيقـوا لَهُ دَفْنَـا
دَعُـونـا وَهَـذا الأَمْـر نَنْهَض بِعِبْئِــهِ
فَمَـا نَحْـنُ مِنْـكُمْ لا ولا أَنْتُمُ مِنَّـا
رَقَـدْتُـمْ ومـا نِمْنَـا غِـراراً على الأَذَى
وَدِنْتُـمْ لأَعْـداءِ الشـآمِ ومـا دِنَّـا
إِذَا أَغْمَضُـوا جَفْنَـاً عَنِ الشرِّ رُحْـتُمُ
تَـوَدُّونَ أَنَّ القَـوْمَ لَمْ يُغْمِضُوا جَفْنَـا
فَـلا تُكْبِـروا نُعْمَـى الهَـوانِ فـإِنَّـما
حَيَـاةُ أَسـيرِ القَيْدِ لَفْـظٌ بِلا مَعْنَـى
ولا تُكْبِـروا هَـذي البُـرودَ نَواعِماً
وإِنْ فُوِّفَـتْ ذَيْلاً وإِنْ وُسِّـعَتْ رُدْنَـا
فَلَيْستْ تَزِينُ الـمـرْءَ حُـلَّـةُ سيدٍ
إِذَا كَانَ عَبْـداً فـي شَمائِلِـهِ قِنَّـا
لأَهْنَـأُ مِـنْ رب القُصـورِ مُقَـيَّداً
طَلِيــقٌ مِـن الأَطْيَـارِ أَبْقَـوا لَـهُ وَكْنَـا

* * *

أَدِيرِي عَلَـي الـكَأْس صِرْفَـاً وعَلِّلِـي
فَتَـاكِ فَـقَـدْ أَفْنَـى الهَـوى مِنْـهُ ما أَفْـنَـى

وغَنِّـــي عَلَى لَحْـنِ الشَبَـاب فإنَّـــنِي
لأَعْشَـقُ هـذا الثَغْـر والنَـاي واللَّحْنَـا
لَئِـنْ أُطْفِئَـتْ يا مـيُّ نِـيرانُ يَعْـرُبٍ
هَـوانـاً فـإنَّـا سوْف نُضرِمُـهـا إنَّـا
وَلا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغَـر مُحَجَّـلٍ
تَـطِيرُ الجِبَالُ الـراسِيَاتُ بِـهِ عِهْنَـا
يُصافِـحُ فِيهِ قائِـم السيفِ خَـالِـدٌ
فَيَضْـرِب حَتَّـى يُكسـر السَيْـفُ أَوْ يُحْنَـى
وَكَمْ فـي بُـطونِ الْيَعْـرُبِيَّـاتِ خَالِـدٌ
سـيُرْجِعُ ظَهْـر الأَرْضِ مِـنْ حَنَـقٍ بَطْنَـا

(١٩٢١)

ماك سويني

ماك سويني هو محافظ مدينة كورك الارلندية اعتقله الانكليز بقضية وطنية فأضرب عن الطعام احتجاجا على طغيانهم حتى وافته المنية

أحقًّا ما رَوَتْ عَنْكَ الـرُواةُ
تُـرى أَمْ فـي حَديثِهِمُ هَنَـاتُ
وَهَـلْ نَبـأُ رواهُ البَـرْقُ صِـدْقٌ
أَمِ الأَسْـلاكُ فيـه كـاذِبـاتُ
غَلَبْـتَ المَوْتَ فِيهِ وذَاكَ أَمْـر
سَتُـكْبِـرُهُ القُـرونُ الآتِيـاتُ
وَهَـوَّنْـتَ المَنُـونَ لِشـارِبيـهـا
فَـلا أَلَـم هُنـاكَ ولا شَـكاةُ
سَلَـكْـتَ صِعـابَهَـا مافُـلَّ حَـدٌّ
لِعَـزْمِـكَ لا ولا غُمِـزَتْ قَنَـاةُ
وأَرْخَصْـتَ الحَيـاةَ فَيـا لَكَنْـزٍ
أَزالَتْـهُ المَقـادِيـمُ الأُبـاةُ
بسـطْـتَ يـدَيْـكَ بسْطَـةَ أَرْيحِـي
فَكـانَـتْ مِنْ عَطَـايَـاكَ الحَيـاةُ
وُكُنْـتَ هُنـاكَ أَجْـرأَهُـم جَنـانـاً
إذا طـاشَـتْ مِن القَـوْمِ الحَصـاةُ

وأثْبَتَهُـمْ لـدى الجُلَّى فُـؤاداً
إذا ما أعْـوَزَ القَـوْمَ الثَبـاتُ

* * *

بَلَغْـتَ مِن العِـدى بالمَوْتِ مالَـمْ
تُبَلِّغْـهُ السُيـوفُ المُـرْهَفَـاتُ
لَقَـدْ وَقَفـوا لَدَيْـكَ وَهُـمْ حيارَى
فَـراعَهُـمُ سُـكونُـكَ والأَنَـاةُ
رَأَوْكَ تَهِـشُّ في وجْـه المَنايـا
وحَـوْلَـكَ في الحَيـاةِ الطَّيبـاتُ
وَتَبْسِـمُ لِلْمَنُـونِ وَقَـدْ تَسـنَّتْ
لَـوِ اخْتَـرْتَ النَجَـاة لَـكَ النَجـاةُ
وَتَقْتَبِـلُ الـرَدى ظمـأً وَجُـوعـاً
ليـذْكُـو الغَـرْسُ بَعْـدَكَ والنَبـاتُ
فَـأكْبَـرَكَ العُـداةُ ورُبَّ حُـر
تَغَنَّـتْ فـي بُطـولَتِـهِ العُـداة

* * *

عَصَيْـتَ العَـاطِفـاتِ فَمُتَّ جُـوعـاً
ومِـنْ بَعْـضِ القُيـودِ العـاطِفـاتُ
وَلَـم تَبْخَـلْ بِنَفْسِـكَ وهْـي كَنْـزٌ
مَتَـى بخِلَـتْ بِأَنْفُسِـهَـ الكُمـاةْ

لَقَـدْ حـرَّرْتَهـا فَسـمـتْ صُعُـوداً
كَماَ سمتِ النُجـومُ النَيِّـرَاتُ
عَلَـوْتَ بِـهـا عنِ الأَعْـراضِ حَتَّـى
تَسـاوَى المَوْتُ عِنْـدَكَ والحَيـاةُ

* * *

(١٩٢١)

أي أمر ساءها ؟

إنِّي اسْتَعَرْتُ مِن الكَواكِبِ في الدُّجى لألأَها
ومِن الغَزَالَةِ وَهْي تَرْكَعُ في السماءِ ضِياءَها
ومِن الحَمائِمِ فِي الغُصُونِ نُواحَها وغِناءَهَا
وأَخَذْتُ مِنْ نُجْلِ العُيونِ فُتورَهَا وصَفَاءَهَا
وَمِن الخَمائِلِ حِين باكَرهَا الحَيا أَنْداءَها
وَسَرَقْتُ مِنْ لُعْسِ الشِفاهِ على الهوى صَهْبَاءَها
ومِن الوُرودِ عَبيرَها وَمِن العُقُودِ سَناءَهَا
لأَصُوغَ مِنْها حِلْيَةً وَقَفَتْ عَلَيْكِ رُواءَهَا
تُغْضِي العُيونُ لِحُسْنِها أَوَ لَمْ تَرَيْ إغْضَاءَها
وتَوَدُّ تِيجَانُ المُلوكِ لَوِ اغْتَدَيْن اماءَهَا

* * *

واحَسْرَتاهُ فإنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ إرْضاءَها
صدَّتْ وَكَيفْ يُطِيقُ قَلْبِي صدَّهَا وَجَفاءَها
ورمتْ بِحِلْيَتِي النفيسةِ أيُّ أمْرٍ ساءَهَا

* * *

مِنْ رَنَّةِ العِيدانِ وَهْي جَوامِدُ تَتَكَلَّمُ
مِنْ ضِحْكَةِ الأَطْفالِ وَهْي بِنُطْقِهَا تَتَلَعْثَمُ

مِـنْ شَـدْوِ وَرْقـاءٍ تَنُـوحُ وبُلْبُـلٍ يَتَرَنَّـمُ
ومِـنَ النَسِيمِ العَـذْبِ يَهْمِـسُ بُكْـرَةً ويُتَمْتِمُ
أَلَّفْـتُ أَلْحَـانِي لأُسْعِـدَ أنْفُسـاً تَتَأَلَّـمُ
وَرَفَعْتُهـا لَـكِ وَهْـي أَنْفَسُ مـا لَدَيَّ وَأَوْسَمُ
أَهْـدَيْتُهَـا لَـكِ رُبَّمَا أَهْدَى المُقِـلُّ المُعْـدِمُ
هِـي لِلْقُلُـوبِ الـداميـاتِ وحَـق حُسْـنِـكِ مَرْهَـمُ
يَسْلُـو الحَزِيـنُ بِهـا ويـرْتَـاحُ الـكَئِيـبُ المُغْـرَمُ
وَيَعُـودُ لِلقَلْـبِ الشَـبـابُ وعَصْـرُهُ المُتَقَـدِّمُ

* * *

وَاحسْـرتَـاهُ فـإِنَّنِـي لَـمْ أَسْتَـطِـعْ إِرْضَـاءَهَـا
صـدَّتْ وَكَيْـفَ يُطِيـقُ قَلْبِـي صـدَّهَـا وجَفَـاءهَـا
ورمـتْ بـأَلْحَـانِـي الـرَفِيعَـةِ أيُّ أَمْـرٍ سـاءَهَـا

***

أَلـذُّلُّ لَسْـتُ أُطِيقُـهُ أَتُـرى سِـواي يُطِيـقُـهُ
مـاذُقْتُـهُ قَبْـلَ الهَـوَى لكِنَّنِـي سـأَذُوقُـهُ
قَلْبِـي بِحُبِّـكِ خَـافِـقٌ فَمَتَـى يَقَـرُّ خُفُـوقُـهُ
شُـرِّدْتُ عَنْـكَ وَضَـمَّنِـي نـائِـي المَـزارِ سحيقُـهُ
فَـأَرَقْـتُ دَمْـعَ أخِـي هَـوى فِـي الخَـطْـبِ قَـلَّ صدِيقُـهُ
إنْ كُنْـتِ لَـمْ تَـرْضَـي بِهِ هَـذا دَمِـي سـأُرِيقُـهُ
أَعَلِمْـتِ أَنِّـي شَـاعِـرٌ حُـرُّ البَيـانِ طَلِيـقـه
يُـوحَـى إلَـي مِـنِ القَـرِيـضِ بـديعُـهُ وَدقيقُـهُ

هَــــذي قَــلائِــدُهُ وذَا يـــاقــوتــهُ وَعَقِيـــقُــــهُ
فَتَقَبَّـــلِيـــهـــا واسْــمعِــيِ شِعْـــراً يُـــدارُ رحِيقُـــــهُ

* * *

واحسْـــرَتَـــاهُ فـــإنَّنـــي لَـــمْ أسْتَـــطِـــعْ إرْضَـــاءَهَـــا
صـــدَّتْ وَكَيْـــفَ يُطِيـــقُ قَلْبِـــي صـــدَّهـــا وجَفـاءَهَـــا
وَرَمَـــتْ بـــأَشْـــعـــارِي النَفِيـــسةِ أيُّ أمْـــرٍ ســـاءَهَـــا

* * *

(١٩٢١)

يا قمر

هـاتِ حـدِّثْنِي فَقَـدْ طَـاب السمرْ
وأَنِـرْ ظُلْمَـةَ نَفْسِـي يـاقَمـر
سُـوَرُ الحُسْـنِ فـلا تَبْخَـلْ بِـهَا
إِنَّ للشـاعِرِ أَلْحَـانَ السُـوَرْ

* * *

أَنـا نَشْـوانُ ومِـنْ خَمْـرِ الهَـوى
قَـدْ تَرشَّفْـتُ رحيقـاً بـابلِيًّـا
سَكْـرَةٌ للحُـب فـي عَهْـدِ الصِبـا
كَيْـفَ لا يُعْـذَرُ منْ كَـانَ صبِيـا
فِـي ظِـلاَلِ الـوَرْدِ أَحْسُـو خَمْـرَتِي
مُشْـرِكـاً في كـأْسِـيَ الـزَهْـر النَـدِيًّـا
نَهْلَـةٌ مِـنِّـي و مِنْـهُ نَهْلَـةٌ
هَـكَـذا نَرْتَشِـفُ الـكَـأس هَنِيًّـا
لامَنِـي النَـاسُ علـى حُـب الطِلَـى
فـاعـذِرِ الشـاعِـر فيهـا يـا قَمَـر

* * *

آهِ للأَزْهـارِ مِـنْ شَـاعِـرَةٍ
تَجْهَـلُ الأَوْزانَ والشِـعْـرُ شُعـورْ

آهِ للأزهــارِ فــي أوراقِهَــا
كَتَــبَ الــدَهْــرُ رِوَايـاتِ العُصُــورْ
هــذِهِ الأغْصـــانُ هَـــزَّتْهـا الصَّبـــا
نَضَـــراتٍ كُـــنَّ فــي الأَمْـــسِ خُصــورْ
وَثُغــورُ الــوَرْدِ في أَكْمـــامِــهِ
كُــنَّ لِلْغيــدِ المَعَــاطِيــرِ ثُغـورْ
هَــذِهِ أسْـــرارُ جَنَّــاتِ الرُبَـــى
فـاسْـمَـــعِ السِـــر وَصُـنْـــهُ يا قَمَـــرْ

* * *

يــا قُـلُــوبــاً غَيَّــرتْ أَشْكَالَهَـــا
أيَّ تَغْيِيـــرٍ نَـوامِيـــسُ الطَبِيعَــةْ
حَــوَّلَتْهــا وَهْـــي لَحْــمٍ وَدَمٌ
زَهَــراً يُـــذْرِي علــى الأَمْــسِ دُمُــوعَـهْ
أنــا مَظْلــوم شَقِـــيٌّ فاهْمِســـي
بِحـديثِ الــدَهْــرِ، إنّـــي لَنْ أُذِيعَـهْ
طَــالَ يــا ظمــأى بِأَقْــداحِ الطِلَـــى
عَهْـدُكِ النـائـي أَتَهْـوَيْـنَ رُجـوعَهْ
فــارْشُــفِـــي خَمْـــرَةَ كَـــأْسِــي واذْكُـرِي
أدْمُعِـــي واشْــهَـــدْ عَلَيْهـــا يــا قَمَـرْ

* * *

مـي في وطنهـا

زارت الكاتبة الخالدة لبنان سنة ١٩٢١ فزارت فيه الارز وبعلبك ثم زارت دمشق والشاعر يصور خواطره هنا عن الامكنة الثلاثة التي زارتها ويعاتبها لأنها لم تزر اللاذقية

يـا أَرْزَ لُبْنَـانَ وَقَـدْ أَقْبَلَـتْ
مَـيٌّ وَسِـرْبُ الغَـانِيَـاتِ المِـلاحْ
وانْحَنَـتِ الهَـامـاتُ مِـنْ هَـيْبَـةٍ
لِمَـجْـدِكَ البَـادِي بِتِـلْـكَ البِطَـاحْ
أَمَـا قَـرأْتَ الحُـبَّ فـي سُـورَةٍ
خُـطَّـتْ على تِلْـكَ الـوُجوهِ الصِبـاحْ
كـافَحْـتَ إِعْصـارَ الـرَدَى ظَـافِـراً
فَمَـنْ محـا آثَـارَ ذَاكَ الكِفَـاحْ
وَجَـرَّدَ الـدَهْـرُ عَلَيْـكَ الظُبَـى
فانْخَـذَلَ الـدَهْـرُ وَفُـلَّ السِـلاحْ
غَـالَبْتَـهُ تَسْخَـرُ مِـنْ صَـرْفِـهِ
كِبْـراًولا تَخْشَـى القَضَـاءَ المُتَـاحْ
مـا نَـالَ مِنْـكَ الدَهْـرُ إلاَّ الـذِي
نَـالَـتْ مِنَ الصَـخْـرِ الأَصم الرِيَـاحْ
أَيْـنَ سُلَيْمَـانُ وَبَلْـقِيسُـهُ
أُخْـتُ هِـلالِ الأُفْـقِ بِنْـتُ الصبـاحْ

وَأَيْـــن ذَاكَ الهَيْـــكَلُ المُـرْتَجَـــى
هِيْضَـــتْ خَـوافِيــهِ وَقُــص الجَنَـــاحْ
فاتْــلُ عَلــى مــي أحــادِيثَـــهُ
مِــنْ يــوْمَ شــادُوهُ الـى يَــوْمَ طَـــاحْ

* * *

يـــا بَـــرَدَى الشَـــامِ وَقَــدْ أَقْبَلَـــــتْ
مــيُّ الفَتَـــاةُ الغَـــادَةُ الشَـــاعِـــرَهْ
لا تُنْــكِـــرِ الشَّـــوْقَ فَقَــدْ صَفَّقَـــتْ
مِــنْ وَجْـــدِهَـا أَمْـــواهُـــكَ الطَـــاهِـــرَهْ
تَــلاَ عَلَيْهـــا بَرَدَى مـــا جَـــرى
عَلَيْـــهِ فِـــي أَيَّـــامِــهِ الغَـــابِـــرَهْ
فاسْـــتَعْبَـــرَتْ تَــذْكُــرُ آلامَـــهُ
يــا حَبَّــذَا المَحْبُـــوبَــةُ الذَاكِـــرَهْ
خَـــاطَبَهَـــا المَـــاءُ ولا بِـــدْعَـــةً
فـــإِنَّهـــا يـــا بَـــرَدَى ســـاحِـــرَهْ
حَــــدَّثْ عَـــنِ المَــاضِـي وَأَعْــراسِـــهِ
وَعَـــنْ صُـــروفِ الـــزَمَـــنِ الغَـــــادِرَهْ
وعَــــنْ جُـــدودٍ فِيـــكَ مَيْمُــونَـــةٍ
وَعَـــنْ جُـدودٍ بَعْـــدَهَـــا عَـــاثِـــرَهْ

وعَــنْ عُـروشٍ حسـَـدَتْ مَجْـدَهَـــا

فِــي الأُفْــقِ هَــذِي الأَنْجُـمُ الــزاهِـرَهْ

واتْـــلُ على مَــيٍّ رِوايــاتِهِـمْ

فــإِنَّهَــا مُبْكِيَــةٌ زَاجِــرَهْ

* * *

يــا بَعْلَبَــكُّ ابْتَسِـمِـي إِنَّهَــا

مَـيٌّ وَسِـرْبُ الغَــانِيَــاتِ الدُمَــى

واسْـتَقْبِلِـي الـوحْيِ فَوَحْـيُ النُهَــى

سَـلَّـم فَــي السِـرْبِ الـذِي سَـلَّمَـا

بُنْيَــانُــكِ الخَــالِـدُ مـا بــالُــهُ

أَصْبحَ لَغْــزاً غَــامِضَـاً مُبْهَمَــا

هَــلْ شَـادَهُ أَهْـلُ الثَـرى مُعْجِــزاً

أَمْ شَــادَهُ فِـي الأَرْضِ أَهْــلُ السـمـا

لَـمْ يَدْرِ هَــذا العَصْـرُ مِـنْ سِـرهِ

شَيْئــاً فَمَــا أَبْهَــى ومــا أَعْظَمَــا

واخَجَــلَ الإِنْســانِ فِــي كِبْــرِهِ

لا كَــرَّمَ الحَــقَّ ولا كُــرِمـا

لَقَــدْ سمــا الأَجْـدَادُ مِــنْ قَبْلِــهِ

كَمـا سمـا أَوْ فَــوْقَ مـا قَــدْ سمــا

هَــلْ عِنْـدَهُ مــنْ يَبْتَنِــي تَـدْمُــراً

أَمُغْــرمـاً فِــي الفَــن أَوْ مُــرْغَمَــا

فَقَدِّسِي مُبْدِعَها مالِكَاً
لا يَنْقُضُ الأَمْرَ إذا صَمَّما
واتْلِي على مَيَّ أعاجِيبَهُ
فالمَرْءُ مَذْكُورٌ بِمَا قَدَّمَا

* * *

يا مَيُّ والأَرْزاقُ مَقْسُومَةٌ
سُبْحَانَ مَنْ قَسَّمَهَا فِي الأَنَامْ
مِنْ مِصْرَ لَبَّيْتِ نِداءَ الهَوى
فَزُرْتِ لُبْنانَ وَزُرْتِ الشَآمْ
ثُمَّ تَهَادَيْتِ على سابِحٍ
مُمْتَنِعِ الجَانِبِ عِنْدَ الصِدَامْ
تَبْغِينَ أَرْضَ النِيلِ مُشْتَاقَةً
لِمَنْهَلٍ عَذْبٍ وأَهْلٍ كِرامْ
قَبْرُ «التَنُوخِي»[1] الطَهُورِ الثَرى
ما ضَرَّ لَوْ حَيَّيْتِهِ بالسلاَمْ
ما أَحْوَجَ القَبْرَ إلى دَمْعَةٍ
مِنْ جَفْنِ مَيٍّ لا جُفُونِ الغَمَامْ
فابْكِي على القَبْرِ الذِي ضَيَّعَتْ
أَمْجَادَهُ الفُرْقَةُ والانْقِسامْ

(١) الأمير التنوخي امير اللاذقية الذي رثاه المتنبي

وَاتْلِــــي عَلــى القَــوْمِ أَحَــادِيثَـــــهُ
فــإِنَّ فِيهـــا عِبْــرَةً للأَنَــــــــامْ

(١٩٢١)

وذرني حتى أحيي الصباحا

شَبَح الموت ما يُخيفُ البَرايا
مِنْ حُتوفٍ تُعانِقُ الأرْواحا
وجَدَ الناسُ في كُؤوسِكَ سُمّاً
غَيْر أنّي وجَدْتُ فِيهِنَّ رَاحَا
فاسْقِنِيها قَدْ طَالَ صحْوِي وَمكْثي
وَتَمَنَّيْتُ سَكْرَةً ورَواحا
لا تُبادِرْ بِها وقَدْ نَصلَ اللَّيلُ
وَذَرْني حتّى أُحَيي الصباحَا
وَتَمهَّلْ حتّى أُودِّعَ نُور الشَمْسِ
إذْ هَم أَنْ يَلُوح فَلاحا
ثُم خُذْني إلَيْكَ يا موْتُ جَذْلانَ
طَرُوباً إلى الرَدى مرْتَاحَا
ذاكَ مِصْباحُ صَبْوتي وَشَبَابِي
فَتَعَجَّلْ وأطْفِىءِ المصْباحَا

* * *

(١٩٢١)

يا شاعر التاج

وجه الشاعر هذه القصيدة الى الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي في زيارته دمشق سنة ١٩٢٢

يـا شاعِـر التـاجِ المُضِـيءِ علـى جَبيـنٍ أغَـرَّ فـاتِـحْ
وَفتـى القَـريحةِ أُعْـطِيَتْ عَرْش الإمـارَة فِـي القَـرائِـحْ
طِيْـبُ العِـراقِ وإنَّـهُ لَلْمِسْـكُ مِنْ بُرْدَيْـكَ فائِـحْ
نُـحْ مـا تَشـاءُ علـى العِـراقِ فَـإنَّنِـي بالشَـامِ نائِـحْ
واسْـفَـحْ دُمُـوعَـكَ إنهـا أخَـواتُ أدْمُعِـي السـوافِـحْ
لا الخَطْـبُ قَـلَّ عَنِ البُـكاءِ ولا مَعِـينُ الـدَمْعِ نـازِحْ
هـذا النَـظيمُ مِـن المَدامِعِ ذَوْبُ أكبـادٍ قَـرائِـحْ

* * *

حَمِـيَ الـوطيـسُ فَمَـنْ يجُـالِـدُ عَنْ هَواهُ ومَـنْ يُنَافِحْ
شُـمُّ الأُنـوفِ تَفَـرَّقُـوا ما بَيْـن مُنْعَفِـرٍ ونَـازِحْ
ألشـامِخُـونَ إذَا الهَـوانُ بـدا بأعْنـاقٍ قَـوامِـحْ
رقَـدوا رُقَـادَهُـمُ الاخيـر وأُغْمِـدَتْ بِيـضُ الصَفائِـحْ
وَيْـح المَطـاوِحِ عُطِّـرتْ بِشَـذا جِراحِهِـمُ المَطاوِحْ
فَلْتُـكْسرِ البيـضُ الـرِقـاقُ وتُعْقَـرِ الشُـقْـرُ السوابِـحْ
وَسَـلِ الأبـاطِح عَـنْ دِمـاءِ القَـوْمِ تُنْبِئْـكَ الأبـاطِـحْ
روِيَـتْ بـأكْنـافِ العـراقِ وجِلِّـقٍ ظَمْـأى الصحـاصِـحْ
هَـوت الجحـاجِـحُ فاسْتَفِـقْ يا ثـأْرُ قـد هَوَتِ الجَحـاجِـحْ

* * *

أهْوَى العراقَ وإنْ تكُنْ طَاحَتْ بِسُؤْدَدِهِ الطَوائِحْ
وأُحِبُّ جَنَّاتِ العِراقِ وطيبُها غَادٍ وَرائِحْ
وعُيُونُ آرام الفُراتِ على شواطِئِهِ سوارِحْ
جَرحَتْ قُلوبَ العاشِقينَ كذاك تَصطادُ الجَوارِحْ
مَرْضى صحائِحُ ، والقَريضُ صَنيعَةُ المَرضْى الصَحائِحْ

* * *

حدِّثْ فقدْ طَابَ الحَديثُ ونامَ عَنْ نَجْواكَ كاشِحْ
واذْكُرْ لَنا عِبَرَ الحَياة فَأنْتَ مَأمُونُ النَصائِحْ
هَذي الحَياةُ لِمَنْ مَضَى كالليثِ مرْهُوبَ الجوائِحْ
والعَيْشُ مَعْنَاهُ الكِفاحُ فَهالِكٌ مَنْ لَمْ يُكافِحْ
عَرْشٌ يَطوحُ فَتَعْتَلي شرُفَاتُ عَرْشٍ غَيرْ طائِحْ
ومَمالِكٌ طارَتْ لِغايَتِها فَخانَتْها الجَوانِحْ
وَمُسَيْطِر يَنْهى ويَأمُرُ في الجَزيرةِ باسْم ناصِحْ
باسْم الحَضارَةِ جاء يَزْرَعُ ما يَشاءُ مِن الفَضائِحْ
لُغَةُ القَوِي فَهَلْ لِما فِيها من الاسْرارِ شَارِحْ
لُغَةٌ تُوارِبُ في الحَديثِ فَلَيْتَها كانَتْ تُصارِحْ
جَادَتْ بِأسْماءِ المَحاسِنِ كُلِّهِنَّ على القَبائِحْ

* * *

لاَ تَبْطَرِ الأُمَمُ القَوِيَّةُ فالعَواقِبُ بالفَواتِحْ
إنْ تَهْن في سَعْدِ السُعودِ فَلَمْ يَفُتْها سَعْدُ ذَابِحْ

وَهُـو الـزَمـانُ سـوانِـحٌ تَمْضـي فَتَخْلِفُـهـا بَـوارِحْ
ولِـكُـلٍّ ناطِحَةٍ سيصْـمُـدُ مِـنْ نِتـاجِ الـدَهْـرِ ناطِـحْ
وَلَـرُبَّ أَعْـزَلَ فـي الحَيـاةِ أُديِـلَ مِنْ بَطَـلٍ مُشايِحْ
وَلَـرُبَّـا شَمَس الـذَلُـولُ فـراح بِأَرَنٌ وَهـوَ جَامِـحْ
كَمَنَـتْ عَـزائِـمُ يَعْـرُب فَمَتَـى يُثِيـرُ النَـارَ قـادِحْ

* * *

(١٩٢٢)

نغمات عودي

يلجأ الشاعر الى عوده فيناغيه ويناجيه وسيرى القارىء في هذه الابيات كيف كانت تسيطر الفكرة القومية في تلك الفترة من الزمن على نفوس الشباب حتى في بدوات لهوهم ومرحهم

نَغَمـاتُ عُـودِي لاتُمَـلُّ لأنَّهـا
شِعْـرٌ يَفيضُ عَـواطِفاً وشُعُورا

نَغَماتُ عُـودِي لاتُمَـلُّ لأنَّـها
لُغَـةُ المَلائِكِ إذْ تُناجِي الحُورا

هَمَسَتْ بِهـا الأرواحُ فـي مَلَكُوتِـها
شَـدْواً أرَقَّ مِنَ الصَّبا وَزَفِيرا

يُدْنِي إليَّ مِنَ الخَيالِ شَوارِداً
وَيَهُـزُّ أعْطافِـي هَـوىً وَسُـرورا

فِـي ظُلْمَـةِ الأحْـزانِ مِنْ نَغَماتِـه
نَفْسِي الحَـزينَةُ تَسْتَعِيرُ النُـورا

أحْنُـو عَلَيْه مُعانِقاً مُتَنَهِّداً
فكأنني أُمٌّ تَضُمُّ صَغِيرا

وأبُثُّـهُ شَكْوَى الهَوى فَإخالُـهُ
يَبْكِـي عَلَـي مُتَيَّماً مَهْجُـورا

سَلْـهُ عَـنِ الـزَمَـنِ الخَـؤُونِ وأهْلِهِ
تَـرَهُ عَلِيماً بالـزَمَـانِ خَبيـرا

شَهِدَ العُصورَ السالفاتِ وَهَدْهَدَتْ
أوْتارُهُ السَفَّاحَ والمَنْصُورا

وَرَأى حَضَارَةَ جِلِّقٍ وَجَلالَها
والمُلْكَ في تِلْكَ الرُبُوعِ كَبيرا

إذْ مَاءُ جِلِّقَ كالرحِيقِ عُذُوبَةً
وَظِبَاءُ جِلِّقَ كالشُموسِ سُفُورا

سَلَبَ الزَمَانُ بِها مُلُوكَ أُمَيَّةٍ
تَاجاً يَشِعُّ ضِياؤُهُ وَسَرِيرا

يا لاثِماً فيها الثَرى مِنْ حُبِّهِ
أعَلِمْتَ أنَّكَ تَلْثِمُ الكافُورَا

ومُعانِقاً أغْصانَهَا مِنْ وَجْدِهِ
دَلِّلْ هَواكَ فَقَدْ ضَمَمْتَ خُصُورَا

هذا صَلاحُ الدِينِ فاخْشَعْ إنَّهُ
مَلِكُ المُلوكِ مُسالِماً ومُغِيرا

طَافَ الجَلالُ بِهِ مَلِيكاً فاتِحاً
حَيّاً وَطَافَ بِلَحْدِهِ مَقْبُورا

فالثَمْ ثَراهُ فَقَدْ لَثَمْتَ خَمِيلَةً
للمَكْرُمَاتِ وَقَدْ شَمَمْتَ عَبِيرا

واهْتِفْ لَدى القَبْرِ النَدي مُرَدِّدَا
بِفِنَائِهِ التَهْلِيلَ والتَكْبِيرا

لَيْثُ المَعَامِعِ وَهْو أَوَّلُ آسِرٍ

صَيْدَ الفَوارِسِ كَيْفَ صارَ أَسِيرا

(١٩٢٢)

لبنان والغوطتان

من قصيدة القيت في جونية اللبنانية لمناسبة تكريم شاعر القطرين خليل مطران

لِي مَوْطِنٌ في رُبَى لُبْنَانَ مُمْتَنِعٌ
ولِي بَنُو العَمِ مِنْ أَبْنائِهِ النُجُبِ
إنْ فَاتهُمْ مَعْقِلٌ يَوْمَ الوَغَى أشِبٌ
بَنَوْا مِن السُمْرِ صَرْحَ المَعْقِلِ الأَشِبِ
وَلَوْ مَشى المَوتُ في شَهْبَاءَ مُعْلَمَةٍ
مَشَوْا إلى المَوْتِ في الهِنْدِيَّةِ القُضُبِ
لُبنانُ والغُوطةُ الخَضْراءُ ضَمَّهُمَا
ما شِئْتَ مِنْ أَدبٍ عَالٍ ومِنْ نَسبِ
ما في اتحَّادِهِما تاللهِ مِنْ عَجَبٍ
هَذا الفِراقُ لَعَمْري مُنْتَهى العَجَبِ
للخُلْفِ في الناسِ أنْواعٌ وأغربها
خُلْفُ الشَقِيقيْنِ من قومي بلا سببِ
كُلُ الربوعِ ربوعِ العُرْبِ لي وَطَنٌ
ما بَيْن مُبْتعِدٍ مِنْها وَمُقْتَرِبِ
للضَّادِ تَرجِعُ أنْسابٌ مُفَرَّقَةٌ
فالضادُ أَفْضَلُ أُمٍّ برَّةٍ وأَبِ
تَفْنَى العُصورُ وتَبْقَى الضادُ خالِدةً
شجَى بِحَلْقِ غريبِ الدارِ مُغْتَصِبِ

* * *

مَـــنْ مُبْلِـــغٌ فِتْيَـــةَ الحَيَّيْـــنِ مـــأْلُكَـــةً
كـالسـهْـمِ رِيش فـإنْ سـدَّدْتَـهُ يُصِـبِ
فِـــيَم التَخـــاذُلُ لا فُـــلَّـتْ جُمُـــوعُكُـمُ
والـدَهْـرُ يَـزْحَـفُ بَالأَرْزاءِ والنُـوَبِ
مـالِـي وللنـاسِ جَـدَّ النـاسُ كُلُّهُـمُ
وضَـاعَ قَـومِـيَ بَيْـنَ الجِـدِّ واللَعِـبِ
هَلْ لابْـنِ دِجْلَـةَ حَقٌّ غَيْرُ مُغْتَصَبٍ
أَمْ لابْـنِ جِلِّـقَ إِرْثٌ غَيْرُ مُنْتَهَـبِ
أَيْنَ الشَـبابُ وفِتْيـانٌ غَطـارِفَـةٌ
كـالأُسْـدِ في الغِيـلِ ما واثِبْتَهـا تَثِبِ
اليَعْـرُبِيُّـونَ لا حِقْـدٌ ولا غَضَبٌ
قَـدْ يُسْلَـبُ الحَـقُّ بَـيْنَ الحِقْـدِ والغَضَبِ

* * *

غَنَّيْـتُ قَـومِـي بالاشْـعـارِ أُطْرِبُهُـمْ
لـو يَسْمَـعُ القَـوْمُ شَدْوَ الشاعِـرِ الطَـرِبِ
وأَحْـزَنُ الشِـعْـرِ بَيْـتٌ راحَ يُنْشِدُهُ
دَمْـعٌ تَحَـدَّرَ مِنْ أَجْفـانِ مُكْتَئِبِ
خَيْـرُ القَصـائِـدِ ما أَوْحَتْـهُ عـاطِفَـةٌ
فَسـارَ في كـلِّ دُنْيا غَـيرِ مُغْتَـرِبِ
ولِلـطبيعَـةِ شِعْـرٌ راحَ يُسْكِـرُنـي
فَهَـلْ جَرَتْ فـي قـوافِيـهِ ابْنَـةُ العِنَـبِ

قَـرَأْتُـهُ فـي النُجومِ الـزُهْـرِ عِنْ كَتَبٍ
وفي صَفَـاءِ العُيـونِ النُجْـلِ عنْ كَثَبِ

* * *

قَدْ كانَ لـيْ أَرَبُ طاحَ الزمـانُ بِهِ
فَيَا شَقَـاءَ فتـىً يَحْيا بِلاَ أَرَبِ
وكَانَ لي مِقْـوَلُ كالسَيْـفِ مُنْصَلِتـاً
فَحَـطَّـم الـظُلْـمُ حَـدَّ المِقْـولِ الـذَّرِبِ
لأرْحَلَـنَّ فَلِـيْ في الارْضِ مُتَّسَـعٌ
إنْ ضـاقَ بي صـدْرُ هـذا المَوْطِـنِ الرَحِبِ

* * *

(١٩٢٢)

نشوة اليأس

غَيَّـض الـدَهْـرُ أَدْمُعِي واحَنيني إلى البُكـاءْ
شُـقَّ قَلْبِي وَلَمْ تَسِـلْ مِـنْ جِـراحَاتِـهِ الـدِمـاءْ
أيهُـا المُبْـغِـضُ الشَـقـاءَ أنـا أعْشَـقُ الشَقَـاءْ
شـاعِـرُ الحُزْنِ أَيْـنَ مِـنْ سِحْـرِهِ شـاعِـرُ الهَنَـاءْ
إنَّ لِلْيـأسِ نَشْـوَةً ضَـلَّ عَـنْ مِثْلِهَـا الرجـاءْ

* * *

أنـا لَـمْ أدْرِ قِيمـةَ الـدَمْعِ حَـتَّـى فَقَـدْتُـهُ
هُـو كَنْـزٌ عَرَفْـتُ ما فِيـهِ لَـمَّـا أَضَعَتُـهُ
وَإِلَـهُ مِـنْ بَـعْدِ كُفْـرِي بِهِ قَـدْ عَبَـدْتُهُ
أَرْجِعِـي يـا خُطـوبُ مِـنْ أَدْمُعِـي ما سَكَبْتُـهُ
وَخُـذِي الإبْتِسـامَ مِـنِّي فـإنِّـي مَلِلْتُـهُ

* * *

لاَ تَلُمْـهُ علـى الحَنيـنِ فَقَـدْ أَقْـوَتِ الـرُبـوعْ
جَـفَّ مـا فِـي عُيـونِـهِ وَذَكَـتْ جَمْـرَةُ الضُلُـوعْ
وإذا جَفَّـتِ الأُصـولُ فَمـا تُـورِقُ الفُـروعْ
مـا أنـا الشـاعِـرُ الـذي وَشْيُـهُ بسْـمَـةُ الـربيـعْ
شَـاعِـراً كُنْـتُ عِنْـدَمَا كـان فـي مُقْلَتِـي دُمُـوعْ

* * *

(١٩٢٢)

الروح الثائرة

أَمَلَّتْ ضَجِيجَ الحَياةِ فَفَرَّتْ
تُرِيدُ الحَياةَ بِظِلِّ السُكُونْ
تَعَافُ القُصورَ وجنَّاتِها
وَتَأْوِي إِلى دَوْحَةِ الزَيْزَفُونْ
فَتَشْرَبُ مَاءَ الغَدِيرِ نَقِيَّاً
وَتَسْكَرُ مِنْ أَرَجِ اليَاسمِينْ
وَتَسْمَعُ لَحْنَ الطُيورِ شَجِيَّاً
رَقِيقَاً على مَائِساتِ الغُصُونْ
فَتَذْكُرُ عَالَم قُدْسٍ نَمَتْ
بِهِ حُرَّةً بَيْنَ حُورٍ وَعِينْ
هَيُولَى تَفِيضُ ضِياءً مُبِينَاً
طَلِيقَاً تَراهُ جَمِيعُ العُيونْ
وَتَذْكُرُهُ عَالَمَاً طَاهِراً
قَضَتْ فِي رُبَاهُ أُلوفَ السِنِينْ
تَحِنُّ إِلَيْهِ وماذا يُفِيدُ
بُعَيْدَ الأَحِبَّةِ طُولُ الحَنِينْ
لَقَدْ ذَكَرَتْهُ فَما كَفْكَفَتْ
بِيُمْنَى يَدَيْهَا عُقودَ الشُؤونْ

بَكَــتْ وَهــي فــي سِجْنِهَــا حُــرَّة
ولا عَجَــبٌ مِــنْ بُكَــاءِ السجِيــــنْ

* * *

حَنَــوْتُ عَلَــيْهــا وَقَــدْ بَــكَّــرَتْ
لِتَتْلُــو كِتَــابَ الحَيَــاةِ القَــدِيـــمْ
فَقُــلْــتُ لَهَــا مَــزِّقِيــهِ كِتَــابَــاً
يُثِيــرُ الشُجــونَ وَيُذْكِــي الهُــمُــومْ
فإنَّ الشَــقِــي يَــزِيــدُ شَقَــاءً
إذا راحَ يَذْكُــرُ عَــهْــدَ النَعِيـــمْ
مُقَــيَّــدَةٌ أَنْــتِ صــاغَ القُيـــودَ
لِيُمْنَـــاكِ كَــفُّ القَضَــاءِ الأَثِيـــمْ
تُرِيدِيـــنَ مِــنِّي النَسِيـــم عَلِيـــلاً
وَهَيْهَــاتَ عَـــزَّ عَلَــيْنَــا النَسِيـــمْ
تُــرِيديــنَ مِنِّــي نَسيــم الجِنَـــانِ
نَــقِــيَّــاً وهــذا نَسِيــمُ الجَحِيـــمْ
فــلا تَنْشَقِيـــهُ فَفِيـــهِ سَمُــوم الهَجِيــرِ
وَمَــنْ ذا يُطِيــقُ الســـــمـــومْ

***

عَـــذَرْتُــكِ فِــري مِـــنَ الأرض وابْغِـــي
هُنـــاكَ المَقَـــامَ الــرَفِيــعَ الكَــريــمْ

بِقــربِ النجــومِ فــإنَّ الحَيَــاةَ

مُعَــطَّــرَةٌ الــدَنَّ بَــيْــنَ النُجُــومْ

وَلا تَرْجِمِــي الجِسْــم فَهْــوَ تُــرابُ

يَعُــودُ لِمَعْــدِنِهِ بَعْــدَ حِيــنْ

* * *

غَــداً هُــو بَيْــنَ الــرُبَــى زَهْــرَةٌ

كَســتْهَــا الــطَبِيعَــةُ لَــوْنَ الشُــروقْ

يُقَبِّلُهَــا الصُــبْــحُ فــي ثَغْرِهَــا

وَيَلْــثِــمُ فــي شَفَتَيْهَــا العَــقِيــقْ

وَتَــسري الصَّــبا مِــنْ بَعِيــدٍ إلَيْهــا

وَقَــدْ هَــوَّنَ الحُــبُّ حَــزْنَ الطَّــريــقْ

إلــى أنْ تَمُــر عَلَيْهــا فَتَــاةٌ

فَتَنْــزَعَهَــا نَــزْعَ بَــرٍّ رَفِيــقْ

وَتُنْــزِلَهَــا مَنْــزِلاً هَــانِئَــاً

علــى النُــورِ لا يُشْــتَــكى فِيــهِ ضِيــقْ

فَحِيــنــاً تُقَــبــلُ نَهْــداً وَحِينَــاً

تُقَبِّــلُ خَــدّاً بِــلَــوْنِ الشَقِيــقْ

وَتَبْعَثُهَــا بَعْــدَ ذَاك رَسُــولاً

يُــؤَدِّي رِســالَــةَ صَــبٍّ مَشُــوقْ

فَنِعْــمَ الرِســالَــةُ بَيْــنَ العَشِيقَــةِ

ذاتِ الــدَلالِ وَبَيْــنَ العَــشِيــقْ

فَيـا رُوحُ مِـنْ بَيْـنِ تِلْـكَ النُجـــومِ
أَطِـــلِّي عَلَيْهـا ولا تُنْكِــرينـــي

* * *

أَطِـلِّي عَلَيْهَـا وَقَـدْ أَشْـرَقَـتْ
عَلـى صـدْرِ خَـوْدٍ عَـرُوسٍ وِسـامَـا
أَطِـلِّي عَلَيْهَـا وَقَـدْ أُلْقِـيَـتْ
بقـايا شَـذاً ثُـم عَـادَتْ رَغَـامـا
أَطِـلِّي عَلَيْهَـا رفِيقـاً قَدِيمَـاً
وقُـولي سـلامَـاً تَـرُدُّ السـلامَـا
أَلا واذْكُـرِي عَهْـدَنـا واذْكُـرِي
زَمَـانَـكِ فـي الارْضِ عامَـاً فَعَـامـا
أَأَنْـكَـرْتِ شَكْـلاً جَـدِيـداً لِجِـسْـمٍ
غَـدَا لَـكِ قَبْـلَ الفَنَـاءِ مَقَـامَـا
وَأَنْـكَـرْتِ أَلْـوانَهَـا جَـمَّـةً
وعِطْـراً نَـدِيَّـاً كَعِطْـرِ الخُـزَامَـى
فَـلا تَعْجَبِـي إِنَّ هَـذا الذُبُـولَ
بِـأَوْراقِهـا كَـان فِـي سَقَـامـا
وذَا الاحْمِـرارَ احْـمِـرارُ دُموعِـي
وَهَـذا الشَـذا كـان فِـي غَـرامَـا
وَأَفْنَـانِـي الـدَهْـرُ إِلا شَـقَـاءً
تَـأَبَّـى عَلَيْـهِ وإِلا هِيَـامَـا

تَـلاَشَيْـــتُ فـــي هَـــذِهِ الكَـائِنَـــاتِ
وَلَـمْ يَتَـلاش الَيْـــكِ حَنِـينِـــــــــي

(١٩٢٢)

البلبل الصريع

بُلْبُلِي مَاتَ حَبِيساً باكِيَا
لَوْعَةَ الشِعْرِ عَلى ذَاكَ الحَبِيس
فَقَدَ الصُبْحُ أنَاشِيدَ الهَوى
بَعْدَهُ وانْفَرَطَ العِقْدُ النَفِيسْ
عَطِّلُوا المَجْلِس يا سُمَّارَهُ
وأرِيقُوا يا نَدامَايَ الكُؤوسْ
قَدْ قَضَى اليَوْمَ جَلِيسِي وَمَضَى
لا تَطِيبُ الخَمْرُ مِنْ غَيْرِ جَلِيس
ما لأغْصانِ الرُبَى مِنْ بَعْدِهِ
تَتَهَادَى عَارِيَاتٍ وَتَمِيسْ
وَعَرُوسُ الزَهْرِ هَلْ يُضْحِكُهَا
مَشْرِقُ الشَمْسِ وَقَدْ مَاتَ العَرِيسْ
وَيْلَ أُمِّ الظُلْمِ تَكْلَى دَائِمَاً
فَنِيَتْ طَسْم وَلَمْ تَبْقَ جَدِيس
إنَّمَا الدُّنْيَا لِمَنْ كَافَحَهَا
وَمَشَى مُسْتَلْئِمَاً وَسْطَ الخَمِيسْ
بُلْبُلِي مَاتَ وَلَمْ تَنْجَعْ بِهِ
وَصْفَةُ « الرَازِي » ولا طِبُّ « الرَئِيسْ »

كَفِّنُوهُ بأزَاهِيرِ الرُبَى
واغْسِلُوهُ بالُمدامِ الخَنْدَرِيس
واصْرِفُوا عَنِّي لَمِيساً ما الذِي
أبْقَتِ الأحْزَانُ مِنِّي لِلَمِيس

* * *

عَاش ما عَاش طَلِيقاً بالرُبَى
والرُبَى حُسْنٌ وَلَوْنٌ وعَبِيرْ
يَتَغَنَّى بِأنَاشِيدِ الهَوى
نَاعِمَاً بالعُمْرِ والعُمْرُ قَصِيرْ
يُرْسِلُ الأَشْعَارَ في الأَيْكِ كَمَا
أرْسلَ الشِعْر حَبِيبٌ وجَرِيرْ
فَغَدا اليَوْمَ أسِيراً بَعْدَمَا
كَانَ حُرَّاً بَيْنَ رَوْضٍ وَغَدِيرْ
إرْحَمُوهُ واعْطِفُوا ما شِئْتُمُ
فَأحَقُّ النَاسِ بالعَطْفِ الأَسِيرْ
هُوَ يَبْكِي وأنَا أبْكِي أسى
وَكِلانَا ذُو شُجُونٍ وَشُعُورْ
مِنْ لُبَابِ البُرِ قَدْ أطْعَمْتُهُ
ولَقَدْ أرْشَفْتُهُ المَاءَ النَمِيرْ
وَكَسوْتُ القَفَص الرحْبَ الذُرَى
بالقَبَاطِي المُوشَّى والحَرِيرْ

غَيْــر أنَّ الــطَيْــر فَاضَــتْ رُوحُــــــهُ
بَيْــن حُــزْنٍ وَشَهِيــــقٍ وَزَفِيـــــرْ

* * *

بُلْبُلِـــي مَــاتَ وَلَــمْ تَنْجَــعْ بِـــهِ
وَصْــفَــةُ الــرَازِي ولا طِــبُّ الـرَئِيـــسْ
كَفِّنُــــوهُ بِــأَزَاهِيـــرِ الـــرُبَـــى
واغْسِـــــلُــوهُ بالمـــدام الخنـــدريـــس
واصرفــوا عنـــي لميـــساً مـا الذي
ابقــت الاحـــزانُ مـــنـــي للميـــس

***

أَيُهَـــا الصــيَّــادُ لا تَنْصِــبْ لَـــــهُ
شَــرَكَـــاً واسْـــمــحْ بِتَقْــطِيعِ الشَــرَكْ
أَيُهَـــا الصَيَّــادُ مـــا أَعْجَـــزَهُ
أيُهَــا الصَيَّادُ بــلْ مـا أَقْــدَرَكْ
دَعْــهُ حُـــراً واسْــتَمِــعْ تَغْرِيـــدَهُ
هَلَّـــةَ الصُــبْــحِ وقُــلْ مــا أَشْعَــرَكْ
دَعْـــهُ حُـــراً فَلَقَــدْ صــوَّرَهُ
خَـالِـقُ الــكَوْنِ الـذِي قَدْ صَوَّرَكْ
جَـــارُكَ الأَدْنَـــــى دَعَـــاهُ ظَمَـــــأٌ
وَهَجِيـــرٌ فَتَفَيـــيًا شَجَـــــرَكْ

أنْــتَ سَكْـــرانُ وَلَـمْ تَشْـــرَبْ طِـــلاً
إنَّمــا البَغْـيُ الـذِي قَـدْ أَسْكَـرَكْ
تَعِـــس الصــيَّـــادُ مِــنْ ذِي قَسْـــوَةٍ
جَــرَّبَ الــدُنْيــا طَوِيــلاً وَعَــرَكْ
مُـذْ رَأى البُلْبُـلَ فــي غَفْلَتِـهِ
صَــوَّبَ الســهْــم إلَيْــهِ وَبَــرَكْ
فارْتَمَـــى الــطَيْــرُ صرِيعَــاً وَهَــوى
تَــارِكَــاً أفْــرَاخَــهُ فِيمَــا تَــرَكْ

* * *

بُلْبُلِــي مــاتَ وَلَــمْ تَنْجَـعْ بِـهِ
وَصْــفَــةُ الــرازِي ولا طِــبُّ الرَئِيــس
كَفِّنُــوهُ بِأَزَاهِيـــرِ الـــرُبَــى
واغْسِلُـــوهُ بالمُـــدامِ الخَنْـــدَرِيـــــسْ
واصْــرِفُــوا عَــنِّي لَمِيسَـــاً مــا الـــذِي
أبْقَـــتِ الأحْــزَانُ مِــنِّي لِلَمِيـــسْ

(١٩٢٢)

يا نديمي

يا نَدِيمِي إلى متَى الإغْفَاءُ
بسم الكَوْنُ حِين حَيَّتْ ذُكَاءُ

لا تَمِلْ بِي إلى الرجَاءِ فَقَدْ
أوْدَى بِنَفْسِي طُمُوحُها والرجَاءُ

وَدَعِ اليَأس يَنْتَحِينِي فَفِي الـ
ـيَأسِ لِدَاءِ النَفْسِ الطَمُوحِ دَواءُ

قَدْ رَضِيتُ الأكْواخَ وَهْي نَعِيمٌ
وَهَجَرْتُ القُصور وَهْي شَقَاءُ

ومِنَ الهُونِ أنْ يُقِيم كَرِيمٌ
فِي مَكانٍ هَانَتْ بِهِ الكُرَمَاءُ.

* * *

أتْرِعِ الكَأس واسْقِنِي بِمَكَانٍ
ضَلَّ عَنْهُ الوُشَاةُ والرُقَبَاءُ

حبذَا كُوخِي النَدِيُّ وإنْ لَمْ
يَكْتَنِفْهُ الإعْجَابُ والخُيلاءُ

لَمْ يَشِنهُ في ناظِرِي أنْ عَدَاهُ
زُخْرُفٌ فِي بِنَائِهِ وَرُواءُ

أنَا حُر بِهِ وما بَعْدَ هَذا
عِنْدَ باغِي سِر الحَياةِ هَبَاءُ

* * *

يا نَدِيمِي لا تَأْس باللهِ واشْرَبْ
لَذَّةُ العَيْشِ هَذه الصهْبَاءُ
وَتَمَتَّعْ بالنُورِ إذْ رُبَّ قَوْمٍ
مُنِعَ الكَأْسُ عَنْهُمُ والضِيَاءُ
واسْتَمِعْ هَذِهِ البَلابِلُ غَنَّتْ
فَأَثَارَ الشُجونَ ذَاكَ الغِنَاءُ
لا تخَافُ الصيَّادَ ، إذْ عَصَمَتْهَا
مِنْ دَواهِيهِ هَذِهِ الصحْراءُ
ذَكَّرَتْكَ الدِيَارَ جَر عَلَيْهَا
ذَيْلَهُ بَعْدَ قاطِنِيها العَفَاءُ
وحُمَاةَ الدِيارِ وَهْي عَبِيدُ
وَغوانِي الدِيارِ وَهْي إمَاءُ

* * *

يا نَدِيمِي تَعَزَّ واسْلُ فَقَبْلاً
قَدْ عَفَتْ بَعْدَ أَهْلِها الحَمْرَاءُ

وَعَفَتْ مِنْ ظِبَاءِ صَقْرِ قُرَيْشٍ
وأَغَانِي قِيَانِهِ الزَهْرَاءُ
وَتَنَاسَتْ قَسَاوِرَ العُرْبِ في
المِرْيَةِ تِلْكَ الخَمَائِلُ الخَضْراءُ
وَتَعَزَّتْ عَنِ ابْنِ عَبَّادَ رَوْضٌ
وَقُصورٌ في باحَةٍ قَوْراءُ
بَعْدَ أنْ كانَ في رُباهَا من العَنْبَرِ والزَعْفَرانِ طِينٌ وماءُ

* * *

يا نَدِيمي إليَّ نَبْكِي فَقَدْ يُسْعِدُ
قَلْبَ النائِي الحَزِينِ البُكاءُ
أَنْتَ أَوْفَى مِنِّي وأَوْثَقُ عَهْداً
يا نَدِيمي وأَيْنَ أَيْنَ الوَفَاءُ
فَوْقَ شِعْرِي بَلاغَةً وبَيانَاً
مِنْكَ هَذِي المَدامِعُ الحَمْراءُ
تَرْجَمَتْ عَنْ أَساكَ فَهْيَ قَصِيدٌ
لَمْ يَفُتْهُ البَيانُ والانتِقاءُ
إنَّما الحُزْنُ مُرْسِلُ الشِعْرِ شِعْراً
والحَزانَى هُمُ هُمُ الشُعَراءُ

(١٩٢٣)

تحية الملك

حيا الشاعر بهذه القصيدة المغفور له الملك الحسين بن علي عند زيارته عمان سنة ١٩٢٣

أَلْــفَ أَهْــلاً بـأَميــرِ المُؤْمنيــنْ
سـيـدِ البَـطْحَـاءِ والبَيْـتِ الأَمِيـنْ
مـرْحبـاً بالتـاجِ مَـرْمُـوقَ السَنـى
وَبِـرَبِّ التـاجِ والعَـرْشِ المَكِيـنْ
بِـربِيـبِ المَـرْوَتَيْـنِ المُنْتَقَـى
وَفَتـى زَمْـزَمَ والـرُكْـنِ الرَكِيـنْ
خَـادِمِ الـكَعْبَـةِ إرْثـاً طـاهِـراً
عَـنْ أبيـهِ والجُـدودِ الأَوَّليـنْ
قـائِـدِ الأبـطـالِ شُـوساً لِلْـوغَـى
حـامِـلِ الأَعبـاءِ واللهُ المُعيـنْ
بـابْـنِ أقمـارِ العُلى مِنْ هَاشِمٍ
وأبِـي البِيـضِ المُلـوكِ الفاتحِيـنْ
أَلْبَهـاليـلِ الصـنـاديـدِ الأُلـى
رَفَعُـوا رَايَـةَ فِهْـرٍ باليَمِيـنْ
يَعْـرِفُ البَيْـتُ اذا طافَ بِـهِ
أَنَّـهُ ابْـنُ الـطَـائِفين العَاكِفيـنْ

يَعْـرِفُ البيْتُ اذا مـر بِـهِ
أَنَّــهُ ابْــنُ الــطَيِّبيــن الطاهِـريــنْ
تَعْــرِفُ الاســتــارُ إِذْ يَلْثِمُهــا
أَنَّــهُ ابْــنُ الساجِـديـنَ الرَّاكِعيــنْ
تَعْــرِفُ البيـضُ ومـا أَغْمدَهَــا
أَنَّـهُ ابْــنُ الطَّــاعِنيــنَ الضارِبيــنْ

* * *

لِمَــنِ المَـوْكـبُ جبْـريـلُ بِــهِ
مِــنْ جُنـودِ اللــهِ يَمْشِي في مِئينْ
وَمَــنِ المُقْبِــلُ يَعْـلــوهُ سَــناً
مِنْ سَنــاءِ الخُلَفــاءِ الرَّاشِـديـنْ
شَيْبَـةَ الحَمْـدِ أرى أَمْ هَـاشِماً
أَمْ عَلِـي الــطُهْـرِ زَيْنَ العَابِديـنْ
أَمْ أرى سَيِّــدَ غَمْـدانَ مَشَــى
في ظِـلالِ البِيْضِ وَضَّـاح الجَبِيـنْ
حَــوِّطُـوا المَـوْكــبَ باسْمِ المُصْطَفـى
وَبَنيــهِ مِـنْ عُيــونِ الحَــاسِدِيـنْ
وافْـرُشُــوا الأَكْبــادَ يَمْشِـي فَـوْقَـها
واتْــرُكـوا الــوَرْدَ وخَلُّــوا اليَاسمِيـنْ
وانْثُــروا الــدَمْــعَ علـى مَوْكبِــهِ
ودَعُـوا المِسْــكَ لِحــورٍ وَلعيــنْ

أدْمُعُ البِشْرِ وَقَدْ يَبْكِي الفَتَى
سَرَّهُ الدَّهْرُ كما يَبْكي الحزينْ
وأذَنُوا لِلْغِيدِ أَنْ تَشْهَدَهُ
سافِرَاتٍ في صُفُوفِ الشاهِدينْ
سيدُ البَطْحاءِ في أَبْنائِهِ
ألفَ أَهْلاً بالمُلوكِ القَادمينْ
تَتَهادَى الأَعْوجِيَّاتُ بِهِمْ
إِنَّها تَعْرِفُ قَدْرَ الرَاكِبينْ
ذَكَرَتْ إِذْ مَسَحُوا أَعْرافَهَا
بِأَكُفٍّ الكُرَماءِ المُنْعِمِينْ
هاشِماً والبِيْض مِنْ أَبْنائِهِ
أَلمْطَاعِينِ الطِوالِ المُطْعمينْ
* * *
أَيهُّا الآتي إِلَيْنا مِنْ ذُرى
طَالَمَا عَطَّرهَا الرُوحُ الأَمِينْ
بَيْتُكَ الشامُ وفيهِ نُخْبَةٌ
مِنْ بَنِيكَ الأَوْفِياءِ الصادِقِينْ
بَرَدَى حنَّ غَراماً وهَوى
لِلأَحِبَّاءِ الكِرامِ الهَاجِرينْ
وَرُبَى الفَيْحَاءِ أَنَّتْ وَشَكَتْ
فُرْقَةَ الأَحْبابِ لَوْ يُغْنِي الأَنِينْ
* * *

صاحِبَ التــاجِ أجِبْني هَلْ أتى
عَرْشَــكَ العَــالِي حَـديثُ الكَاذِبيـــنْ
الأُلــى أَهْـدَوا الى التـاجِ الأَذَى
وأرَادوا أن يُضِـــلُّــوا المُهْتَــدِيـــنْ
حَــدَّثُــوا عَنْـكَ كِـذاباً وافْتَــرَوْا
لا يحُــبُّ اللهُ سـعْــي المُفْتــريــنْ
وَأَتَــوْا بالغِــش لَكِـنْ أقْســمُوا
أَنَّهُــمْ جَــاءُوا إلَيْنـــا نَاصِحيــنْ
زَعَمُــوا أنَّــكَ تَهْــوى لُنْـدُنـاً
وَتحُــبُّ النَفَــر المُسْتَعْمِــريــنْ
وَتُــطِيــعُ القَــوْمَ فيمــا أمَــرُوا
وَهُــمُ تاللّــهِ شَــرُّ الآمِــريــنْ
نَحْــنُ نَهْــواكَ على رَغْــمِ العِـدى
ونُجِــلُّ التَـاجَ رَغْـم المُبْغِضيــنْ
يــدُكَ البَيْضـــاءُ لا نُنْـكِـــرُهَــا
ســوَّدَ اللــه وُجــوهَ المُنْكِــريــنْ

* * *

لُــحْ عَلى عَمَّــانَ بـدْراً نُــورُهُ
يَكْشِــفُ اللّيْــلَ ويَهْــدِي التَائِهيــنْ
وعَلى الغُــوطَةِ أَقْبِـلْ يُوسُفـاً
حُسْـنُـهُ يجْـلُــو عُيــونَ النـاظِـريـنْ

وَعلى بَغْدادَ أَشْرِقْ رَحْمَةً
تُسْعِدُ المَأمونَ فيها والأَمِينْ
وَحِّدِ العُرْبَ وأَسْعِدْ أُمَّةً
سادَتِ العَالَم في ماضي السِنينْ
وأعِدْ أَيَّامَ هارُونَ وقَدْ
ملأَ الدُنْيا رِجالاً وسَفِينْ
بردى جَفَّ وما فِي دِجْلَةٍ
نُغْبَةٌ تَرْوِي الظِمَاءَ الوارِدينْ

* * *

كُلّما هَبَّ نَسِيم مِنْ مِنَىً
أَيْقَظَ الأَشْواقَ والوجْدَ الدَفِينْ
لَمْ أَلِنْ للدَّهْرِ لَكِنْ زَعَمَتْ
عَادِياتُ الدَهْرِ أَنِّي سأَلِينْ
لَمْ أَخُنْ « لا والصفَا » عَهْدَكُمُ
أَيُّ خَيْرٍ في وُجوهِ الخَائِنينْ
أَنا بالرُوحِ جَوادٌ فاغْفِرُوا
زَلَّتِي إنْ رُحْتُ بالدَمْعِ ضَنِينْ
لا تَرى الاعْداءُ دَمْعي جَارِياً
إنَّنِي أُبْغِضُ عَطْفَ الشامِتِينْ
وأَنَا شاعِرُكُمْ في مَوْطِنٍ
مالَمِنْ والاُكُمُ فِيهِ خَدِينْ

نـاطِـقٌ فيـكُمْ ولَـوْ أنَّ الظُّبَـى
جُــرِّدَتْ فَـوْقَ رِقـابِ النّاطِقيــنْ
فَتَقَبَّلْهــا عَــرُوســاً واسْتَمِــعْ
مــا يُثِيـرُ الشَـوْقَ والحُـبَّ الكَمِيــنْ
صُنْتُهــا عَـنْ خـاطِبِيها غـــادةً
لِفَتَــى البَيْــتِ إمــامِ المُسْلِميــنْ

* * *

(١٩٢٣)

لا تحبيني

لا تحِبيني فَفِي حُبِّي الشَقَاءْ   يا فَتَاةْ
واطْرُدِيني تَطْرُدى عَنكِ البَلاءْ   في الحَيَاةْ

* * *

قَلْبُكِ القَلْبُ الذي يَخْفُقُ لِي   وحْدَهُ
دَمْعُكِ الدَمْعُ الذي يَنْهَلُّ لي   عِقْدُهُ
أَنْتِ مَنْ يَرثي لِدَمْعِ البُؤساءْ   يا فَتَاةْ
أنتِ مَنْ يَشْقَى لِحُزْنِ الأَشْقِياءْ   فِي الحَياةْ

* * *

قَدْ تناسانِي أُمِّي وأَبِي   والشَقِيقْ
وَصدِيقي قَدْ جَفانِي يا لَهُ   مِنْ صديقْ

إِنَّمَا الشاعِرُ في هَذا الأَسى   لَخَلِيقْ
غَيْر أَنِّي وأَمامِي والوراءْ   ظُلُماتْ
شِمْتُ في عَيْنَيْكِ أنوارَ الوَفاءْ   يا فَتَاةْ

***

كَفْكَفَتْ دَمْعِي حُبّاً وَهَوى   راحتَاهَا
آهِ ما أَحْلَى الذي فاهَتْ بِهِ   شَفَتَاهَا

كَلِمٌ تَشْفَى بِها نَفْس الفَتى مِنْ أَساهَا
لا أرى بَيْنَ عَطايا الكُرَماءْ والهِبَاتْ
ما يُوازِي مسْحَ دَمْعِ البُؤَساءْ والبُكاةْ

* * *

رَبِّ في الكَوْنِ نُفوسٌ جَمَّةٌ تَتَألَّمْ
تَحْمِلُ البُؤْس حَزينَاتٍ وَلاَ تَتَكَلَّمْ
هِي مِنْ جَوْرِ البَرايا فاحْمِهَا تَتَظَلَّمْ
عَزَّ يا رب لجِرْحَاها الدَوَاءْ والأُساةْ
رَب عَدْلاً ما المُطِيعونَ سَواءْ والعُصاةْ

* * *

مَنَعُوها كُلَّ ما عِنْدَ البَشرْ مِنْ نَعيمْ
لَوْ أطاقُوا مَنَعُوا عَنْها المَطَر والنَسِيمْ
وَلَكَانُوا حَجَبُوا شَمْس الضُحى والنُجومْ
رَاقِبُوا رَبَّكُمُ يا أَقْوِياءْ يا قُساةْ
وارْحَمُونا نَحْنُ حِزْبُ الضُعَفاءْ والعُفَاةْ

* * *

مِنْ نَثيرِ الدَمْعِ ذا الشِعْرُ النَظيمْ فاقرأيه

رَنَّــةُ التَــكْلَــى وأَنَّــاتُ السَليــمْ فــاسْمَعِيــهْ
هــا هُــو البُـؤْسُ بِشَــخْصي مــاثِــلُ فالْـمسِــيهْ
لا تُــحِبينــي فَفِـي حُبِّــي الشَقَــاءْ يـــا فَتَــــاةْ
واطْـرُدِينـي تَطْـرُدي عَنْـكِ البَــلاءْ فــي الحَيــاةْ

* * *

(١٩٢٣)

عاطفتي

عَـاطِفَتِـي حُـزْنٌ طَوِيـلٌ عَـلى
مَـاضٍ مِـن العُمْـرِ ومُسْتَقْبَـلِ
عَاطِفَتِـي أَنَّـةُ مُضْـنـى بَكَـى
عَـلى زَمَـانٍ للصِـبـا أوَّلِ
عَاطِفَتِـي لَحْـنٌ يُثِيـرُ الأَسَـى
ويَخْـلُـقُ الهَـم بِقَلْـبِ الخَلِـي
عَاطِفَتِـي حُبٌّ بَعِيـدُ المَـدى
أَصـابَ فِـي رَمْيَتِـهِ مَقْتَلِـي
عَاطِفَتِـي زَفْـرَةُ حُـر كَلِيـم
ثَـارَ عـلى الـدَهْـرِ وَلَـم يَحْفِـلِ
مَـنْ يَشْـتَـرِي عاطِفَتِـي مِنْكُـمُ
بِغَيْـرِهَـا مِـنْ هَـذه العَاطِفَـات

* * *

لا تَعْذِلُـونِـي حِيـن أَبْـكِـي أَسَـى
العَـدْلُ كُـلُّ العَـدْلِ أَنْ أُعْـذَرَا
سَبَّـب لِـي هـذا الشُـعُـورُ الأَسَـى
مُصِيبَـةُ الإنْسَـانِ أَنْ يَشْعُـرَا
مَـنْ يَشْتَـرِيهِ مِنْـكُـمُ خاسِـراً
أَوْلَـى بِشَـارِي الـدَمْـعِ أَنْ يَخْسَـرَا

قَضَى عَلَي الدَهْرُ واشَقْوَتِي
بالدَّهْرِ - أنْ أبْكِي وَأنْ أسْهَرَا
مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي عُقودَ النَظِيمْ
ببسْمةٍ تُسْلِمُنِي لِلْكَرى
مَنْ يَشْتَرِي الشِعْر وأَلْحَانَهُ
بِبسْمةٍ واحدةٍ في الحَياة

***

عاطفتي مَرْحَمَةً واذهبي
لمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي غَيْرُ القَلِيلْ
أبْلَيْتِ مِنْ جِدَّةِ عَهْدِ الصبا
ظُلْماً وَعَجَّلْتِ أوانَ الرَحِيل
أنا عَلِيلٌ بَائِس فاهْرُبِي
لا خَيْر في صُحْبَةِ نِضْوٍ عَلِيلْ
ماذا الذِي تَرْجَيْنَهُ مِنْ قِرى
لِلْهَمِّ فِي جِسْمِي الضَعِيفِ النَحِيلْ
قَدْ جَادَ يا عاطِفَتِي والكَرِيمْ
يضِنُّ عِنْدَ الفَقْرِ ضَنَّ البَخِيلْ
لَمْ يَبْقَ فِيهِ ويْحَهُ مِنْ قِرى
يُرْضِي صُروفَ الدَهْرِ والعَادِياتْ

* * *

سألتِ قُرباناً فقدَّمتُهُ
لِلهَيْكَلِ الأَقْدَسِ قُرْبانا
وَفَوْقَ ذَا المَذْبَحِ ضَحَّيْتُهُ
وما دَرَى النَاسُ بِبَلْوانَا

وَيحِي تَلاشَتْ فِيكِ أَجْزَاؤُهُ
كَأَنَّهُ بالأمسِ ما كانَا
أَعْطَاكِ ما شِئْتِ وأَعْطَيْتِهِ
ما لَمْ يَشَأْ هَمّاً وَأَحْزَانَا

أَهَكَذا يُجْرى المُحِبُّ القَدِيمْ
وَيُوسعُ الآمِلُ حِرْمانَا
أَفْنَيْتِهِ ظَالِمَةً فارْقُبِي
غَداً عِقَابَ اللَّهِ للظَالِماتْ

* * *

أَكُلَّما أَنَّ أَخُو لَوْعَةٍ
كَلَّفْتِنِي الحُزْنَ وطُولَ الأَنِينْ
أَكُلَّما نَاح مُحِبٌّ أَسى
حَشَرْتِنِي في زُمْرَةِ النَائِحينْ

أَكُلَّما مرَّتْ على خَاطِري
صُورةُ بُؤسٍ رُحْتُ في البَائِسِينْ
أَشْقَى مع الأَيْتَامِ مُسْتَعْبِراً
وأَسْهَرُ اللَيْلَ مَع العاشِقِينْ

كَتَبْتُ آياتِ العَذابِ الأليمْ
غُضُونَ هَمٍّ فَوْقَ هَذا الجَبِينْ
تُتْلَى ولا يُخْطِئُها قارِىءٌ
فَيَا لآياتِ الأسى البيِّناتْ

* * *

عاطِفَتي رُحْماكِ واسْتَبْدِلي
بِجِسْمِي الناحِلِ جِسْماً صَحِيحْ
جِسْم فَتىً لَمْ يَدْرِ مَعْنى الأَسى
ولا مَشَى يَوْماً بِقَلْبٍ جَرِيحْ
وَلا حَبَتْهُ بالأسى مُقْلَةٌ
دَعْجَاءُ أَوْ وَجْهٌ بَهِيٌّ صَبِيحْ
دَعِيهِ يَحْيا بعْض سَاعاتِهِ
بِمُهْجَةٍ حَرَّى وجَفْنٍ قَرِيحْ
جَرَّرَ ما شَاءَ ذُيولَ النَعِيمْ
وَلَمْ يُطِعْ بالكَأسِ نُصْح النَصِيحْ
فَعَلِّمِيهِ كَيْفَ يَشْقَى الفَتَى
وكَيفَ تَرْعَى سَرْحَهُ النَائِباتْ

* * *

رَأَيْتُها صُبْحاً وَقَدْ أَرْسَلَتْ
ذُكاءُ في الأُفْقِ نَثِيرَ الذَهَبْ
وَهَبَّ في الرَوْضِ نَسِيمُ الصبا
مُحَمَّلاً طِيبَ الرُبى حِينَ هَبْ

وللـــرياحِيـــنِ شــــذاً مُسْكِـــــر
يَفْعَــلُ ما تَفْعَــلُ بِنْـتُ العِنَــبْ

عَــرُوســـةُ الأحْـــلامِ أحْبَبْتُهـــا
وَهَــلْ يُـلامُ المَـرْءُ في مَـنْ أَحَـبْ

أحْبَبْتُهـــا جَمْــراً علـــى مُهْجَتِـــي
ولِلْهَــوى فـــي النــاسِ شَـأْنٌ عَجَـبْ

وَهِمْــتُ فِيهـــا وأنـــا ذَرَّةٌ
هـــائِمَـــةٌ فـــي هَـــذِهِ الكائِنَـــاتْ

* * *

أَلصَّـبْــرُ مَحْمُـــودٌ ولكِنَّنِـــــي
لَــمْ يــرْضَــنِـي الصــبْــرُ وَلَـم أَرْضَـهْ

أَهْــوَى نَعَـــمْ أَهْــوَى وَلِــي نَاظِــر
فـــارَقَ مُــذْ فَارَقْتُـــهُ غُمْضَـــــهْ

ضَعِـــي علـــى حَرِّ فُــؤادِي يَـــداً
كـــأنَّهـــا مِـــنْ خَالِـــصِ الفِضَّـــهْ

وابْتَسِــمِــي عَــنْ لُؤْلُـــوءٍ واسْفِـــرِي
عَـنْ بِشْــرَةٍ نَاعِمــةٍ بَضَّــــهْ

فِــي خَــدِّكِ القــانِــي الشَـهِــي الوَسيمْ
تُفــاحَـــةٌ مُتْــرَفَـــةٌ غَضَّـــــهْ

حَكّمَــكِ الحُسْــنُ بِأَهْــلِ الهَــوَى
حَسْــبِــي الهَــوى يا أَظْلَــم الحَاكِمــاتْ

* * *

(١٩٢٣)

لا تذكري الماضي

هَلْ نَسِيتْ هِنْدُ زَمَانَ الصِبا
لِلَّهِ ما أَحْلَى زَمانَ الصِبا

إذْ نَحْنُ كالأَطْيارِ في شَدْوِها
طِفْلانِ يَخْتالانِ بَيْنَ الرُبى

نَلْعَبُ في الكَرْمِ ولا بِدْعَةٌ
سعادَةُ الطِفْلَيْنِ أنْ يَلْعَبا

أَحْذَرُ أنْ تَغْضَبَ مِنْ هَفْوَةٍ
وتَحْذَرُ الحَسْناءُ أنْ أَغْضَبَا

يا هِنْدُ عَفْواً واغْفِرِي زَلَّتِي
إنْ أنا هيَّجْتُ لهيباً خَبَا

إنْ كَانَتِ الذِكْرى تُثِيرُ الأَسى
لا تَذْكُري الماضي ولا تَحْزَنِي

* * *

الكَرْمُ هَلْ أَطْيارُهُ لَمْ تَزَلْ
تَشْدُو على أَغْصانِهِ النَاعِمَةْ

والرَوْضُ هَلْ أزهارُهُ لَمْ تَزَلْ
ثُغُورُها مُفْتَرَّةً باسِمَةْ

صَفْصافَةُ الجَدْوَلِ هَلْ مَسَّها
دَاعِي الرَدى أَمْ لَمْ تَزَلْ قَائِمَةْ

يا طَالَمَا غَنَّى بِأَلْحَانِهِ
وأَنْتِ في أَفْيائِهِا نَائِمَةْ
لا تَنْفُرِي مِنِّي ولا تَغْضَبِي
ولا تَكُونِي في الهَوى ظَالِمَةْ
إِنْ كَانَتِ الذِكْرى تُثِيرُ الأَسَى
لا تَذْكُرِي الماضِي ولا تَحْزَنِي

* * *

مَرَرْتُ بِالغَابَةِ مُسْتَعْبِراً
والليلُ قد أَرْخَى سُدولَ الظَلامْ
فَقُلْتُ والذِكْرى أَثارَتْ هَوىً
خَبَا بِقلبي مُنذُ عامٍ وَعَامْ
هُنَا تَساقَيْنا كُؤوس الهَوى
هُنَا تَعانَقْنا عِنَاقَ الغَرامْ
هُنَا تَلاقَيْنا هُنَا وَدَّعتْ
هُنَا أَشارَتْ كَفُّها بالسلاَمْ
مالِي أَرى دَمْعَكِ واحَسْرتِي
مُنْسجِماً يا هِنْدُ أيَ انْسِجامْ
إِنْ كانَتِ الذِكْري تُثِيرُ الأَسى
لا تَذْكُري الماضِي ولا تَحْزَني

* * *

مِنْ أَيْنَ هَذَا القُرطُ قَدْ نِلْتِهِ
وذَلِكَ العِقدُ البهيُّ الفَرِيدْ
مَنْ ذَا الذي قُبْلَتُهُ أَثَّرتْ
بَورْدِ خَدَّيْكِ فَدَتْهُ الوُرُودْ
إسْتقْبلي يا هِنْدُ فَتَّانَةً
ضاحِكةً عَهْدَ غرامٍ جَديدْ
أنا شقيٌّ في الهَوى فابْسمي
بَسْمَةَ عَطْفٍ لُمحبٍ سَعيدْ
وذَلِكَ الحُبُّ القَديمُ الذَي
ماتَ تناسَيْه وتِلْكَ العُهودْ
انْ كانَت الذكرى تُثيرُ الأَسى
لا تَذكري الماضِي ولا تَحْزني

* * *

يا هَنْدُ والمَوْتُ مشَى مُسْرعاً
الى شَبابي مُؤْذِناً بالفِراقْ
قَضَى عَلى جِسْمِي يا لَيْتَهُ
قَضَى عَلى اللَّوْعَةِ والإِشْتِياقْ
حِينَ تَمُدِّينَ يَداً بَضَّةً
ناعِمَةً مُتْرَفَةً للعِنَاقْ
فَيلْتَقِي الثغْرانِ في قُبْلَةٍ
تُسْكِرُ كالخَمْرِ نَدِي المَذَاقْ

إنْ كَانَتِ الذِكْرى تُثِيرُ الأَسَى
لا تَذْكُرِي الماضِي ولا تَحْزَنِي

* * *

وَحِينَ تَمْشِينَ الهُوَيْنا وقَدْ
أَقْبَلَتِ الشَمْسُ تُرِيدُ المَغِيبْ
بَيْنَ وُرودٍ ضَحِكَتْ للنَدَى
ثُغُورُها نَشْوى اخْضِلالٍ وَطِيبْ
لا تَدْخُلِي الغَابَة لا تَدْخُلِي
فإنَّ في الغَابَةِ قَبْرَ الغَرِيبْ
قَبْرَ حَبِيبٍ قَدْ تَناسَيْتِهِ
أهكذا يَنسى الحَبيبُ الحبيبْ
واجْتَنِبي الغَابَةَ لا تَخْرُقي
حُرْمَةَ ذَيَّاكَ السُكونِ المَهِيبْ
فإنَّما الذِكْرى تُثِيرُ الأَسى
لا تَذْكُري الماضِي ولا تَحْزَني

* * *

(١٩٢٣)

اغنية البردوني

ارتجل الشاعر هذه الاغنية في جلسة طرب على ضفاف البردوني

يا شاعِر الأَزْهارْ وشاعِر الأَقمارْ
مِنْ غِيدِ لُبْنانْ

تُعِيدُ أُغْنِيَّهْ للحُب سِحْرِيَّهْ
فَتَرْقُصُ الأَغْصانْ

أَدَرْتَ أَقْداحَكْ تَزُفُّ لي راحَكْ
فَرُحْتُ سَكْرانْ

تَهُزُّ أعطافي في ظِلّكَ الضَّافي
للحُسْنِ أَلْوانْ

الرَّوْضَةُ المِئنافْ والحُورُ والصَفْصافْ
وَهَذِهِ الغُزْلانْ

مِنْ خَمْرَةِ الثَغْرِ وَخَمْرَةِ النَهْرِ
أَصْبَحْتُ نَشْوانْ

آمَنْتُ بالوَادي ونَهْرِهِ الشَّادِي
وَرِيمِهِ الفَتَّانْ

الشَعْرُ مَسْدولُ والثَغْرُ مَعْسُولُ
والغُصْنُ رَيَّانْ

وَرُوحِي النَشْوى لا تَقْبَلُ الصحْوَا
لِلصَّحْوِ أَحْيانْ

غـافلْـتُ جُـلاَّسِي مُفَـرَّغـاً كَاسِـي

لِيَشْـرَبَ الـرَّيحَانْ

أَنَحْتَسِي الخَمْـرَا ونَـرْتَـوِي سُكْـرَا

والـوَرْدُ ظَمْـآنْ

أُضَـفِّـرُ الآسـا وأَرْشُـفُ الكاسـا

والكـأْسُ مَـلآنْ

بِحضْـنِ جِنِّيَّـةْ هَيْفَـاءَ حُـورِيَّةْ

أَضـاعَهـا رِضْـوانْ

قَبَّلْـتُ خَـدَّيْـها دَغْـدَغْـتُ نَهْدَيْـها

فالبَـدْرُ غَـيرانْ

والـرَّوْضُ يخفينَا عَـنْ عَـينِ واشِينَا

يـا رَبّ لاكَـان

وأَنْـتَ يا هدَّار تُـرَدِّدُ الاشْعـارْ

رَقِيقَـةَ الألْحَـانْ

* * *

(١٩٢٣)

تلك الاقانيم الثلاثة

ألقى الشاعر هذه القصيدة في الحفلة التي اقامها المجمع العلمي في الشام لتأبين المنفلوطي (مصر) والألوسي (بغداد) والشاعر في القصيدة يرسم خطوط الوحدة العربية ويتحدى سياسة السياسيين التي تتنكر لهذه الوحدة كما يتحدى الدول الغربية التي تنكر حق العرب وتغتصبه ويتنبأ لها بحرب طاحنة تطيح بسلمها المزيف

اللَيْلُ بَعْدَ الراحِلينَ طَوِيلُ
أو مَالِصِبْغِكَ يا ظَلامُ نُصُولُ
يَطوِي الزَمانُ النابغينَ فَتَنْطَوِي
لِذهابِهِمْ أُمَمٌ ويَهْلَكُ جيلُ
ولَرُبَّ نَعْشٍ غابَ في طَيَّاتِهِ
فَتْحٌ أغرُّ ومَوْطِنٌ وقبيلُ
والنَاسُ أسْيافٌ فَمِنْها مُغْمَدٌ
صَدِيءٌ ومِنْها الصارِمُ المَسْلُولُ
والخَطْبُ خَطْبُ النابغينَ فَحَقُّهُ
بالمَشْرِقَيْنِ تَفَجُّعٌ و عَوِيلُ

* * *

في كُلِّ يومٍ للعُروبةِ كَوْكَبٌ
يَهْوِي وسَيْفٌ يَعْتَريهِ فُلولُ
قَبْرٌ بِعاصِمَةِ الرشيدِ وآخَرٌ
في مِصْرَ حَقٌّ سَتُورَهِ التَقْبيلُ

بَـدْرانِ قَـدْ بَكَـر الأُفُـولُ عَلَيْهِمـا
ولِـكُـلِّ بَـدْرٍ مَشْـرِقٌ وأُفـولُ
وَمُشَيَّعـانِ الـى الثَـرى بِمـواكِـبٍ
يَـرْتَـدُّ عَنَهـا الـطَـرْفُ وَهْـو كَلِيـلُ

فِيـهـا رَعِيـلٌ مِـنْ مَلائِـكَـةِ العُلـى
وَمِـن الجُـدودِ الأَكْـرمِيـنَ رَعِـيلُ
عِيْسـى وأَحْمَـدُ والـكَلِيـمُ وعُصْبَـةٌ
فِيـهـا الأَمِيـنُ المُنْتَقـى جِبْـرِيـلُ

يـا لَلْعُـروبَـةِ أَيْـنَ نُـورُ نبوغِهـا
أَلَـزيْـتُ جَـفَّ وأُطْفِـيءِ القِنْـديـلُ
بَغْـدادُ شـاكِيَـةٌ ومِصْـرُ مُـرِنَّـةٌ
والشَـامُ حـاسِـرَةُ القِنـاعِ ثَكُـولُ

تلـكَ الاقـانِيـمُ الثَـلاثَـةَ واحِـدٌ
بَـرَدى الشـآمِ ودِجْلَـةٌ والنِيـلُ
قـالُـوا السيـاسَـةُ قُلْـتُ : رَغْـم دُهـاتِهـا
ظِـلُّ العُـروبَـةِ فِي الـربـوعِ ظَلِيـلُ

نَسَـبٌ أَغَـرُّ وَذُرْوَةٌ مُضَـرِيَّـةٌ
نَبْـتُ الـربيـعِ بِهـا قَنـاً ونُصُـولُ
وَعَقِيـدَةٌ وَطَنِـيَّـةٌ عَرَبِيَّـةٌ
فِيهـا نَصُـولُ على العِدى ونَطُـولُ

هَذا هُو الحَقُّ الصُراحُ فَحَسْبُكُمْ
قَوْلُ السِياسَةِ كُلُّهُ تَدْجيلُ

* * *

يا غاصبي حَقِّ العُروبة حَسْبُكُمْ
مِنَّا فُروعٌ للعُلاَ وأُصُولُ
أسْهَبْتُمُ بِوُعُودِكُمْ وأَطَلْتُمُ
ضِدّ البَلاغَةِ ذلكَ التَطْويلُ
وَرَفَعْتُمُ المِنْديلَ وَهْي خَدِيعَةٌ
هُزِمَ السلامُ ومُزِّقَ المِنْديلُ
قَدْ ضَاعَ في التأويلِ صِدْقُ عُهُودِكُمْ
ألِكُلِّ عَهْدٍ عِنْدَكُم تَأْوِيلُ
لا تُنْكِروا حَقَّ الحَيَاةِ لأُمَّةٍ
فيها النبوغُ على الحياةِ دَلِيلُ
وَتَدارَكُوا هذا السلامَ بِطِبِّكُمْ
ودَوائِكُمْ إنَّ السلامَ عَلِيلُ
طَعَنَتْهُ أَطْماعُ السِياسَةِ طَعْنَةً
نَفَذَتْ فَراحَ السِلْمُ وَهْو قَتِيلُ
وَلَقَدْ جَزِعْتُ مِن السِياسةِ إنَّها
غُولٌ وَهَلْ تَلِدُ السَلاَمَةَ غُولُ
دِيْنُ السِياسَةِ جَاء فيه مُبَشِّراً
بالمَشْرِقَيْنِ الجَيْش والأُسْطولُ

قُولوا لِمَنْ غَصَبَ القَوي حُقُوقَهُ
أَلسَيْفُ باسْتِرْدَادِهِنَّ كَفِيلُ
وإِذَا تَكَلَّمَتِ الصوارِمُ والقَنا
سَكَتَ الضَعِيفُ وَلَجْلَجَ المَكْبُولُ
وإِذا عَلا صَوْتُ الضَعِيفِ فَرُبَّما
أَخْفَى صداهُ زَماجِرٌ وصَهِيلُ
وأرى القَوِيَّ يُطاعُ غَيْر مُخَالَفٍ
وَيُخَالَفُ القرآنُ والإِنْجيلُ
أَلشَرْعُ ما سَنَّ القَوِيُّ بِسَيْفِهِ
فَلِسَيْفِهِ التَحْرِيمُ والتَحْلِيلُ
إنْ قَالَ صدَّقَهُ الزَمانُ فَقَوْلُهُ
وَحيٌ وَزُورُ حَدِيثِهِ تَنْزِيلُ
والدَهْرُ أَعْدَلُ مَنْ عَرفْت حُكومةً
والشاهِدُونَ على الزَمانِ عُدولُ
دُوَلٌ تَدُولُ ولا مَرَدَّ لأَمْرِهِ
يُحْمَى الكِناسُ ويُسْتَباحُ الغِيلُ
وَلَرُبَّما هَزَّ اللِواءَ مُظَفَّرٌ
ماضِي العَزِيمَةِ أَصْيَدٌ بُهْلُولُ
مِنْ آلِ يَعْرُبَ لا تَلِينُ قَناتُهُ
أَنْفٌ أَشَمُّ وساعِدٌ مَفْتُولُ

* * *

(١٩٢٤)

على اطلال الجزيرة العربية

يبكي الشاعر على اطلال الجزيرة ويستنجد لها بالشام وبغداد ولكن الشام وبغداد من بلائهما في شغل ثم يخاطب عصبة الامم التي فرضت انتدابها على ديار العرب فيهدد ويتوعد

عفَتِ الديَارُ وأنكَرتْ قُصَّادَهَا
حيَّا الحَيا تِلْكَ الديَارَ وَجَادَهَا
أبْلَتْ بَشَاشَتَها الخُطوبُ وأقْصدَتْ
فُرْسَانَها وَتَخَرَّمَتْ أجْوادَهَا
وَأبادَ فِتْيَتَها الزمانُ وطَالَمَا
مَرّ الزمانُ بِفِتْيَةٍ فَأَبادَهَا
هِيَ حَسْرَةٌ فازْدَدْ وَأنتَ أخو هَوى
حَقُّ الوَفاءِ عَلَيْكَ أنْ تَزْدَادَهَا
حَيَّيْتَهُنَّ مَنَازِلاً مَهْجُورَةً
سبتِ المَنِيَّةُ هِنْدَهَا وسُعَادَهَا
وَحَبَسْتَ فِيهِنَّ المَطِي مُسائلاً
عَنْ أهْلِ وُدِّكَ نُؤْيَهَا وَثِمَادَهَا
وَسَكَبْتَ مَا شَاءَ الهَوَى بِطُلُولِها
حُمْرَ الدُمُوعِ أما تَخَافُ نَفَادَهَا ؟
تِلْكَ الدُمُوعُ قَصِيدَةٌ قَدْ جَوَّدَتْ
عَيْنَاكَ يَوْمَ فِراقِهِمْ إنْشَادَهَا

مِنْ أَنَّةِ الثَكْلَى أَخَذْتَ رَوِيَّهَا
وَمِنَ القُلُوبِ قَدِ اسْتَعَرْتَ مِدَادَهَا
جَاءَتْ مُهَذَّبَةَ القَوافِي مَا اشْتَكَتْ
إِيطَاءَهَا وَزِحَافَهَا وَسِنَادَهَا

فإِذا تَلَتْهَا العَيْنُ وَهْي نَدِيَّةٌ
سكِر الزَمَانُ بِلَحْنِهَا فأَعادَهَا
الحُزْنُ أَرْسَلَهَا وَوَقَّعَ لَحْنَهَا
واخْتَارَ فِي شَوْطِ القَرِيضِ جِيَادَهَا

غَرَّاءُ هَذَّبَهَا وأَحْكَم صُنْعَهَا
صُنْعُ البَيانِ فَأَتْعَبَتْ نُقَّادَهَا
الشِعْرُ مَا مَلَكَ النُفُوس وَهَزَّهَا
وَأَثَارَ ثَائِرَهَا الكَمِينَ وَقَادَهَا

تَتْلُو الطَبِيعَةُ في الصَباحِ قَصائِداً
بَذَّتْ بِهِنَّ لَبِيدَهَا وَزِيَادَهَا
إِنِّي لَتُطْرِبُنِي الحَمَامَةُ أَنْشَدَتْ
فَوْقَ الغُصونِ فَرَنَّحَتْ مَيَّادَهَا

وَيَهُزُّنِي لَحْنُ النَسِيمِ مُقَبِلاً
نَوْرَ الخَمَائِلِ لاثِماً أَوْرادَهَا
والصُبْحُ مَر على الرُبَى بِحَنَانِهِ
فَكَسَى بِلُؤْلُؤِ دَمْعِهِ أَجْيَادَهَا

والمَـوْجُ يَخْـطُـبُ فـي الصُـخُـورِ مُثَرْثِـراً
حَنِــقــاً وَيَنْقِــمُ كِبْــرَهَــا وَعِــنَادَهَا
واللَيْـلُ غَـطَّـى فـي رِدَاءِ سُكُونِـهِ
جِسْــم البَسِيطَــةِ شُمَّــهَا وَوِهَـــادَهَــا

* * *

يـا نَفْحَــةً حَمَلَتْ اليَّ مِــنَ الرُبَــى
غِــبَّ الــربِيــعِ شَقِيقَــهــا وَزُبَـادَهَــا
أُمِّــي الجَــزِيــرةَ واسْــرقي مِنْ غِيدِهَــا
بَــرْدَ الثُغــورِ علــى الصِبــا وَبُرادَهَــا
مــا للجَــزِيـرَةِ لا تُفِيـقُ مِنَ الكَــرَى
طَلَــعَ الصــبــاحُ فَنَبِّــهِـي آسـادَهَــا
مَــلَّ الشُـعـوبُ مِنَ الرُقَــادِ وَبَـكَّــرُوا
للطَيِّبَـــاتِ فَهَـــل تَمَــلُّ رُقَــــادَهَــــا

بِنْــتُ الغُـزاةِ الفَـاتحِيــن تَحَكَّمَـــتْ
فيهــا العُــداةُ وأَحْــكَمَــتْ أَصْفـادَهَـا
مَلَــكُـوا عَليهــا الــدِجْلَتَيْـــنِ وحَــرَمُـوا
بَــردَى وَذَادُوا بــالــظُبَــى وُرَّادَهــا
وَكَســتْ جُنــودُهُــمُ العَــواصِـم فــارْتَدَتْ
ثَــوْب الحِــدادِ وَوَدَّعَــتْ أَعْيــادَهَــا
يــالَلْعَــواصِـمِ خُطَّــةً مَغْــزُوَّةً
مَلَكَ الغَــرِيــبُ بَيـاضَهــا وسَوادَهـا

الـــدَهْـــرُ فَـــلَّ سُيــوفَهـا هِنْـدِيَّــةً
بِيضـــاً وحَـــطَّــم بالقِــراعِ صِعـادَهـا
مـــدَّتْ الى الفَيْحـــاءِ كَـــفَّ رجَائِــها
متـروكـةً وتَـرقَّبــتْ إسْعـادَهَـــا

مـا أَسْـــرَعَ الفَيْحَـــاءَ لـولا أَنهَّــا
طَغَـتِ الخــطــوبُ فَـريشَـــتْ أَنْجَـــادهَـا
وشـــكـــت لِبْغـــدادَ الخـــطـــوبَ ومـــا درت
أن الخـــطـــوبَ تَعـــرَّقَــتْ بَغْـــدادَهـــا

حَبَســـــتْ مِيـــاهَ الـرافِـدَيْـــنِ وَحـــــلَّأتْ
عَـنْ وِرْدِ دِجْلَـــةَ لَخْمَهـا وإِيادَهَـا
وَيْـــحَ العُـــروبِـــةِ ! حَلَّمَـتْ أَحْبـابَهَـــا
رِيَـــبُ الـزمـانِ ونَـــزَّقَـــتْ حُسَّـــادَهَـا

هِيِ جَنَّـــةٌ ما ارْتَادَهـــا ذُو شِــــرَّةٍ
إلاَّ وأَطْمــع حُسْنُــــهـا مُـرتـادَهَـا
كَــالـطيْــرِ أَسْـــكَـــر لَحْنُـــهـــا صيَّـــادَهـا
فَمشـــى اليهـــا بالـــردى واصْطَـــادهَـا

ذاكَ الجَمـــالُ جَنـــى على أَبْنائِـهـا
ظُلْمـــاً وجَلَّـــلَ بالأذَى أَحْفـادَهَـــا
وَلقـــدْ أَقـولُ لِغَاصِـبيـنَ مَشَـــوْا بهـا
مَـرحـاً وأَثْقَـلَهـا الشَـــقـــاءُ وآدهَـــا

هِـي جُـذْوَةٌ حـاولْتُـمُ إطْفـاءَهـا
والـظُـلْـمُ راحَ مُحـاوِلاً إيقـادَهَـا
أَقْبَلْتُـمُ كـالمُـرشِـديـنَ وسـاءَكُـمْ
بَعْـدَ الـكَـرى أنْ تَسْـتَبِيـنَ رَشَادَهَـا
قُلْتُـمْ نُـؤَيِّـدُ مِنْعَـةَ اسْتِقْـلالِهِا
لـكنـكُمْ أَيَّـدْتُمُ اسْتِعْبـادَهَـا
إنَّ الغَـزَالَـةَ لـو ملكتـمْ أمْرَهَـا
لَحَبَسْـتُـمُ عـن جِـلَّـقٍ آرادَهَـا

* * *

يـاعُصْبـةَ الأُمَـمِ القَـويـةَ حـاذِري
بـأْس الضِـعـافِ وحَـزْمَهـا وكيـادَهَـا
لاتَـأْمَـنـي بأْس الأَعـارِبِ إنَّهُـم
كـادَتْ تُفـارِقُ بيضُـهُـمْ أغْمـادَهَـا
وكـأَنَّنِـي بالصيـدِ مِـنْ أُمَـرائِهَا
يـوْمَ الحَـمِيَّـةِ أنْـكَـرَتْ أحْقـادَهَـا
وكـأَنَّنـي بـالتَـاجِ أَلَّـفَ شَمْلَـهَـا
نَـظْمـاً ولَـم نَثَيـرَهـا وَبِـدادَهَـا
هَلَّـلْـتُ للنَّشْـءِ الجَـديـدِ وَقَـدْ مَشَـى
يَصْـلَـى الحيـاةَ وحَرْبَـهـا وجِهَـادَهَـا
وخَشَـعْـتُ للنَـشءِ الجَـديـدِ وقُلْـتُ ذا
جُنْـدُ الشـآمِ فَمَـنْ يُطِيـقُ جِلادَهَـا

حَيَّيْتُ فِيهِ حُماتَها أَبْطالَها
يَومَ النِزالِ كُماتَها قُوَّادَهَا
تِلْكَ المِهارُ ولا أُكابِدُ لَوْعةً
إنْ مُدَّ في عُمْري شَهِدْتُ طِرادَهَا

* * *

(١٩٢٤)

طمع الاقوياء

لا تَلُمْهُ إذا أَحَبَّ الشَآمَا
طَابَتِ الشَامُ مَرْبَعاً وَمُقَامَا
ما رَأَيْنَا الشَآمَ إلاَّ رَأَيْنَا
مَنْزِلاً طَيِّباً وأَهْلاً كِرَامَا
بَرَدَى والوُرودُ في ضَفَّتَيْهِ
مُصْغِياتٌ لِشِعْرِهِ والخُزَامَى
هَاتِ حَدِّثْ عنِ الشَآمِ وَحَدِّثْ
وَأَطِلْ في الحَدِيثِ عَنْها الكَلاَمَا
عَنْ رُبَاها ، عَنْ غِيدِها سَارِحَاتٍ
يَتَهادَيْنَ في الحِمَى آرامَا
مَا عَرَفْتُ الغَرامَ لولا رُبَاهَا
مِنْ رُبَى جِلَّقٍ عَرَفْتُ الغَرامَا
مِنْ أَغَانِي طُيورِهَا ساجِعَاتٍ
قَدْ تَعَلَّمْتُ هَذِهِ الانْغَامَا
أَعْطِني في رُبُوعِ جِلَّقَ يَوْمَاً
يا خَلِيلي وخُذْ مِن العُمْرِ عَامَا
وَأَعِدْ ذِكْرَهَا رحيقا مُصَفَّى
وَأَدِرْهُ عَلَي جَامَاً فَجَامَا

* * *

يـا بَنِـي أُمٍّ والحَيَـاةُ زِحَـامُ
ذَلَّ واللـهِ مـنْ يَخَـافُ الزِحَـامَا

يـا بَنِـي أُمٍّ هَـبَّةً بَعْـدَ نَـوْمٍ
كَشَـفَ الصُبْـحُ بالضِيـاءِ الظَـلامَـا

نَظْـرَةً للشُـعـوبِ وَهْـي تُحَيـي
بـالاهَـازِيـجِ فَجْـرَهَـا البَسَّـامَـا

أُمَـمُ تَكْسِـرُ القُيودَ وأُخْـرى
يُرْهِـفُ القَيْـنُ سَيْفَـهَـا الصَمْـصَامَـا

طَالَبَـتْ بالحَيَـاةِ طَعْنـاً وَضَرْبَـاً
بَعْـدَ أنْ طَالَبَـتْ بِهـا اِسْتِرْحَـامَـا

لا تَظُـنُّـوا السـلاَمَ فـي الارْضِ حَـيّـاً
طَمَـعُ الاقْـوِيَاءِ غَـالَ السـلامَـا

طَمَـعٌ لَـوْ أطَـاقَ - فاخْشَـوْا أذاهُ -
حَبَـس النـور عَنْـكُمْ والغَمَـامَـا

لَيْـتَ شِعْـرِي وللسِياسَـةِ دِيـنُ
يُرْسِـلُ النَـارَ حُجَّـةً والحُسـامَـا

أيَعُـدُّونَ قَتْـلَ شَعْـبٍ حَـلالاً
وَيَعُـدُّونَ قَتْـلَ فَـرْدٍ حـرَامَـا

عَبَـثُـوا بالنِـظَـامِ بَغْيـاً وَقَـالـوا
قَـدْ اتَيْنَـاكُـمُ لِنَحْمِـي النِظَامَـا

حطَّمــوا المُرْهَفَــاتِ وَهْــي رِقَــاقٌ
ثُــم شــاؤوا فَحَطَّــمــوا الأَقْــلامَــا
يــالَشَــكْــوى تُغِــصُّ دِجْــلَةَ بالدَمْــعِ
حَنَــانــاً وَتُحْــزِنُ الأَهْــرَامَــا
لَــوْ تَــلاهَا بِأَرْضِ يَشْــرِب حـــادٍ
أَبْــكَــبِ الــرُكْــن والصــفــا والمَقَــامَــا

* * *

أَيُّــهــا الاقْــوِيَاءُ لِيــنــاً وَعَطْفَــاً
أشُــعــوبــاً تَــرْعَــوْنَهَــا أَمْ سَــوامَا
فِــي رمــادِ الضَــعيــفِ نــارٌ فَمَهْــلاً
ان ظُلْــم القَــوِي يُــذْكِــي الضِــرامَــا
أَنــا أَخْشَــى مِــن الضَــعيفِ عَلَيْكُــم
بَعْــدَ حِيــنٍ تَمَــرُّداً وانْتِقامَــا
أَنــا أَخْشَــى مِن الضَــعيفِ عَلَيْكُــمْ
ثــوْرَة تَبْعَــثُ الخُــطــوب الجِســامَــا
ثــوْرَة تَهْــدِمُ القُصــور وَتَبْنِــي
فَــوْقَهــا الــكُــوخَ عالِيــاً والخِيَــامَــا
ثَوْرَة تَتْــرِكُ المُتــوج عَــبْــداً
وأَخَــا الــرق سيــداً قَمْقَــامَــا
شِــدَّةُ البَغْــيِ والاذَى عَلَّــمَتْــهُ
كَيْــف يَغْشَــى يَوْمَ الصِــدامِ الصِــدامَا

أرْهِقُونَا ما شِئْتُمُ واظْلِمُونَا
وامْنَعُونَا حَتَّى الكَرى والطَعَامَا
واسْلُبوا ما تَرَوْنَهُ مِنْ حُطَامٍ
لَكُمُ وَحْدَكُمْ جَمَعْنَا الحُطامَا
وامْلأوا هَذِهِ السجونَ الى أنْ
تَشْتَكي مِنْ ضُيوفِها الازْدِحَامَا
ثُم سُوموا السُجودَ كِبْراً وَتيهاً
إذْ تَمُرونَ شَيْخَنَا والغُلامَا
واحْكُمونا بالعَسْفِ حَتَّى كَأَنَّا
قَدْ مَثَلْنَا أَمامَكُمْ أنْعَامَا
لا إِخَالُ الأَرْواحَ تَكْسِرُ قَيْدَ الأَسْرِ
إنْ لَمْ تُعَذِّبُوا الأَجْسامَا
يَفْتُكُ الظُّلْمُ بالضَعيفِ وَيُرْدي
بَعْدَ حِينٍ بِشؤْمِهِ الظُلاَّمَا

(١٩٢٤)

اهوى الشآم

القيت في قاعة المجمع العلمي بدمشق

قِفْ بالشَآمِ مُسائِلاً آثارَها
مرْحى لِمَنْ أمَّ الشآمَ وزارَها
أهْوى أزاهِرها أحِنُّ لِعَهْدِها
أشتاقُ بُلْبُلَها أُحِبُّ هَزارَها
قَضَيْتُ أيَّامي القِصار بِظِلِّها
جادَتْ مدامِعُ مُقْلَتي قِصارَها
أفْدي مُهَفْهَفَةَ القَوامِ أسيرةً
تَشْكو القُيودَ فَمن يَفُكُّ إسارَهَا
غلُّوا الأُسودَ الصيدَ مِنْ أبْطالها
في الغُوطَتَيْن وَحَجَّبُوا أقْمارَهَا
وكسَوْا مَناكِبَها فلا أنْجادَها
تَركُوا لِقاطِنِها ولا أغْوارَهَا

* * *

هَذي الشآمُ فَحي لَيْث عرينِها
يوْمَ النِزالِ لُبابها مُخْتارها[1]
إنْ كانَ قد هَجَر الشآم فإنَّهُ
أبْكى الشآم وَهَزَّهَا وأثارَهَا

(١) يريد به زعيم احرار السوريين الدكتور عبد الرحمن سهبندر وكان في رحلته الى اوروبا واميركا للدفاع عن القضية الوطنية

حَزِنَتْ قُبورُ الفاتِحِينَ وأَطْلَقَتْ
حُمْرَ الدموعِ وأَرْسَلَتْ مِدْرَارَهَا
وَبَكَتْ غِياضُ الغُوطَتَيْنِ أَما تَرى
أَنَّ المَدامِعَ بلَّلَتْ أَزْهَارَها
ياابْنَ الصناديدِ الأُلى قد عَفَّروا
هَامَ الملوكِ ونَكَّسوا جَبّارَها
أَلمُوقِدي نارَ الضِيافَةِ أَرْسَلَتْ
مِثْلَ الجِبالِ الراسياتِ شَرَارها
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الجَبينِ مُغامِرٍ
يَغْشَى المَعامِعَ مُسْتَثِيراً نارَهَا
كأْسُ المَنِيَّةِ في فِرِنْدِ حُسامِهِ
فاذا الْتَقَتْ حَلَقُ البِطانِ أَدَارَهَا
قَدْ أَرْقَلَتْ بِكَ في الخِضَمِ مطِيَّةٌ
هَوْجَاءُ مانَكَثَ الخِضَمُّ مغَارَها
ظَمْأى تَسيرُ على الخِضَمِ مُجَرْجِراً
سَيْرَ الذَلُولِ ولا تَبُلُّ أُوارَهَا
فإذا بَلَغْتَ الغَرْبَ وهْوَ مَمَالِكٌ
بالسَيْفِ تَمْنَعُ مجْدَهَا وذِمارَها
رَفَعَتْ عَلى حَدِّ السيوفِ عُروشَها
وبَنَتْ باشْلاءِ الضِعافِ دِيارَهَا

* * *

قُــلْ إنْ جَلَسْــتَ مخاطِبــاطاغُــوتَهـــا
ومُحــاوِراً فــي بَغْيِــهِ جــزَّارَهَا

مــا لِلشَّــآمِ نَسيتُــمُ مِيثــاقَـها
وخَفَـرْتُـمُ بَعْـدَ العُهــودِ جِوارَهـــا

قَـرَّبْتُـمُ للــطَّيِّبـــاتِ عَبيــدَهَــا
وَحــرَمْتُمُ حــتَّــى الــكَــرى أحْـــرارَهَــا

عَـزَّ العَـزاءُفَكَفْكِفُـوا عَبـراتِـها
وخَـلا النـديُّ فـأطْلِقُــوا أطْيـارَهَــا

* * *

لا تَكْــذِبِ الامــمُ القَــوِيَّـــةُ إنَّهـــا
بـاسْـــمِ الحَضَــارَةِ ثَقَّفَــتْ خَطَّـــارَهـا

ولْتَهْنَـــأ الامَــمُ القــويــةُ إنَّهـــا
قــد أَدْرَكــتْ مِمَّــنْ تُخــادِعُ ثــارهَـــا

قـالــتْ لقــد بَلَّغْتُـكُــمْ اوطَـاركُـمْ
وهِــي التـــي بَلَغَــتْ بِنـــا أوْطَارهَــا

يــا عصــبــة[1] الصيــد الغــطــاريف الأُلــى
حفــظــوا الجـــدود وخــــلــدوا آثـــارهـــا

هـــذي سيـــــوف الفـــاتحين من البلـــى
قــد صُنْتُــمُ اجفــــانهـــا وشفـــارهـــا[2]

(١) رجال المجمع العلمي

(٢) اشارة الى سيف ابي عبيدة الجراح المحفوظ في متحف المجمع

جـــدَّدتـــمُ عهـــد الحفـــاظ لأمـــة
اللـــهُ طهَّـــر خيمهـــا ونجـــارَهـــا

ارجعتـــم صـــوَر العـــروبـــة غضـــةً
فكـــأنـــكـــم ارجعتـــم إعصـــارَهـــا

وبعثتـــم امـــم الجـــزيـــرة بعـــدما
طـــويـــت وحلـــل فـــذكم اطـــوارَهـــا

انـــطقتـــمُ الصُـــوَرَ الجَمَـــادَ فخَـــبَّرَتْ
عـــن شـــأنهـــا ورَوَيْتُـــمُ أَخبـــارَهـــا

وســـللتـــُمُ صمْصـــامَهـــا من غِمـــدِه
متـــألِّقـــاً وجلـــوتـــمُ دينـــارَهـــا

ورفعتُـــمُ ركْـــنَ القضيـــةِ عاليـــاً
بجهـــادكـــم وكَشَـــفْتـــمُ اســـرارَهـــا

***

مـرحـى لنـــاشِئَـــةِ الشـــآمِ ومَرْحبـــاً
بـــالنَشْـــءِ إنْ عَثَـــرتْ أقـــالَ عِثـارَهـــا

ألنـــاهِضيـن لِيَمْنَعُـــوا ميـراثَـها
ويُجَـدِّدُوا عَلْيـاءَهـا وفَخَـــارَهَـا

هَـذِي الـربـوعُ سَرَرْتُـمُ غُيَّابهـا
بِجِهـادِكُـمْ وحـرسـتُـمُ حُضَّـارَهَـا

أَسْـهـرتُـمُ جَفْـن العَـدُوِّ ورحْتُـمُ
نُـدْمَـانَ كـلِّ فَضيلَـةٍ سُمَّـارَهَـا

أَرْجَعْتُمُ صُورَ العُروبةِ غَضَّةً
فكأنَّكُمْ أَرْجَعْتُمُ أعْصارَها

وَرَفَعْتُمُ رُكْنَ القَضِيَّةِ عَالياً
بِجِهادِكُمْ وكشفْتُمُ أَسْرارَهَا

وأَرَى العَدُوَّ دَعاكُمُ أَغْرارَهَا
أَفْدِي الذينَ دَعاهُمُ أَغْرارَهَا

لا تَقْنَطُوا فَلَقَدْ غَرسْتُمْ جَنَّةً
تَجْني أكفُّكُمُ غَداً أثمارَهَا

وخُذُوا شِعارَكُمُ القِلَى لِعِصابةٍ
تَخِذتْ مُوالاةَ الغريب شِعارَهَا

نَسِيتْ عُروبَتها ولم تَعْشَقْ بِها
مِئْناف جَنَّاتِ الحِمى مِعْطَارَهَا

أَغْفَتْ على أعْذَارِها فَتَرَيَّثُوا
أللهُ ليْس بِقابِلٍ أعْذارَهَا

حسْبُ العُروبةِ أنَّكُمْ لَبَّيْتُمُ
يَوْمَ النِداءِ وكُنْتُمُ أنْصارَهَا

بردى أدارَ عليكُمُ صَهْباءَهُ
وجَلَتْ عَرائِسُهُ لَكُم نَوَّارَهَا

واخَجْلَتِي لِلناكِرين جَمِيلَها
والثالِمين مَع العَدُوِّ غِرارَها

عَـــقُّـوا البَنيـــن ومـــا سمِعْـتُ بِنــاقَةٍ
وَطِئَـــتْ على مَهْـــدِ الصـــعيـــدِ حُـــوَارَهَـا

* * *

(١٩٢٤)

فترقبوا الغارات من ايتامها

خَلُّوا الشَآمَ وداميات كلامِها
لا تهْتِكُوا الاسْتارَ عَنْ آلامِها
عَربِيةُ الأَنْسابِ تَطْربُ لِلْوَغى
في جاهِلِيَّتِها وفي إسْلامِهَا
فاذا أَرادَ زِمامَها ذُو قُوَّةٍ
شَمستْ على الباغِي بِفَضْلِ زِمامِهَا
عَطفَتْ عَلَيْهِ بالسُيوفِ كَأَنَّها
مِنْ حَزْمِها صِيغَتْ ومِنْ إقْدامِها
السُمْرُ حوْلَ قِبابِها مرْكُوزَةٌ
والبِيضُ لامِعةٌ بِظِلٍ خِيامِها
وَلقد أَرادَ بها القويُّ تَحَكُّماً
فَتَنَمَّرَتْ أَنَفاً على حُكّامِها
إنْ صدَّهَا ذو التاجِ عَنْ حاجَاتِها
سأَلَتْهُ حاجَتَها بِحَدٍّ حُسامِها
أَلغارَةُ الشعواءُ عِيدُ كُماتِها
ودَمُ الطُّلى المَشْبوبُ كَأْسُ مُدَامِها
وَرَأَيْتُها ظَمْأَى الجَوانِحِ للعُلَى
فَعَلَى الدَمِ المُهَراقِ بَلُّ أُوامِها
الرْوضُ مُحْتاجٌ لِقَطْرِ دِمائِهَا
يومَ الحَمِيَّةِ لا لِقَطْرِ غمامِها

والحَـــقُّ تَبْلُغُـــهُ بِبـأْسِ حُمـاتِهـا
لا بـاسْتِـكـانتِهـــا ولا اسْتِـــرحـــامِهـــا
اَلبـأس كلُّ البَـــأْسِ في آسـادِهـا
والحُسْــنُ كـلُّ الحُسْنِ في آرامِهـا
إنْ كـانَ عِنْـدَكَ كـالأَشَـج فَبـاهِهَـا
أو كـالأَعَـــزِّ الـــوائِلِـــي فَسـامِهـا
يـا ابْـن الشـآمِ ومـا نَظَمْـتُ قَصـائِدي
إلاَّ لِهَـــزِّ عِـراقِـهـــا وشَـآمِهـــا
تَشْـــدو الحَمائِـــمُ في الشَّـــآمِ وإنَّمـا
أَنْغَـــامُ هـــذا الشِـــعْرِ مِـنْ أَنْغـامِهـا
الحُـــرُّ يُؤْســـرُ والحمـائِـمُ حُـــرَّةٌ
يا لَيْتَ لِي في الشـامِ حَظَّ حَمامِهـا
أَلْيــوم مَعْـــرَكَـــةُ الحَياةِ فَما الذي
أَعْـدَدْتَ مِـنْ عُدَدٍ لِيَومِ صِدامِهـا
مـنْ لَيْس يَمْنَعُ حَقَّـهُ في حـــربِهـا
هَيْهَـاتَ يَمْنَعُ حَقَّـــهُ بِسـلامِهـــا
وإِذا تَنَكَّـــبْـــتَ الـــزِحـــامَ فَفَتْـــرَةٌ
وَتَخِـــرُّ مُنْجَـــدِلاً غَـداة زِحـامِهـا
للأَقْـــويـاءِ شَـــريعَـــةٌ مَكْتـــوبـة
بـــالسَّيْـــفِ شِيْـب حـلالُـهـــا بِحرامِهـــا

* * *

أمُنَــوِّلَ الأُمَــمِ الضــعيفـةِ حَقَّها
وَمُـديلَهَــا القَهَّــارَ مِنْ ظُـلاَّمِهـا
فَصْــلُ الخِــطابِ دَنـا فَأَيِّـدْ أُمَّــةً
لَــمْ تَبْــغِ الا حَقَّــهـا بِقيامِـهَا
واسْمَــحْ لِنصْـرِكَ أَنْ يُرفـرفَ فَوْقَهـا
ويُطـاوِلَ الجـوزاءَ فــي أَعْـلامِهــا
يـارب عَلِّمْهـا المَسـير الـى الــردى
بِســبيلِ عِــزَّتِهـا ونَيْــلِ مـرامِهــا
هـذي دِمــاءُ كِـرامِهــا مَطْلـولــةٌ
فــاقْبَــلْ ضَحِيَّــتَهـا دِمــاءَ كِــرامِهَــا
لا تَــرْتجِــي الا حَيــاةً حُــرَّةً
يـا رب أَجْــر صلاتِهـا وصِيــامِهَــا
إنْ لَـمْ تُــرجِ الفَــوْزَ قَبْــلَ حِمامِهـا
فاسْـمـحْ بِـهِ يــارب بَعْدَ حِمــامِهَـا
فتراهُ بَعْــدَ الموت فــي أَرْواحِهـا
إنْ لـم تكن شَهِـدَتْـهُ فـي أَجْسامِهـا

***

هَيْهــاتَ تَنْخَــذِلُ الشـآمُ وقــدْ بَدا
أَثَـرُ القِــراعِ على شَبــا صَمْصامِهَـا
ووراءَ حـــق الغُــوطَتَيــنِ عِصابــةٌ
آســادُ غــابَتِهـــا شمــوس ظَـلامِهـا

أَلبـــاذِلـونَ دِمـاءَهُـمْ يَوْمَ الوَغـــى
والثـائِـــرونَ بِهـا على أَخْصـــامِهَـا
مـا لِـلـذِئـابِ مُـدِلَّـة فـي حَيِّـهـــا
أَوَ لا تخـــافُ الشـــر مِـنْ ضِرْغَامِـهَا
النـــارُ خـامِـدَةُ اللهيـــبِ فَحـاذِروا
يـا ظـالِمـي قَحْـطـانَ مِـنْ إِضْـرامِهَـــا
إِنْ تَقْتُـــلـوا آبــاءَهـــا بِسُيـوفِكُـــم
فَتَـــرقَّبـوا الغـــاراتِ مِـــنْ أَيْتـامِهَـــا

* * *

(١٩٢٣)

تحيةُ الشباب

ألقيت في جمعية الشباب العربي في مدرسة اللاييك الفرنسية
بيروت

غَضٌّ الشَبابِ وإِنْ تَلِنْ عَذَباتُهُ
خُلِقَتْ لإِدْراكِ الْمُنى عَزَماتُهُ
أَللّهُ أَكْبرُ للشَبابِ صَلِيبةٌ
للغامِزاتِ مِن الخُطُوبِ قَناتُهُ
أَللّهُ أَكْبَرُ للشَبابِ جَلالُهُ
مِلءُ العُيونِ وحُسْنُهُ وسِماتُهُ
لا يَجْزَعِ الوَطَنُ المُدِلُّ بِحَقِّهِ
أَلْباسِمونَ مع الشَبابِ حُماتُهُ
فِي ذِمَّةِ الفِتْيانِ رَايَةُ مَجْدِهِ
إِنَّ الشَبابَ وَفِيَّة ذِمَّاتُهُ

* * *

خَلُّوا الأَناةَ وأَسْرِعُوا لِمُناكُمُ
عَارُ الشَبابِ العَبْقَرِي أَناتُهُ
تَاجُ الجَزِيرَةِ وَهْيَ مَهْدُ جُدودِكُمْ
نَزَلَ القَضاءُ فَنُكِّسَتْ راياتُهُ
يَشْكُو وأَنْتُمْ سامِعُونَ فَمالَهُ
لا يُسْتَجابُ وللشَبابِ شَكاتُهُ

إنِّـي لَتُبْكِينـي الجَـزِيـرَةُ مـاوَنَـى
عَنْهـا العَـدُوُّ ولا وَنَـتْ غـاراتُـهُ
وإذَا الحَـزِيـنُ بَكَـى وَلَـمْ يَـكُ شَـاعِـراً
فـالشِـعْـرُ مـا نَطَقَتْ بِـهِ عَبَـراتُـهُ

* * *

نَفَـحـاتُ لُبْـنـانَ الأشَـم عَلِيلَـةٌ
وحِمَـى الجَـزِيـرَةِ عَـذْبَـةٌ نَفَحَـاتُـهُ
تَشْـتَـاقُ نَـاضِـرَةَ الشَـآمِ رِمـالُـهُ
وَتُحِـبُّ خُضْـرَةَ أَرْزِكُـمْ فَلَواتُـهُ
يَشْـكُو جِـرَاحَتَـهُ إلَـى أَعْـدائِـهِ
أَيْـنَ الشِـفـاءُ وجـارِحُـوهُ أُسـاتُـهُ
هَيْهـاتَ يَنْجَـحُ فـي القَضِيـةِ مُـدَّعٍ
وخُصُـومُـهُ يَـوْمَ الحِسـابِ قُضَـاتُهُ

* * *

وَاضيْعَـةَ الـوطَـنِ الصـغيـرِ تَعَـدَّدَتْ
أدْيـانُـهُ وَعُـروشُـهُ ولُغَـاتُـهُ
وَلَـرُبَّ مُخْتَـالٍ تَنـاسـاهُ الـرَّدَى
وَوَدِدْتُ لَـوْ بَكَرَتْ عَـلَـي نُعَـاتُـهُ
صَلَّـى لِتَفْـرِيـقِ الشُـعـوبِ فَبَغَّضَـتْ
عِنْـدِي الـدِيـانَـةَ والتُقَـى صَـلَواتُـهُ
هَـذا أَسِيـرُكِ يـا مَذَاهِـبُ مِلَّـه
عَـضُّ القُيـود أَلَـمْ يَئِـنْ إفْـلاتُـهُ ؟

هَيْهَاتَ بَعْدَ اليَوْمِ يَهْدِمُ مَذْهَبٌ
صَرْحَ العُروبةِ والشَبابُ بُناتُهُ
إنِّي عَبَدْتُ اللَّهَ لا نِيرانُهُ
سِرُّ التُقَى عِنْدِي ولا جَنَّاتُهُ
والعَقْلُ دَلَّ عَلَيْهِ لا قُرْآنُهُ
في آيِهِ الكُبْرى ولا تَوْرَاتُهُ
الدِينُ دِينُ الحُب فَهْو عَقِيدَتِي
وَلَو انَّهُ في الشَرْقِ قَلَّ دُعَاتُهُ
والأُفْقُ أَقْرَأُهُ كِتَاباً مُنْزَلاً
نِعْم الكِتَابُ نُجومُهُ آياتُهُ
بَيْتُ العُروبَةِ حِينَ أَسْجُدُ قِبْلَتِي
لا طُورُهُ قَصْدِي ولا عَرَفَاتُهُ
مِنْ بَعْضِ أسْماءِ العُروبةِ أَرْزُهُ
يَوْمَ الفَخَارِ ونِيلُهُ وَفُراتُهُ
كالرَوْضِ مُلْتَفَّ الخَمائِلِ نَاضِراً
ما ضَرَّهُ لَوْ نُوِّعَتْ زَهَراتُهُ

* * *

حسْبِي إذَا ذُكِر القَرِيضُ وأَهْلُهُ
شِعْرُ شَبابُ الغُوطَتَيْنِ رُواتُهُ
أَنَا جَمْرَةُ الغَمَراتِ ، مِلءُ جَوانِحِي
هِممُ الشَبابِ تُثِيرُها نَزَواتُهُ

سَكِـــرُوا وَقَـدْ أَنْشَـــدْتُ غُـــر قَصـــائِدِي
فَهْـــي الـــرحِيـــقُ طَهُـــورَةٌ رَشَفَـــاتُـــهُ
قَالُـــوا : الجَـــدِيـــدُ فَقُلْـــتُ :مِـــنْ أَنْصـــارِهِ
قَلَـــمُ الحَـــكِيـــمِ وَزِقُّـــهُ وَدَوَاتُـــهُ
فِيـهِ هَنَـاتٌ لا أَقُـــولُ ذَمِيـــمَـــةٌ
بَعْـــضُ المَلاَحَـــةِ فـــي الجَمـــالِ هَنَـــاتُـــهُ
وَأَرَى القَـــدِيـــم يَحُـــولُ عَـــنْ حسَنَـــاتِـــهِ
فَتَضِيـــعُ بَيْـــن ذُنـــوبِـــهِ حَسَنَـــاتُـــهُ
لاَ تَتْـــرُكُـــوا المِـــرْآةَ غَيْـــر صَقِيلَـــةٍ
الشَعْـــبُ رُوحُ شَبَـــابِـــهِ مِـــرْآتُـــهُ

(١٩٢٤)

تعالوا نعد الصيد

ألقى الشاعر هذه القصيدة في قاعة المجمع العلمي بدمشق في ٣١ ايار سنة ١٩٢٤.

أَهَــذِي مَغَــانِي جِلَّــقٍ والمَعَــالِـــمُ
لَـكَ الخَيْـرُ أَمْ هَـلْ أَنْـتَ وَسْـنَـانُ حـالِمُ
بَلـى هَـذِهِ أُمُّ العَـواصِـمِ جِلَّـــقٌ
وَهَـذِي لُـيوثُ الغُـوطَتَيْـنِ الضَـراغِـمُ
هُنَـا عَرْشُ أَقْمارِ العُلى مِـنْ أُمَـيَّـةٍ
هُنَـا ارْتَـكَـزَتْ سُمْرُ العَـوالِـي اللَّهـادِمُ
هُنـا ابْـنُ أَبـي سُفْيـانَ أَشْـرَقَ تـاجُـهُ
تُـؤَيِّـدُهُ البِيــضُ الـرِقـاقُ الصـوارِمُ
هُنَـا اليَعْـرُبِيّـونَ الأُلـى عَـزَّ جـارُهُـمْ
فَلَيْـس لَـهُ فـي غُوطَـةِ الشَـامِ هـاضِـمُ
هُنَـا النَفَـرُ البِيـضُ المَيامِيـنُ لِلْعُلَـى
مـلامِـحُ فـي غُـرَّاتِهِـم وَعَـلائِـمُ
هُنَـا العَـربُ الأَنْـجـادُ إِنْ قَـامَ ظَـالِـمٌ
مَشَـوْا بالقَنَـا أَوْ يُـرجِـعِ الحَـقَّ ظَـالِـمُ
مِـن القَـوْمِ مـا زُفَّـتْ لِغَيْـرِ كِرامِهِـم
حِسـانُهُـمُ البِيـضُ الغَـوانِـي الكَـرائِـمُ
إِذَا انْتَسـبُـوا فـي نُـدْوَةِ المَجْـدِ حَلَّقَـتْ
بِهِـم لِلْعُلَـى قَيْـسٌ وَذُهْـلٌ ودارمُ

* * *

بَنِـي الغَـرْبِ هاتُـوا شاهِـداً عِنْـدَ زَعْمِكُـمْ
بِغَيْـرِ دَلِيـلٍ لا تَقُـومُ المَـزاعِـمُ

تَعـالَـوْا نَعُـدُّ الصيـدَ مِنّـا وَمِنْكُـمُ
فَفِـي النـاسِ مَقْبـولُ الحُـكومَـةِ عَالِـمُ

أَفِيكُـمْ لِسَيْـفِ اللـهِ والحَـقِّ خَـالِـدٌ
إِذَا عُـدَّتِ الأَفْـذاذُ نِـدٌّ مُـزاحِـمُ

وَهَـاتُـوا غَـداةَ الفَخْـرِ أَنْـدادَ خَـالِـدٍ
ويَحْكُمُ فِيـهـا بَيْنَنَـا اليَـوْمَ حَـاكِـمُ

وَهَـاتُـوا لَنَـا أَنْـدادَ مُوسـى وطَـارِقٍ
لِنَعْـرِفَ مَـنْ تُخْـزِيهِ مِنَّـا المَـواسِـمُ

فَـلا تَفْخَـرُوا أَلفَخْـرُ للعُـرْبِ وحْـدَهُـمْ
وللعُـرْبِ قَعْسَـاءُ العُلَـى والمَـكـارِمُ

* * *

لَقَـدْ زَعَمُـوا أَنّـي بِجِلِّـقَ هَـائِـمٌ
أَجَـلْ والهَـوى إِنّـي بِجِلِّـقَ هَـائِـمُ

وَفَيْـتُ بِعَهْـدِ الغُـوطَتَيْـنِ وَهَـذِهِ
شُـهُـودِي القَـوافِـي والـدُمـوعُ السـواجِـمُ

وَأَصْـفَيْـتُ أَبْنَـاءَ الشَـآمِ مَوَدَّتِـي
صـغِيـراً ومـا نِيطَـتْ عَلَـي التَـمائِـم

إِذَا رَضِيـتْ عَنِّـي صَنَـادِيـدُ جِلِّـقٍ
فَـأَهْـونُ شَيءٍ مـا تَقُـولُ اللَّـوائِـمُ

إذَا ظَلَّ مَجْدُ العُرْبِ في الشَامِ سَالِماً
فَمَجْدُ بَنِي قَحْطَانَ في الشَرْقِ سَالِمُ

* * *

سَلاماً عَرُوس المَشرِقَيْنِ ولا مَشَتْ
بِظِلِّ مَغَانِيكِ الخُطُوبُ الغَواشِمُ

خُذِي قَلِّدِي ما شِئْتِ جِيداً وَمِعْصماً
مِنَ اللُؤْلُؤِ الرَطْبِ الذِي أنا ناظِمُ

سَلِينِي دَمِي يا أُمُّ أَسْفِكْهُ راضِياً
وما أَنا هَيَّابٌ ولا أَنا نَادِمُ

طَلاسِمُ هَذَا الذُلِّ دَقَّتْ وإنَّما
تُفَكُّ بِحَدِّ السَيْفِ هَذِي الطَلاسِمُ

ولِلبُطْلِ صَوْلاتٌ على الحَقِّ جَمَّةٌ
وَتُسْفِرُ عَنْ فَوْزِ المُحِقِّ الخَواتِمُ

يَفُوزُ بِأَوْطارِ الحَياةِ مُحارِبٌ
وَيَرْجِعُ بالخِذْلانِ فيها مُسالِمُ

أرى النَاس هَذا ضَاحِكٌ مُتَفَائِلٌ
غُروراً وهذَا نادِبٌ مُتَشَائِمُ

فَقُلْ لِضَعيفٍ رَاح يسْأَلُ رحْمَةً
رُوَيْدَكَ ما للضُعْفِ فِي الناسِ راحِمُ

وَقُلْ لِلَّذِي جافى عَلَى القُرْبِ أَهْلَهُ
رُوَيْدَكَ تَقْوى بالخَوافِي القَوادِمُ

(١٩٢٤)

شعاع العيون

حَدِّثيني عَنِ الهَوى حَدِّثيني
وأثيري كَوامِنَ الأشْجانِ
عَنْ ليالي نُعْمانَ جادَتْ دُموعي
ما جَفاهُ الرَبابُ مِنْ نُعْمانِ
عَنْ كُؤوسِ الصِبا تُدارُ عَلَيْنا
والنَدامى نَواعِسُ الأجْفانِ
يا سُلَيْمى وفي الأحاديثِ سَلْوى
حَدِّثيني عَمَّا مَضى حَدِّثيني

* * *

ذَبُلَتْ هَذِهِ الخَميلَةُ حُزْناً
وَسَقاها مِنَ الرَدى ساقِيها
كَيْفَ تَذْوي غُصونُها ظامِئاتٍ
وأنا مِنْ مدامِعي أُرْويها
هِيَ في حاجةٍ لِعَطْفِ فَتاةٍ
فاذْرُفي دَمْعَةَ الأسى تُحْيِيْها
لا تَضَنِّي بالدَمْعِ يوماً عَلَيْها
مِنْ شُروطِ الوفاءِ أنْ تَبْكِيها
واذْرُنيهِ شِعْراً وطِيباً وخَمْراً
إنَّ في الدَمْعِ راحةً للحَزينِ

***

قَـدْ جَفـاهـا النَسِيمُ مُنْـذُ لَيـالٍ
آهِ مِمَّا جَنَـى عَلَيْهـا النَسِيمُ
ضَـنَّ فـي لَحْنِـهِ الـرقيـقِ عَلَيْهـا
بَعْـدَ جُـودٍ وَقـدْ يَضـنُّ الكَرِيـمُ
فـاحْمِلـي النـاي واتْبعِينـي إلَيْهـا
فَمِـنَ البِـر أنْ يُـواسـى الكَلِيمُ
أسْـمعيهـا صـوْتَ المَـلائِـكِ يُـرْجِـعْ
زَهْـوَهـا صـوْتُـكِ النَـدِيُّ الرَخِيـمُ
وَأعِيـدي لَحْـنَ الـربيـع فَفِيـهِ
مـاتَمَنَّتْـهُ مِـنْ هَـوَىً وحَنِيـنِ
***
ذَرَفَـتْ دَمْعَـهـا سُليـمـى فـأحْيَـتْ
ذابـلاتِ الغُصـونِ والأوْراقِ
وتَغنَّـتْ ألحْـانَهَـا فـأثـارَتْ
كـامِنـاتِ الشُـجـونِ والاشْـواقِ
زَيَّنَـتْ عـاطِـلَ الخَميـلَـةِ جُـوداً
بِـلآلٍ تَجْـرِي مِـنَ الآمَـاقِ
وأعَـادَتْ عَهْـدَ الـربيـعِ إلَيْهـا
مُـذْ سَقَتْهـا بالمَـدْمَـعِ الرَقْـرَاقِ
وَحَبَتْهـا مِـنْ عِطـرِهَـا نَفَحـاتٍ
تُسْـكِـرُ الـطَيْـرَ وهْـي فَـوْقَ الغُصـونِ
* * *

عـاطِفـاتُ الحَنـانِ فـي صـدْرِ سَلْمَـى
كَـرَّمَ اللـهُ هـذهِ العـاطِفَـاتِ
أيُّ شِعْـرٍ لَـمْ يَسْتَـكِـنْ للقَـوافِـي
مُحْـزِنٍ فـي دُمـوعِهـا الجارِيـاتِ
أيُّ شِعْـرٍ لَـمْ يَسْتَـكِـنْ للقَـوافِـي
مُـرْقِـصٍ فـي ألْحـانِهـا المُسْكِـراتِ
مـا أشَـدَّ الـظَّـلامَ لَـوْلا شُعَـاعٌ
يُـرْسِـلُ النـور في عُيـونِ الفَتـاةِ
يـا شُعَـاعَ العُيـونِ وَطْفـاءَ نُجْـلاً
أنْـتَ في ظُلْمَـةِ الأسـى تَهْدِينِـي

* * *

يـا شُعـاع العُيـونِ فِيـكَ قَـرَأْنَـا
سِـر هَـذِي الحَيـاةِ وَهْـو دَقِيـقُ
نِعْمَـةُ اللـهِ أنْـتَ في الـكَوْنِ لَوْلاكَ
لَعَـم الـوُجـودَ حُـزْنٌ وضِيـقُ
فِـي لَيـالـي الهُمـومِ تُرْسِـلُ نُـوراً
بِـدْعَـةَ العِـطْـرِ والهَـوى فَنُفِيـقُ
خَـالِـقُ الـكَـوْنِ قَـدْ بـراكَ عَـزاءً
لِيُـداوِي آلامَـهُ المَخْلُـوقُ
مـا عَشِـقْنـا الحَيـاة وَهْـي شَقَـاءُ
النـاسِ لَوْلاكَ يـا شُعـاعَ العُيـونِ

دَمْعَــةٌ مِــنْ لِحـاظِ هَيْفَـاءَ خَــوْدٍ
تَخْلُــقُ العَـطْفَ فـي قُلوبِ القُســاةِ
بَسْـمـةٌ فـي الحَيـاةِ مِـنْ شَفَتَيْهــا
تَبْعَـثُ النُــور فـي ظَلامِ الحَيــاةِ
لَمْسـةٌ مِـنْ بَنَانِها وَهْــو رخْـص
بَـرْدُ تِلْــكَ الجـوانِـحِ الظَّامِئــاتِ
نَفْحَـــةٌ مِـــنْ نُهُـودِهــا سِـــرٌّ ما
تَنْشَـــقُ بَيْــنَ الـرُبـى مِـنَ النَفَحَــاتِ
هِــي سِرُّ الحَيــاةِ انْشُــودَةُ اللــهِ
شِـفَــاءُ الــداءِ العَصِــي الكَمِيــنِ

***

أنــا أهْــوى بِــلا رجَــاءٍ ومــا
حَــالُ مُحِــب يَهْــوَى بِغَيْــرِ رجَــاءِ
بـائِــسٌ يـا ابْنَــةَ الصـبــاحِ شَقِــيٌّ
كَفْـكِفــي مِــنْ مـدامِـعِ البُـؤَســاءِ
وارْحَمِينـــي فَفِــي غَـدٍ يهــبُ اللهُ
ضِيــاءً لأَوْجُـــــهِ الرُحَمَــــــاءِ
وَهَبِينــي خَمِيلــةً جُـــدْتِ مــا
جــدتِ عَلَيْهــا بالنُــورِ والأَنْــداءِ

أنــا أَشــقــى مِنْهـا وأَظْمــأ رُوحـاً
أَســعِــدِينــي فالعَــدْلُ أَنْ تُسْعِــدِينــي

* * *

ذا اعْتِــرافــي أَمــامَ كاهِنَـــةِ الحُـــب
فَهَــلْ يَغْفِــرُ الخطـــايـــا اعْتِــرافــي
لاَلَـــهِ الهَــوى صَلاتِـــي ونسْكِـــي
وحـــوالَـــي بيـــــبِ الغَـرامِ طَوافِـي
هَيْكَـــلُ الحُـــب طـاف فيـه جُـــدودي
وجَــــثــــتْ حــوْلَ رُكْنِـهِ أَسْــلافِـــي
أنــا راضٍ بِنَــظْـــرَةٍ أَوْ بِوعْـدٍ
مِنْكِ لِلعِـــلَـــةِ الــكَميـــنَـــةِ شــافِـــي
فَعِــدِينِـــي ولا تَبَـــــري فَحَسْبِـي
مِــنْ نَعيــمِ الحَيـاةِ أَنْ تَعِــدِينــي

* * *

(١٩٢٤)

دموع ودموع

غَن يا بُلْبُلُ فَوْقَ الدَوْحِ غَن
أَنْتَ أَوْلى بالهَوى والشِعْرِ مِنِّي

لَكَ سِحْر مِثْلُ سِحْرِي عَجَب
أَتَرى عِنْدَكَ حُزْناً مِثْلَ حُزْنِي

فَتَرَنَّمْ بِأَناشِيدِ الهَوى
ناعِماً ما شِئْتَ مِنْ غُصنٍ لِغُصنِ

وَتَعَلَّمْ كَيْفَ يَبْكِي شَاعِر
ضَاعَ ما بَيْنَ صُدودٍ وَتَجَن

إنَّما الدُنْيا وفي أَمْثَالِها
عِبرٌ الدُنْيا وأَصداءُ التَمَنِّي

غَارَةٌ لَم أَتَهَيَّب جَمْرَهَا
فَنَبَا سَيْفِي وَلَم يسْلَم مِجَنِّي

رُبَّ دَهْيَاءَ أَنَاخَتْ بالحِمى
ـ غاب حامِيهِ ـ وخَطْبٍ مُرْجَحِن

بين سَمْعٍ وعِيانٍ لَيْتَنِي
لا تَرى عَيْنِي ولا تَسْمعُ أُذْنِي

ما عَلى لَحْنِي وَقَدْ أَرْسَلْتُهُ
يُلْهِبُ الدُنْيا على الغَاصِبِ لَحْنِي

فإذَا لَـمْ أَسْتَـثِـرْهَـا هِمَمَـاً
لا وَرَى زَنْـدِي ولا ظَلَّـلَ رُكْنِـي

* * *

غَـن يـا بُلْبُـلُ فَـوْقَ الـدَوْحِ غَـن
أَنْـتَ أَوْلَـى بالهَـوى والشِـعْـرِ مِنِّـي
لَسْتَ تَـدْرِي الهَم بالـدُنْيَا فَخُـذْ
أيهُّـا الطَيْـرُ دُروس الهَـم عَنِّـي

* * *

تَـاجُ هَـارونَ خَبَـا لأْلاَؤُهْ
فَبَـكَـتْ دِجْلَـةُ حُزْنـاً والفُـراتْ
وَذُرَى الـزَهْـرَاءِ خَـرَّتْ بَعْـدَمَـا
طَـاوَلَـتْ زُهْـر النُجـومِ النَيِّـراتْ
وَبَنُـو مَـرْوانَ وَلَّـوا وانْـطَـوَوا
وَتَخَلَّـوا عَـنْ مُتـونِ الصـافِنَـاتْ
قُـلْ لِجَيْـشِ الـرُومِ مـاذَا تَتَّـقِي
طَـاح رَيْـبُ الـدَهْـرِ غَـدْراً بالغُـزَاةْ
لا بَنُـو العَبَّـاسِ فـي زَحْـمِ الوغَـى
لا ولا أبنـاءُ حَمْـدَانَ الأُبَـاةْ
عُقِلَـتْ بَيْـن خِـيـامِ المُنْحَـنـى
والفُـراتيْـنِ عِـتَـاقُ السـابِقَـاتْ

وَهِـــي الاسْيَــافُ فِـــي أَغْمَــادِهَـــا
صَـــدِئَــتْ يَـــا وَيْلَــتي للمُـــرْهَفَـــــاتْ !

* * *

غَـــن يـــا بُلْبُـــلُ فَـوْقَ الـدَوحِ غَـن
أَنْــتَ أَوْلــى بالهَــوى والشِـعْـرِ مِنِّـــي
لَسْــتَ تَـدْرِي الهَـم بالــدُنْيا فَخُـــذْ
أَيُهـا الطَيْـرُ دُروس الهَــم عَنِّـــي

* * *

قِـفْ عَلـى اليَـرْمُــوكِ واخْشَـعْ باكِـــياً
وَتَيَــمَّـــمْ مِـــنْ صَعيـدِ القَــادسِـــيَّــهْ
تُــرْبَـةٌ طِيبَــةٌ طَــاهِــرَةٌ
وقُبــور مِنْ حَيَـا الـدَمْعِ روِ ـــهْ
هــا هُنـا مَثْوى الصــنــادِيدِ الأُلـــى
قَـدْ لَـوَوْا قَسْــراً عِنَـانَ الجَاهِلِيَّـــهْ
دَوَّخُـــوا الــرُومَ وَثَـلُّـــوا عَرْشَـــــها
وطَـوَوْا حُمْـــر البُـنـــودِ الفارِسِيـــــهْ
وَقَضَـــوْا بَيْـــن العَـــوالي والظُبَـــى
هَــكَـذا تَقْــضِي الأُســودُ العَــرَبِيَّـــهْ
فامْســحِ الأَحْجَــارَ والْثَـمْــهُ ثَـــرى
طَــاهِــرَاً واعْقِــرْ على القَبْـرِ المَطِـيَّهْ

يــا قُــبــوراً مُحِيَــتْ وانْدَثَـــرتْ
أنْــتِ نِبْــراسُ الهُــدى والوَطَنِـيَّـهْ
لَـكِ مِـنْ دَمْعِي إذَا ضَـنَّ الحَيَـا
دِيَمَـةٌ تَبْكِـي وَوَطْفَـاءُ رَوِيَّـــهْ

* * *

غَـن يـا بُلْبُـلُ فَـوْقَ الـدَّوْحِ غَـــن
أنْـتَ أوْلـى بالهَـوى والشِّـعْـرِ مِنِّــي
لَسْـتَ تَـدْرِي الهَـم بالــدُّنْيا فَخُـــذْ
أيُّـها الطَّيْـرُ دروس الهَـم عَنِّـــي

* * *

قَـدْ رأوْا لَيْــلاي تُـذْرِي دَمْعَهَـــا
كَـرَّم اللـهُ الــدُّمـوعَ الطـاهِـــرهْ
حَـرس اللـهُ جُفـونـاً عَطَّــرَتْ
بـالنَّـدى تِلْـكَ الخُـدودَ الناضِـــرَهْ
كَفْـكِفـي دَمْعَـكِ لا يَشْهَـــدُهُ
نـاظِـرٌ حتـى النُّجـومُ الزاهِـــرَهْ
إنَّ لـي يــا ابْنَـةَ وُدِّي هِمَّـــةً
تَخْضُـــدُ الخَـطْــبَ وَنفْســاً ثَائِـــرَهْ
وأرانِـي فِـي غَــدٍ مُقْتَحِمـــاً
مُسْتَـظِـلاً بالسيُـوفِ البَاتِـــرَهْ

مُلْقِيـاً نَفْسِـي فـي غَمْرَتِهَـا
كَيْفَمَـا دَارَتْ هُنـاكَ الدَائِـــرَهْ
فإذَا مِـتُّ غَريـبـاً نَـائِيـاً
وأنـا فـي التِسْعِ بَعْـدَ العاشِـرَهْ
أُذْكُرينِـي واحْفَـظِـي عَهْـدَ الهَـوى
وانْـدُبِـي شُـؤْمَ الجُـدودِ العَـاثِـرَهْ
لَسْـتُ تاللّـهِ مُحِـبّـاً غَـادِراً
لا تَكُونِـي بَعْـدَ مَـوْتِـي غَـادِرَهْ

* * *

غَـن يـا بُلْبُـلُ فَـوْقَ الـدَوْحِ غَـن
أَنْـتَ أَوْلـى بالهَـوى والشِـعْـرِ مِنِّـي
لَسْـتَ تَدْرِي الهَـم بالـدُنْيا فَخُـذْ
أيُّهـا الطَيْـرُ دُروس الهَـمِّ عَنِّـي

(١٩٢٥)

أنا وهي

أَقْبَلَ اللَّيْلُ فَقُومِي وانْثُرِي
فَوْقَ هَذا الرَوْضِ مِنْ وَجْهِكِ نُورَا
واقْطِفِي لِي وَرْدَةً قَبِّلَها
لُؤْلُؤُ الصُبْحِ نَظِيماً ونَثِيرَا
وامْلأي كَأْسَكِ لِي مِنْ رِيقَةٍ
تُسْكِرُ الأَرْواحَ طِيباً وعَبِيرَا
وَرْدُ خَدَّيْكِ نَضِيرٌ مُسْتَحٍ
فَدَعِيني أَلْثِمُ الوَرْدَ النَضِيرا
طَهَّرَ الحُبُّ فُؤَادِي فَغَدا
كَفُؤَادِ الطِفْلِ يا مَيُّ طَهُورا
عَمَرَ النَفْسَ شُعُوراً بالأَسَى
والأَسى يَخْلُقُ في النَفْسِ الشُعُورا

* * *

إمْلأي المِصْباحَ زَيْتاً واتْرُكي
لِعَبِيدِ الوَهْمِ نُورَ الكَهْرَباءْ
وَتَغَنَّي بأَناشِيدِ الهَوى
تُسْكِرُ الأَرْواحَ أَلْحَانُ الغِنَاءْ
وارْفَعِي للأُفْقِ عَيْنَيْكِ تَرَيْ
أَيَّ حُسْنٍ وَجَلالٍ في السماءْ

كُوخُنَا يا ميُّ في هَذِي الرُّبَى
لا تُسامِيهِ قصُورُ الأُمَراءْ
قَدْ أَمِنَّا قُوَّةَ النَاسِ بِهِ
أيُّ كَسْبٍ عِنْدَنا للأَقْوِياءْ
ضُعَفَاءٌ نَحْنُ يا ميُّ وذَا
كُلُّ ما تَمْلِكُ كَفُّ الضُعَفاءْ

* * *

إسْمَعِي أَخْبَارَ جَنَّاتِ الرُبَى
وَدَعينا مِنْ أَحَادِيثِ البَشَرْ
بُلْبُلِي اليَوْمَ حَزِينٌ صامِتٌ
لَيْتَ شِعْرِي أيَّ إلْفٍ قَدْ ذَكَرْ
والرياحِينُ زَهَتْ وابْتَسمتْ
حِينَما غازَلَها جَفْنُ المَطَرْ
ذَلِكَ الدَّوْحُ الذِي ظَلَّلَنَا
دَاعَبَتْهُ الرِيحُ لَيْلاً فانْتَثَرْ
أَشْرَقَ الصُبْحُ عَلى زَهْرِ الرُبَى
نَاثِراً لُؤْلُؤَهُ فِيما نَثَرْ
فاقْطُفي ما شِئْتِ مِنْها وارْفَعِي
فَوْقَ ذَا المَفْرِقِ تِيجانَ الزهَرْ

* * *

لا تَقُولي قُص أنْبَاءَ الـــورى
حَسْبُنَا أنْبَاءُ هَـذِي الزَهَـراتْ
وارْبَـإي بالسـمْعِ عَنْ أخْبَارِهِمْ
إنهَا تُـدْمِي قُلـوبَ الفَتَيَاتْ
أُمَّـةٌ تَقْتُـلُ ظُلْمَاً أُخْتَهَا
وَغَنِـيٌّ مُـسْتَبِـدٌّ بالعُفَـاةْ
وَدِمَـاءٌ خَضَبَتْ وجْهَ الثَرى
وَدُمُـوعٌ كالغَوادِي جَارِيَاتْ
وَشُعُوب بَاكِيَاتٌ تَشْتَكِي
عَنَتَ الأَسْرِ وأُخْرَى ضَاحِكَاتْ
وَحَيَاةٌ كُـلُّ مَا فِيهَا أَذى
لا سَقَى عَهْدُ الحَيَا هَذِي الحَيَاةْ

* * *

إسْمَعِي لَنْ تَسْمعِي فِي أَرْضِهِمْ
غَيْر أَصْواتِ عَوِيلٍ وَبُكَاءْ
وَالِدٌ يَبْكِي ابْنَهُ أَوْدَتْ بِهِ
فِي الوَغَى أَطْمَاعُ قَوْمٍ أقْوِيَاءْ
وَرَؤُوم فَقَدَتْ وَاحِدَهَا
فَتَعَزَّتْ فِيهِ عَنْ حُسْنِ العَزَاءْ
ضَحِكَاتُ الأَقْوِيَاءِ ارْتَفَعَتْ
وَعَلا بالنَوْحِ صَوْتُ الضُعَفَاءْ

أفْسدُوا المَاءَ على شَارِبِهِ
فَغَدَا حسْرَةَ أكْبَادٍ ظِمَاءْ
كَيْفَ يروِي غُلَّةَ الصادِي وَقَدْ
مزَجُوهُ بِشَآبِيبِ الدِماءْ

***

ميُّ عَفْواً ما لِعَيْنَيْكِ وَهَى
فِيهِما سِلْكُ اللآلِي فانْفَرطْ
أنَا أحْزَنْتُكِ يا ميُّ فَهَلْ
يَغْفِرُ الرَحْمَنُ لِي هَذا الشَطَطْ
إحْسبينِي كَاذِبَاً وابْتَسِمِي
وَدَعِينِي أرْتَشِفْ هَذِي النُقَطْ
أدمُعٌ طَاهِرةٌ ذَوبُ النَّدى
فَوْقَ أكْمَامِ الأزاهِيرِ سَقَطْ
لا رَعَى اللَّهُ قَوِيًا فَاتِحًا
المَنَايَا ناشِطَاتٌ ما نَشَطْ
أنْتِ الثَكْلى فَوَلَّى ضَاحِكاً
وَرأى الأسْيَافَ تَدْمَى فاغْتَبَطْ

* * *

كَفْكِفِي دَمْعَكِ يا ميُّ فَقَدْ
جَرحَتْ قَلْبِي هَذِي الأدْمُعُ
وَتَناسي عَالَمَ الشَر فَمَا
فِي هُدَى هَذِي البَرايَا مَطْمَعُ

واتْــرُكـي القَصْـر مَنِيعـاً عَالِيَــاً
حَسْــبُنَــا هَــذا الفَضَــاءُ البَــلْقَـــعُ
واقْنَعِــي أَشْــقَــى البَــرايَــا طَامِـــع
سـادِرٌ فِـي غَـيـهِ لا يَقْنَـــعُ
تَحْتَ أَغْصــانِ الــدَوالــي بالرُبَـــى
هَيْكَــلُ الحُــب الـطَهُــورُ الأَرْفَـــعُ
هَيْكَــلُ الحُــب الــذي أَجْثُــو بِــهِ
خاشِعــاً مــا حُــبُّ مــنْ لا يَخْشَـــعُ ؟

* * *

هَـا هُنَـا فـي الــرَوْضِ والــرَوْضُ شــذَى
بِيعَــةُ الــلهِ تَضُــمُّ المُــؤْمِنِينَــــا
فَـالْبَسِــي الإِكْلِيــلَ يــا مَــيُّ فَقَــدْ
أَشْــرَقَ الصُــبْــحُ على الــدُنْيَــا مُبينَــــا
حَفْــلَــةُ العُــرْسِ ومِــنْ زَهْـرِ الــرُبَـــى
قَــدْ دَعَــوْنَــا يــا ابْنَــةَ الخَــيرِ مئِينَــا
وطُيــورُ الــرَوْضِ يــا فــاتِنَتِــــي
قَــدْ أَقَمْنــاهَــا مقــامَ المنشــدينــا
أَقْبَــلَ البُلْبُــلُ فاجْثِـــي واخْشَعِـــي
واتْـرُكـي الازْهــارَ يَلْثِمْــن الجَبِينَــــا
يـا لَــهُ مِــنْ مُؤْمِــنٍ يَمْنَحُنَـــا
بَرَكَــاتِ الأَتْقِيَــاءِ الصــالِحِينَــــا
(١٩٢٥)

تحية وفاء *

إلى أخي ميخائيل إليان

إن تهتف الشام ميخائيل أنجدها
كأنه قدر يُحْمَى به القدَر
اذا الوجوه عنت لليأس حالكة
أضاء في وجهك الايمان والظفَر
عففت عن قدرة عصماء باذخةٍ
وربّما عفَّ أقوام وما قدروا
صعب الشكيمة والأعناق مسلسة
قاسٍ من الحق لكن لستَ تنكسرُ
لك الشمائل من نور ومن كرم
لها على النجم ذيل مترف عَطِر
رأيٌ كأن بنات الغيب تعشقه
فعنده السر والأطياف والصور
وجرأة في العلى والحق لوجَبهت
ليثا تبرأ منه الناب والظُفر
زينتَها بوسيم جل مبدعه
من الحياء فلا زهوٌ ولا بطر

* الناشر وردت هذه القصيدة متأخرة

وما استباح عرين الحق طاغية
إلاّ وصرح عن أنيابه النَّمِر
ولم تهادن قوياً في تحكمه
ولا غدرتَ وشر الناس من غدروا
اذا تأرج ذُكر منك أو نبأ
تهلَّلت حلب الشهباء تنتظر
أنت اللبانة في نجوى ضمائرها
وفيك عطًّرَ جوَّ السامر السَّمر
أصفيتك الحب لا منّا ولا كدراً
ومن هَنات المحب المن والكدر
وما اصطفيتُك عن خوف ولا ملقٍ
ولا لأني إلى نعماك أفتقر
لكن وفاَء لنعمى منك سابقةٍ
وأنك الكنز للأوطان يدخر
وبلبل الدوح يرضيه بأيكته
سرُّ الجمال ويُرضي غيرَه الثمر

٣٠ - ٦ - ٥٨


الناشيء


الناشيء